الكِفايـة

في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّرايـة

تأليف الفقير إلى رحمة ربه

عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء السابع والعشرون

[سورة النمل، الآية: ٤١]- [سورة الروم، الآية: ١٠]

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الرقم الدولي(ISBN):٥-٧١٥-٧٢-٩٩٥٣
الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
الناشر: دار القلم- بيروت – لبنان

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

Abdulla.khdhir@gmail.com
Abdulla. khdhir@hotmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١)} [النمل : ٤١]

التفسير:

قال سليمان لمن عنده: غيِّروا سرير ملكها الذي تجلس عليه إلى حال تنكره إذا رأته؛ لنرى أتهتدي إلى معرفته أم تكون من الذين لا يهتدون؟

قوله تعالى:{قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا} [النمل : ٤١]، أي:" قال سليمان لمن عنده: غيِّروا سرير ملكها الذي تجلس عليه إلى حال تنكره إذا رأته"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال سليمان -لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبإ، وقدمت هي عليه، لجنده: غيروا لهذه المرأة سريرها"[٢].

عن مجاهد، قوله: "{نكروا لها عرشها}، قال: غيروه"[٣].

عن ابن زيد، قوله: "{نكروا لها عرشها}، قال: مجلسها الذي تجلس فيه"[٤].

قال ابن كثير:" لما جيء سليمان ، عليه السلام ، بعرش بلقيس قبل قدومها ، أمر به أن يغير بعض صفاته ، ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته ، هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس به"[٥].

وفي تغييره خمسة أوجه :

أحدها : أنه نزع ما عليه من فصوصه ، ومرافقه وجواهره ، قاله ابن عباس[٦].

الثاني : أنه غيّر ما كان أحمر فجعله أخضر وما كان أخضر جعله أحمر غير كل من حاله. قاله مجاهد[٧].

الثالث : غيّر بأن زيد فيه ونقص منه ، قاله ابن عباس[٨]، وعكرمة[٩]، والضحاك[١٠].

قال ابن عباس:" وتنكير العرش، أنه زيد فيه ونقص"[١١].

قال الضحاك:"أمرهم أن يزيدوا فيه، وينقصوا منه"[١٢].

قال مقاتل:" زيدوا في السرير وانقصوا منه"[١٣].

الرابع : حوّل أعلاه أسفله ومقدمه مؤخره ، قاله قتادة[١٤].

الخامس : غيّره بأن جعل فيه تمثال السمك ، قاله أبو صالح[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٠.

(٢) تفسير الطبري:٤٦٩/١٩.

(٣) أخرجه الطبري:٤٦٩/١٩.

(٤) أخرجه الطبري:٤٦٩/١٩.

(٥) تفسير ابن كثير:١٩٤/٦.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٤٠٩):ص٢٨٩٠/٩.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٤١٠):ص٢٨٩٠/٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٤٦٩/١٩.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٤١٣):ص٢٨٩٠/٩.

(١٠) انظر: تفسير الطبري:٤٦٩/١٩.

(١١) أخرجه الطبري:٤٦٩/١٩.

(١٢) أخرجه الطبري:٤٦٩/١٩.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٨/٣.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٤١٤):ص٢٨٩٠/٩.

قوله تعالى:{نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ} [النمل : ٤١]، أي:" لنرى أتهتدي إلى معرفته أم تكون من الذين لا يهتدون؟"[٢].

قال الطبري:" يقول: ننظر أتعقل فتثبت عرشها أنه هو الذي لها {أم تكون من الذين لا يهتدون} يقول: من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها"[٣].

وفي قوله تعالى:{نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ} [النمل : ٤١]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أتهتدي إلى الحق بعقلها أم تكون من الذين لا يعقلون ، وهذا معنى قول يزيد بن رومان[٤]، وووهب بن منبه[٥].

قال يزيد بن رومان:" {أتهتدي}، أي: تعقل. {أم تكون من الذين لا يهتدون}، أي: أم تكون من الذين لا يعقلون. ففعل ذلك لينظر أتعرفه أم لا تعرفه"[٦].

قال وهب بن منبه:" أي: أتعقل، أم تكون من الذين لا يعقلون؟ ففعل ذلك لينظر أتعرفه، أم لا تعرفه؟"[٧].

وقال ابن عباس:" لننظر إلى عقلها، فوجدت ثابتة العقل"[٨].

وقال ابن عباس:" زيد في عرشها ونقص منه؛ لينظر إلى عقلها، فوجدت ثابتة العقل"[٩].

الثاني : إلى معرفة العرش بفطنتها أم تكون من الذين لا يعرفون ، وهذا معنى قول ابن جبير[١٠]، ومجاهد[١١]، وعكرمة[١٢]، وزهير بن محمد[١٣].

عن سعيد بن جبير: "{ننظر أتهتدي}، يقول: تعرف السرير، {أم تكون من الذين لا يهتدون}، يقول: أم تكون من الذين لا يعرفون"[١٤].

عن مجاهد: "{ننظر أتهتدي}، أتعرفه؟"[١٥].

القرآن

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٤١٢):ص٢٨٩٠/٩.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٠.

(٣) تفسير الطبري:٤٧٠/١٩.

(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٤١٧):ص٢٨٩١/٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٤٧٠/١٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤١٧)(١٦٤١٩):ص٢٨٩١/٩.

(٧) أخرجه الطبري:٤٧٠/١٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤١٥):ص٢٨٩٠/٩.

(٩) أخرجه الطبري:٤٧٠/١٩.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٤١٦):ص٢٨٩١/٩.

(١١)انظر: تفسير الطبري:٤٧٠/١٩، وتفسير ابن ابي حاتم:٢٨٩١/٩ بدون سند.

(١٢)انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٩١/٩ بدون سند.

(١٣)انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٩١/٩ بدون سند.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤١٦)، (١٦٤١٨):ص٢٨٩١/٩.

(١٥) أخرجه الطبري:٤٧٠/١٩.

{فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)} [النمل : ٤٢]

التفسير:

فلما جاءت ملكة «سبأ» إلى سليمان في مجلسه قيل لها: أهكذا عرشك؟ قالت: إنه يشبهه. فظهر لسليمان أنها أصابت في جوابها، وقد علمت قدرة الله وصحة نبوة سليمان عليه السلام، فقال: وأوتينا العلم بالله وبقدرته مِن قبلها، وكنا منقادين لأمر الله متبعين لدين الاسلام.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ} [النمل : ٤٢]، أي:" فلما جاءت ملكة «سبأ» إلى سليمان في مجلسه قيل لها: أمثل هذا العرش الذي رأيتيه عرشك؟"[١].

قال الطبري:" لما جاءت صاحبة سبإ سليمان، أخرج لها عرشها، فقال لها: {أهكذا عرشك}"[٢].

قال ابن كثير:" أي : عرض عليها عرشها ، وقد غير ونُكِّر ، وزيد فيه ونقص منه"[٣].

قال الصابوني:" ولم يقل: أهذا عرشك؟ رئلا يكون تلقيناً لها"[٤].

قال يزيد بن رومان:" فلما انتهت إلى سليمان وكلمته أخرج لها عرشها"[٥].

قوله تعالى:{قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ} [النمل : ٤٢]، أي:" قالت: إنه يشبهه"[٦].

قال الطبري:" قالت وشبهته به: {كأنه هو}"[٧].

قال الماوردي:"فلم تثبته ولم تنكره"[٨].

قال وهب بن منبه:" لما انتهت إلى سليمان وكلمته أخرج لها عرشها، ثم قال: {أهكذا عرشك قالت كأنه هو}"[٩].

قال مجاهد:" فلم تدر. {قالت كأنه هو}"[١٠].

واختلف في سبب قولها ذلك ، على ثلاثة أقوال:

أحدها : لأنها خلفته وراءها فوجدته أمامها فكان معرفتها له تمنع من إنكاره وتركها له وراءها يمنع إثباته ، وهذا معنى قول قتادة[١١].

قال قتادة:" شبهته، وكانت قد تركته خلفها"[١٢]، فوجدته أمامها"[١٣].

الثاني : لأنها وجدت فيه ما تعرفه فلذلك لم تنكره ووجدت فيه ما بُدِّل وغير فلذلك لم تثبته ، قاله السدي[١٤].

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٠، صفوة التفاسير:٣٧٦/٢.

(٢) تفسير الطبري:٤٧٠/١٩.

(٣) تفسير ابن كثير:١٩٤/٦.

(٤) صفوة التفاسير:٣٧٦/٢.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٢٠):ص٢٨٩١/٩.

(٦) التفسير الميسر:٣٨٠.

(٧) تفسير الطبري:٤٧٠/١٩.

(٨) النكت والعيون:٢١٥/٤.

(٩) أخرجه الطبري:٤٧١/١٩.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٢١):ص٢٨٩١/٩.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٤٢٢):ص٢٨٩١/٩.

(١٢) إلى هنا أخرجه الطبري:٤٧١/١٩.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٢٢):ص٢٨٩١/٩.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٤٢٣):ص٢٨٩١/٩.

قال السدي:" فلما دخلت وقد غير عرشها فجعل كل شيء من حليته أو فرشه في غير موضعه ليلبسوا عليها، فلما دخلت {قيل أهكذا عرشك}، فرهبت أن تقول نعم هو فيقولون ما هكذا كان حليته ولا كسوته هكذا، ورهبت أن تقول ليس هو فيقال لها: بل هو هو ولكنا غيرناه فـ{قالت كأنه هو}"(١).

الثالث : شبهوا عليها حين قالوا : أهكذا عرشك ؟ فشبهت عليهم فقالت : كأنه هو. ولو قيل لها هذا عرشك؟ لقالت: نعم، قيل لها: فإنه عرشك فما أغنى عنه إغلاق الأبواب؟ قاله مقاتل(٢).

قال ابن كثير:" فكان فيها ثبات وعقل ، ولها لُب ودهاء وحزم ، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها ، ولا أنه غيره ، لما رأت من آثاره وصفاته ، وإن غير وبدل ونكر ، فقالت : { كَأَنَّهُ هُوَ } أي : يشبهه ويقاربه. وهذا غاية في الذكاء والحزم"(٣).

قوله تعالى:{وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} [النمل : ٤٢]، أي:" قال سليمان تحدثاً بنعمة الله: لقد أوتينا العلم من قبل هذه المرأة بالله وبقدرته وكنا مسلمين لله من قبلها، فنحن أسبقُ منها علماً وإسلاما"(٤).

قال الطبري:" وقال سليمان: {وأوتينا العلم من قبلها} -أي: هذه المرأة- بالله وبقدرته على ما يشاء، {كنا مسلمين} لله من قبلها"(٥).

وقال مقاتل:" يقول سليمان:وأوتينا العلم من الله- عز وجل- من قبل أن يجيء العرش والصرح وغيره، وكنا مخلصين بالتوحيد من قبلها"(٦).

قال الماوردي:" وهذا قول من سليمان وقيل هو من كلام قومه"(٧).

عن مجاهد وزهير بن محمد، قوله: "{وأوتينا العلم من قبلها}، قال: سليمان يقوله"(٨). وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك(٩).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا} [النمل : ٤٢]، ثلاثة أقوال:

أحدها : معرفة الله وتوحيده ، قاله زهير(١٠).

الثاني : النبوة ، قاله يحيى بن سلام. حكاه الماوردي(١١).

الثالث : أي: علمنا أن العرش عرشها قبل أن نسألها ، قاله ابن شجرة(١٢).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} [النمل : ٤٢]، ثلاثة أقوال:

أحدهما : طائعين لله بالاستسلام له(١٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٢٣):ص٢٨٩١/٩.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٨/٣.

(٣) تفسير ابن كثير:١٩٤/٦.

(٤) صفوة التفاسير:٣٧٦/٢.

(٥) تفسير الطبري:٤٧١/١٩.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٨/٣.

(٧) النكت والعيون:٢١٥/٤.

(٨) أخرج الطبري:٤٧١/١٩ قول مجاهد، وأخرج ابن ابي حاتم(١٦٤٢٥):ص٢٨٩٢/٩ قول زهير بن محمد.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٨٩٢/٩. بدون سند.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٤٢٥):ص٢٨٩٢/٩.

(١١) انظر: النكت والعيون:٢١٥/٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون:٢١٥/٤.

(١٣) انظر: النكت والعيون:٢١٤/٤-٢١٥.

الثاني : مخلصين لله بالتوحيد. قاله مقاتل[1].

وروي عن زهير بن محمد، قوله: "{وكنا مسلمين }،يقول: مخلصين"[2].

القرآن

{وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣)} [النمل : ٤٣]

التفسير:

ومَنَعَها عن عبادة الله وحده ما كانت تعبده مِن دون الله تعالى، إنها كانت كافرة ونشأت بين قوم كافرين، واستمرت على دينهم، وإلا فلها من الذكاء والفطنة ما تعرف به الحق من الباطل، ولكن العقائد الباطلة تُذهب بصيرة القلب.

قوله تعالى:{وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [النمل : ٤٣]، أي:" ومَنَعَها عن عبادة الله وحده ما كانت تعبده مِن دون الله تعالى"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ومنع هذه المرأة صاحبة سبإ {ما كانت تعبد من دون الله}، وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله"[4].

قال سعيد بن جبير:" أي: بصدودها كانت من قوم كافرين وإنما وصفها، وليس بمستأنف"[5].

وفي قوله تعالى:{وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [النمل : ٤٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : وصدها عبادة الشمس أن تعبد الله. قاله الطبري[6].

الثاني : وصدّها كفرها بقضاء الله وعبادة الوثن أن تهتدي للحق . قاله مجاهد[7].

الثالث : وصدّها سليمان عما كانت تعبد في كفرها. ذكره الطبري[8].

الرابع : وصدها الله تعالى إليه بتوفيقها بالإيمان عن الكفر. ذكره الطبري أيضا[9].

قوله تعالى:{إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ} [النمل : ٤٣]، أي:" إنها كانت كافرة ونشأت بين قوم كافرين، واستمرت على دينهم"[10].

قال الطبري:" يقول: إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين"[11].

القرآن

{قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)} [النمل : ٤٤]

التفسير:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٨/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٢٦):ص٢٨٩٢/٩.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٠.

(٤) تفسير الطبري:٤٧١/١٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٢٨):ص٢٨٩٢/٩.

(٦) انظر: النكت والعيون:٢١٦/٤.

(٧) انظر: الطبري:٤٧٢/١٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٤٧٢/١٩.

(٩) انظر: تفسير الطبري:٤٧٢/١٩.

(١٠) التفسير الميسر:٣٨٠.

(١١) تفسير الطبري:٤٧١/١٩.

قيل لها: ادخلي القصر، وكان صحنه مِن زجاج تحته ماء، فلما رأته ظنته ماء تتردد أمواجه، وكشفت عن ساقيها لتخوض الماء، فقال لها سليمان: إنه صحن أملس من زجاج صاف والماء تحته. فأدركت عظمة ملك سليمان، وقالت: رب إني ظلمت نفسي بما كنت عليه من الشرك، وانقدتُ متابعة لسليمان داخلة في دين رب العالمين أجمعين.

قوله تعالى:{قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ} [النمل : ٤٤]، أي:" قيل لها: ادخلي القصر"[١].

قال الطبري:" ذكر أن سليمان لما أقبلت صاحبة سبإ تريده، أمر الشياطين فبنوا له صرحا، وهو كهيئة السطح من قوارير، وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك، وفهمها على نحو الذي كانت تفعل هي من توجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والإناث معاتبة بذلك كذلك"[٢].

قال الحسن:" فلما انتهت إلى الصرح عرفت والله العلجة أن قد رأت ملكا أعظم من ملكها"[٣].

وفي قوله تعالى:{قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ} [النمل : ٤٤]، ثلاثة أقوال:
أحدها : أنها بركة بنيت قوارير ، قاله مجاهد[٤]، وقتادة[٥].

قال مجاهد:" بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها"[٦].

قال قتادة:" وكان من قوارير، وكان الماء من خلفه فحسبته لجة"[٧].

قال أبو صالح:" كان الصرح من قوارير وجعل فيه تمثال السمك"[٨].

وقال قتادة:" وكان الصرح بناء من قوارير بني على الماء فلما رأت اختلاف السمك وراءه لم يشتبه عليها أنه لجة ماء، كشفت، عن ساقيها، وكنا نحدث أن أحد أبويها كان جنيا وكان مؤخر رجلها كحافر الدابة وكانت إذا وضعته على الصرح هشمته"[٩].

قال ابن عباس:" وأمر سليمان الشياطين فجعلوا لها صرحا ممردا من قوارير وجعل فيها تماثيل السمك، فقيل لها: ادخلي الصرح"[١٠].

الثاني : أنها صحن الدار ، حكاه ابن عيسى يقال صرحة الدار وساحة الدار وباحة الدار وقاعة الدار كله بمعنى واحد . قال زهير مأخوذ من التصريح ومنه صرح بالأمر إذا أظهره .
الثالث : أنه القصر. قاله أبو عبيدة[١١]، وابن شجرة[١٢]، ومنه قول الشاعر[١٣]:

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٠.

(٢) تفسير الطبري:٤٧١/١٩.

(٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٣٨):ص٢٨٩٤/٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٤٧٤/١٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٤٧٤/١٩.

(٦) أخرجه الطبري:٤٧٤/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:٤٧٤/١٩.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٣٢):ص٢٨٩٣/٩.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٣١):ص٢٨٩٣/٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٢٩):ص٢٨٩٣/٩.

(١١) انظر: مجاز القرآن:٩٥/٢.

(١٢) انظر: النكت والعيون:٢١٦/٤.

(١٣)مجاز القرآن" ٢/ ٩٥، ونسبه لأبي ذؤيب، وعنه الأنباري، "الزاهر في معاني كلمات الناس" ١/ ١٥٥، وأنشده ابن قتيبة، غريب القرآن ٣٢٥، واقتصر على الشطر الثاني منه، ولفظه: تحسب أعلامهن الصروحا.

بهن نَعَام بناها الرجال ... تشبه أعلامهن الصروحا

قال أبو عبيدة:" كل بناء بنيته من حجارة فهو نعامة والجماع: نعام، وإذا كان من شجر وثرى فهو: ثاية"(١).

قال الزجاج:" الصرح: في اللغة القصر والصحن، يقال: هذه ساحة الدار وصحنة الدار وباحة الدار وقاعة الدار وقارعة الدار. هذا كله في معنى: الصحن"(٢).

قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا} [النمل : ٤٤]، أي:" فلما رأته ظنته ماء تتردد أمواجه، وكشفت عن ساقيها لتخوض الماء"(٣).

قال الطبري:" يقول: فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر كشفت من ساقيها؛ لتخوضه إلى سليمان"(٤).

قال الماوردي:" أي: ماء، لأن سليمان أمر الجن أن يبنوه من قوارير في ماء فبنوه وجعلوا حوله أمثال السمك فأمرها بالدخول لأنها وصفت له فأحب أن يراها"(٥).

قال ابن كثير:" ذلك أن سليمان ، عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيما من قوارير ، أي : من زجاج ، وأجرى تحته الماء ، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه"(٦).

قال مقاتل:" الصرح: وهو قصر من قوارير على الماء تحته السمك لما رأته حسبته غدير الماء، {كشفت عن ساقيها}، يعني: رجليها لتخوض الماء إلى سليمان وهو على السرير في مقدم البيت"(٧).

عن ابن جريج، قوله: "{حسبته لجة}، قال: بحرا"(٨). وروي عن عطاء الخراساني مثله(٩).

عن عبد الله بن شداد، "{لما رأته حسبته لجة}: ظنت أنه ماء"(١٠).

قال ابن إسحاق:" ثم أمر سليمان بالصرح وقد عملته الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ثم أرسل الماء تحته، ثم وضع له سرير فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس"(١).

وأنشده الأزهري ٤/ ٢٣٧، عن أبي عبيد، بلفظ: تحسب آرامهن الصروحا.

وأنشده ابن جرير ٢٠/ ٧٧، كإنشاد أبي عبيدة، ولم ينسبه. وأنشده الغزنوي، "وضح البرهان" ٢/ ١٤١، مع بيت آخر بتقديم وتأخير، ولفظه:

على طرق كنحور الركا ... ب تحسب أعلامهن الصروحا

وهو كذلك في ديوان أبي ذؤيب الهذلي ٦٣.

(١) مجاز القرآن:٢/٩٥.

(٢) معاني القرآن:٤/١٢٢.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٠.

(٤) تفسير الطبري:١٩/٤٧٤.

(٥) النكت والعيون:٤/٢١٦.

(٦) تفسير ابن كثير:٦/١٩٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٠٨.

(٨) أخرجه الطبري:١٩/٤٧٤.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٤٣٦):ص٩/٢٨٩٤.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٣٤):ص٩/٢٨٩٣.

واختلفوا في السبب الذي كان من أجله أراد سليمان كشف ساقيها لدخول الصرح على أقوال:

أحدها : ليريها ملكا هو أعز من ملكها، وسلطانا هو أعظم من سلطانها . قاله وهب بن منبه[٢].

قال وهب بن منبه:" أمر سليمان بالصرح، وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا، ثم أرسل الماء تحته، ثم وضع له فيه سريره، فجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، ثم قال: {ادخلي الصرح} ليريها ملكا هو أعز من ملكها، وسلطانا هو أعظم من سلطانها.."[٣].

قال الزمخشري:" روى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض، وأجرى من تحته الماء، وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره، ووضع سريره في صدره، فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس، وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره، وتحققا لنبوته، وثباتا على الدين"[٤].

قال ابن كثير:" والغرض أن سليمان ، عليه السلام ، اتخذ قصرا عظيما منيفا من زجاج لهذه الملكة ؛ ليريها عظمة سلطانه وتمكنه، ، فلما رأت ما آتاه الله ، تعالى ، وجلالة ما هو فيه ، وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله وعَرَفت أنه نبي كريم ، وملك عظيم ، فأسلمت لله ، عز وجل"[٥].

الثاني: لأن سليمان-عليه السلام- أراد أن يتزوج بها، فقصد أن ينظر إلى ساقيها، وقد كانوا قالوا: إن عليه شعرا[٦].

قال السدي:" وكان قد نعت له خلقها فأحب أن ينظر إلى ساقيها فأمر بالحمام فصنع، وقيل لها: ادخلي الصرح ، فلما دخلته ظنت أنه ماء فكشفت عن ساقيها"[٧].

قال الماوردي:" {وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا}، فرآهما سليمان شعراوين فصنعت له الجن النورة فحلقهما ، فكان أول من صنعت النورة"[٨].

عن مجاهد، في قوله: "{وكشفت عن ساقيها} فإذا هما شعراوان، فقال: ألا شيء يذهب هذا؟ قالوا: الموسى، قال: لا الموسى له أثر، فأمر بالنورة فصنعت"[٩].

عن عكرمة وأبي صالح قالا:" لما تزوج سليمان بلقيس قالت له: لم تمسني حديدة قط، قال سليمان للشياطين: انظروا ما يذهب الشعر؟ قالوا: النورة، فكان أول من صنع النورة"[١٠].

الثالث: لأنه أراد أن يختبر بذلك عقلها[١١].

قال السيوطي:" وإنما صنع سليمان هذا الصرح، لأن الجن كرهوا تزوج سليمان لبلقيس، فقالوا له: إن عقلها مخبول، وإن رجلها كحافر الحمار"[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٣٥):ص٢٨٩٣/٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٤٧٣/١٩.

(٣) أخرجه الطبري:٤٧٣/١٩.

(٤) الكشاف:٣٧٠/٣.

(٥) تفسير ابن كثير:١٩٧/٦.

(٦) انظر: تفسير السمعاني:١٠٢/٤، والنكت والعيون:٢١٧/٤

(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٣٣): ٢٨٩٣/٩.

(٨) النكت والعيون:٢١٧/٤.

(٩) أخرجه الطبري:٤٧٤/١٩.

(١٠) أخرجه الطبري:٤٧٤/١٩.

(١١) انظر: تفسير الطبري:٤٧٠/١٩، والنكت والعيون:٢١٧/٤، والكشاف:٣٧٠/٣.

قال الزمخشري:" زعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى إليه بأسرارهم، لأنها كانت بنت جنية، وقيل: خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والإنس، فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع، فقالوا له: إن في عقلها شيئا، وهي شعراء الساقين، ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش، واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها، فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما لا أنها شعراء، ثم صرف بصره وناداهانه صرح ممرد من قوارير"(٢).

الرابع: أنه ذكر له أن ساقها ساق حمار لأن أمها جنية فأحب أن يختبرها. وهذا قول محمد بن كعب القرظي(٣).

قال محمد بن كعب القرظي:" قالت الجن لسليمان تزهده في بلقيس: إن رجلها رجل حمار، وإن أمها كانت من الجن. فأمر سليمان بالصرح، فعمل، فسجن فيه دواب البحر: الحيتان، والضفادع؛ فلما بصرت بالصرح قالت: ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به إلا الغرق؟ {حسبته لجة وكشفت عن ساقيها} قال: فإذا أحسن الناس ساقا وقدما. قال: فضن سليمان بساقها عن الموسى، قال: فاتخذت النورة بذلك السبب"(٤).

قال الزجاج:" وذاك أن الجن عابوا عنده ساقيها ورجليها وذكروا أن رجليها كحافر الحمار فتبين أمر رجليها"(٥).

قال السمعاني:" فطلب سليمان هذه الرؤية لكي يعرف صدق الجن وكذبهم"(٦).

قال مجاهد:" كانت بلقيس هلباء شعراء، قدمها كحافر الحمار، وكانت أمها جنية"(٧).

وفي رواية عن مجاهد:" وكانت بلقيس هلباء شعراء حافرها حافر حمار وكانت الجنية طويلة الذيل"(٨).

وفي رواية عن مجاهد:" كانت بلقيس زباء، هلباء. قال: الزباء: الكثيرة الشعر والهلباء: الطويلة الشعر"(٩).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "كان أحد أبوي صاحبة سبإ جنيا"(١٠).

قال مقاتل:" لما أقبلت قالت الجن لقد لقينا من سليمان ما لقينا من التعب فلو قد اجتمع سليمان وهذه المرأة وما عندها من العلم لهلكنا وكانت أمها جنية، فقالوا: تعالوا نبغضها إلى سليمان نقول إن رجليها مثل حوافر الدواب، لأن أمها كانت جنية، ففعلت، فأمر سليمان فبنى لها بيتا من قوارير فوق الماء، وأرسل فيه السمك لتحسب أنه الماء فتكشف عن رجليها فينظر سليمان أصدقته الجن أم كذبته وجعل سريره في مقدم البيت: فلما رأت الصرح حسبته لجة الماء وكشفت عن ساقيها فنظر إليها سليمان فإذا هي من أحسن الناس قدمين ورأى على ساقها شعرا

---

(١) معترك الأقران:٥٧١/٢.

(٢) الكشاف:٣٧٠/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري:٤٧٣/١٩. وهذا القول من الإسرائيليات المنكرة التي يتنزه عنها آحاد المتقين فكيف بنبي كريم أثنى الله عليه بقوله: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ٣٠].

(٤) أخرجه الطبري:٤٧٣/١٩.

(٥) معاني القرآن:١٢٢/٤.

(٦) تفسير السمعاني:١٠٢/٤.[بتصرف]

(٧) أخرجه الطبري:٤٧٤/١٩، وابن ابي حاتم(١٦٤٣٠):ص٢٨٩٣/٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٤٠):ص٢٨٩٤/٩.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٤٢):ص٢٨٩٥/٩.

(١٠) أخرجه الطبري:٤٧٤/١٩.

كثيرا فكره سليمان ذلك، فقالت: إن الرمانة لا تدري ما هي حتى تذوقها، قال سليمان: ما لا يحلو في العين لا يحلو الفم. فلما رأت الجن أن سليمان رأى ساقيها قالت الجن لا تكشفي عن ساقيك"(١).

قال الماوردي:" وهذا القول بأن أمها جنية مستنكر في العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبعين وتفاوت الجسمين ، لأن الآدمي جسماني ، والجني روحاني ، وخلق الله الآدمي من صلصال كالفخار وخلق الجني من مارج من نار ، ويمتنع الامتزاج من هذا التباين ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف ، لكنه قيل فذكرته حاكياً"(٢).

قال النسفي:" قال المحققون لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر إلى ساقيها وهي أجنبية فلا يصح القول بمثله"(٣).

قال الطبري:" جائز عندي أن يكون سليمان أمر باتخاذ الصرح للأمرين الذي قاله وهب، والذي قاله محمد بن كعب القرظي، ليختبر عقلها، وينظر إلى ساقها وقدمها، ليعرف صحة ما قيل له فيها"(٤).

قوله تعالى:{قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ} [النمل : ٤٤]، أي:" فقال لها سليمان: إنه صحن أملس من زجاج صاف والماء تحته"(٥).

قال الطبري:" قال سليمان لها: إن هذا ليس ببحر، إنه صرح ممرد من قوارير، يقول: إنما هو بناء مبني مشيد من قوارير"(٦).

قال ابن كثير:" أصل الصرح في كلام العرب : هو القصر ، وكل بناء مرتفع ، قال الله ، سبحانه وتعالى ، إخبارًا عن فرعون - لعنه الله - أنه قال لوزيره هامان { ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى } الآية [غافر : ٣٦ ، ٣٧]. والصرح : قصر في اليمن عالي البناء ، والممرد أي : المبنى بناء محكما أملس { مِنْ قَوَارِيرَ } أي : زجاج. وتمريد البناء تمليسه. ومارد : حصن بدومة الجندل"(٧).

عن ابن جريج: "{ممرد}، قال: مشيد"(٨).

وقال أبو صالح:"الممرد: الطويل"(٩).

قال الزمخشري:" الممرد: المملس"(١٠).

قوله تعالى:{قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} [النمل : ٤٤]، أي:" قالت بلقيس حينئذٍ: ربّ إني ظلمت نفسي بالشرك وعبادة الشمس"(١١).

قال الطبري:" قالت المرأة صاحبة سبإ: رب إني ظلمت نفسي في عبادتي الشمس، وسجودي لما دونك"(١).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٠٨-٣٠٩.

(٢) النكت والعيون:٤/٢١٦.

(٣) تفسير النسفي:٣/١٦٤.

(٤) تفسير الطبري:١٩/٤٧٣.

(٥) التفسير الميسر:٣٨٠.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٤٧٥.

(٧) تفسير ابن كثير:٦/١٩٧.

(٨) أخرجه الطبري:١٩/٤٧٥.

(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٤٤):ص٩/٢٨٩٥.

(١٠) الكشاف:٣/٣٧٠.

(١١) صفوة التفاسير:٢/٣٧٦.

قال مقاتل:" فلما رأت السرير والصرح علمت أن ملكها ليس بشيء عند ملك سليمان وأن ملكه من ملك الله- عز وجل- فـ{قالت} حين دخلت الصرح بـ{إني ظلمت نفسي}، يعنى: بعبادتها الشمس"[٢].

وقال سفيان:" {قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة}، فقالت في نفسها: إنما أراد سليمان أن يغرقني في البحر، كان غير هذا أحسن من هذا، فلما قيل لها: أنه صرح ممرد من قوارير، قالت: {رب إني ظلمت نفسي}، تعني: الظن الذي ظنت بسليمان عليه السلام"[٣].

قوله تعالى:{وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل : ٤٤]، أي:" وتابعتُ سليمان على دينة فدخلت في الإسلام مؤمنةً برب العالمين"[٤].

قال الطبري:" تقول: وانقدت مع سليمان مذعنة لله بالتوحيد، مفردة له بالألوهة والربوبية دون كل من سواه"[٥].

قال الزمخشري:" تريد بكفرها فيما تقدم، وقيل حسبت أن سليمان عليه السلام يغرقها في اللجة فقالت: ظلمت نفسي بسوء ظنى بسليمان عليه السلام"[٦].

قال ابن كثير:" قالت : { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي } أي : بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها الشمس من دون الله ، { وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } أي : متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده ، لا شريك له ، الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا"[٧].

قال ابن زيد:" فعرفت أنها قد غلبت {قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين}"[٨].

قال مقاتل:" {أسلمت}، يعنى: أخلصت، {مع سليمان} بالتوحيد له {رب العالمين}، خرت لله- عز وجل- ساجدة وتابت إلى الله- عز وجل- من شركها واتخذها سليمان- عليه السلام- لنفسه فولدت له داود بن سليمان بن داود- عليهم السلام-، وأمر لها بقرية من الشام يجبى لها خراجها، وكانت عذراء فاتخذ الحمامات من أجلها. وقال النبي- ﷺ-: «كانت [بلقيس][٩]من أحسن نساء العالمين ساقين، وهي من أزواج سليمان في الجنة»، فقالت عائشة- رضي الله عنها- للنبي- ﷺ-: هي أحسن ساقين مني؟ قال النبي- ﷺ-:"« أنت أحسن ساقين منها في الجنة»[١٠]. وكان سليمان- عليه السلام- يسير بها معه إذا سار "[١١].

حكى الشعبي:" عن ناس من حمير أنهم حفروا مقبرة الملك فوجدوا فيها أرضاً معقودة فيها امرأة عليها حلل منسوخة بالذهب وعند رأسها لوح رخام فيه مكتوب : -

يا أيها الأقوام عُوجوا معاً ... وأربعوا في مقبري العيسا
لتعلموا أني تلك التي ... قد كنت أدْعي الدهر بلقيسا

---

(١) تفسير الطبري:٤٧٥/١٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٠/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٤٦):ص٢٨٩٥/٩-٢٨٩٦.

(٤) صفوة التفاسير:٣٧٦/٢.

(٥) تفسير الطبري:٤٧٥/١٩.

(٦) الكشاف:٣٧٠/٣.

(٧) تفسير ابن كثير:١٩٧/٦.

(٨) أخرجه الطبري:٤٧٥/١٩.

(٩) زيادة في تفسير القرطبي:٢١٠/١٣.

(١٠)بدون إسناد. وذكره القرطبي ١٣/ ٢١٠، وصدره بقوله: وفي بعض الأخبار، وعزاه للقشيري.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٠/٣.

شيّدت قصر الملك في حمير ... قومي وقد كان مأنوسا
وكنت في ملكي وتدبيره ... أرغم في الله المعاطيسا
بَعْلي سليمان النبي الذي ... قد كان للتوراة دريسا
وسخّر الريح له مركباً ... تهب أحياناً رواميسا
مع ابن داود النبي الذي ... قدسه الرحمن تقديسا"[١].

قال الزمخشري:" استنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان[٢]، وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام، وولدت له. وقيل: بل زوجها ذا تبع ملك همدان، وسلطه على اليمن، وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه، فبنى له المصانع، ولم يزل أميرا حتى مات سليمان"[٣].

عن عون بن عبد الله بن عتبة:" أن أباه سئل: هل كان سليمان تزوج المرأة صاحبة سبأ؟ فقال: عهدي بها وهي تقول: {أسلمت مع سليمان لله رب العالمين}"[٤].

فوائد الآيات:[٤١-٤٤]:

١- جواز اختبار الأفراد إذا أريد إسناد أمر لهم لمعرفة قدرتهم العقلية والبدنية.
٢- بيان حصافة عقل بلقيس ولذا أسلمت ظهر ذلك في قولها {كأنه هو}
٣- مضار التقليد وما يترتب عليه من التنكير للعقل والمنطق.
٤- حرمة كشف المرأة ساقيها حتى لو كانت كافرة فكيف بها إذا كانت مسلمة.
٥- فضيلة الائتساء بالصالحين كما ائتست بلقيس بسليمان في قولها {وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين} .

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥)}[النمل : ٤٥]

التفسير:

ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا: أن وحِّدوا الله، ولا تجعلوا معه إلهًا آخر، فلما أتاهم صالحٌ داعيًا إلى توحيد الله وعبادته وحده صار قومه فريقين: أحدهما مؤمن به، والآخر كافر بدعوته، وكل منهم يزعم أن الحق معه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ}[النمل : ٤٥]، أي:" ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا: أن وحِّدوا الله، ولا تجعلوا معه إلهًا آخر"[٥].

قال الطبري: يقول" {أن اعبدوا الله} وحده لا شريك له، ولا تجعلوا معه إلها غيره"[٦].

عن أبي صالح: "«أرسل»: بعث"[٧].

---

(١) النكت والعيون:٤/٢١٧-٢١٨، وتفسير القرطبي:١٣/٢١٠.

(٢)قوله «فبنوا لها سيلحين وغمدان» في الصحاح «سيلحون» : قرية. وفيه في فصل «نصب» : أن للعرب في نصيبين ونحوه كبيرين وفلسطين وسيلحين وياسمين وقنسرين: مذهبين، أحدهما: لزوم الياء وإعراب ما لا ينصرف. والثاني: إعراب الجمع بالياء والنون نصبا وجرا، وبالواو والنون رفعا. وفي فصل «غمد» : غمدان: قصر باليمن. وفي فصل «صنع» المصانع: الحصون.

(٣) الكشاف:٣/٣٧٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٤٩):ص٩/٢٨٩٨.

(٥) التفسير الميسر:٣٨١.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٤٧٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٥٠):ص٩/٢٨٩٨.

عن ابن عباس، قوله: "{اعبدوا الله}، أي: وحدوا ربكم"[1].

قوله تعالى:{فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ}[النمل : ٤٥]، أي:" فلما أتاهم صالحٌ داعيًا إلى توحيد الله وعبادته وحده صار قومه فريقين: أحدهما مؤمن به، والآخر كافر بدعوته، وكل منهم يزعم أن الحق معه"[2].

قال الطبري:" يقول: فلما أتاهم صالح داعيا لهم إلى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون، ففريق مصدق صالحا مؤمن به، وفريق مكذب به كافر بما جاء به"[3].

قال الزجاج: أي: فإذا قوم صالح فريقان مؤمن وكافر يختصمون، فيقول كل فريق منهم: الحق معي"[4].

عن مجاهد، قوله: "{فريقان يختصمون}، قال: مؤمن وكافر، قولهم: صالح مرسل، وقولهم: صالح ليس بمرسل، ويعني بقوله: {يختصمون}، يختلفون"[5].

قال قتادة:" فإذا القوم بين مصدق ومكذب: مصدق بالحق ونازل عنده ومكذب بالحق وتاركه، في ذلك كانت خصومة القوم"[6].

القرآن

{قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦)}[النمل : ٤٦]

التفسير:

قال صالح للفريق الكافر: لِمَ تبادرون الكفر وعمل السيئات الذي يجلب لكم العذاب، وتؤخرون الإيمان وفِعْل الحسنات الذي يجلب لكم الثواب؟ هلا تطلبون المغفرة من الله ابتداء، وتتوبون إليه؛ رجاء أن ترحموا.

قوله تعالى:{قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ}[النمل : ٤٦]، أي:" قال صالح للفريق الكافر: لِمَ تبادرون الكفر وعمل السيئات الذي يجلب لكم العذاب، وتؤخرون الإيمان وفِعْل الحسنات الذي يجلب لكم الثواب؟"[7].

قال الطبري:" قال صالح لقومه: يا قوم لأي شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة"[8].

الرحمة"[8].

قال الزجاج:" وطلبت الفرقة الكافرة على تصديق صالح العذاب، فقال: {قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون}، أي: لم قلتم إن كان ما أتيت به حقا فأتنا بالعذاب"[9].

عن مجاهد قوله: "{لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة}، قال: السيئة: العذاب، قبل الحسنة: قبل الرحمة"[10].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٥١):ص٩/٢٨٩٨.

(٢) التفسير الميسر:٣٨١.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٤٧٥.

(٤) معاني القرآن:٤/١٢٣.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/٤٧٦.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٥٣):ص٩/٢٨٩٨.

(٧) التفسير الميسر:٣٨١.

(٨) تفسير الطبري:١٩/٤٧٦.

(٩) معاني القرآن:٤/١٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري:١٩/٤٧٦.

وعن مجاهد: "{قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة}، قال: بالعذاب قبل الحسنة، قال: العافية"[١].

قوله تعالى:{لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[النمل : ٤٦]، أي:" هلا تطلبون المغفرة من الله ابتداء، وتتوبون إليه؛ رجاء أن ترحموا"[٢].

قال الطبري:" يقول: هلا تتوبون إلى الله من كفركم، فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم، يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة، {لعلكم ترحمون}، يقول: ليرحمكم ربكم باستغفاركم إياه من كفركم"[٣].

قال الزجاج:" أي: هلا تستغفرون الله"[٤].

عن السدي، {لولا تستغفرون الله}، قال: فهلا تستغفرون الله؟"[٥].

قال السمعاني:" الاستغفار هاهنا بمعنى التوبة"[٦].

عن سعيد بن جبير، قوله:"{لعلكم ترحمون}: كي ترحموا ولا تعذبوا"[٧].

القرآن

{قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧)}[النمل : ٤٧]

التفسير:

قال قوم صالح له: تَشاءَمْنا بك وبمن معك ممن دخل في دينك، قال لهم صالح: ما أصابكم الله مِن خير أو شر فهو مقدّره عليكم ومجازيكم به، بل أنتم قوم تُخْتَبرون بالسراء والضراء والخير والشر.

قوله تعالى:{قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ}[النمل : ٤٧]، أي:" قال قوم صالح له: تَشاءَمْنا بك وبمن معك ممن دخل في دينك"[٨].

قال الطبري:" قالت ثمود لرسولها صالح: تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب"[٩].

قال قتادة:" قالوا: ما أصابنا من شر فإنما هو من قبلك ومن قبل من معك"[١٠].

عن مجاهد، قوله: {يطيروا}، قال: يتشاءموا"[١١].

قال السمعاني:" وفي سبب قولهم هذا قولان:

أحدهما: أنهم قالوا ذلك؛ لتفرق كلمتهم.

والقول الثاني: أنهم قالوا ذلك؛ لأنهم أصابهم الجدب والقحط، فقالوا فقالوا لصالح: هذا من شؤمك"[١].

---

(١) أخرجه الطبري:٤٧٦/١٩.

(٢) التفسير الميسر:٣٨١.

(٣) تفسير الطبري:٤٧٦/١٩.

(٤) معاني القرآن:١٢٣/٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٥٦):ص٢٨٩٩/٩.

(٦) تفسير السمعاني:١٠٣/٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٥٧):ص٢٨٩٩/٩.

(٨) التفسير الميسر:٣٨١.

(٩) تفسير الطبري:٤٧٦/١٩.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٥٨):ص٢٨٩٩/٩.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٥٩):ص٢٨٩٩/٩.

قال الزجاج:" الأصل: «تطيرنا»، فأدغمت التاء في الطاء، واجتلبت الألف لسكون الطاء، فإذا ابتدأت قلت اطيرنا بك، وإذا وصلت لم تذكر الألف، وتسقط لأنها ألف وصل"[٢].

قوله تعالى:{قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ}[النمل : ٤٧]، أي:" قال لهم صالح: ما أصابكم الله مِن خير أو شر فهو مقدِّره عليكم ومجازيكم به"[٣].

قال الزجاج:" أي: ما أصابكم من خير أوشر فمن الله"[٤].

قال الطبري:" فأجابهم صالح فقال لهم : ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه، لا يدري أي ذلك كائن، أما تظنون من المصائب أو المكاره، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب؟"[٥].

قال مقاتل:" يقول: الذي أصابكم هو مكتوب في أعناقكم"[٦].

قال السمعاني:" أي: ما يصيبكم من الخير والشر من الله، ويسمى ذلك طائرا؛ لسرعة نزوله بالإنسان، فإنه لا شيء أسرع نزولا من قضاء محتوم، وقيل: {طائركم عند الله} أي: عملكم عند الله، وسمي ذلك طائرا، لسرعة صعوده إلى السماء"[٧].

عن ابن عباس قوله: "{قال طائركم عند الله}، يقول: مصائبكم"[٨].

عن قتادة، قوله: "{طائركم عند الله}، علمكم عند الله"[٩]. وفي رواية: "أي: عملكم عند الله"[١٠]، وفي رواية:" أي: علم عملكم"[١١].

قوله تعالى:{بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ}[النمل : ٤٧]، أي:" بل أنتم قوم تُخْتَبرون بالسراء والضراء والخير والشر"[١٢].

قال السمعاني:" أي: تبتلون وتختبرون، وقيل: تعذبون"[١٣].

قال قتادة:" أي: تبتلون بطاعة الله ومعصيته"[١٤].

قال مقاتل:" يعني: تبتلون: وإنما ابتليتم بذنوبكم "[١٥].

قال الزجاج:" أي: تختبرون، ويجوز {تفتنون} من: الفتنة، أي: تطيركم فتنة"[١٦].

---

(١) تفسير السمعاني:٤/١٠٣.

(٢) معاني القرآن:٤/١٢٣.

(٣) التفسير الميسر:٣٨١.

(٤) معاني القرآن:٤/١٢٣.

(٥) تفسير الطبري:١٩/٤٧٦.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١١.

(٧) تفسير السمعاني:٤/١٠٥.

(٨) أخرجه الطبري:١٩/٤٧٦.

(٩) أخرجه الطبري:١٩/٤٧٧.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٦١):ص٩/٢٨٩٩.

(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٦٢):ص٩/٢٨٩٩.

(١٢) التفسير الميسر:٣٨١.

(١٣) تفسير السمعاني:٤/١٠٥.

(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٦٣):ص٩/٢٨٩٩.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١١.

(١٦) معاني القرآن:٤/١٢٣.

قال الطبري:" يقول: بل أنتم قوم تختبرون، يختبركم ربكم إذ أرسلني إليكم، أتطيعونه، فتعملون بما أمركم به، فيجزيكم الجزيل من ثوابه؟ أم تعصونه بخلافه، فيحل بكم عقابه؟"[١].

القرآن

{وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨)}[النمل : ٤٨]

التفسير:

وكان في مدينة صالح -وهي «الحِجْر» الواقعة في شمال غرب جزيرة العرب- تسعة رجال، شأنهم الإفساد في الأرض، الذي لا يخالطه شيء من الصلاح.

قوله تعالى:{وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ}[النمل : ٤٨]، أي:" وكان في مدينة صالح - وهي الحِجْر - تسعةُ رجالٍ من أبناء أشرافهم"[٢].

قال الطبري:يقول:" وكان في مدينة صالح، وهي حجر ثمود، تسعة أنفس"[٣].

قال مقاتل:" يعني: يعملون في الأرض بالمعاصي ولا يطيعون الله- عز وجل-"[٤].

قال ابن كثير: " أي : في مدينة ثمود، تسعة نفر "[٥].

عن مجاهد: "{تسعة رهط}، قال: من قوم صالح"[٦].

قال الزجاج:" هؤلاء عتاة قوم صالح"[٧].

قوله تعالى:{يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ}[النمل : ٤٨]، أي:" شأنهم الإفساد في الأرض، الذي لا يخالطه شيء من الصلاح"[٨].

قال الطبري:" وكان إفسادهم في الأرض، كفرهم بالله، ومعصيتهم إياه، وإنما خص الله جل ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة، وتعاونوا عليه، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود"[٩].

قال ابن كثير: " وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود ؛ لأنهم كانوا كبراء فيهم ورؤساءهم.. والغرض أن هؤلاء الكفرة الفسقة ، كان من صفاتهم الإفساد في الأرض بكل طريق يقدرون عليها"[١٠].

قال ابن عباس:" هم الذين عقروا الناقة، وقالوا حين عقروها: نبيت صالحا وأهله فنقتلهم، ثم نقول لأولياء صالح: ما شهدنا من هذا شيئا، وما لنا به علم، فدمرهم الله أجمعين"[١١].

وقال ابن عباس:" كان أساميهم رعمي ورعيم وهريم وداد وصواب ورئاب ومسطع وقدار بن سالف عاقر الناقة"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٤٧٧/١٩.

(٢) صفوة التفاسير:٣٧٩/٢.

(٣) تفسير الطبري:٤٧٧/١٩.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١١/٣.

(٥) تفسير ابن كثير:١٩٨/٦.

(٦) أخرجه الطبري:٤٧٧/١٩.

(٧) معاني القرآن:١٢٣/٤.

(٨) التفسير الميسر:٣٨١.

(٩) تفسير الطبري:٤٧٧/١٩.

(١٠) تفسير ابن كثير:١٩٨/٦.

(١١) أخرجه الطبري:ذ٤٧٧/٩.

قال مقاتل:" منهم: قدار بن سالف بن جدع، عاقر الناقة، واسم أمه قديرة، ومصدع، وداب، ويباب إخوة بني مهرج، وعائذ بن عبيد، وهذيل، وذو أعين وهما أخوان ابنا عمرو وهديم، وصواب فعقروا الناقة ليلة الأربعاء. وأهلكهم الله- عز وجل- يوم السبت بصيحة جبريل- عليه السلام-"(٢).

وروي عن عطاء، قوله:"{وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون}، قال: كانوا يقرضون الدراهم"(٣).

قال ابن كثير:" يعني : أنهم كانوا يأخذون منها ، وكأنهم كانوا يتعاملون بها عددًا ، كما كان العرب يتعاملون"(٤).

قال سعيد بن المسيب:" الذهب والورق من الفساد في الأرض"(٥).

قال سعيد بن المسيب:" قطع الدنانير والدراهم يعني المثاقيل التي أجازها المسلمون بينهم وعرفوها من الفساد"(٦).

وعن قتادة، في قوله:{ {يفسدون في الأرض ولا يصلحون}، قال: "بتتبع عورات الناس"(٧).

قال جعفر بن سليمان الضبعي:" سمعت مالك بن دينار يقول: وتلا هذه الآية: {وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون}، قال: فكم اليوم في كل قبيلة من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون"(٨).

القرآن

{قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩)} [النمل : ٤٩]

التفسير:

قال هؤلاء التسعة بعضهم لبعض: تقاسموا بالله بأن يحلف كل واحد للآخرين: لنأتينَّ صالحًا بغتة في الليل فنقتله ونقتل أهله، ثم لنقولَنَّ لوليِّ الدم مِن قرابته: ما حضرنا قتلهم، وإنا لصادقون فيما قلناه.

قوله تعالى:{قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ} [النمل : ٤٩]، أي:" قال هؤلاء التسعة بعضهم لبعض: تقاسموا بالله بأن يحلف كل واحد للآخرين: لنأتينَّ صالحًا بغتة في الليل فنقتله ونقتل أهله"(٩).

قال الطبري:أي:" قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في أرض حجر ثمود، ولا يصلحون: تقاسموا بالله: تحالفوا بالله أيها القوم، ليحلف بعضكم لبعض: لنبيتن صالحا وأهله، فلنقتلنه"(١٠).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٦٦):ص٩/٢٩٠٠.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١١.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٦٩):ص٩/٢٩٠١.

(٤) تفسير ابن كثير:٦/١٩٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٧٠):ص٩/٢٩٠١.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٧١):ص٩/٢٩٠١.

(٧) نقلا عن تفسير السمعاني:٤/١٠٥.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٦٧):ص٩/٢٩٠٠.

(٩) التفسير الميسر:٣٨١.

(١٠) تفسير الطبري:١٩/٤٧٨.

قال السمعاني:" أي: احلفوا بالله: لنقتلته ليلا، قالوا ذلك لصالح، وقوله: {وأهله} أي: وقومه الذين أسلموا معه"[١].

قال ابن كثير:أي:" تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح ، عليه السلام ، من لقيه ليلا غيلة. فكادهم الله ، وجعل الدائرة عليهم "[٢].

قال مجاهد:" تحالفوا على إهلاكه، فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعون"[٣].

قال قتادة:" وافقوا على أن يأخذوه ليلا فيقتلوه وذكر لنا أنهم بينما هم معانيق إلى صالح ليفتكوا به إذ بعث الله عليهم صخرة فأهمدتهم"[٤].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم ، الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلالة والكفر وتكذيب صالح ، وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة ، وهموا بقتل صالح أيضًا ، بأن يبيتوه في أهله ليلا فيقتلوه غِيْلَة"[٥].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ} [النمل : ٤٩]، أي:" ، ثم لنقولَنَّ لوليِّ الدم مِن قرابته: ما حضرنا قتلهم"[٦].

قال ابن كثير:أي:" ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه : إنهم ما علموا بشيء من أمره "[٧].

عن قتادة، قوله: "{ثم لنقولن لوليه}، يعني: رهط صالح: {ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون}"[٨].

قال السمعاني:" وقرئ: «مهلك» بنصب الميم: فيجوز أن يكون بمعنى: الإهلاك، ويجوز أن المراد منه: موضع الهلاك"[٩].

قال ابن إسحاق:" فلما قال: لهم صالح ذلك، قال: التسعة الذين عقروا الناقة: هلم فلنقتل صالحا فإن كان صادقا عجلناه قبلنا، وإن كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته. فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة، فلما أبطئوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم متشدخين قد رضخوا، بالحجارة فقالوا لصالح: أنت قتلتهم، ثم هموا به، فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح، وقالوا لهم: والله لا تقتلونه أبدا وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث، فإن كان صادقا لم تزيدوا ربكم غضبا، وإن كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون انصرفوا عنهم ليلتهم تلك والنفر الذين رضختهم الملائكة بالحجارة التسعة الذين ذكر الله عز وجل في القرآن، يقول الله: {وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون}"[١٠].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [النمل : ٤٩]، أي:" وإنا لصادقون فيما قلناه"[١١].

قال الطبري:أي:" نقول لوليه: وإنا لصادقون، أنا ما شهدنا مهلك أهله"[١٢].

---

(١) تفسير السمعاني:١٠٥/٤.

(٢) تفسير ابن كثير:١٩٩/٦.

(٣) أخرجه الطبري:٤٧٨/١٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٧٥):ص٢٩٠١/٩.

(٥) تفسير ابن كثير:١٩٨/٦.

(٦) التفسير الميسر:٣٨١.

(٧) تفسير ابن كثير:١٩٨/٦.

(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٧٦):ص٢٩٠٢/٩.

(٩) تفسير السمعاني:١٠٥/٤.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٦٨):ص٢٩٠٠/٩، والطبري:٤٧٨/١٩-٤٧٩. مختصرا.

(١١) التفسير الميسر:٣٨١.

(١٢) تفسير الطبري:٤٧٩/١٩.

قال ابن كثير: أي:ويقولوا: "{إنهم لصادقون فيما أخبروهم به ، من أنهم لم يشاهدوا ذلك"[١].

قال السمعاني:" أي: ننكر قتل صالح، وقالوا ذلك؛ لأنهم خافوا من عشيرته"[٢].

فوائد الآيات:[٤٥-٤٩]:

١- تقرير نبوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- تقرير حقيقة أن الصراع بين الحق والباطل لا ينتهي إلا بانتهاء الباطل.

٣- حرمة التشاؤم والتيامن كذلك، ولم يجز الشارع إلا التفاؤل لا غير.

٤- العمل بمعاصي الله تعالى هو الفساد في الأرض، والعمل بطاعته هو الإصلاح في الأرض.

٥- تقرير أن المشركين يؤمنون بالله ولذا يحلفون به، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لشركهم في عبادة الله تعالى غيره من مخلوقاته.

القرآن

{وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠)} [النمل : ٥٠]

التفسير:

ودبَّروا هذه الحيلة لإهلاك صالح وأهله مكرًا منهم، فنصرنا نبينا صالحًا عليه السلام، وأخذناهم بالعقوبة على غِرَّة، وهم لا يتوقعون كيدنا لهم جزاءً على كيدهم.

قوله تعالى:{وَمَكَرُوا مَكْرًا} [النمل : ٥٠]، أي:" ودبَّروا هذه الحيلة لإهلاك صالح وأهله مكرًا منهم"[٣].

قال الطبري:يقول:" وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح بمصيرهم إليه ليلا ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك"[٤].

قال الزجاج: فمضوا لبغيتهم"[٥].

قال النحاس:" {ومكروا مكرا}، إنما عملوه"[٦].

قال السمعاني: "أي: دبروا تدبيرا"[٧].

عن قتادة، "قال: الله: {ومكروا مكرا}: قال: مكرهم الذي أرادوا بصالح"[٨].

قال الزمخشري:" مكرهم: ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله"[٩].

قال القشيري:" ومكرهم ما أظهروا في الظاهر من موافقة صالح، وعقرهم الناقة خفية، وتوريك الذنب على غير جارمه، والتبرى من اختيارهم ذلك"[١٠].

قوله تعالى:{وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل : ٥٠]، أي:" فنصرنا نبينا صالحًا عليه السلام، وأخذناهم بالعقوبة على غِرَّة، وهم لا يتوقعون كيدنا لهم جزاءً على كيدهم"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:١٩٨/٦.

(٢) تفسير السمعاني:١٠٥/٤.

(٣) التفسير الميسر:٣٨١.

(٤) تفسير الطبري:٤٧٩/١٩.

(٥) معاني القرآن:١٢٤/٤.

(٦) إعراب القرآن:١٤٧/٣.

(٧) تفسير السمعاني:١٠٦/٤.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٧٩):ص٢٩٠٢/٩.

(٩) الكشاف:٣٧٣/٣.

(١٠) لطائف الإشارات:٤١/٣.

قال السمعاني: "أي: ودبرنا تدبيرا، وهم لا يعلمون كيف مكرنا بهم"[٢].

قال الطبري: " يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم، وتعجيلنا العذاب لهم {وهم لا يشعرون} بمكرنا"[٣].

قال النحاس:أي:" جازيناهم على ذلك، وقيل المكر من الله الإتيان بالعقوبة المستحقة من حيث لا يدري العبد"[٤].

قال الزجاج: "فأرسل الله عليهم صخرة فدمغتهم، وأرسل على باقي قومهم ما قتلهم به"[٥].

قال الزمخشري:" ومكر الله: إهلاكهم من حيث لا يشعرون. شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة"[٦].

قال القشيري:" وأما مكر الله فهو جزاؤهم على مكرهم بإخفاء ما أراد بهم من العقوبة عنهم، ثم إحلالها بهم بغتة. فالمكر من الله تخليته إياهم مع مكرهم بحيث لا يعصمهم، وتزيين ذلك في أعينهم، وتحبيب ذلك إليهم.. ولو شاء لعصمهم. ومن أليم مكره انتشار الصيت بالصلاح، والعمل في السر بخلاف ما يتوهم بهم من الصلاح، وفي الآخرة لا يجوز في سوقها هذا النقد!"[٧].

عن علي، قال: "المكر غدر، والغدر كفر"[٨].

قال قتادة:" فبينما هم معانيق إلى صالح، -يعني: يسرعون إليه- سلط الله عز وجل صخرة فقتلتهم"[٩].

قال ابن زيد:" احتالوا لأمرهم، واحتال الله لهم، مكروا بصالح مكرا، ومكرنا بهم مكرا {وهم لا يشعرون} بمكرنا وشعرنا بمكرهم، قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك، وكان له مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه، فخرجوا إلى كهف وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله، ففرغنا منهم، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: {قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون}، فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم، فخشوا أن تشدخهم، فبادروا الغار، فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم؟ ولا يدرون ما فعل بقومهم، فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء ههنا، وهؤلاء هنا، وأنجى الله صالحا ومن معه"[١٠].

---

(١) التفسير الميسر:٣٨١.

(٢) تفسير السمعاني:١٠٦/٤.[بتصرف بسيط]

(٣) تفسير الطبري:٤٧٩/١٩.

(٤) إعراب القرآن:١٤٧/٣.

(٥) معاني القرآن:١٢٤/٤.

(٦) الكشاف:٣٧٣/٣.

(٧) لطائف الإشارات:٤١/٣.

قال المحقق:" جميل من القشيري تعبيره عن أسلوب (التعامل) بين الخلق والمخلوق مكرا بمكر بلفظة (النقد) .. وفي لآخرة لا يسرى هذا النقد، فلا يجدى مكرهم فتيلا لأن التعامل فى (سوق) الآخرة يكون على نحو آخر".

(٨) أخرجه الطبري:٤٧٩/١٩.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٧٨):ص٢٩٠٢/٩، والطبري:٤٨٠/١٩. باختصار.

(١٠) أخرجه الطبري:٤٧٩/١٩-٤٨٠.

القرآن

{فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)} [النمل : ٥١]

التفسير:

فانظر -أيها الرسول- نظرة اعتبار إلى عاقبة غَدْر هؤلاء الرهط بنبيهم صالح؟ أنا أهلكناهم وقومهم أجمعين.

قوله تعالى:{فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ} [النمل : ٥١]، أي:" فانظر -أيها الرسول- نظرة اعتبار إلى عاقبة غَدْر هؤلاء الرهط بنبيهم صالح؟"(١).

قال الطبري:يقول:" فانظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح، كيف كانت؟ وما الذي أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا، وطغى علينا من سائر الخلق، فحذر قومك من قريش، أن ينالهم بتكذيبهم إياك، ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلات"(٢).

قال القشيري:" أهلكهم ولم يغادر منهم أحدا"(٣).

عن قتادة قوله: "{فانظر كيف كان عاقبة مكرهم}، قال: شر والله، عاقبة مكرهم أن دمرهم الله وقومهم أجمعين، ثم صيرهم إلى النار"(٤).

قوله تعالى:{أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ} [النمل : ٥١]، أي:" أنّا أهلكناهم وقومهم أجمعين"(٥).

قال الطبري:" يقول: إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين، فلم نبق منهم أحدا"(٦).

وقرئ: « إنّا»، على الابتداء(٧).

القرآن

{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢)} [النمل : ٥٢]

التفسير:

فتلك مساكنهم خالية ليس فيها منهم أحد، أهلكهم الله؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك، وتكذيب نبيهم. إن في ذلك التدمير والإهلاك لَعظة لقوم يعلمون ما فعلناه بهم، وهذه سنتنا فيمن يكذب المرسلين.

قوله تعالى:{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا} [النمل : ٥٢]، أي:" فتلك مساكنهم خالية ليس فيها منهم أحد، أهلكهم الله؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك، وتكذيب نبيهم"(٨).

قال السمعاني:" أي: خالية بما كفروا"(٩).

قال الطبري:يقول:" فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم، ليس فيها منهم أحد، قد أهلكهم الله فأبادهم بظلمهم أنفسهم بشركهم بالله، وتكذيبهم رسولهم"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٨١.

(٢) تفسير الطبري:٤٨٠/١٩.

(٣) لطائف الإشارات:٤٢/٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٨١):ص٢٩٠٢/٩.

(٥) التفسير الميسر:٣٨١.

(٦) تفسير الطبري:٤٨٠/١٩.

(٧) انظر: تفسير الطبري:٤٨٠/١٩.

(٨) التفسير الميسر:٣٨١.

(٩) تفسير السمعاني:١٠٦/٤.

عن ابن عباس، قوله:"{فتلك بيوتهم}، قال: فتلك منازلهم"[٢].
عن ابن عباس، قوله:" {خاوية}، قال: والخاوية سقوط أعلاها على أسافلها، وبه في قوله: بما ظلموا يقول بما كفروا"[٣].
عن الضحاك، قوله:"{ خاوية}، قال: خواؤها خرابها"[٤].
قال الزجاج:" أكثر القراء نصب {خاوية} على الحال، المعنى: فانظر إلى بيوتهم خاوية بما ظلموا"[٥].
قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [النمل : ٥٢]، أي:" إن في ذلك التدمير والإهلاك لَعظة لقوم يعلمون ما فعلناه بهم، وهذه سنتنا فيمن يكذب المرسلين"[٦].
قال الطبري:يقول:" إن في فعلنا بثمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة، لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا، من قومك الذين يكذبونك فيما جئتهم به من عند ربك وعبرة"[٧].
قال السمعاني:" {لقوم يعلمون}، أي: يعلمون تدبيرنا ومكرنا بالكفار"[٨].
عن ابن عباس: "{إن في ذلك لآية}، قال: علامة"[٩].

القرآن

{وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)} [النمل : ٥٣]

التفسير:

وأنجينا مما حلَّ بثمود من الهلاك صالحًا عليه السلام والمؤمنين به، الذين كانوا يتقون بإيمانهم عذاب الله.
قوله تعالى:{وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا} [النمل : ٥٣]، أي:" وأنجينا مما حلَّ بثمود من الهلاك صالحًا عليه السلام والمؤمنين به"[١٠].
قال الطبري:" يقول: وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذي أحللناه بثمود رسولنا صالحا والمؤمنين به"[١١].
قال القرطبي: أي:" {وأنجينا الذين آمنوا} بصالح"[١٢].
قال البيضاوي:أي:" صالحا ومن معه"[١٣].
قوله تعالى:{وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [النمل : ٥٣]، أي:" الذين كانوا يتقون بإيمانهم عذاب الله"[١].

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٤٨٠.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٨٢):ص٩/٢٩٠٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٨٣):ص٩/٢٩٠٣. هكذا الترقيم بالمطبوع!
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٨٣):ص٩/٢٩٠٣.
(٥) معاني القرآن:٤/١٢٥.
(٦) التفسير الميسر:٣٨١.
(٧) تفسير الطبري:١٩/٤٨٠.
(٨) تفسير السمعاني:٤/١٠٦.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٤٨٤):ص٩/٢٩٠٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣٨١.
(١١) تفسير الطبري:١٩/٤٨١.
(١٢) تفسير القرطبي:١٣/٢١٨.
(١٣) تفسير البيضاوي:٤/١٦٣.

قال القرطبي: أي: "{وكانوا يتقون} الله ويخافون عذابه"[٢].

قال الطبري:" يقول: وكانوا يتقون بإيمانهم، وبتصديقهم صالحا الذي حل بقومهم من ثمود ما حل بهم من عذاب الله، فكذلك ننجيك يا محمد وأتباعك، عند إحلالنا عقوبتنا بمشركي قومك من بين أظهرهم. وذكر أن صالحا لما أحل الله بقومه ما أحل، خرج هو والمؤمنون به إلى الشام، فنزل رملة فلسطين"[٣].

قال البيضاوي:" وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة"[٤].

قال السمعاني:" وفي القصة: أن قوم صالح لما أهلكهم الله تعالى جاء صالح إلى مكة وتوفي بها، وكذلك هود عليه السلام"[٥].

فوائد الآيات:[٥٠-٥٣]:

١- تقرير قاعدة: {وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} .

٢- تقرير أن ديار الظالمين مآلها الخراب فالظلم يذر الديار بلا قع.

قال القشيري:" في الخبر: «لو كان الظلم بيتا في الجنة لسلط الله عليه الخراب»[٦]، فالنفوس إذا ظلمت بزلاتها خربت بلحوقها شؤم الذلة حتى يتعود صاحبها الكسل، ويستوطن مركب الفشل، ويحرم التوفيق، ويتوالى عليه الخذلان وقسوة القلب وجحود العين وانتفاء تعظيم الشريعة من القلب.

وأصحاب القلوب إذا ظلموها بالغفلة ولم يحاولوا طردها عن قلوبهم.. خربت قلوبهم حتى تقسو بعد الرأفة، وتجف بعد الصفوة. فخراب النفوس باستيلاء الشهوة والهفوة، وخراب القلوب باستيلاء الغفلة والقسوة، وخراب الأرواح باستيلاء الحجبة والوقفة، وخراب الأسرار باستيلاء الغيبة والوحشة"[٧].

٣- تقرير أن الإيمان والتقوى هما سبب النجاة لأن ولاية الله للعبد تتم بهما.

القرآن

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)} [النمل: ٥٤-٥٥]

التفسير:

واذكر لوطًا إذ قال لقومه: أتأتون الفعلة المتناهية في القبح، وأنتم تعلمون قبحها؟ أإنكم لتأتون الرجال في أدبارهم للشهوة عوضًا عن النساء؟ بل أنتم قوم تجهلون حقَّ الله عليكم، فخالفتم بذلك أمره، وعَصَيْتُم رسوله بفعلتكم القبيحة التي لم يسبقكم بها أحد من العالمين.

قوله تعالى:{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ } [النمل: ٥٤]، أي:" واذكر لوطًا إذ قال لقومه: أتأتون الفعلة المتناهية في القبح"[٨].

قال الطبري: يقول:" وأرسلنا لوطا إلى قومه، إذ قال لهم: يا قوم {أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون}"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٨١.

(٢) تفسير القرطبي:٢١٨/١٣.

(٣) تفسير الطبري:٤٨١/١٩.

(٤) تفسير البيضاوي:١٦٣/٤.

(٥) تفسير السمعاني:١٠٦/٤.

(٦) لك اقف عليه..

(٧) لطائف الإشارات:٤٢/٣.

(٨) التفسير الميسر:٣٨١.

قال القرطبي:" أي وأرسلنا لوطا، أو اذكر لوطا.{إذ قال لقومه} -وهم أهل سدوم {أتأتون الفاحشة}: الفعلة القبيحة الشنيعة"[2].

عن ابن عباس، قوله: "{أتأتون الفاحشة}، يعني: الأدبار"[3].

عن أبي الجويرية شك الصلت قال:" قال علي على المنبر: سلوا. فقال ابن الكواء: تؤتى النساء في أعجازهن: فقال علي: سفلت سفل الله بك. ألم تسمع إلى قوله: {أتأتون الفاحشة}"[4].

قوله تعالى:{وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} [النمل: ٥٤]، أي:" وأنتم تعلمون قبحها؟"[5].

قال الزجاج: أي: وأنتم تعلمون أنها فاحشة، فهو أعظم لذنوبكم"[6].

قال ابن فورك:" أي: يرى ذلك بعضكم من بعض عتوا وتمردا"[7].

قال الطبري: يقول:" {وأنتم تبصرون} أنها فاحشة؛ لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد"[8].

قال القرطبي:أي:" أنها فاحشة، وذلك أعظم لذنوبكم. وقيل: يأتي بعضكم بعضا وأنتم تنظرون إليه. وكانوا لا يستترون عتوا منهم وتمردا"[9].

قال السمعاني:" أي: تعلمون أنها فاحشة. وقيل : يراها بعضكم من بعض فلا تستترون عنها"[10].

قوله تعالى:{أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ} [النمل: ٥٥]، أي:" أإنكم لتأتون الرجال في أدبارهم للشهوة عوضًا عن النساء؟"[11].

قال الطبري: يقول:" {أئنكم لتأتون الرجال شهوة} منكم بذلك من دون فروج النساء التي أباحها الله لكم بالنكاح"[12].

قال مجاهد: "إنما تعلم قوم لوط اللوطية من قبل نسائهم"[13].

قوله تعالى:{بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [النمل: ٥٥]، أي:" بل أنتم قوم تجهلون حقَّ الله عليكم، فخالفتم بذلك أمره، وعَصَيْتُم رسوله بفعلتكم القبيحة التي لم يسبقكم بها أحد من العالمين"[14].

قال الطبري: " يقول: ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم، فخالفتم لذلك أمره، وعصيتم رسوله"[1].

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٤٨١.

(٢) تفسير القرطبي:١٣/٢١٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٨٨):ص٩/٢٩٠٤.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٨٧):ص٩/٢٩٠٤.

(٥) التفسير الميسر:٣٨١.

(٦) معاني القرآن:٤/١٢٥.

(٧) تفسير ابن فورك:١/٣١١.

(٨) تفسير الطبري:١٩/٤٨١.

(٩) تفسير القرطبي:١٣/٢١٩.

(١٠) تفسير السمعاني:٤/١٠٦.

(١١) التفسير الميسر:٣٨١.

(١٢) تفسير الطبري:١٩/٤٨١.

(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٨٩):ص٩/٢٩٠٤.

(١٤) التفسير الميسر:٣٨١.

فوائد الآيتين:[٥٤-٥٥]:
١- بيان ما كان عليه قوم لوط من الفساد والهبوط العقلي والخلقي.
٢- تحريم فاحشة اللواط وأنها أقبح شيء وأن فاعلها أحط من البهائم.
٣- بيان أن الجهل بالله تعالى وما يجب له من الطاعة، وبما لديه من عذاب وما عنده من نعيم مقيم هو سبب كل شر في الأرض وفساد. ولذا كان الطريق إلى إصلاح البشر هو تعريفهم بالله تعالى حتى إذا عرفوه وآمنوا به أمكنهم أن يستقيموا في الحياة على منهج الإصلاح المهيء للسعادة والكمال.

القرآن
{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦)} [النمل : ٥٦]
التفسير:
فما كان لقوم لوط جواب له إلا قول بعضهم لبعض: أَخْرجوا آل لوط من قريتكم، إنهم أناس يتنزهون عن إتيان الذكران. قالوا لهم ذلك استهزاءً بهم.
قوله تعالى:{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ} [النمل : ٥٦]، أي:" فما كان لقوم لوط جواب له إلا قول بعضهم لبعض: أَخْرجوا آل لوط من قريتكم"[٢].
قال الطبري:يقول:" فلم يكن لقوم لوط جواب له، إذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من إتيان الرجال، إلا قيل بعضهم لبعض: {أخرجوا آل لوط من قريتكم}"[٣].
قال ابن كثير:" أي : فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم. فعزموا على ذلك ، فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها "[٤].
قوله تعالى:{إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} [النمل : ٥٦]، أي:" إنهم أناس يتنزهون عن إتيان الذكران. قالوا لهم ذلك استهزاءً بهم"[٥].
قال الطبري:أي:" عما نفعله نحن من إتيان الذكران في أدبارهم"[٦].
قال مقاتل:" يعني: يتنزهون عن إتيان الرجال فإنا لا نحب أن يكون بين أظهرنا من ينهانا عن عملنا"[٧].
قال ابن كثير:" أي : يتحرجون من فعل ما تفعلونه ، ومن إقراركم على صنيعكم"[٨].
قال الزجاج:" قال قوم لوط هذا للوط ولمن آمن معه، على جهة الهزؤ بهم لأنهم تطهروا عن أدبار الرجال وأدبار النساء"[٩].
عن السدي، "{إنهم أناس يتطهرون}، قال: يتحرجون"[١٠].

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٤٨١.
(٢) التفسير الميسر:٣٨٢.
(٣) تفسير الطبري:١٩/٤٨١.
(٤) تفسير ابن كثير:٦/٢٠١.
(٥) التفسير الميسر:٣٨٢.
(٦) تفسير الطبري:١٩/٤٨١.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٦/٢٠١.
(٩) معاني القرآن:٤/١٢٦.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٩٠)ص٩/٢٩٠٤.

عن ابن زيد، "{ إنهم أناس يتطهرون}، قال: من أعمالهم الخبيثة التي كانوا يعملون: إتيانهم الرجال"[١].

عن ابن عباس، قوله: "{أناس يتطهرون}، قال: من إتيان الرجال والنساء في أدبارهن"[٢].

قال مجاهد:" من أدبار الرجال والنساء، استهزاء بهم يقولون ذلك"[٣].

قال قتادة:" يقول: عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذم"[٤].

القرآن

{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧)} [النمل : ٥٧]

التفسير:

فأنجينا لوطًا وأهله من العذاب الذي سيقع بقوم لوط، إلا امرأته قدَّرناها من الباقين في العذاب حتى تهلك مع الهالكين؛ لأنها كانت عونًا لقومها على أفعالهم القبيحة راضية بها.

قوله تعالى:{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ} [النمل : ٥٧]، أي:" فخلصناه هو وأهله من العذاب الواقع بالقوم إلا امرأته"[٥].

قال الطبري:" فأنجينا لوطا وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحللناه بهم"[٦].

قوله تعالى:{قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ} [النمل : ٥٧]، أي:" جعلناها بقضائنا وتقديرنا من المهلكين، الباقين في العذاب"[٧].

قال الطبري:" يقول: فإن امرأته قدرناها: جعلناها بتقديرنا من الباقين"[٨].

قال ابن كثير:" أي : من الهالكين مع قومها ؛ لأنها كانت ردءًا لهم على دينهم ، وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة ، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط ، ليأتوا إليهم ، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله ﷺ لا كرامة لها"[٩].

قال ابن عباس:" لما ولج رسل الله على لوط ظن لوط أنهم ضيفان. قال: فأخرج بناته بالطريق وجعل ضيفانه بينه وبين بناته قال: {وجاءه قومه يهرعون إليه قال هؤلاء بناتي هن أطهر لكم} إلى قوله: {ركن شديد } قال: فالتفت إليه جبريل فقال: لا تخف إنا رسل ربك لن يصلوا إليك قال: فلما دنوا طمس أعينهم فانطلقوا عميا يركب بعضهم بعضا، حتى خرجوا إلى الذين بالباب فقالوا: جئناكم من عند أسحر الناس، طمست أبصارنا. قال: فانطلقوا يركب بعضهم بعضا، حتى دخلوا المدينة، فكان في جوف الليل. فرفعت حتى إنهم ليسمعون صوت الطير في جو السماء، ثم قلبت عليهم فمن أصابته الائتفاكة أهلكته، قال: ومن خرج معها اتبعه حجر حيث كان فقتله"[١٠].

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٩١)ص٩/٢٩٠٥.

(٢) اخرجه الطبري:١٩/٤٨١.

(٣) اخرجه الطبري:١٩/٤٨٢.

(٤) أخرجه الطبري(١٤٨٣٨):ص١٢/٥٥٠.

(٥) التفسير الميسر:٣٨٢.[بتصرف]

(٦) تفسير الطبري:١٩/٤٨٢.

(٧) صفوة التفاسير:٢/٣٨٠.

(٨) تفسير الطبري:١٩/٤٨٢.

(٩) تفسير ابن كثير:٦/٢٠٠.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٩٢):ص٩/٢٩٠٥.

القرآن

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨)} [النمل : ٥٨]

التفسير:

وأمطرنا عليهم من السماء حجارة مِن طين مهلكة، فقَبُحَ مطر المنذَرين، الذين قامت عليهم الحجة.

قوله تعالى:{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا} [النمل : ٥٨]، أي:" وأمطرنا عليهم من السماء حجارة مِن طين مهلكة"(١).

قال الطبري:" وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل"(٢).

قال ابن كثير:" أي : حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد "(٣).

قوله تعالى:{فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ} [النمل : ٥٨]، أي:" فقَبُحَ مطر المنذَرين، الذين قامت عليهم الحجة"(٤).

قال الطبري:" يقول: فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم إياه، وخوفهم بأسه بإرسال الرسول إليهم بذلك"(٥).

قال ابن كثير:" أي : الذين قامت عليهم الحجة ، ووصل إليهم الإنذار ، فخالفوا الرسول وكذبوه ، وَهمُّوا بإخراجه من بينهم"(٦).

قال وهب بن منبه:" فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرض ثم حمل قراهم فقلبها عليهم، ونزلت حجارة من السماء فتبعث من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا، فأهلكهم الله كلهم، ونجي لوط وأهله إلا امرأته"(٧).

فوائد الآيات:[٥٦-٥٨]:

١- بيان سنة أن الظلمة إذا أعيتهم الحجج والبراهين يفزعون إلى القوة.

٢- بيان سنة أن المرء إذا أدْمن على قبح قول أو عمل يصبح غير قبيح عنده.

٣- سنة إنجاء الله أولياءه وإهلاكه أعداءه بعد إصرار المنذَرين على الكفر والمعاصي.

القرآن

{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)} [النمل : ٥٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: الثناء والشكر لله، وسلام منه، وأَمَنَةٌ على عباده الذين تخيرهم لرسالته، ثم اسأل مشركي قومك هل الله الذي يملك النفع والضر خير أو الذي يشركون من دونه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا؟"(٨).

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٢) تفسير الطبري:٤٨٢/١٩.

(٣) تفسير ابن كثير:٢٠١/٦.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٥) تفسير الطبري:٤٨٢/١٩.

(٦) تفسير ابن كثير:٢٠١/٦.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٩٣):ص٢٩٠٥/٩.

(٨) التفسير الميسر:٣٨٢.

قوله تعالى:{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى} [النمل : ٥٩]، أي:" قل - أيها الرسول-: الثناء والشكر لله، وسلام منه، وأَمَنَةٌ على عباده الذين تخيرهم لرسالته"(١).

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يقول : { الْحَمْدُ لِلَّهِ } أي : على نعَمه على عباده ، من النعم التي لا تعد ولا تحصى ، وعلى ما اتصف به من الصفات العُلى والأسماء الحسنى ، وأن يُسَلِّم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم ، وهم رسله وأنبياؤه الكرام ، عليهم من الله الصلاة والسلام ، هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيره : إن المراد بعباده الذين اصطفى : هم الأنبياء ، قال : وهو كقوله تعالى : { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الصافات : ١٨٠ - ١٨٢]"(٢).

وقال الثوري ، والسدي : «هم أصحاب محمد ﷺ ، رضي الله عنهم أجمعين»(٣).

وعن ابن عباس،: "{ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى } قال : أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه"(٤).

قال ابن كثير:"ولا منافاة ، فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى ، فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى ، والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ما ذكر لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد ، وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر ، أن يحمدوه على جميع أفعاله ، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار"(٥).

قال الزمخشري:" أمر رسوله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته، وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده. وفيه تعليم حسن، وتوقيف على أدب جميل، وبعث على التيمن بالذكرين، والتبرك بهما، والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين وإصغائهم إليه، وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع. ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الأدب، فحمدوا الله عز وجل وصلوا على رسول الله ﷺ أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة، وفي مفتتح كل خطبة، وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن.

وقيل: هو متصل بما قبله، وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء عليهم السلام وأشياعهم الناجين.

وقيل: هو خطاب للوط عليه السلام، وأن يحمد الله على هلاك كفار قومه، ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم"(٦).

قوله تعالى:{آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل : ٥٩]، أي:" ثم اسأل مشركي قومك: هل الله الذي يملك النفع والضر خير أو الذي يشركون من دونه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا؟"(٧).

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٠١/٦.

(٣) أخرجه الطبري:٤٨٢/١٩-٤٨٣، وانظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٢٩٠٦/٩. ذكر الخبر عنهما بدون سند. سند.

(٤) أخرجه الطبري:٤٨٢/١٩، وأخرجه البزازفي مسنده برقم (٢٢٤٣) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (٨٧/٧) : "وفيه الحكم بن ظهير ، وهو متروك".

وفي روياة ابن أبي حاتم(١٦٤٩٥):ص٢٩٠٦/٩، قال: "أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم-".

(٥) تفسير ابن كثير:٢٠١/٦.

(٦) الكشاف:٣٧٥/٣.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٢.

قال ابن كثير:" استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى"(١).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره؛ قل يا محمد لهؤلاء الذين زينا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون: آلله الذي أنعم على أوليائه هذه النعم التي قصها عليكم في هذه السورة، وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خير، أما تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم، ولا تدفع عن أنفسها، ولا عن أوليائها سوءا، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعا؟ يقول: إن هذا الأمر لا يشكل على من له عقل، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم، ولا دفع ضر عنكم في عبادة من بيده النفع والضر، وله كل شيء؟"(٢).
قال السدي:" يعني قوله: {أما يشركون}، يقول: عما أشرك المشركون"(٣).
قال الزمخشري:" معلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه، وإنما هو إلزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم، وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله، ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة، فقيل لهم، مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه، وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا، لينبهوا على الخطإ المفرط والجهل المورط وإضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد. ونحوه ما حكاه عن فرعون: {أم أنا خير من هذا الذي هو مهين}، مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التي كانت تجرى تحته"(٤).

القرآن

{أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)} [النمل : ٦٠]

التفسير:

واسألهم مَن خلق السموات والأرض، وأنزل لكم من السماء ماء، فأنبت به حدائق ذات منظر حسن؟ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، لولا أن الله أنزل عليكم الماء من السماء. إن عبادته سبحانه هي الحق، وعبادة ما سواه هي الباطل. أمعبود مع الله فعل هذه الأفعال حتى يُعبد معه ويُشرك به؟ بل هؤلاء المشركون قوم ينحرفون عن طريق الحق والإيمان، فيسوون بالله غيره في العبادة والتعظيم.
قوله تعالى:{أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [النمل : ٦٠]، أي:" واسألهم مَن خلق السموات والأرض"(٥).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش: أعبادة ما تعبدون من أوثانكم التي لا تضر ولا تنفع خير، أم عبادة من خلق السموات والأرض؟"(٦).
قال الزمخشري:" تقرير لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء"(٧).
قال ابن كثير:" ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره ، فقال : { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ } أي : تلك السموات بارتفاعها وصفائها ، وما جعل فيها

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٠١/٦.
(٢) تفسير الطبري:٤٨٣/١٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٩٧):ص٢٩٠٦/٩.
(٤) الكشاف:٣٧٥/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٨٢.
(٦) تفسير الطبري:٤٨٣/١٩.
(٧) الكشاف:٣٧٦/٣. [بتصرف بسيط]

من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة ، والأرض باستفالها وكثافتها ، وما جعل فيها من الجبال والأوعار والسهول ، والفيافي والقفار ، والأشجار والزروع ، والثمار والبحور والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك"(١).

قال ابن كثير:" { أمن } في هذه الآيات كلها تقديره : أمن يفعل هذه الأشياء كَمَنْ لا يقدر على شيء منها ؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر ؛ لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك ، وقد قال : { آلله خير أما يشركون }"(٢).

عن المعلى بن إسماعيل، "أن رجلا أتى أبي بن كعب فسأله، عن القدر فقال: سبحان الله العظيم، إن الله خلق السموات، وخلق الخير والشر، فأسعد بالخير من شاء، وأشقى بالشر من شاء"(٣).

عن قتادة قوله: "{خلق السماوات}، قال: خلق السموات قبل الأرض"(٤).

وقرأ الأعمش: «أمن»، بالتخفيف. ووجهه أن يجعل بدلا من الله، كأنه قال: أمن خلق السماوات والأرض خير أم ما تشركون؟"(٥).

قوله تعالى:{وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ} [النمل : ٦٠]، أي:" وأنزل لكم من السماء ماء، فأنبت به حدائق ذات منظر حسن"(٦).

قال الطبري:" يعني: مطرا، وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التي فجرها في الأرض؛ لأن كل ذلك من خلقه، {فأنبتنا به} يعني بالماء الذي أنزل من السماء {حدائق} وهي جمع حديقة، والحديقة: البستان عليه حائط محوط، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة. وقوله: {ذات بهجة} يقول: ذات منظر حسن"(٧).

قال ابن كثير:" أي : جعله رزقا للعباد ، { فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ } أي : بساتين { ذَاتَ بَهْجَةٍ } أي : منظر حسن وشكل بهي "(٨).

عن الضحاك، "{حدائق}، قال: البساتين، {ذات بهجة}، قال: ذات حسن"(٩).

عن قتادة، قوله: "{حدائق}، قال: النخل الحسان"(١٠).

عن قتادة، "{حدائق}، قال: جنات. {ذات بهجة}، قال: ذات نضارة"(١١).

عن مجاهد، "{حدائق ذات بهجة}، الفقاح مما يأكل الناس والأنعام"(١٢).

قال الزمخشري:" «الحديقة»: البستان عليه حائط: من الإحداق وهو الإحاطة. وقيل ذات، لأن المعنى: جماعة حدائق ذات بهجة، كما يقال: النساء ذهبت. والبهجة: الحسن، لأن الناظر يبتهج به"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٠١/٦.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٠٢/٦.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٩٨):ص٢٩٠٦/٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٩٩):ص٢٩٠٦/٩.

(٥) انظر: الكشاف:٣٧٦/٣.

(٦) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٧) تفسير الطبري:٤٨٣/١٩.

(٨) تفسير ابن كثير:٢٠٢/٦.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٠٢)، (١٦٥٠٥):ص٢٩٠٧/٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٠١):ص٢٩٠٧/٩.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٠٣):ص٢٩٠٧/٩.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٠٤):ص٢٩٠٧/٩.

قال الزمخشري:" فإن قلت: أي: نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله: {فأنبتنا}؟

قلت: تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته، والإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد. لا يقدر عليه إلا هو وحده. ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة: الانبغاء. أراد أن تأتي ذلك محال من غيره"[٢].

عن سيار، عن خالد بن يزيد، قال: "كان عند عبد الملك بن مروان، فذكروا الماء، فقال خالد بن يزيد: منه من السماء، ومنه ما يسقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق، فأما ما كان من البحر فلا يكون له نبات، وأما النبات فما كان من ماء السماء"[٣].

قوله تعالى:{مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا} [النمل : ٦٠]، أي:" ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، لولا أن الله أنزل عليكم الماء من السماء"[٤].

قال الطبري: يقول:" أنبتنا بالماء الذي أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق، إذ لم يكن لكم لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء، طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق، ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك، لأنه لا يصلح ذلك إلا بالماء"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لم تكونوا تقدرون على إنبات شجرها ، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق ، المستقل بذلك المتفرد به ، دون ما سواه من الأصنام والأنداد ، كما يعترف به هؤلاء المشركون ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } [الزخرف : ٨٧] ، { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } [العنكبوت : ٦٣] أي : هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق ، وإنما يستحق أن يُفرَدَ بالعبادة مَن هو المتفرد بالخلق والرزق"[٦].

قال وهب بن منبه:" قالت مريم بنت عمران: إن الله أنبت بقدرته الشجر بغير غيث، وإنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده"[٧].

قوله تعالى:{أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ} [النمل : ٦٠]، أي:" أمعبود مع الله فعل هذه الأفعال حتى يُعبد معه ويُشرك به؟"[٨].

قال سعيد:" أي: ليس مع الله إله"[٩].

قال الزمخشري:" أغيره يقرن به ويجعل شريكا له"[١٠].

قال الطبري: يقول:" أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك، وأنزل من السماء الماء، فأنبت به لكم الحدائق؟ فقوله: {أإله} مردود على تأويل: أمع الله إله"[١].

---

(١) الكشاف:٣/٣٧٦.

(٢) الكشاف:٣/٣٧٦.

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٠٠):ص٩/٢٩٠٧.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٥) تفسير الطبري:١٩/٤٨٤.

(٦) تفسير ابن كثير:٦/٢٠٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٠٦):ص٩/٢٩٠٧.

(٨) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٠٧):ص٩/٢٩٠٨.

(١٠) الكشاف:٣/٣٧٦.

قال ابن كثير:" أي : أإله مع الله يعبد. وقد تبين لكم ، ولكل ذي لب مما يعرفون به أيضًا أنه الخالق الرازق ، ومن المفسرين من يقول : معنى قوله : { أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ } [أي : أإله مع الله] فعل هذا. وهو يرجع إلى معنى الأول ؛ لأن تقدير الجواب أنهم يقولون : ليس ثَمَّ أحدٌ فعل هذا معه ، بل هو المتفرد به. فيقال : فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والتدبير ؟ كما قال : { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ } [النحل : ١٧]"(٢).

قوله تعالى:{بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} [النمل : ٦٠]، أي:" بل هؤلاء المشركون قوم ينحرفون عن طريق الحق والإيمان، فيسوون بالله غيره في العبادة والتعظيم"(٣).

قال الطبري: يقول:" بل هؤلاء المشركون قوم ضلال، يعدلون عن الحق، ويجورون عليه، على عمد منهم لذلك، مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال ولم يعدلوا عن جهل منهم، بأن من لا يقدر على نفع ولا ضر، خير ممن خلق السموات والأرض، وفعل هذه الأفعال، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة، اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم"(٤).

قال ابن كثير:" أي : يجعلون لله عدلا ونظيرًا. وهكذا قال تعالى : { أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [الزمر : ٩] أي : أمن هو هكذا كَمَنْ ليس كذلك ؟ ولهذا قال : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الألْبَابِ } [الزمر : ٩] ، { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ } [الزمر : ٢٢] ، وقال { أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرعد : ٣٣] أي : أمَنْ هو شهيد على أفعال الخلق ، حركاتهم وسكناتهم ، يعلم الغيب جليله وحقيره ، كَمَنْ هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها ؟ ولهذا قال :{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ } [الرعد : ٣٣] ، وهكذا هذه الآيات الكريمات كلها"(٥).

عن ابن زيد، " {بل هم قوم يعدلون}، قال: الآلهة التي عبدوها عدلوها بالله ليس لله عدل ولا ند ولا اتخذ صاحبة ولا ولدا"(٦).

عن مجاهد، قوله: "{يعدلون}، قال: يشركون"(٧).

قال الزمخشري:" قوله: {بل هم} بعد الخطاب: أبلغ في تخطئة رأيهم"(٨).

القرآن

{أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)} [النمل : ٦١]

التفسير:

أعبادة ما تشركون بربكم خير أم الذي جعل لكم الأرض مستقرًا وجعل وسطها أنهارًا، وجعل لها الجبال ثوابت، وجعل بين البحرين العذب والملح حاجزًا حتى لا يُفسد أحدهما الآخر؟ أمعبود مع الله فَعَلَ ذلك حتى تشركوه معه في عبادتكم؟ بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قَدْر عظمة الله، فهم يشركون به تقليدًا وظلمًا.

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٤٨٤.

(٢) تفسير ابن كثير:٦/٢٠٢.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٤) تفسير الطبري:١٩/٤٨٤.

(٥) تفسير ابن كثير:٦/٢٠٢.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥١٠):ص٩/٢٩٠٨.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٠٩):ص٩/٢٩٠٨.

(٨) الكشاف:٣/٣٧٦.

قوله تعالى:{أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا} [النمل : ٦١]، أي:" أعبادة ما تشركون بربكم خير أم الذي جعل لكم الأرض مستقرًا"(١).

قال الطبري: يقول:" أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضر ولا ينفع، أم الذي جعل الأرض لكم قرارا تستقرون عليها لا تميد بكم"(٢).

قال ابن كثير:" أي : قارة ساكنة ثابتة ، لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم ، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة ، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك ، كما قال في الآية الأخرى : { اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً } [غافر : ٦٤]"(٣).

قوله تعالى:{وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا} [النمل : ٦١]، أي:" وجعل وسطها أنهارًا"(٤).

قال الطبري: " يقول: بينها أنهارا"(٥).

قال ابن كثير:" أي : جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة تشقها في خلالها ، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك ، وسيرها شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالا بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم في أرجاء الأرض ، سَيَّرَ لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه"(٦).

قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ} [النمل : ٦١]، أي:" وجعل لها الجبال ثوابت"(٧).

قال ابن كثير:" أي : جبالا شامخة ترسي الأرض وتثبتها ؛ لئلا تميد بكم "(٨).

قال الطبري: " وهي ثوابت الجبال"(٩).

عن قتادة، قوله: "{رواسي}، أي: جبال"(١٠).

قال عطاء:" أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس"(١١).

عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: "لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الله الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت: يا رب هل من خلقك أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد فقالت: يا رب هل من خلقك أشد من الحديد؟ قال: نعم النار؟ قالت: فهل من خلقك أشد من النار؟ قال: نعم الماء قالت: يا رب فهل من خلقك أشد من الماء؟ قال: نعم الريح. قالت: يا رب فهل من خلقك أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٢) تفسير الطبري:٤٨٤/١٩.

(٣) تفسير ابن كثير:٢٠٣/٦.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٥) تفسير الطبري:٤٨٤/١٩.

(٦) تفسير ابن كثير:٢٠٣/٦.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٨) تفسير ابن كثير:٢٠٣/٦.

(٩) تفسير الطبري:٤٨٤/١٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥١٤):ص٢٩٠٩/٩.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥١٣):ص٢٩٠٩/٩.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥١٢):ص٢٩٠٨/٩-٢٩٠٩.

قوله تعالى:{وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا} [النمل : ٦١]، أي:" وجعل بين البحرين العذب والملح حاجزًا حتى لا يُفسد أحدهما الآخر"(١).

قال الطبري: " بين العذب والملح، أن يفسد أحدهما صاحبه"(٢).

قال ابن كثير:" أي : جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزًا ، أي : مانعًا يمنعها من الاختلاط ، لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا ، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه ، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس. والمقصود منها : أن تكون عذبة زلالا تسقى الحيوان والنبات والثمار منها. والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب ، والمقصود منها : أن يكون ماؤها ملحًا أجاجًا ، لئلا يفسد الهواء بريحها ، كما قال تعالى : { وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا } [الفرقان : ٥٣]"(٣).

قال الضحاك:" ثم جعل بينهما حاجزا من أمره، لا يسيل المالح على العذب ولا العذب على المالح"(٤).

عن الحسن، قوله: "{وجعل بين البحرين حاجزا}، قال: بحر فارس والروم"(٥).

وقال مجاهد:" بحر في السماء وبحر في الأرض"(٦).

وقال أسباط:" هما بحر الشام وبحر العراق، والناس بينهما"(٧).

قوله تعالى:{أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ} [النمل : ٦١]، أي:" أمعبود مع الله فَعَلَ ذلك حتى تشركوه معه في عبادتكم؟"(٨).

قال ابن كثير:" { أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ } أي : فعل هذا ؟ أو يعبد على القول الأول والآخر ؟ وكلاهما متلازم صحيح "(٩).

قال الطبري: " {أإله مع الله} سواه فعل هذه الأشياء فأشركتموه في عبادتكم إياه؟"(١٠).

قوله تعالى:{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [النمل : ٦١]، أي:" بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قَدْر عظمة الله، فهم يشركون به تقليدًا وظلمًا"(١١).

قال الطبري: يقول:" بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله، وما عليهم من الضر في إشراكهم في عبادة الله غيره، وما لهم من النفع في إفرادهم الله بالألوهة، وإخلاصهم له العبادة، وبراءتهم من كل معبود سواه"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : في عبادتهم غيره "(١٣).

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٢) تفسير الطبري:٤٨٤/١٩.

(٣) تفسير ابن كثير:٢٠٣/٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥١٨):ص٢٩٠٩/٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥١٥):ص٢٩٠٩/٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥١٦):ص٢٩٠٩/٩.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥١٧):ص٢٩٠٩/٩.

(٨) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٩) تفسير ابن كثير:٢٠٣/٦.

(١٠) تفسير الطبري:٤٨٤/١٩.

(١١) التفسير الميسر:٣٨٢.

(١٢) تفسير الطبري:٤٨٤/١٩.

(١٣) تفسير ابن كثير:٢٠٣/٦.

القرآن

{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)} [النمل : ٦٢]

التفسير:

أعبادة ما تشركون بالله خير أم الذي يجيب المكروب إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به، ويجعلكم خلفاء لمن سبقكم في الأرض؟ أمعبود مع الله ينعم عليكم هذه النعم؟ قليلا ما تذكرون وتعتبرون، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

قوله تعالى:{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل : ٦٢]، أي:" أعبادة ما تشركون بالله خير أم الذي يجيب المكروب إذا دعاه ويكشف السوء النازل به"[١].

قال الطبري: يقول:" أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به عنه؟"[٢].

قال ابن كثير:" ينبه تعالى أنه هو المدعُوّ عند الشدائد ، المرجُوّ عند النوازل ، كما قال : { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ } [الإسراء : ٦٧] ، وقال تعالى : { ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } [النحل : ٥٣]. وهكذا قال هاهنا : { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ } أي : مَنْ هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه ، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه"[٣].

عن ابن جريج، قوله: "{ويكشف السوء}، قال: الضر"[٤].

قال الزمخشري:" الضرورة: الحالة المحوجة إلى اللجإ. والاضطرار: افتعال منها. يقال: اضطره إلى كذا. والفاعل والمفعول: مضطر. و«المضطر»: الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجإ والتضرع إلى الله"[٥].

عن أبي تميمة الهُجَيْمي ، عن رجل من بلهجيم قال : "قلت : يا رسول الله ، إلام تدعو ؟ قال : "أدعو إلى الله وحده ، الذي إن مَسّك ضر فدعوته كشف عنك ، والذي إن أضْلَلْت بأرض قَفْر فدعوتَه رَدّ عليك ، والذي إن أصابتك سَنَة فدعوتَه أنبتَ لك". قال : قلت : أوصني. قال : "لا تَسُبَّنَّ أحدًا ، ولا تَزْهَدنّ في المعروف ، ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ، ولو أن تُفرغَ من دَلوك في إناء المستقي ، واتزر إلى نصف الساق ، فإن أبيت فإلى الكعبين. وإياك وإسبال الإزار ، فإن إسبال الإزار من المخيلة ، وإن الله - تبارك تعالى - لا يحب المخيلة"[٦].

عن عبيد الله بن أبي صالح قال : "دخل عليَّ طاوس يعودني ، فقلت له : ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن. فقال : ادع لنفسك ، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه"[٧].

وقال وهب بن منبه : "قرأت في الكتاب الأول : إن الله يقول : بعزتي إنه من اعتصم بي فإن كادته السموات ومن فيهن ، والأرض بمن فيها ، فإني أجعل له من بين ذلك مخرجًا. ومن لم يعتصم بي فإني أخسف به من تحت قدميه الأرض ، فأجعله في الهواء ، فأكله إلى نفسه"[٨].

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٢) تفسير الطبري:٤٨٥/١٩.

(٣) تفسير ابن كثير:٢٠٣/٦.

(٤) أخرجه الطبري:٤٨٥/١٩.

(٥) الكشاف:٣٧٦/٣-٣٧٧.

(٦)المسند (٦٤/٥).

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥١٩):ص٢٩٠٩/٩-٢٩١٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٢٠):ص٢٩١٠/٩.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل - حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدّينَوَري ، المعروف بالدّقّيِّ الصوفي - قال هذا الرجل: "كنت أكاري على بغل لي من دمشق إلى بلد الزّبَدَاني ، فركب معي ذات مرة رجل ، فمررنا على بعض الطريق ، على طريق غير مسلوكة ، فقال لي : خذ في هذه ، فإنها أقرب. فقلت : لا خبرَةَ لي فيها ، فقال : بل هي أقرب. فسلكناها فانتهينا إلى مكان وَعْر وواد عميق ، وفيه قتلى كثير ، فقال لي : أمسك رأس البغل حتى أنزل. فنزل وتشمر ، وجمع عليه ثيابه ، وسل سكينا معه وقصدني ، ففررت من بين يديه وتبعني ، فناشدته الله وقلت : خذ البغل بما عليه. فقال : هو لي ، وإنما أريد قتلك. فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل ، فاستسلمت بين يديه وقلت : إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين ؟ فقال : صل وعجل. فقمت أصلي فَأرْتِجِ عليَّ القرآن فلم يَحضرني منه حرف واحد ، فبقيت واقفًا متحيرًا وهو يقول : هيه. افرُغ. فأجرى الله على لساني قوله تعالى : { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ } ، فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي ، وبيده حربة ، فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده ، فخر صريعًا ، فتعلقت بالفارس وقلت : بالله مَنْ أنت ؟ فقال : أنا رسول الله الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء. قال : فأخذت البغل والحمل ورجعت سالما"[١].

وذكر في ترجمة "فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجلية" قالت : هزم الكفار يوما المسلمين في غزاة ، فوقف جَوَاد جَيِّد بصاحبه ، وكان من ذوي اليسار ومن الصلحاء ، فقال للجواد : ما لك ؟ ويلك. إنما كنت أعدّك لمثل هذا اليوم. فقال له الجواد : وما لي لا أقصّر وأنت تَكلُ علوفتي إلى السّواس فيظلمونني ولا يطعمونني إلا القليل ؟ فقال : لك عليَّ عهد الله أني لا أعلفك بعد هذا اليوم إلا في حِجْري. فجرى الجواد عند ذلك ، ونجَّى صاحبه ، وكان لا يعلفه بعد ذلك إلا في حِجْره ، واشتهر أمره بين الناس ، وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك ، وبلغ ملك الروم أمرُه ، فقال : ما تُضَام بلدة يكون هذا الرجل فيها. واحتال ليحصّله في بلده ، فبعث إليه رجلا من المرتدين عنده ، فلما انتهى إليه أظهر له أنه قد حَسُنت نيته في الإسلام وقومه ، حتى استوثق ، ثم خرجا يوما يمشيان على جنب الساحل ، وقد واعد شخصا آخر من جهة ملك الروم ليتساعدا على أسره ، فلما اكتنفاه ليأخذاه رَفَع طرفه إلى السماء وقال : اللهم ، إنه إنما خَدَعني بك فاكفنيهما بما شئت ، قال : فخرج سبعان إليهما فأخذاهما ، ورجع الرجل سالما"[٢].

قال الزمخشري:" قد عم المضطرين بقوله: {يجيب المضطر إذا دعاه}، وكم من مضطر يدعوه فلا يجاب؟

قلت: الإجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة، ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطا فيه المصلحة. وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقا، يصلح لكله ولبعضه، فلا طريق إلى الجزم على أحدهما إلا بدليل، وقد قام الدليل على البعض وهو الذي أجابته مصلحة، فبطل التناول على العموم"[٣].

قوله تعالى:{وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ} [النمل : ٦٢]، أي:" ويجعلكم خلفاء لمن سبقكم في الأرض"[٤].

قال قتادة:" أي: خلفا من بعده خلف"[٥].

قال السدي:" خلفاء لمن قبلهم من الأمم"[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/٢٠٤-٢٠٥.

(٢) تاريخ دمشق :٤٨٩/١٩ "المخطوط". نقلا عن تفسير ابن كثير:٦/٢٠٥.

(٣) الكشاف:٣/٣٧٧.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٢١):ص٩/٢٩١٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٢٢):ص٩/٢٩١٠.

قال الطبري: " يقول: ويستخلف بعد أمرائكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم"[١].

قال الزمخشري:أي:" خلفاء فيها، وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن. أو أراد بالخلافة الملك والتسلط"[٢].

قال ابن كثير:" أي : يُخْلفُ قَرنا لقرن قبلهم وخَلَفًا لسلف ، كما قال تعالى : { إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ } [الأنعام : ١٣٣] ، وقال تعالى : { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ } [الأنعام : ١٦٥] ، وقال تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة : ٣٠] ، أي : قومًا يخلف بعضهم بعضا كما قدمنا تقريره. وهكذا هذه الآية : { وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرْضِ } أي : أمة بعد أمة ، وجيلا بعد جيل ، وقومًا بعد قوم. ولو شاء لأوجدهم كلهم في وقت واحد ، ولم يجعل بعضَهم من ذرية بعض ، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين ، كما خلق آدم من تراب. ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميت أحدا حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد ، فكانت تضيق عليهم الأرض وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ، ويتضرر بعضهم ببعض. ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ، ثم يكثرهم غاية الكثرة ، ويذرأهم في الأرض ، ويجعلهم قرونا بعد قرون ، وأمما بعد أمم ، حتى ينقضي الأجل وتفرغ البَرية ، كما قدر ذلك تبارك وتعالى ، وكما أحصاهم وعَدّهم عَدًا ، ثم يقيم القيامة ، ويُوفي كلّ عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله"[٣].

قوله تعالى:{أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ} [النمل : ٦٢]، أي:" أمعبود مع الله ينعم عليكم هذه النعم؟"[٤].

قال الطبري: " يقول: أإله مع الله سواه يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم عليكم هذه النعم؟"[٥].

قال ابن كثير:" أي : يقدر على ذلك ، أو إله مع الله يُعْبد ، وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك"[٦].

قوله تعالى:{قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل : ٦٢]، أي:" قليلا ما تذكرون وتعتبرون، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته"[٧].

قال الطبري: " يقول: تذكرا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرا، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته"[٨].

قال الزمخشري:" أى: يذكرون تذكرا قليلا. والمعنى: نفى التذكر، والقلة تستعمل في معنى النفي"[٩].

قال ابن كثير:" أي : ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم "[١٠].

---

(١) تفسير الطبري:٤٨٥/١٩.

(٢) الكشاف:٣٧٧/٣.

(٣) تفسير ابن كثير:٢٠٥/٦-٢٠٦.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٥) تفسير الطبري:٤٨٥/١٩.

(٦) تفسير ابن كثير:٢٠٦/٦.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٨) تفسير الطبري:٤٨٥/١٩.

(٩) الكشاف:٣٧٧/٣.

(١٠) تفسير ابن كثير:٢٠٦/٦.

قال ابن زيد:" أهل الذكر هم أهل القرآن"(١).
وقرئ: «يذكرون»، بالياء مع الإدغام. وبالتاء مع الإدغام والحذف(٢).

القرآن
{أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)} [النمل : ٦٣]
التفسير:
أعبادة ما تشركون بالله خير أم الذي يرشدكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتم فأظلمت عليكم السبل، والذي يرسل الرياح مبشرات بما يرحم به عباده مِن غيث يحيي موات الأرض؟ أمعبود مع الله يفعل بكم شيئًا من ذلك فتدعونه من دونه؟ تنزَّه الله وتقدَّس عما يشركون به غيره.
قوله تعالى:{أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [النمل : ٦٣]، أي:" أعبادة ما تشركون بالله خير أم الذي يرشدكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتم فأظلمت عليكم السبل"(٣).
قال الطبري: " أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتم فيهما الطريق، فأظلمت عليكم السبل فيهما؟"(٤).
قال ابن كثير:" أي : بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية ، كما قال : { وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } [النحل : ١٦] ، وقال تعالى : { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } الآية [الأنعام : ٩٧]"(٥).
قال الزمخشري:" يهديكم بالنجوم في السماء، والعلامات في الأرض: إذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر"(٦).
عن الضحاك، في {البر والبحر}، قال: البر: بادية الأعراب، والبحر: الأمصار والقرى"(٧).
قال ابن جريج:" الظلمات في البر ضلاله الطريق، والبحر، ضلاله طريقه وموجه وما يكون فيه"(٨).
قوله تعالى:{وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} [النمل : ٦٣]، أي:" والذي يرسل الرياح مبشرات بما يرحم به عباده مِن غيث يحيي موات الأرض"(٩).
قال الطبري:" يقول: والذي يرسل الرياح نشرا لموتان الأرض بين يدي رحمته، يعني: قدام الغيث الذي يحيي موات الأرض"(١٠).
قال ابن كثير:" أي : بين يدي السحاب الذي فيه مطر ، يغيث به عباده المجدبين الأزلين القنطين "(١).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٢٣):ص٩/٢٩١٠.
(٢) انظر: الكشاف:٣/٣٧٧.
(٣) التفسير الميسر:٣٨٢.
(٤) تفسير الطبري:١٩/٤٨٥.
(٥) تفسير ابن كثير:٦/٢٠٦.
(٦) الكشاف:٣/٣٧٧.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٢٤):ص٩/٢٩١٠.
(٨) أخرجه الطبري:١٩/٤٨٥.
(٩) التفسير الميسر:٣٨٢.
(١٠) تفسير الطبري:١٩/٤٨٥.

عن السدي، قوله: "{يرسل الرياح}، قال: إن الله عز وجل يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والأرض، حيث يلتقيان فيخرجه من ثم، ثم ينشره فيبسطه في السماء كيف يشاء ثم يفتح أبواب السماء ليسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك"(٢).

عن السدي، {بشرا بين يدي رحمته}، قال: ينشر السحاب بين يدي المطر"(٣).

قال السدي:" أما رحمته فهو المطر"(٤).

قوله تعالى:{أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ} [النمل : ٦٣]، أي:" أمعبود مع الله يفعل بكم شيئًا من ذلك فتدعونه من دونه؟"(٥).

قال الطبري: يقول: " أإله مع الله سوى الله يفعل بكم شيئا من ذلك فتعبدوه من دونه، أو تشركوه في عبادتكم إياه"(٦).

قوله تعالى:{تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل : ٦٣]، أي:" تنزَّه الله وتقدَّس عما يشركون به غيره"(٧).

قال الطبري:" يقول: لله العلو والرفعة عن شرككم الذي تشركون به، وعبادتكم معه ما تعبدون"(٨).

قال الزمخشري:" عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله، كما عددها في موضع آخر ثم قال: {هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء}..وعن رسول الله ﷺ: أنه كان إذا قرأها يقول «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم»(٩)"(١٠).

وقرئ: «يشركون» بالياء والتاء(١١).

القرآن

{أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)} [النمل : ٦٤]

التفسير:

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٠٦/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٢٥):ص٢٩١٠/٩-٢٩١١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٢٦):ص٢٩١١/٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٢٧):ص٢٩١١/٩.

(٥) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٦) تفسير الطبري:٤٨٥/١٩.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٢.

(٨) تفسير الطبري:٤٨٥/١٩.

(٩)كذا ذكره الثعلبي بغير إسناد. وأخرجه البيهقي في الشعب في الباب التاسع(بل الله خير):ص٤٣٠/٣، من رواية جابر الجعفي عن أبى جعفر قال «كان على بن الحسين يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا ختم القرآن- فذكر حديثا طويلا- وفيه والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أم ما يشركون؟ بل الله خير وأجل وأبقى وأكرم وأعظم مما يشركون».

(١٠) الكشاف:٣٧٥/٣.

(١١) انظر: الكشاف:٣٧٥/٣.

واسألهم من الذي ينشئ الخلق ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده، ومَن الذي يرزقكم من السماء بإنزال المطر، ومن الأرض بإنبات الزرع وغيره؟ أمعبود سوى الله يفعل ذلك؟ قل: هاتوا حجتكم إن كنتم صادقين في زعمكم أن لله تعالى شريكًا في ملكه وعبادته.

قوله تعالى:{أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} [النمل : ٦٤]، أي:" واسألهم من الذي ينشئ الخلق ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده"(١).

قال الطبري: يقول:" أم ما تشركون أيها القوم خير، أم الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، فينشئه من غير أصل، ويبتدعه ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه"(٢).

قال ابن كثير:" أي : هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : { إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ } [البروج : ١٢ ، ١٣] ، وقال { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ } [الروم : ٢٧]"(٣).

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف قيل لهم: {أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده}، وهم منكرون للإعادة؟

قلت: قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار، فلم يبق لهم عذر في الإنكار"(٤).
الإنكار"(٤).

قال وهب:" خلق الله ابن آدم كما شاء ومما شاء فكان كذلك فتبارك الله أحسن الخالقين خلق من التراب والماء، فمنه لحمه ودمه وشعره وعظامه وجسده، فهذا بدء الخلق الذي خلق الله منه ابن آدم. ثم جعلت فيه النفس فيها يقوم ويقعد ويسمع ويبصر ويعلم ما تعلم الدواب ويتقي ما تتقي ثم جعلت فيه الروح فبه عرف الحق من الباطل والرشد من الغي، وبه حذر وتقدم واستشار وتعلم ودبر الأمور كلها. فمن التراب يبوسته ومن الماء رطوبته. فهذا بدء الخلق الذي منه خلق الله ابن آدم كما أحب أن يكون"(٥).

عن وهب: "إنه قرأ في بعض الكتب: أن الله تبارك وتعالى حين خلق الخلق فنظر إليهم حين مشوا على وجه الأرض وجرت الأنهار، قال: أنا الله الذي خلقتك بقوتي وأتقنتك بحكمتي، حق قضائي ونافذ أمري، وأنا الذي أفنيك كما خلقتك، حتى أبقى كما كنت قبل أن أخلقك وحدي، لأن الملك والخلود لا ينبغي إلا لي. ثم أعيد خلقي بعد فنائهم لجزائي وأجمعهم لقضائي، فيومئذ يخشى خلقي عذابي ووعيدي، ويومئذ تجل القلوب من خوفي وترفل الأقدام من هيبتي، وتخف القلوب من شدة سلطاني، وتبرأ الآلهة ممن عبدها دوني"(٦).

قوله تعالى:{وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [النمل : ٦٤]، أي:" ومَن الذي يرزقكم من السماء بإنزال المطر، ومن الأرض بإنبات الزرع وغيره"(٧).

قال الطبري: يقول:" والذي يرزقكم من السماء والأرض فينزل من هذه الغيث، وينبت من هذه النبات لأقواتكم، وأقوات أنعامكم"(٨).

قال الزمخشري:" من السماء: الماء، ومن الأرض: النبات "(٩).

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٣.

(٢) تفسير الطبري:٤٨٦/١٩.

(٣) تفسير ابن كثير:٢٠٧/٦.

(٤) الكشاف:٣٧٧/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٢٨):ص٢٩١١/٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٢٩):ص٢٩١١/٩-٢٩١٢.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٣.

(٨) تفسير الطبري:٤٨٦/١٩.

(٩) الكشاف:٣٧٧/٣.

قال ابن كثير:" أي : بما ينزل من مطر السماء ، وينبت من بركات الأرض ، كما قال : { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالأرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ } [الطارق : ١١ ، ١٢] ، وقال { يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا } [الحديد : ٤] ، فهو ، تبارك وتعالى ، ينزل من السماء ماء مباركًا فيسكنه في الأرض ، ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والأزاهير ، وغير ذلك من ألوان شتى ، { كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأولِي النُّهَى } [طه : ٥٤]"[١].

عن أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليكونن في الأرض فساق في الأمة يستحلون الفروج والخمور والحرير، وينصرون على ذلك، ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله عز وجل"[٢].

قوله تعالى:{أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ} [النمل : ٦٤]، أي:" أمعبود سوى الله يفعل ذلك؟"[٣].

قال الطبري: يقول:" {أإله مع الله} سوى الله يفعل ذلك؟"[٤].

قال ابن كثير:" أي : فعل هذا. وعلى القول الآخر : يعبد ؟"[٥].

قوله تعالى:{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} [النمل : ٦٤]، أي:" قل: هاتوا حجتكم"[٦].

قال الطبري: أي:" وإن زعموا أن إلها غير الله يفعل ذلك أو شيئا منه، ف، {قل} لهم يا محمد {هاتوا برهانكم}، أي: حجتكم على أن شيئا سوى الله يفعل ذلك"[٧].

قال ابن كثير:أي:" على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى"[٨].

عن أبي العالية، "{هاتوا برهانكم}، أي: حجتكم"[٩]. وروي عن مجاهد والسدي نحو ذلك[١٠].

قال قتادة:" بينتكم على ذلك، {إن كنتم صادقين}"[١١].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [النمل : ٦٤]، أي:" إن كنتم صادقين في زعمكم أن لله تعالى شريكًا في ملكه وعبادته"[١٢].

قال الطبري: أي:" في دعواكم"[١٣].

قال الزمخشري:" {إن كنتم صادقين} أن مع الله إلها، فأين دليلكم عليه؟"[١٤].

قال ابن كثير:" وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان ، كما قال الله:{ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } [المؤمنون : ١١٧]"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٠٧/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٣٠):ص٢٩١٢/٩.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٣.

(٤) تفسير الطبري:٤٨٦/١٩.

(٥) تفسير ابن كثير:٢٠٧/٦.

(٦) التفسير الميسر:٣٨٣.

(٧) تفسير الطبري:٤٨٦/١٩.

(٨) تفسير ابن كثير:٢٠٧/٦.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٣١):ص٢٩١٢/٩.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٩١٢/٩. بدون سند.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٣٢):ص٢٩١٢/٩.

(١٢) التفسير الميسر:٣٨٣.

(١٣) تفسير الطبري:٤٨٦/١٩.

(١٤) الكشاف:٣٧٧/٣.

عن أبي العالية، "{إن كنتم صادقين} بما تقولون إنه كما تقولون"[٢]. وروي، عن الربيع ابن أنس نحو ذلك[٣].

قال زهب بن منبه:" قال الله عز وجل يا معشر الجن والإنس اسمعوا مني اليوم وأنصتوا لي، فو عزتي لا يجوز اليوم ظالم بظلم، ولا متقول علي ولا مبتدع في عظمتي فهاتوا برهانكم أيها المتقولون علي والمبتدعون في عظمتي والمستخفون بحق جلالي. ما الذي غركم عني وأنا الله الذي لا شيء مثلي؟ لو تجليت للسموات والأرض والجبال لزلن من هيبتي، ولو لحظت البحار ليبست من مياهها وبدت قعورها من خشيتي، ولو أن جميع الخلائق سمعوا كلمة من كلامي لصعقوا من خوفي. وهاتوا برهانكم أيها الجهلة بأن لهذا الخلق بديعا غيري وبأن لي شريكا كما زعمتم في ملكي، أو ثانيا وليا معي. ولأي شيء عبدتموها دوني؟ ولأي شيء نفيتموها، عن عبادتي وملكي وربوبيتي؟ فالويل الطويل يومئذ لمن أبان كذبه صدقه في، والويل الطويل يومئذ لمن أزهق الضلالة حقي، والويل الطويل لمن دحضت حجته قدامي"[٤].

فوائد الآيات:[٥٩-٦٤]:

١- وجوب حمد الله وشكره عند تجدد الشكر، والحمد لله رأس الشكر.
٢- مشروعية السلام عند ذكر الأنبياء عليهم السلام فمن ذكر أحدهم قال عليه السلام.
٣- التنديد بالشرك والمشركين.
٤- تقرير التوحيد بأدلتة الباهرة العديدة.
٥- تقرير البعث الآخر وإثباتها بالاستنباط من الأدلة المذكورة.
٦- لا يثبت الأحكام إلا بالأدلة النقلية والعقلية.

القرآن

{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٦)} [النمل: ٦٥-٦٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهم: لا يعلم أحد في السموات ولا في الأرض ما استأثر الله بعلمه من المغيَّبات، ولا يدرون متى هم مبعوثون مِن قبورهم عند قيام الساعة؟ بل تكامل علمهم في الآخرة، فأيقنوا بالدار الآخرة، وما فيها مِن أهوال حين عاينوها، وقد كانوا في الدنيا في شك منها، بل عميت عنها بصائرهم.

قوله تعالى:{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل: ٦٦]، أي:" قل -أيها الرسول- لهم: لا يعلم أحد في السموات ولا في الأرض ما استأثر الله بعلمه من المغيَّبات"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {قل} يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هي قائمة {لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب} الذي قد استأثر الله بعلمه، وحجب عنه خلقه غيره والساعة من ذلك"[٦].

قال مقاتل:" {قل لا يعلم من في السماوات}، يعني: الملائكة، {والأرض}: الناس، {الغيب} يعني: البعث، يعني: غيب الساعة إلا الله وحده- عز وجل-"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٠٧/٦.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٣٤):ص٢٩١٣/٩.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتنم:٢٩١٣/٩. بدون سند.

(٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٣٣):ص٢٩١٢/٩-٢٩١٣.

(٥) التفسير الميسر:٣٨٣.

(٦) تفسير الطبري:٤٨٦/١٩.

قوله تعالى:{وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: ٦٦]، أي:" ولا يدرون متى هم مبعوثون مِن قبورهم عند قيام الساعة"(٢).

قال الطبري:" يقول: وما يدري من في السموات والأرض من خلقه متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة"(٣).

عن مسروق، قال: "قالت عائشة: من زعم أنه يخبر الناس بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: {لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب}"(٤).

قوله تعالى:{بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ} [النمل: ٦٦]، أي:" هل تتابع وتلاحق علمُ المشركين بالآخرة وأحوالها حتى يسألوا عن الساعة وقيامها؟ إنهم لا يصدقون بالآخرة فلماذا يسألون عن قيام الساعة؟"(٥).

قال مقاتل:" يقول: علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه، وعموا عنه في الدنيا"(٦).

قال ابن كثير:" أي : انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها"(٧).

قال السعدي:" أي: بل ضعف، وقل ولم يكن يقينا، ولا علما واصلا إلى القلب وهذا أقل وأدنى درجة للعلم ضعفه ووهاؤه، بل ليس عندهم علم قوي ولا ضعيف"(٨).

وقرئ: «بل أدرك علمهم» ، أي : "تساوى علمهم في ذلك ، كما في الصحيح لمسلم : أن رسول الله ﷺ قال لجبريل - وقد سأله عن وقت الساعة -:«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»(٩)، أي : تساوى في العجز عن دَرْك ذلك علم المسؤول والسائل"(١٠).

وفي صفة علمهم بهذه الصفة قولان:

أحدهما : أنها صفة ذم، فعلى هذا في معناه خمسة أوجه :

أحدها : غاب علمهم، قاله ابن عباس(١١).

الثاني : لم يدرك علمهم ، قاله ابن عباس، أيضا، وابن محيصن(١٢).

قال ابن عباس:" أي: لم يدرك"(١٣).

عن أبي حمزة، قال: "سمعت ابن عباس يقرأ: «بلى أدارك علمهم في الآخرة»، إنما هو استفهام أنه لم يدرك"(١٤).

الثالث : اضمحل علمهم ، قاله الحسن(١).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١٥.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٣.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٤٨٦.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٤٨٦.

(٥) صفوة التافسير:٢/٣٨١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١٥.

(٧) تفسير ابن كثير:٦/٢٠٧.

(٨) تفسير السعدي:٦٠٨.

(٩)صحيح مسلم برقم (٨).

(١٠) تفسير ابن كثير:٦/٢٠٧.

(١١) انظر: تفسير الطبري:١٩/٤٨٨، وتفسير ابن أبي حاتم(١٦٥٣٩):ص٩/٢٩١٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون:٤/٢٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري:١٩/٤٨٧.

(١٤) أخرجه الطبري:١٩/٤٨٧.

قال الزمخشري:" وفي: أدرك علمهم، وادارك علمهم: وجه آخر، وهو أن يكون «أدرك» بمعنى: انتهى وفنى، من قولك: أدركت الثمرة، لأن تلك غايتها التي عندها تعدم

الرابع : ضل علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم. قاله ابن زيد[٢].

الخامس: لم يبلغ لهم في الآخرة علم. قاله قتادة[٣]. وهو قريب المعنى مع الوجه السابق.

عن قتادة، قوله: "{بل ادارك علمهم في الآخرة}، قال: كان يقرؤها: «بل أدرك علمهم في الآخرة»، قال: لم يبلغ لهم فيها علم، ولا يصل إليها منهم رغبة"[٤].

قال قتادة:" يجهلهم ربهم يقول لم ينفد لهم إلى الآخرة علم ولم يصل إليه منهم رغبة بل هم في شك منها"[٥].

فهذا تفسير من زعم أنها صفة ذم .

والقول الثاني : أنها صفة حمد لعلمهم وإن كانوا مذمومين، فعلى هذا في معناه ثلاثة أوجه :

أحدها : أدرك علمُهم ، قاله مجاهد[٦].

عن مجاهد: "«بل أدرك علمهم»، قال: أم أدرك علمهم، من أين يدرك علمهم؟"[٧].

وروي عن ابن عباس:" "بل أدرك علمهم"، قال: بصرهم في الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر"[٨].

الثاني : اجتمع علمهم في الآخرة، قاله السدي[٩].

الثالث : تتابع علمهم في الآخرة ، قاله الفراء[١٠]، وابن قتيبة[١١]، والطبري[١٢].

قال الفراء:" معناه: لعلهم تدارك علمهم. يقول: تتابع علمهم في الآخرة. يريد: بعلم الآخرة أنها تكون أو لا تكون"[١٣].

قال الطبري:" أي: تتابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أم لا"[١٤].

قال ابن قتيبة:" معنى {تدارك}: تتابع، و{عِلْمُهُمْ}: حكمهم على الآخرة، وحدسهم الظّنون، وأراد: وما يشعرون متى يبعثون إلّا بتتابع الظّنون في علم الآخرة، فهم يقولون تارة: إنها تكون، وتارة: إنها لا تكون، وإلى كذا تكون، وما يعلم غيب ذلك إلّا الله تعالى"[١٥].

قال الزمخشري:" «ادرك»: تتابع واستحكم، وهو على وجهين:

---

(١) انظر: وتفسير ابن أبي حاتم(١٦٥٤٠):ص٢٩١٤/٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٤٨٨/١٩.

(٣) انظر: الطبري:٤٨٩/١٩.

(٤) أخرجه الطبري:٤٨٩/١٩.

(٥) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٤٣):ص٢٩١٥/٩.

(٦) انظر: تفسير الطبري:٤٨٩/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:٤٨٩/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٤٨٨/١٩.

(٩) انظر: وتفسير ابن أبي حاتم(١٦٥٤٣):ص٢٩١٥/٩.

(١٠) انظر: معاني القرآن:٢٩٩/٢.

(١١) انظر: غريب القرآن:٢١٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري:٤٧٨/١٩.

(١٣) معاني القرآن:٢٩٩/٢.

(١٤) تفسير الطبري:٤٧٨/١٩.

(١٥) غريب القرآن:٢١٠.

أحدهما: أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة لا ريب فيه، قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته، وهم شاكون جاهلون.
والوجه الثاني: أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم، كما تقول لأجهل الناس: ما أعلمك! على سبيل الهزؤ، وذلك حيث شكوا وعموا عن إثباته الذي الطريق إلى علمه مسلوك، فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته"(1).
قال الزجاج:" قرأ أكثر الناس :{بل ادارك}، بتشديد الذال.
وروي عن ابن عباس:«بلى أدرك علمهم في الآخرة».
ويجوز:«بلى ادارك علمهم في الآخرة»(2).
فمن قرأ:{بل ادارك علمهم في الآخرة} وهو الجيد، فعلى معنى: بل تدارك علمهم في الآخرة، على معنى: بل يتكامل علمهم يوم القيامة، لأنهم مبعوثون، وكل ما وعدوا به حق.
ومن قرأ:«بل أدرك علمهم»، فعلى معنى: التقرير والاستخبار، كأنه قيل: لم يدرك علمهم في الآخرة، أي: ليس يقفون في الدنيا على حقيقتها، ثم بين ذلك في قوله: {بل هم في شك منها}، وقالوا في تفسير {بل ادارك علمهم}: أم أدرك علمهم.
والقراءة الجيدة: {ادارك} على معنى: «تدارك»، بإدغام التاء في الدال، فتصير دالا ساكنة فلا يبتدأ بها، فيأتي بألف الوصل لتصل إلى التكلم بها، وإذا وقفت على {بل} وابتدأت قلت: {ادارك}، فإذا وصلت كسرت اللام في «بل»، لسكونها وسكون الدال"(3).
قوله تعالى:{بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا} [النمل: ٦٦]، أي:" بل هم شاكون في الآخرة لا يصدّقون بها ولذلك يعاندون ويكابرون"(4).
قال السمعاني:" أي: هم في شك منها اليوم"(5).
قال ابن كثير:" أي : شاكُّون في وجودها ووقوعها"(6).
قال السعدي:" أي: من الآخرة، والشك زال به العلم لأن العلم بجميع مراتبه لا يجامع الشك"(7).
قال الزمخشري:" يريد المشركين ممن في السماوات والأرض، لأنهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم إلى الجميع، كما يقال: بنو فلان فعلوا كذا. وإنما فعله ناس منهم"(8).
قوله تعالى:{بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ} [النمل: ٦٦]، أي:" بل هم في عمَىً عنها، ليس لهم بصيرةٌ يدركون بها دلائل وقوعها"(9).
قال ابن كثير:" أي : في عمَاية وجهل كبير في أمرها وشأنها "(10).
قال السمعاني:" أي: لا يهتدون إليها"(11).

---

(١) الكشاف:٣/٣٧٩.
(٢) أخرجه الطبري:١٩/٤٨٧.
(٣) معاني القرآن:٤/١٢٧-١٢٨.
(٤) صفوة التافسير:٢/٣٨١.
(٥) تفسير السمعاني:٤/١١٠.
(٦)تفسير ابن كثير:٦/٢٠٨ .
(٧) تفسير السعدي:٦٠٨.
(٨) الكشاف:٣/٣٧٩.
(٩) صفوة التافسير:٢/٣٨١.
(١٠)تفسير ابن كثير:٦/٢٠٨ .
(١١) تفسير السمعاني:٤/١١٠.

قال السعدي:" أي: من الآخرة {عَمُونَ} قد عميت عنها بصائرهم، ولم يكن في قلوبهم من وقوعها ولا احتمال بل أنكروها واستبعدوها"(١).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧)} [النمل: ٦٧]

التفسير:

وقال الذين جحدوا وحدانية الله: أنحن وآباؤنا مبعوثون أحياء كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن صرنا ترابًا؟

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في أبي طلحة وشيبة ومشافع وشرحبيل والحارث وأبوه وأرطاة بن شرحبيل"(٢).

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [النمل: ٦٧]، أي:" وقال الذين جحدوا وحدانية الله"(٣).

قال الصابوني: أي:" قال مشركو مكة المنكرون للبعث"(٤).

قوله تعالى:{أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ} [النمل: ٦٧]، أي:" أئذا متنا وأصبحنا رفاتا وعظاماً باليه، أنحن وآباؤنا مبعوثون أحياء كهيئتنا"(٥).

قال الطبري:" قال الذين كفروا بالله: أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء، كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن كنا فيها ترابا قد بلينا؟"(٦).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن منكري البعث من المشركين : أنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظامًا ورفاتًا وترابًا "(٧).

قال السعدي:" أي: هذا بعيد غير ممكن قاسوا قدرة كامل القدرة بقدرهم الضعيفة"(٨).

قال الزمخشري:" تكرير حرف الاستفهام بإدخاله على «إذا» و «إن» جميعا إنكار على إنكار، وجحود عقيب جحود، ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه. والضمير في {إنا} لهم ولآبائهم، لأن كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم.

فإن قلت: قدم في هذه الآية {هذا} على {نحن وآباؤنا} وفي آية أخرى[{لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون : ٨٣]] قدم {نحن وآباؤنا} على {هذا}؟

قلت: التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر، وإن الكلام إنما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام، وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد"(٩).

القرآن

---

(١) تفسير السعدي:٦٠٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١٥.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٣.

(٤) صفوة التفاسير:٢/٣٨٣.

(٥) انظر: صفوة التفاسير٢/٣٨٣.[بتصرف]

(٦) تفسير الطبري:١٩/٤٩٠.

(٧)تفسير ابن كثير:٦/٢٠٨ .

(٨) تفسير السعدي:٦٠٨.

(٩) الكشاف:٣/٣٨٠.

{لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)} [النمل: ٦٨]

التفسير:

لقد وُعدنا هذا البعث نحن وآباؤنا مِن قبل، فلم نر لذلك حقيقة ولم نؤمن به، ما هذا الوعد إلا مما سطَّره الأولون من الأكاذيب في كتبهم وافتروه.

قوله تعالى:{لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ} [النمل: ٦٨]، أي:" لقد وُعدنا هذا البعث نحن وآباؤنا مِن قبل، فلم نر لذلك حقيقة ولم نؤمن به"(١).

قال الطبري:" يقول: لقد وعدنا هذا من قبل محمد واعدون، وعدوا ذلك آباءنا، فلم نر لذلك حقيقة، ولم نتبين له صحة"(٢).

قال السعدي:" أي: فلم يجئنا ولا رأينا منه شيئا"(٣).

قوله تعالى:{إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [النمل: ٦٨]، أي:" ما هذا الوعد إلا مما سطَّره الأولون من الأكاذيب في كتبهم وافتروه"(٤).

قال الطبري:" يقول: قالوا: ما هذا الوعد إلا ما سطر الأولون من الأكاذيب في كتبهم، فأثبتوه فيها وتحدثوا به من غير أن يكون له صحة"(٥).

قال ابن كثير:" يعنون : ما هذا الوعد بإعادة الأبدان ، { إِلا أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ } أي : أخذه قوم عَمَّن قبلهم ، مَنْ قبلهم يتلقاه بعض عن بعض ، وليس له حقيقة "(٦).

قال السعدي:" أي: قصصهم وأخبارهم التي تقطع بها الأوقات وليس لها أصل ولا صدق فيها.

فانتقل في الإخبار عن أحوال المكذبين بالإخبار أنهم لا يدرون متى وقت الآخرة ثم الإخبار بضعف علمهم فيها ثم الإخبار بأنه شك ثم الإخبار بأنه عمى ثم الإخبار بإنكارهم لذلك واستبعادهم وقوعه. أي: وبسبب هذه الأحوال ترحل خوف الآخرة من قلوبهم فأقدموا على معاصي الله وسهل عليهم تكذيب الحق والتصديق بالباطل واستحلوا الشهوات على القيام بالعبادات فخسروا دنياهم وأخراهم"(٧).

القرآن

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩)} [النمل: ٦٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين: سيروا في الأرض، فانظروا إلى ديار مَن كان قبلكم من المجرمين، كيف كان عاقبة المكذبين للرسل؟ أهلكهم الله بتكذيبهم، والله فاعل بكم مثلهم إن لم تؤمنوا.

قوله تعالى:{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ} [النمل: ٦٩]، أي:" قل لهؤلاء الكفار: سيروا في أرجاء الأرض"(٨).

---

(١) صفوة التافسير:٣٨١/٢.

(٢) تفسير الطبري:٤٩١/١٩.

(٣) تفسير السعدي:٦٠٨.

(٤) صفوة التافسير:٣٨١/٢.

(٥) تفسير الطبري:٤٩١/١٩.

(٦)تفسير ابن كثير:٢٠٨/٦ .

(٧) تفسير السعدي:٦٠٨.

(٨) صفوة التفاسير:٣٨٣/٢.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {قل} يا محمد لهؤلاء المكذبين ما جئتهم به من الأنباء من عند ربك"[١].

قال ابن كثير:" قال الله تعالى مجيبًا لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد : { قُلْ } - يا محمد - لهؤلاء : { سِيرُوا فِي الأرْضِ}"[٢].

قوله تعالى:{فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} [النمل: ٦٩]، أي:" فانظروا إلى ديار مَن كان قبلكم من المجرمين، كيف كان عاقبة المكذبين للرسل؟ أهلكهم الله بتكذيبهم، والله فاعل بكم مثلهم إن لم تؤمنوا"[٣].

قال الطبري:يقول:"{فانظروا} إلى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله ومساكنهم كيف هي، ألم يخربها الله، ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم، وردهم عليهم نصائحهم فخلت منهم الديار وتعفت منهم الرسوم والآثار، فإن ذلك كان عاقبة إجرامهم، وذلك سنة ربكم في كل من سلك سبيلهم في تكذيب رسل ربهم، والله فاعل ذلك بكم إن أنتم لم تبادروا الإنابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم "[٤].

قال ابن كثير:" أي : المكذِّبين بالرسل وما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره ، كيف حلت بهم نقَمُ الله وعذابه ونكاله ، ونجَّى الله من بينهم رسله الكرام وَمَنْ اتبعهم من المؤمنين ، فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته "[٥].

قال مقاتل:" يعني: كفار الأمم الخالية كيف كان عاقبتهم في الدنيا الهلاك يخوف كفار مكة مثل عذاب الأمم الخالية لئلا يكذبوا محمدا- ﷺ- وقد رأوا هلاك قوم لوط وعاد وثمود"[٦].

قال السعدي:" ثم نبههم على صدق ما أخبرت به الرسل فقال: {قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} فلا تجدون مجرما قد استمر على إجرامه، إلا وعاقبته شر عاقبة وقد أحل الله به من الشر والعقوبة ما يليق بحاله"[٧].

قال الزمخشري:" وإنما عبر عن الكفر بلفظ :الإجرام، ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها، ألا ترى إلى قوله: {فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ} [الشمس : ١٤]، وقوله: {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا} [نوح : ٢٥]"[٨].

فوائد الآيات:[٦٥-٦٩]:

١- حصر علم الغيب في الرب تبارك وتعالى. فمن ادعى أنه يعلم ما في غد فقد كذب .

٢- تساوي علم أهل السماء والأرض في الجهل بوقت الساعة.

٣- المكذبون بيوم القيامة سيوقنون به في الآخرة ولكن لا ينفعهم ذلك.

٤- إهلاك الله الأمم المكذبة بالبعث بعد خلقهم ورزقهم دليل على قدرته تعالى على بعثهم لحسابهم وجزائهم.

القرآن

{وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)} [النمل : ٧٠]

---

(١) تفسير الطبري:٤٩١/١٩.

(٢)تفسير ابن كثير:٢٠٨/٦ .

(٣) التفسير الميسر:٣٨٣.

(٤) تفسير الطبري:٤٩١/١٩.

(٥)تفسير ابن كثير:٢٠٨/٦ .

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٥/٣.

(٧) تفسير السعدي:٦٠٨.

(٨) الكشاف:٣٨١/٣.

التفسير:
ولا تحزن على إعراض المشركين عنك وتكذيبهم لك، ولا يَضِقْ صدرك مِن مكرهم بك، فإن الله ناصرك عليهم.

قوله تعالى:{وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} [النمل : ٧٠]، أي:" ولا تحزن على إعراض المشركين عنك وتكذيبهم لك"(١).

قال ابن كثير:" أي : المكذبين بما جئت به ، ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات"(٢).

قال الزمخشري:"لأنهم لم يتبعوك، ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش، كقوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف : ٦]"(٣).

قوله تعالى:{وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} [النمل : ٧٠]، أي:" ولا يَضِقْ صدرك مِن مكرهم بك، فإن الله ناصرك عليهم"(٤).

قال يحيى:" لا يضيق عليك أمرك مما يمكرون بك وبدينك، فإن الله سينصرك عليهم ويذلهم لك"(٥).

قال ابن كثير:" أي : في كيدك ورَدّ ما جئت به ، فإن الله مؤيدك وناصرك ، ومظهرٌ دينك على مَنْ خالفه وعانده في المشارق والمغارب"(٦).

قال الزمخشري:أي:" في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك، ولا تبال بذلك فإن الله يعصمك من الناس. يقال: ضاق الشيء ضيقا وضيقا، بالفتح والكسر. وقد قرئ بهما. والضيق أيضا: تخفيف الضيق. قال الله تعالى: {ضَيِّقًا حَرَجًا} [الأنعام : ١٢٥]، قرئ مخففا ومثقلا، ويجوز أن يراد: في أمر ضيق من مكرهم"(٧).

عن السدي،"{ولا تكن في ضيق مما يمكرون}، يقول: في شك"(٨).

قال سفيان:" كل مكر في القرآن فهو عمل"(٩).

القرآن

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧١)} [النمل : ٧١]

التفسير:
ويقول مشركو قومك -أيها الرسول-: متى يكون هذا الوعد بالعذاب الذي تَعِدُنا به أنت وأتباعك إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به؟

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ} [النمل : ٧١]، أي:" ويقول مشركو قومك -أيها الرسول-: متى يكون هذا الوعد بالعذاب الذي تَعِدُنا به أنت وأتباعك"(١٠).

قال يحيى:" الذي تعدنا به من عذاب الله"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٣.

(٢) تفسير ابن كثير:٦/٢٠٨.

(٣) الكشاف:٣/٣٨١.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٣.

(٥) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥٦١.

(٦) تفسير ابن كثير:٦/٢٠٨-٢٠٩.

(٧) الكشاف:٣/٣٨١.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٧):ص٩/٢٩١٧.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٨):ص٩/٢٩١٧.

(١٠) التفسير الميسر:٣٨٣.

قال الطبري:" ويقول مشركو قومك يا محمد، المكذبوك فيما أتيتهم به من عند ربك: {متى} يكون {هذا الوعد} الذي تعدناه من العذاب، الذي هو بنا فيما تقول حال"[٢].
قال قتادة:" قال: أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم: إن لنا يوما نوشك أن نستريح فيه ونتنعم فيه. قال: المشركون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين أي تكذيبا"[٣].
قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [النمل : ٧١]، أي:" إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به؟"[٤].
قال الطبري:أي:" فيما تعدوننا به"[٥].

القرآن
{قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢)} [النمل : ٧٢]
التفسير:
قل لهم -أيها الرسول-: عسى أن يكون قد اقترب لكم بعض الذي تستعجلون من عذاب الله.
قال الطبري:يقول:" قل لهم يا محمد: عسى أن يكون اقترب لكم ودنا {بعض الذي تستعجلون} من عذاب الله"[٦].
قال الزجاج:" قيل في التفسير: عجل لكم، ومعناه في اللغة: (ردفكم)، مثل: ركبكم وجاء بعدكم"[٧].
قال ابن عباس:" يقول: اقترب لكم بعض الذي تستعجلون"[٨].
عن ابن جريج: "{ردف لكم بعض الذي تستعجلون}، قال: من العذاب"[٩].
قال مقاتل:" فكان بعض العذاب القتل ببدر وسائر العذاب لهم فيما بعد الموت"[١٠].
عن مجاهد، "{عسى أن يكون ردف لكم}، يقول: اقترب لكم" [١١]. وروي عن الضحاك مثله[١٢].
وقال مجاهد:" ردف: أعجل لكم"[١٣]. وفي رواية:" أزف"[١٤].
قال ابن فورك:" «الردف»: الكائن بعد الأول قريبا منه، «الاستعجال»: طلب الأمر قبل وقته، وهؤلاء الجهال طلبوا العذاب قبل وقته تكذيبا به، وقد أقام الله عليهم الحجة فيه"[١].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٥٦١/٢.
(٢) تفسير الطبري:٤٩١/١٩.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٩):ص٢٩١٧/٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٨٣.
(٥) تفسير الطبري:٤٩١/١٩.
(٦) تفسير الطبري:٤٩١/١٩.
(٧) معاني القرآن:١٢٨/٤.
(٨) أخرجه الطبري:٤٩٢/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٤٩٣/١٩.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٦/٣.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٦٠):ص٢٩١٧/٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٤٩٢/١٩.
(١٣) أخرجه الطبري:٤٩٢/١٩.
(١٤) أخرجه الطبري:٤٩٢/١٩.

قال الواحدي:" المعنى: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يقول للذين يستعجلون العذاب قدرنا، {لكم بعض الذي تستعجلون} [النمل: ٧٢] من العذاب، فكان بعض الذي نالهم ببدر وسائر العذاب لهم فيما بعد الموت"(٢).

قال الزمخشري:" استعجلوا العذاب الموعود، فقيل لهم: عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر، فزيدت اللام للتأكيد كالباء في: {ولا تلقوا بأيديكم}، أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو: دنا لكم وأزف لكم، ومعناه: وتبعكم ولحقكم.

و«عسى»، و«لعل» و«سوف»- في وعد الملوك ووعيدهم- يدل على صدق الأمر وجده وما لا مجال للشك بعده، وإنما يعنون بذلك: إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام، لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم، وأن الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم، فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده"(٣).

القرآن

{وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣)} [النمل : ٧٣]

التفسير:

وإنَّ ربك لذو فضل على الناس؛ بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه وكفرهم به، ولكن أكثرهم لا يشكرون له على ذلك، فيؤمنوا به ويخلصوا له العبادة.

قوله تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ} [النمل : ٧٣]، أي:" وإنَّ ربك لذو فضل على الناس؛ بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه وكفرهم به"(٤).

قال الطبري: يقول:" {وإن ربك} يا محمد {لذو فضل على الناس} بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه، وكفرهم به، وذو إحسان إليهم في ذلك وفي غيره من نعمه عندهم"(٥).

قال ابن كثير:" أي : في إسباغه نعمَه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم"(٦).

قال مقاتل:" يعني: على كفار مكة حين لا يعجل عليهم بالعذاب حين أرادوه"(٧).

قال الواحدي:" ذكر فضله في تأخير العذاب"(٨).

قال ابن فورك:" الفضل: الزيادة على ما للعبد"(٩).

قال الزمخشري:" الفضل والفاضلة: الإفضال. ولفلان فواضل في قومه وفضول. ومعناه: أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة، وأنه لا يعاجلهم بها"(١٠).

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ} [النمل : ٧٣]، أي:" ولكن أكثرهم لا يشكرون له على ذلك، فيؤمنوا به ويخلصوا له العبادة"(١١).

---

(١) تفسير ابن فورك:٣١٧/١.

(٢) التفسير الوسيط:٣٨٤/٣.

(٣) الكشاف:٣٨١/٣.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٣.

(٥) تفسير الطبري:٤٩٣/١٩.

(٦) تفسير ابن كثير:٢٠٩/٦.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٦/٣.

(٨) التفسير الوسيط:٣٨٤/٣.

(٩) تفسير ابن فورك:٣١٧/١.

(١٠) الكشاف:٣٨٢/٣.

(١١) التفسير الميسر:٣٨٣.

قال ابن كثير:أي:" وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلا القليل منهم "[١].
قال مقاتل:" يعني: أكثر أهل مكة {لا يشكرون} الرب- عز وجل- في تأخير العذاب عنهم"[٢].
قال الطبري:" لا يشكرونه على ذلك من إحسانه وفضله عليهم، فيخلصوا له العبادة، ولكنهم يشركون معه في العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عندهم ولا إحسان"[٣].
قال الزمخشري:" وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه، ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب: وهم قريش"[٤].

القرآن
{وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤)} [النمل : ٧٤]
التفسير:
وإن ربك لَيعلم ما تخفيه صدور خلقه وما يظهرونه.
قال الطبري:" يقول: وإن ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه، ومكنون أنفسهم، وخفي أسرارهم، وعلانية أمورهم الظاهرة، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو محصيها عليهم حتى يجازي جميعهم بالإحسان إحسانا وبالإساءة جزاءها"[٥].
قال مقاتل:" {ما تكن صدورهم}، يعني: ما تسر قلوبهم، {وما يعلنون} بألسنتهم"[٦].
قال الواحدي:" {ما تكن صدورهم}: تخفي وتستر صدورهم، {وما يعلنون} بألسنتهم من عداوتك والخلاف عليك، أي: إنه يعلم ذلك فيجازيهم به"[٧].
عن ابن جريج: "{وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم}، قال: السر"[٨].
عن الحسن، "{ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون}، قال: في ظلمة الليل، وفي أجواف بيوتهم"[٩].
قال ابن فورك:" الأكنان: جعل الشيء بحيث لا يلحقه أذى بمانع يصده عنه"[١٠].
قال الزمخشري:" يقال: كننت الشيء وأكننته: إذا سترته وأخفيته، يعنى: أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ﷺ ومكايدهم، وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه"[١١].

القرآن
{وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥)} [النمل : ٧٥]

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٠٩/٦.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٦/٣.
(٣) تفسير الطبري:٤٩٣/١٩.
(٤) الكشاف:٣٨٢/٣.
(٥) تفسير الطبري:٤٩٣/١٩.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٦/٣.
(٧) التفسير الوسيط:٣٨٤/٣.
(٨) أخرجه الطبري:٤٩٣/١٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٦٦):ص٢٩١٩/٩.
(١٠) تفسير ابن فورك:٣١٧/١.
(١١) الكشاف:٣٨٢/٣.

التفسير:
وما مِن شيء غائب عن أبصار الخلق في السماء والأرض إلا في كتاب واضح عند الله. قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان وما يكون.

قال الطبري: يقول:" {وما من} مكتوم سر وخفي أمر يغيب عن أبصار الناظرين {في السماء والأرض إلا في كتاب} وهو أم الكتاب الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من لدن ابتدأ خلق خلقه إلى يوم القيامة. ويعني بقوله: {مبين} أنه يبين لمن نظر إليه، وقرأ ما فيه مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه"[١].

قال السمعاني:" أي: {وما من} جملة غائبة من جميع الغائبات، وقيل: وما من خبر غائب، {إلا في كتاب مبين}، وهو: اللوح المحفوظ"[٢].

قال البغوي:" أي: {وما من} جملة غائبة من مكتوم سر، وخفي أمر، وشيء غائب، {في السماء والأرض إلا في كتاب مبين} أي: في اللوح المحفوظ"[٣].

قال ابن عباس:" يقول: ما من شيء في السماء والأرض، سر ولا علانية إلا يعلمه"[٤].
يعلمه"[٤].

قال مجاهد:" ما من قول ولا عمل في السماء والأرض، إلا في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله السموات والأرض"[٥].

عن قتادة، قوله: "{في كتاب مبين}، قال: كل ذلك في كتاب من عند الله مبين"[٦].

وقال مقاتل:"{وما من غائبة}، يعني: علم غيب ما يكون من العذاب في السماء والأرض، وذلك حين استعجلوه بالعذاب {إلا في كتاب مبين}، يقول: إلا هو بين في اللوح المحفوظ"[٧].

وعن الحسن:" الغائبة القيامة"[٨].

قال الزمخشري:" سمى الشيء الذي يغيب ويخفى: غائبة وخافية، فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة.. كأنه قال: وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح. المبين: الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة"[٩].

قال ابن عباس:" أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، قال: رب ما أكتب؟ قال: ما هو كائن، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، قال: فأعمال العباد تعرض كل يوم اثنين وخميس فيجدونه على ما في الكتاب"[١٠].

فوائد الآيات:[٧٠-٧٥]:

١- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه يعاني شدة من ظلم المشركين وإعراضهم.
٢- بيان تعنت المشركين وعنادهم.
٣- تحقق وعد الله للمشركين حيث نزل بهم بعض العذاب الذي يستعجلون.

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٤٩٣-٤٩٤.
(٢) تفسير السمعاني:٤/١١٢.[بتصرف بسيط]
(٣) تفسير البغوي:٦/١٧٥.
(٤) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٧٠):ص٩/٢٩١٩.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٦٩):ص٩/٢٩١٩.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١٦.
(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢/٥٦٢.
(٩) الكشاف:٣/٣٨٢.
(١٠) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٢/٥٦٢.

٤- بيان فضل الله تعالى على الناس مع ترك أكثرهم لشكره سبحانه وتعالى.
٥- بيان إحاطة علم الله بكل شيء.
٦- إثبات وتقرير كتاب المقادير، وهو اللوح المحفوظ.

القرآن
{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦)} [النمل : ٧٦]
التفسير:
إن هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها.
قال يحيى:" يعني: ما اختلف فيه أوائلهم وما حرفوا من كتاب الله، وما كتبوا بأيديهم، ثم قالوا هذا من عند الله"(١).
قال الفراء:" وذلك أن بني إسرائيل اختلفوا حتى لعن بعضهم بعضا، فقال الله: إن هذا القرآن ليقص عليهم الهدى مما اختلفوا فيه لو أخذوا به"(٢).
قال الطبري: يقول:" إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد يقص على بني إسرائيل الحق، في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى، فقالت اليهود فيه ما قالت، وقالت النصارى فيه ما قالت، وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء، وهؤلاء من هؤلاء، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها، فقال جل ثناؤه لهم: إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فيه فاتبعوه، وأقروا لما فيه، فإنه يقص عليكم بالحق، ويهديكم إلى سبيل الرشاد"(٣).
قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز ، وما اشتمل عليه من الهدى والبينات والفرقان: إنه يقص على بني إسرائيل - وهم حملة التوراة والإنجيل - { أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } ، كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه ، فاليهود افتروا ، والنصارى غَلَوا ، فجاء إليهم القرآن بالقول الوسط الحق العدل : أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، كما قال تعالى : { ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ } [مريم : ٣٤]"(٤).
قال ابن فورك:" الاختلاف: ذهاب كل واحد إلى نقيض ما ذهب إليه الآخر، معنى: {إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون} أنه يرجع إلى بيان القرآن للحق فيما وقع فيه الاختلاف بين بني إسرائيل، وغيرهم من أهل المذاهب.. واختلاف بني إسرائيل كاختلافهم في المسيح، حتى قالت اليهود بتكذيبه في نبوته، وقالت النصارى بإلاهيته، وما قالت اليهود في نسخ الشريعة حتى أجازه بعضهم من غير التوراة وأباه آخرون منهم فلم يجيزوا النسخ أصلا"(٥).
قال قتادة:" يعني: اليهود والنصارى، يقول: هذا القرآن مبين لهم ما اختلفوا فيه"(٦).

القرآن
{وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)} [النمل : ٧٧]
التفسير:

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٥٦٢/٢.
(٢) معاني القرآن:٣٠٠/٢.
(٣) تفسير الطبري:٤٩٤/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:٢١١/٦.
(٥) تفسير ابن فورك:٣١٨/١.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٧١):ص٢٩٢٩/٩.

وإن هذا القرآن لهداية من الضلال ورحمة من العذاب، لمن صدَّق به واهتدى بهداه.

قال الطبري: يقول:" إن هذا القرآن لهدى، يقول: لبيان من الله، بين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم، ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه"(١).

قال ابن كثير:" أي : هدى لقلوب المؤمنين ، ورحمة لهم في العمليات "(٢).

قال يحيى:" هدى يهتدون به إلى الجنة"(٣).

عن الشعبي، "{لهدى}، قال: هدى من الضلالة"(٤).

عن سعيد بن جبير، "{لهدى}، يعني: تبيان"(٥).

عن السدي، "{لهدى}، قال: نور"(٦).

عن الحسن، قوله: "{لهدى}، قال: هو القرآن"(٧).

عن أبي العالية، قوله: "{ورحمة}، قال: رحمته القرآن"(٨).

القرآن

{إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨)} [النمل : ٧٨]

التفسير:

إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم بحكمه فيهم، فينتقم من المبطل، ويجازي المحسن. وهو العزيز الغالب، فلا يُرَدُّ قضاؤه، العليم، فلا يلتبس عليه حق بباطل.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ} [النمل : ٧٨]، أي:" إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل وغيرهم بحكمه فيهم، فينتقم من المبطل، ويجازي المحسن"(٩).

قال يحيى:أي:" بين المؤمنين والكافرين في الآخرة، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار"(١٠).

قال الطبري: " يقول: إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بحكمه فيهم، فينتقم من المبطل منهم، ويجازي المحسن منهم المحق بجزائه"(١١).

عن عبد الله قال: قال: رسول الله ﷺ: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء"(١٢).

عن جابر بن عبد الله، قال: "بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم أسمعه أنا من النبي ﷺ، فرحلت إليه، فسرت إليه شهرا حتى قدمت الشام، فإذا هو عبد

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٤٩٤.

(٢) تفسير ابن كثير:٦/٢١١.

(٣) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥٦٣.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٧٢):ص٩/٢٩١٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٧٥):ص٩/٢٩٢٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٧٤):ص٩/٢٩٢٠.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٧٣):ص٩/٢٩٢٠.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٧٦):ص٩/٢٩٢٠.

(٩) التفسير الميسر:٣٨٤.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥٦٣.

(١١) تفسير الطبري:١٩/٤٩٤.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٧٨):ص٩/٢٩٢٠. والحديث بطوله في صحيح مسلم، كتاب القيامة ٣/ ١٣٠٤ رقم ١٦٧٨.

الله بن أنيس الأنصاري، فبعثت إليه أن جابرا على الباب فرجع إلي الرسول، فقال: جابر بن عبد الله؟ قلت: نعم، فرجع إليه الرسول، فخرج إلي، فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ لم أسمعه منه، فخشيت أن أموت أو تموت، ولم أسمعه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يحشر الله العباد، أو قال: الناس، وأومأ بيده إلى الشام، عراة غرلا بهما، قلت: ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وواحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، حتى اللطمة، قال: قلنا: كيف، وإنما نأتي الله عراة غرلا بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات"[(١)].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [النمل : ٧٨]، أي:" وهو العزيز الغالب، فلا يُرَدُّ قضاؤه، العليم، فلا يلتبس عليه حق بباطل"[(٢)].

قال ابن كثير:" {وَهُوَ الْعَزِيزُ } في انتقامه ، { الْعَلِيمُ } بأفعال عباده وأقوالهم "[(٣)].

قال الطبري: " يقول: وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم، لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه إذا انتقم العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه، ومن غيرهم من المبطل الضال عن الهدى"[(٤)].

قال يحيى:" لا أعز منه ولا أعلم منه"[(٥)].

قال ابن فورك:" معنى الوصف بالعزيز العليم –هنا- أي: العليم بصحة ما يقضي به العزيز بما لا يمكن رد قضائه فهو يقضي بين المختلفين بما لا يمكن أن يرد ولا يلتبس بغير الحق"[(٦)].

وقال ابن فورك:" وفي الآية تسلية للمحقين الذين خولفوا في أمر الدين؛ بأن أمرهم يؤول إلى أن يحكم بينهم رب العالمين بما لا يمكن دفعه، ولا تلبيسه"[(٧)].

القرآن

{فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩)} [النمل : ٧٩]

التفسير:

فاعتمد -أيها الرسول- في كل أمورك على الله، وثق به؛ فإنه كافيك، إنك على الحق الواضح الذي لا شك فيه.

قوله تعالى:{فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [النمل : ٧٩]، أي:" فاعتمد -أيها الرسول- في كل أمورك على الله، وثق به فإنه كافيك"[(٨)].

قال محمد بن إسحاق:" أي: ارض به من العباد"[(٩)].

قال ابن كثير:" أي : في أمورك ، وبَلِّغ رسالة ربك "[(١٠)].

---

(١) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٢/٥٦٣.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٣) تفسير ابن كثير:٦/٢١١.

(٤) تفسير الطبري:١٩/٤٩٤.

(٥) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥٦٤.

(٦) تفسير ابن فورك:١/٣١٨.

(٧) تفسير ابن فورك:١/٣١٩.

(٨) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٧٩):ص٩/٢٩٢١.

(١٠) تفسير ابن كثير:٦/٢١١.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ففوض إلى الله يا محمد أمورك، وثق به فيها، فإنه كافيك"(١).

قوله تعالى:{إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل : ٧٩]، أي:" إنك على الحق الواضح الذي لا شك فيه"(٢).

قال ابن كثير:" أي : أنت على الحق المبين وإن خالفك مَنْ خالفك ، مِمَّنْ كتبت عليه الشقاوة وحَقَّت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل آية"(٣).

قال الطبري:" لمن تأمله، وفكر ما فيه بعقل، وتدبره بفهم، أنه الحق، دون ما عليه اليهود والنصارى، المختلفون من بني إسرائيل، ودون ما عليه أهل الأوثان، المكذبوك فيما أتيتهم به من الحق، يقول: فلا يحزنك تكذيب من كذبك، وخلاف من خالفك، وامض لأمر ربك الذي بعثك به"(٤).

عن سعيد، قوله: "{المبين}، يعني: البين"(٥).

القرآن

{إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠)} [النمل : ٨٠]

التفسير:

إنك -أيها الرسول- لا تقدر أن تُسمع الحق مَن طبع الله على قلبه فأماته، ولا تُسمع دعوتك مَن أصمَّ الله سمعه عن سماع الحق عند إدبارهم معرضين عنك، فإن الأصم لا يسمع الدعاء إذا كان مقبلا، فكيف إذا كان معرضًا عنه موليًا مدبرًا؟

قوله تعالى:{إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} [النمل : ٨٠]، أي:" إنك -أيها الرسول- لا تقدر أن تُسمع الحق مَن طبع الله على قلبه فأماته"(٦).

قال الطبري:" يقول: إنك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته، لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه"(٧).

قال قتادة:" هذا مثل ضربه الله للكافر كما لا يسمع الميت كذلك لا يسمع الكافر ولا ينتفع به. وفي قوله: ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين يقول: لو أن أصما ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع"(٨).

قوله تعالى:{وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} [النمل : ٨٠]، أي:" ولا تُسمع دعوتك مَن أصمَّ الله سمعه عن سماع الحق عند إدبارهم معرضين عنك، فإن الأصم لا يسمع الدعاء إذا كان مقبلا، فكيف إذا كان معرضًا عنه موليًا مدبرًا؟"(٩).

قال الطبري:" يقول: ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه، إذا هم أدبروا معرضين عنه، لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم، ولا يصغون للحق، ولا يتدبرونه، ولا ينصتون لقائله، ولكنهم يعرضون عنه، وينكرون القول به، والاستماع له"(١).

---

(١) تفسير الطبري:٤٩٥/١٩.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٣) تفسير ابن كثير:٢١١/٦.

(٤) تفسير الطبري:٤٩٥/١٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٨٠):ص٢٩٢١/٩.

(٦) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٧) تفسير الطبري:٤٩٥/١٩.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٨١):ص٢٩٢١/٩.

(٩) التفسير الميسر:٣٨٤.

قال ابن كثير:" أي : لا تسمعهم شيئًا ينفعهم ، فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة ، وفي آذانهم وَقْر الكفر "(٢).

عن يحيى بن يعمر، قوله: "{وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم}، أي: ما تفعل ذلك"(٣).

القرآن

{وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١)} [النمل : ٨١]

التفسير:

وما أنت -أيها الرسول- بهادٍ عن الضلالة مَن أعماه الله عن الهدى والرشاد، ولا يمكنك أن تُسمع إلا مَن يصدِّق بآياتنا، فهم مسلمون مطيعون، مستجيبون لما دعوتهم إليه.

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ} [النمل : ٨١]، أي:" وما أنت -أيها الرسول- بهادٍ عن الضلالة مَن أعماه الله عن الهدى والرشاد"(٤).

قال الطبري:يقول:" {وما أنت} يا محمد {بهادي} من أعماه الله عن الهدى والرشاد فجعل على بصره غشاوة أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التي هو فيها إلى طريق الرشاد وسبيل الرشاد"(٥).

قال النحاس:" أي: لست تهديهم أنت بقدرتك ولكن الله جل وعز يهدي من يشاء بلطفه وتوفيقه"(٦).

قال ابن فورك:" الهادي: القائد إلى الحق بدعائه واقتضائه إياه، وقد يكون بفعل المعرفة في قل ب المهت دين، وذلك لا يق در عليه إلا الله – عز وجل - وقد فعلها في قلب المؤمنين المهتدين، وغيره يهدي بالدعاء، وبالبيان فقط. والضلالة الذهاب عن طريق الصواب، وقد يضل بالدعاء إلى الضلال، ويضل المضل بأن يخلق الضلال في العين، وهو الجهل بالحق، أو الشك فيه، وذلك مما لا يقدر عليه إلا الله - عز وجل –"(٧).

وقرئ:« وما أنت تهدي العمي عن ضلالتهم »(٨).

قوله تعالى:{إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} [النمل : ٨١]، أي:" ولا يمكنك أن تُسمع إلا مَن يصدِّق بآياتنا، فهم مسلمون مطيعون، مستجيبون لما دعوتهم إليه"(٩).

قال الطبري:" يقول: ما تقدر أن تفهم الحق وتوعيه أحدا إلا سمع من يصدق بآياتنا، يعني بأدلته وحججه وآي تنزيله، فإن أولئك يسمعون منك ما تقول ويتدبرونه، ويفكرون فيه، ويعملون به، فهم الذين يسمعون"(١٠).

---

(١) تفسير الطبري:٤٩٥/١٩.

(٢) تفسير ابن كثير:٢١١/٦.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٨٢):ص٢٩٢١/٩.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٥) تفسير الطبري:٤٩٦/١٩.

(٦) إعراب القرآن:١٢٥/٤.

(٧) تفسير ابن فورك:٣١٩/١-٣٢٠.

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء:٣٠٠/٢، ومعاني القرآن للزجاج:١٢٩/٤.

(٩) التفسير الميسر:٣٨٤.

(١٠) تفسير الطبري:٤٩٦/١٩.

قال ابن كثير:" أي: إنما يستجيب لك مَنْ هو سميع بصير ، السمع والبصر النافعُ في القلب والبصيرة الخاضع لله ، ولما جاء عنه على ألسنة الرسل ، عليهم السلام "[١].

قال الزجاج:" معناه: ما تسمع إلا من يؤمن، وتأويل: ما تسمع، أي: ما يسمع منك فيعي ويعمل إلا من يؤمن بآياتنا، فأما من سمع ولم يقبل فبمنزلة الأصم"[٢].

قال ابن فورك:" أي: إلا من يطلب الحق بالنظر في آياتنا، ويسلك طريق القبول، وهو من سبق من الله العلم بأنه يوفقه، ويؤمن"[٣].

عن ابن عباس، قوله: "{مسلمون}، يقول: موحدون"[٤].

عن زهير بن محمد، قوله: "{مسلمون}، يقول: مخلصين"[٥].

فوائد الآيات:[٧٦-٨١]:

١- شرف القرآن وفضله.

٢- لن ينتهي خلاف اليهود والنصارى إلا بالإسلام فإذا أسلموا اهتدوا للحق وانتهى كل خلاف بينهم.

٣- كل خلاف بين الناس اليوم سيحكم الله تعالى بين أهله يوم القيامة بحكمه العادل ويوفي كلا ما له أو عليه وهو العزيز العليم.

٤- الكفار أموات لخلو أبدانهم من روح الإيمان فلذا هم لا يسمعون الهدى ولا يبصرون الآيات مهما كانت واضحات. فعلى داعيهم أن يعرف هذا فيهم وليصبر على دعوتهم ودعاويهم.

القرآن

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢)} [النمل : ٨٢]

التفسير:

وإذا وجب العذاب عليهم؛ لتماديهم في المعاصي والطغيان، وإعراضهم عن شرع الله وحكمه، حتى صاروا من شرار خلقه، أخرجنا لهم من الأرض في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي «الدابة» ، تحدثهم أن الناس المنكرين للبعث كانوا بالقرآن ومحمد ﷺ ودينه لا يصدقون ولا يعملون.

قوله تعالى:{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ} [النمل : ٨٢]، أي:" وإذا وجب العذاب عليهم؛ لتماديهم في المعاصي والطغيان، وإعراضهم عن شرع الله وحكمه، حتى صاروا من شرار خلقه"[٦].

قال مقاتل:" يقول: إذا نزل العذاب بهم"[٧].

قال ابن قتيبة:" أي: وجبت الحجة"[٨].

قال الزجاج:" أي: إذا وجب"[٩].

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/٢١١.

(٢) معاني القرآن:٤/١٢٩.

(٣) تفسير ابن فورك:١/٣٢٠.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٨٣):ص٩/٢٩٢١.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٨٤):ص٩/٢٩٢١.

(٦) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١٧.

(٨) غريب القرآن:٣٢٧.

(٩) معاني القرآن:٤/١٢٩.

قال الفراء: معناه إذا وجب السخط عليهم وهو كقوله: {حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْل} [القصص : ٦٣] في موضع آخر"[١].

عن مجاهد، قوله: "{وإذا وقع القول عليهم}، قال: حق عليهم"[٢]. وفي رواية:" حق العذاب"[٣].

قال قتادة: "يقول: إذا وجب القول عليهم"[٤].

قال ابن جريج: القول: العذاب"[٥].

وعن قتادة: "{وإذا وقع القول عليهم}، والقول: الغضب"[٦].

عن مقاتل بن حيان، قوله: "{وإذا وقع القول عليهم}، قال: السخط"[٧].

موسى أبو العلا قال: "كنا في جنازة فيها الحسن قال: فأرسلت مؤذنا لنا: يقال: له سالم أبو هاشم فقلت: سل الحسن، عن هذه الآية :{وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم}، قال: فجاء، فقال: إن الله يومئذ على أهل الأرض ساخط"[٨].

عن حفصة، قالت: "سألت أبا العالية، عن قوله: {وإذا وقع القول عليهم} فقال: أوحى الله إلى نوح {أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن}، قالت: فكأنما كان على وجهي غطاء فكشف"[٩].

عن حذيفة قال: "والله ما تلا عن قوم لوط"[١٠].

قال الصابوني:" هذا بيان لما يكون بين يدي الساعة، أي: وإذا قَرُبَ نزول العذاب وقيام الساعة، وحان وقت عذاب الكفار"[١١].

عن ناجية بن عبد الله بن عتبة، عن أبيه قال: "قال: عبد الله أكثروا الطواف بالبيت من قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه، وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع. قال: هذه المصاحف ترفع فكيف ما في صدور الرجال؟ قال: يسرى عليهم ليلا فيصبحوا منه قفرا، وينسون قول لا إله إلا الله ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم فذلك حين يقع عليهم القول، يعني: {وإذا وقع القول عليهم}"[١٢].

قوله تعالى:{أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} [النمل : ٨٢]، أي:" أخرجنا لهم من الأرض في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهي «الدابة» ، تحدثهم أن الناس المنكرين للبعث كانوا بالقرآن ومحمد ﷺ ودينه لا يصدقون ولا يعملون"[١٣].

---

(١) معاني القرآن:٢/٣٠٠.

(٢) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٦.

(٣) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٦.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٦.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٦.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٦.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٩٠):ص٩/٢٩٢٢.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٨٩):ص٩/٢٩٢٢.

(٩) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٦.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٨٧):ص٩/٢٩٢٢.

(١١) صفوة التفاسير:٢/٣٨٤.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٨٦):ص٩/٢٩٢٢.

(١٣) التفسير الميسر:٣٨٤.

قال ابن كثير:" هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتَرْكِهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الأرض - قيل : من مكة. وقيل : من غيرها.. فَتُكَلِّم الناس على ذلك.. وقال عطاء الخراساني : «تكلمهم فتقول لهم : إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون»[1]. ويروى هذا عن علي[2]، واختاره ابن جرير[3]. وفي هذا القول نظر لا يخفى ، والله أعلم "[4].

قال الزجاج:" يروى أن أول أشراط الساعة خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وأكثر ما جاء في التفسير أنها تخرج بتهامة، تخرج من بين الصفا والمروة، وقد جاء في التفسير أنها تخرج ثلاث مرات في ثلاثة أمكنة، وجاء في التفسير تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء وفي وجه المؤمن نكتة بيضاء، فتفشو نكتة الكافر حتى يسود منها وجهه أجمع وتفشو نكتة المؤمن حتى يبيض منها وجهه فتجتمع الجماعة على المائدة، فيعرف المؤمن من الكافر"[5].

عن ابن عباس، قوله: "{أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم}، قال: تحدثهم"[6].

قال السدي:" أما آيات الله فمحمد ﷺ"[7].

قال عطاء:" وأما دابة الأرض تكلمهم فكلامها -يعني إياهم-: أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون"[8].

عن أبى الزعراء، "أن رجلا سأل عبد الله عن الدابة فقال: له سل عليا فإنه بذلك، فسأل عليا، فقال: تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتكلم الناس أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون"[9].

عن قابوس أن أباه حدثه قال: "سألنا ابن عباس، عن الدابة؟ فقال: هي مثل الحربة الضخمة"[10].

عن ابي هريرة، قال:" إن الدابة فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب"[11].

عن ابن عمر في قوله: "{وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض}، قال: هو حين لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر"[12]. وفي رواية:" ذاك إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[13].

قال عطية: إذا لم يعرفوا معروفا، ولم ينكروا منكرا"[14].

قال الحسن:" تخرج دابة الأرض إذا فسد الناس، ولهم دابة تكلمهم كلاما"[1].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٦٠٨):ص٩/٢٩٢٦.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٦٠٩):ص٩/٢٩٢٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/٤٩٦ وما بعدها.

(٤) تفسير ابن كثير:٦/٢١٠.

(٥) معاني القرآن:٤/١٢٩.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٩.

(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦١١):ص٩/٢٩٢٧.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٠٨):ص٩/٢٩٢٦.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٠٩):ص٩/٢٩٢٦.

(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٩٨):ص٩/٢٩٢٤.

(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٩٩):ص٩/٢٩٢٥.

(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٦.

(١٣) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٧.

(١٤) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٧.

قال: أبو محمد- يعني: نفيع الأعمى-: "سألت ابن عباس، عن قوله: أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أو تكلمهم؟ قال: كل ذلك والله تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر أو تجرحه"(٢).

قال صدقة ابن يزيد: "تجئ الدابة إلى الرجل وهو قائم يصلي في المسجد، فتكتب بين عينيه كذاب"(٣).

قال مقاتل:" تخرج من الصفا الذي بمكة تكلمهم بالعربية تقول: {أن الناس}، يعني: كفار مكة {كانوا بآياتنا}، يعني: بخروج الدابة {لا يوقنون}، هذا قول الدابة للناس إن الناس بخروجي لا يوقنون لأن خروجها آية من آيات الله- عز وجل-فإذا رآها الناس كلهم عادت إلى مكانها من حيث خرجت لها أربع قوائم وزغب وريش ولها جناحان واسمها «أفضى» فإذا خرجت بلغ رأسها السحاب"(٤).

قال ابن عمر:" تخرج الدابة من صدع في الصفا، كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها"(٥).

قال ابن عمر:" يبيت الناس يسيرون إلى جمع، وتبيت دابة الأرض تسايرهم، فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها، فما من مؤمن إلا مسحته، ولا من كافر ولا منافق إلا تخبطه"(٦).

عن حسان بن حمصة، قال: "سمعت عبد الله بن عمرو يقول: لو شئت لانتعلت بنعلي هاتين، فلم أمس الأرض قاعدا حتى أقف على الأحجار التي تخرج الدابة من بينها، ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج، قال: فما حججت قط إلا خفت تخرج بعقبنا"(٧).

عن عطاء، قال: "رأيت عبد الله بن عمرو، وكان منزله قريبا من الصفا، رفع قدمه وهو قائم، وقال: لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذي تخرج منه الدابة"(٨).

وعن وهب بن منبه يقول: قال عزيز أتاني الملك قلت: أخبرني ما بقي من الدنيا قال: لا علم لي، ولم تسألني عما لا أعلم؟ قال: أنا أعلم أنه عند انقضاء الدنيا واقربت الآخرة وآية ذلك أن يكثر الكذب ويقل الصدق، ويظهر الفجور وينعدم البر، وتعود الأرض عقيما من الأنهار، وترى الشمس في أثر ذلك من مغربها، وتقطر الشجر دما، وتجول الأنواء، وتنطق الحجارة، ويملك من لم يكن برجالة الملك، وتخبر الطير، وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسمعها، وتضع الحبالى قبل التمام، ويعود الماء العذب أجاجا، ويتعادى الأخلاء وتخرق الحكمة ويرفع العلم، وتكلم الأرض التي تليها. وفي ذلك الزمان يرجو الناس ما لا يبلغون ويتعنون، فيما لا ينالون، ويعملون فيما لا يأكلون"(٩).

قال حذيفة بن أسيد الغفاري: "إن الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون: والله لقد رأينا الدابة، حتى يبلغ ذلك الإمام، فيطلب فلا يقدر على شيء. قال: ثم تخرج فيراها الناس، فيقولون: والله لقد رأيناها، فيبلغ ذلك الإمام فيطلب فلا يرى شيئا، فيقول: أما إني إذا حدث الذي يذكرها قال: حتى يعد فيها القتل، قال: فتخرج، فإذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون، فتجيء

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٠٥):ص٩/٢٩٢٦.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٠٦):ص١٩/٢٩٢٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٠٧):ص٩/٢٩٢٦.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١٧.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٧.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٨.

(٧) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٨.

(٨) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٨.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٠٣):ص٩/٢٩٢٥-٢٩٢٦.

إليهم فتقول: الآن تصلون، فتخطم الكافر، وتمسح على جبين المسلم غرة، قال: فيعيش الناس زمانا يقول هذا: يا مؤمن، وهذا: يا كافر"(١).

وفي رواية أخرى لحذيفة:" للدابة ثلاث خرجات: خرجة في بعض البوادي ثم تكمن، وخرجة في بعض القرى حين يهريق فيها الأمراء الدماء، ثم تكمن، فبينا الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها، إذ ارتفعت بهم الأرض، فانطلق الناس هرابا، وتبقى طائفة من المؤمنين، ويقولون: إنه لا ينجينا من الله شيء، فتخرج عليهم الدابة تجلو وجوههم مثل الكوكب الدري، ثم تنطلق فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب، وتأتي الرجل يصلي، فتقول: والله ما كنت من أهل الصلاة، فيلتفت إليها فتخطمه، قال: تجلو وجه المؤمن، وتخطم الكافر، قلنا: فما الناس يومئذ؟ قال: جيران في الرباع، وشركاء في الأموال، وأصحاب في الأسفار"(٢).

وعن حُذَيفة بن أسيد الغفاري قال : " اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: " ما تذكرون؟ " قالوا: نذكر الساعة، فقال: " إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج، ومأجوج، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من قبل تطرد الناس إلى محشرهم"(٣).

وعن حذيفة بن اليمان، قال: "قال رسول الله ﷺ يقول: وذكر الدابة، فقال حذيفة: قلت يا رسول الله، من أين تخرج؟ قال: "من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم، تحرك القنديل، وينشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدو رأسها، ملمعة ذات وبر وريش، لم يدركها طالب، ولن يفوتها هارب، تسم الناس مؤمن وكافر، أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء كافر"(٤).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل البيت ليجتمعون فيقول هذا. يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر"(٥).

عن قتادة، قال: "هي دابة ذات زغب وريش، ولها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة، قال: قال عبد الله بن عمر: إنها تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء، فتفشو في وجهه، فيسود وجهه، وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجه، حتى يبيض وجهه، فيجلس أهل البيت على المائدة، فيعرفون المؤمن من الكافر، ويتبايعون في الأسواق، فيعرفون المؤمن من الكافر"(٦).

وعن عبد الله بن عمرو، قال:"تخرج دابة الأرض ومعها خاتم سليمان وعصا موسى، فأما الكافر فتختم بين عينيه بخاتم سليمان، وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيض"(٧).

وقراءة العامة:{ تُكَلِّمُهُمْ }، على التشديد، من الكلام، ومن قرأ: « تَكْلُمُهُمْ » فهو من الكلم، وهو الأثر والجرح(٨).

---

(١) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٧.

(٢) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٧-٤٩٨.

(٣) أخرجه أحمد(١٦١٤١):ص٢٦/٦٣.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٨.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٩.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٩.

(٧) أخرجه الطبري:١٩/٤٩٩.

(٨) انظر: معاني القرآن للزجاج:٤/١٢٩.

وفي قرءة أبيّ: «تنبّئهم»، وفي بعض الحروف:« تحدّثهم»[1]، قال أبو علي:" وهذا يدلّ على أنّ تكلمهم من الكلام الّذي هو نطق، وليس من الكلم الّذي هو الجراح"[2].

القرآن

{وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣)} [النمل : ٨٣]

التفسير:

ويوم نجمع يوم الحشر من كل أمة جماعة، ممن يكذب بأدلتنا وحججنا، يُحْبَس أولهم على آخرهم؛ ليجتمعوا كلهم، ثم يساقون إلى الحساب.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا} [النمل : ٨٣]، أي:" ويوم نجمع يوم الحشر من كل أمة جماعة، ممن يكذب بأدلتنا وحججنا"[3].

قال الطبري: يقول:" ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجا، يعني جماعة منهم، وزمرة {ممن يكذب بآياتنا}، يقول: ممن يكذب بأدلتنا وحججنا، فهو يحبس أولهم على آخرهم، ليجتمع جميعهم، ثم يساقون إلى النار"[4].

قال ابن كثير:" أي : من كل قوم وقرن فوجًا ، أي : جماعة { مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا } ، كما قال تعالى : { احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ } [الصافات : ٢٢] ، وقال تعالى { وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ } [التكوير : ٧]"[5].

قال مقاتل:" {فوجا}، يعني: زمرا "[6].

عن مجاهد: "{من كل أمة فوجا}، قال: زمرة"[7]. وفي رواية:" زمرة زمرة"[8].

وعن ابن عباس، قوله: "{ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون}، يعني: الشيعة عند الحشر"[9].

قوله تعالى:{فَهُمْ يُوزَعُونَ} [النمل : ٨٣]، أي:" فهم يُجمعون ثم يُساقون إلى الحساب"[10].

قال مقاتل:" يعنى: فهم يساقون إلى النار"[11].

قال ابن قتيبة:" أي: يحبس أولهم على آخرهم"[12].

قال ابن عباس:" يقول: فهم يدفعون"[13].

قال ابن زيد:" يساقون"[1].

---

(١) انظر: الحجة للقراء السبعة:٤٠٦/٥.

(٢) الحجة للقراء السبعة:٤٠٦/٥.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٤) أخرجه الطبري:٥٠٠/١٩.

(٥) تفسير ابن كثير:٢١٥/٦.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٧/٣.

(٧) أخرجه الطبري:٥٠١/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٥٠١/١٩.

(٩) أخرجه الطبري:٥٠٠/١٩.

(١٠) صفوة التفاسير:٣٨٥/٢.[بتصرف]

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٧/٣.

(١٢) غريب القرآن:٣٢٧.

(١٣) اخرجه الطبري:٥٠١/١٩.

قال مجاهد:" يحبس أولهم على آخرهم"[2].
قال قتادة:" وزعة ترد أولاهم على أخرهم"[3].

القرآن
{حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (٨٥)} [النمل : ٨٤-٨٥]
التفسير:
حتى إذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله: أكذَّبْتم بآياتي التي أنزلتها على رسلي، وبالآيات التي أقمتها دلالة على توحيدي واستحقاقي وحدي للعبادة ولم تحيطوا علمًا ببطلانها، حتى تُعرضوا عنها وتُكَذِّبوا بها، أم أي شيء كنتم تعملون؟ وحقت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم وتكذيبهم، فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم ما حلَّ بهم من سوء العذاب.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا} [النمل : ٨٤]، أي:" حتى إذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله: أكذَّبْتم بآياتي التي أنزلتها على رسلي، وبالآيات التي أقمتها دلالة على توحيدي واستحقاقي وحدي للعبادة ولم تحيطوا علمًا ببطلانها، حتى تُعرضوا عنها وتُكَذِّبوا بها"[4].

قال الطبري: يقول:" حتى إذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله: {أكذبتم بآياتي}، أي: بحججي وأدلتي، ولم تعرفوها حق معرفتها"[5].

قال ابن كثير:" أي : أوقفوا بين يدي الله عز وجل ، في مقام المساءلة ، { قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا}"[6].

عن سعيد بن جبير، قوله:" {بآياتي}، يعني: بالقرآن"[7].

قوله تعالى:{أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النمل : ٨٤]، أي:" أم أي شيء كنتم تعملون؟"[8].

قال الطبري: أي:" فيها من تكذيب أو تصديق"[9].

قال ابن كثير:" أي : ويسألون عن اعتقادهم ، وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة ، وكانوا كما قال الله تعالى عنهم : { فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى. وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى } [القيامة : ٣١ ، ٣٢] ، فحينئذ قامت عليهم الحجة ، ولم يكن لهم عذر يعتذرون به ، كما قال تعالى : { هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } [المرسلات : ٣٥ ، ٣٧]"[10].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦١٤):ص٩/٢٩٢٧.

(٢) اخرجه الطبري:١٩/٥٠١.

(٣) اخرجه الطبري:١٩/٥٠١.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٥) تفسير الطبري:١٩/٥٠١.

(٦) تفسير ابن كثير:٦/٢١٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦١٥):ص٩/٢٩٢٧.

(٨) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٩) تفسير الطبري:١٩/٥٠١.

(١٠) تفسير ابن كثير:٦/٢١٥.

قوله تعالى:{وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا} [النمل : ٨٥]، أي:" وحقت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم وتكذيبهم"(١).

قال الطبري: يقول:" ووجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآياته بتكذيبهم بآيات الله يوم يحشرون"(٢).

قال قتادة: "وجب القول عليهم، و«القول»: الغضب"(٣).

قوله تعالى:{فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ} [النمل : ٨٥]، أي:" فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم ما حلَّ بهم من سوء العذاب"(٤).

قال الطبري: " يقول: فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم ووقع عليهم من القول"(٥).

قال ابن كثير:" أي : بهتوا فلم يكن لهم جواب ؛ لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم ، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية "(٦).

القرآن

{أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦)} [النمل : ٨٦]

التفسير:

ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا أنا جعلنا الليل يستقرُّون فيه وينامون، والنهار يبصرون فيه للسعي في معاشهم؟ إن في تصريفهما لَدلالة لقوم يؤمنون بكمال قدرة الله ووحدانيَّته وعظيم نعمه.

قوله تعالى:{أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا} [النمل : ٨٦]، أي:" ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا أنا جعلنا الليل يستقرُّون فيه وينامون، والنهار يبصرون فيه للسعي في معاشهم؟"(٧).

قال الطبري: يقول: " ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار، ومخالفتنا بينهما بتصييرنا هذا سكنا لهم يسكنون فيه ويهدءون، راحة أبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهارا، وهذا مضيئا يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها فيتقلبون فيه لمعايشهم، فيتفكروا في ذلك، ويتدبروا، ويعلموا أن مصرف ذلك كذلك هو الإله الذي لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه إماتة الأحياء، وإحياء الأموات بعد الممات، كما لم يتعذر عليه الذهاب بالنهار والمجيء بالليل، والمجيء بالنهار والذهاب بالليل مع اختلاف أحوالهما"(٨).

قال ابن كثير:" ثم قال تعالى منبهًا على قدرته التامة ، وسلطانه العظيم ، وشأنه الرفيع الذي تجب طاعته والانقياد لأوامره ، وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذي لا مَحيد عنه ، فقال { أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ } أي : فيه ظلام تسكن بسببه حركاتهم ، وتهدأ أنفاسهم ، ويستريحون من نَصَب التعب في نهارهم. { وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا } أي : منيرًا مشرقًا ،

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٢) تفسير الطبري:٥٠١/١٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦١٦):ص٢٩٢٧/٩.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٥) تفسير الطبري:٥٠١/١٩.

(٦) تفسير ابن كثير:٢١٥/٦.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٨) تفسير الطبري:٥٠١/١٩-٥٠٢.

فبسبب ذلك يتصرفون في المعايش والمكاسب ، والأسفار والتجارات ، وغير ذلك من شؤونهم التي يحتاجون إليها"(١).

عن قتادة، قوله: "{والنهار مبصرا}، أي: هو منير"(٢).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النمل : ٨٦]، أي:" إن في تصريفهما لَدلالة لقوم يؤمنون بكمال قدرة الله ووحدانيَّته وعظيم نعمه"(٣).

قال الطبري: يقول:" إن في تصييرنا الليل سكنا، والنهار مبصرا لدلالة لقوم يؤمنون بالله على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت، وحجة لهم على توحيد الله"(٤).

عن سعيد، قوله:"{إن في ذلك}، يعني: الذي بهم"(٥).

فوائد الآيات:[٨٢-٨٦]:

١- تأكيد آية الدابة والتي تخرج من صدع من الصفا وقد وجد الصدع الآن فيما يبدو وهي الأنفاق التي فتحت في جبل الصفا وأصبحت طرقاً عظيمة للحجاج، وعما قريب تخرج، وذلك يوم لا يبقى من يأمر بالمعروف ولا من ينهى عن المنكر فيحق العذاب على الكافرين.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر وصف لها.

٣- ويل لرؤساء الضلالة والشر والشرك والباطل إذ يؤتى بهم ويسألون.

٤- في آية الليل والنهار ما يدل بوضوح على عقيدة البعث الآخر والحساب والجزاء.

القرآن

{وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧)} [النمل : ٨٧]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- يوم يَنفخ الملَك في «القرن» ففزع مَن في السموات ومَن في الأرض فزعًا شديدًا مِن هول النفخة، إلا مَنِ استثناه الله ممن أكرمه وحفظه من الفزع، وكل المخلوقات يأتون إلى ربهم صاغرين مطيعين.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} [النمل : ٨٧]، أي:" واذكر -أيها الرسول- يوم يَنفخ الملَك في «القرن»"(٦).

وفي «الصور» قولان(٧):

أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه نفختان : إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض ، والثانية لنشر كل مَيْتٍ.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال إذ سئل عن الصور :"هو قرن يُنفخ فيه"(٨).

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/٢١٥.

(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦١٧):ص٩/٢٩٢٨.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٤) تفسير الطبري:١٩/٥٠٢.

(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦١٨):ص٩/٢٩٢٨.

(٦) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري:١١/-٤٦٢ وما بعدها، وزاد المسير:٢/٤٤-٤٥.

(٨)حسن صحيح. أخرجه أبوداود ٤٧٤٢ والترمذي ٢٤٣٠ و ٣٢٤٤ والنسائي في«الكبرى» ١١٣١٢ و ١١٣٨١ و ١١٤٥٦ وأحمد ٢/ ١٦٢ و ١٩٢ والدارمي ٢/ ٣٢٥ وابن حبان ٧٣١٢ والحاكم ٢/ ٤٣٦ و

عن مجاهد، قوله: "{ونفخ في الصور}، قال: كهيئة البوق"[١].
عن مجاهد، "{الصور}، البوق"[٢].
وعن مجاهد، قال:" هو القرن، صاحبه آخذ به، فقبض مجاهد قبضتين بكفيه على طف القرن، بين طرفيه، وبين قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار فبرك على ركبة يسراه مقعيا على قدمي عقبه تحت فخذه وإليته وأطراف أصابعه في التراب، قد نصب ركبته اليمنى ووضع قدمها في التراب"[٣].
وحكى ابن قتيبة: أن الصور: القرن، في لغة قوم من أهل اليمن، وأنشد[٤]:
نحن نطحنا غداة الجمعين ... بالضابحات في غبار النقعين
نطحا شديدا لا كنطح الصورين[٥].
وأنشد الفراء[٦]:
لَوْلا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ تُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُمْ ... وَلا خُرَاسَانَ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ
رجّحه البغوي[٧]، وقال ابن الجوزي:"وهذا اختيار الجمهور"[٨].
والثاني: أن {الصور}، جمع:« صورة»، يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء والمراد نفخ الأرواح في صور الناس، وهذا قول قتادة[٩]، وأبي عبيدة[١٠]، ومنه قول النابغة[١١]:
ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ... ترى كلّ ملك دونها يتذبذب
عن قتادة، قوله: "{ونفخ في الصور}، أي: في الخلق"[١٢].
قال ابن قتيبة:" السورة في هذا البيت سورة المجد. وهي مستعارة من سورة البناء"[١].

---

٥٠٦ و ٤/ ٥٦٠ وأبونعيم في«الحلية» ٧/ ٢٤٣ والمزي في«تهذيب الكمال» ٤/ ١٣٠ وابن المبارك في«الزهد» ١٥٩٩.

ورواه الحاكم في المستدرك ٤ : ٥٦٠ ، وقال : " حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي. وحسنه الترمذي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، و "القرن " ، البوق يتخذ من القرون ، ينفخ فيه.

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٢٣):ص٩/٢٩٢٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٢٥):ص٩/٢٩٢٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٢٦):ص٩/٢٩٢٩.

(٤)الرجز في«غريب القرآن» : ٢٦ بدوننسبة.

(٥) انظر: غريب القرآن:٢٦.

(٦)لم أعرف قائله، والبيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء:٣٤٠/١، وتفسير الطبري: ٤٦٣/١١، نسب قريش : ٣٤٥ ، المعرب للجواليقي : ٢٦٧ اللسان "صور".

(٧)انظر: تفسير البغوي:١٥٧/٣.

(٨) زاد المسير:٤٥/٢.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٦٢٤):ص٩/٢٩٢٩.

(١٠) انظر: مجاز القرآن:١٩٦/١.

(١١)ديوانه: ١٧، واللسان: ٦/ ٥٣،ومجاز القرآن: ٤،وتفسيرالطبري: ١/ ١٠٥،وتفسيرالقرطبي: ١/ ٦٥ والإتقا:ن ١/ ٨٩.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٢٤):ص٩/٢٩٢٩.

قال ثعلب: "الأجود أن يكون {الصور}: القرن، وظاهر القرآن يشهد أنه ينفخ في الصور مرتين"[٢].

وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصور قرن ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع. والثانية: نفخة الصعق. والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين»[٣].

قال ابن عباس: " يعني: بالصور : النفخة الأولى[٤] ، ألم تسمع أنه يقول : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى يعني الثانية فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [سورة الزمر : ٦٨]"[٥].

---

(١) غريب القرآن:٣٤.

(٢) زاد المسير:٢/٤٥.

(٣)هو بعض حديث الصور المطول. أخرجه الطبراني في «الطوال» ٣٦، وأبو الشيخ في «العظمة» ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠، والبيهقي في «البعث» ٦٦٨ و ٦٦٩، والطبري ٢/ ٣٣٠ و ٣٣١ و ١٧/ ١١٠ و ٢٤/ ٣٠ و ٦١ و ٣٠/ ٢٦ و ٣١ و ٣٢ وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» ٢٩٩١ من طرق عن إسماعيل بن رافع، وهو واه، فرواه تارة عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة وتارة عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة وتارة عن محمد بن يزيد ابن أبي زيادة عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة. وأيا كان فمداره على إسماعيل بن رافع، ولم يتابعه على هذا الحديث بطوله أحد، وهو واه. جاء في الميزان ٨٧٢: ضعفة أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر اهـ.

باختصار. وقد اضطرب فيه كما سبق. وقد نص الحفاظ على وهن هذا الحديث بطوله فقال الحافظ في «المطالب العالية» ٢٩٩١: فيه ضعف ا. هـ. وقال البوصيري، في ١/ ٢١: تابعيه مجهول. وجاء في الفتح ١١/ ٣٦٨- ٣٦٩ عقب حديث ٦٥١٨ ما ملخصه: وأخرجه عبد بن حميد وأبي يعلى في «الكبير» وعلي بن معبد في «الطاعة والمعصية» ومداره على إسماعيل بن رافع، واضطرب في سنده مع ضعفه، وأخرجه إسماعيل بن أبي زياد الشامي أحد الضعفاء في «تفسيره» عن محمد بن عجلان عن محمد القرظي واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث بإسماعيل بن رافع، وخفي عليه أن الشامي أضعف منه، ولعله سرقه من إسماعيل فلزقه بابن عجلان وقد قال الدارقطني: يضع الحديث. وقد قال الحافظ ابن كثير: جمعه إسماعيل بن رافع من عدة آثار فساقه كله مساقا واحدا ا. هـ. وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع القاضي أبو بكر بن العربي في «سراجه» وتبعه القرطبي في «التذكرة» وقول عبد الحق في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي اهـ كلام الحافظ، وتكلم عليه أيضا ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ٢/ ٢٢٣ و ٢٢٤.

وخلاصة القول: أنه حديث ضعيف بهذا التمام، وبعض ألفاظه في الصحيحين وغيرهما وبعضه في الكتاب المعتبرة وبعضه الآخر منكر لا يتابع عليه انظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٩٠.

(٤) يعني: نفخة الصعق.

(٥) أخرجه الطبري(١٣٤٣٣):١١/٤٦٤

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : «إن إسرافيلَ قد التقم الصور وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ»[١]، وأنه قال : «الصور قرن ينفخ فيه»[٢]"[٣].

قوله تعالى:{فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [النمل : ٨٧]، أي:" ففزع مَن في السموات ومَن في الأرض فزعًا شديدًا مِن هول النفخة، إلا مَنِ استثناه الله ممن أكرمه وحفظه من الفزع"[٤].

قال الواحدي:" المعنى: يبلغ منهم الفزع إلى أن يموتوا"[٥].

قال الطبري:" قيل: إن الذين استثناهم الله في هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذ الشهداء، وذلك أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وإن كانوا في عداد الموتى عند أهل الدنيا"[٦].

قال ابن فورك:" وقيل: {إلا من شاء الله}، أي: من الملائكة الذين ثبت الله قلوبهم"[٧].

قال الكلبي: "يعني: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت"[٨].

عن أبي هريرة، قال: "حدثنا رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه فقال: إن الله عز وجل لما فرغ من خلق السموات خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا بصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، فأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول له: انفخ نفخة الفزع، فينفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات والأرض إلا ما شاء الله، ويأمره فيمد بها ويطولها فلا يفتر وهي التي يقول الله عز وجل: وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال ف تمر مر السحاب، ثم يجعلها سرابا، وترج الأرض بأهلها رجا فتكون الأرض كالسفينة المرنقة في البحر أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح، فيميد الناس على ظهرها وهي التي يقول الله تبارك وتعالى: يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة «١» فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولي الناس مدبرين، ينادي بعضهم بعضا. وهي التي يقول الله تبارك وتعالى: يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم فبينا الناس على ذلك إذ انصدعت الأرض فانصدعت من قطر إلى قطر فرأوا أمرا عظيما لم يروا مثله، فأخذهم لذلك من الكرب والهول ما لله به عليم، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل انشقت من قطر، إلى قطر فخسف بشمسها وقمرها وانتثرت نجومها قال: رسول الله ﷺ: والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك"[٩].

عن أبي هريرة، قال: "حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه قال: إن الله عز وجل أمر إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول له انفخ نفخة الفزع، فينفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فقال: أبو هريرة: يا رسول الله فمن استثنى الله حين يقول:

---

(١)رواه الترمذي في باب " ما جاء في الصور " ، وفي أول تفسير سورة الزمر وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٣٣٧ ، ثم قال : " رواه مسلم في صحيحه " ، ولم أستطع أن أعرف مكانه في صحيح مسلم.

(٢) سبقق تخريجه انظر: القول الأول.

(٣) تفسير الطبري:٤٦٣/١١.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٥) التفسير الوسيط:٣٨٦/٣.

(٦) تفسير الطبري:٥٠٤/١٩.

(٧) تفسير ابن فورك:٣٢٥/١.

(٨) التفسير الوسيط للواحدي:٣٨٦/٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٧):ص٢٩٢٩/٩-٢٩٣٠.

{ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله}، فقال: أولئك الشهداء، فهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم، وأمنهم منه وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه. هو الذي يقول الله تبارك وتعالى: يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم. {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج : ٢]، ممكنون في البلاء إلا من شاء الله يطول ذلك عليهم، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق فيقول له: انفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم خمدوا جاء ملك الموت فقال: يا رب قد مات أهل السماء والأرض إلا من شئت. فيقول الله تبارك وتعالى: فمن بقي؟ وهو أعلم، فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقي حملة عرشك، وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا. فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل. فيتكلم العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل فيقول الله عز وجل له: اسكت إني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي، فيموتان فيأتي ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله عز وجل له وهو أعلم من بقي؟ فيقول: بقيت أنت يا رب الحي الذي لا يموت، وبقي حملة عرشك، وبقيت أنا فيقول الله عز وجل، ليمت حملة عرشي. فيموتون، ويأمر الله العرش فيقبل الصور من إسرافيل، ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك، فيقول الله له وهو أعلم: من بقي؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقيت أنا. فيقول الله عز وجل: يا ملك الموت أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت ثم لا تحي فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد الصمد ليس بوالد ولا ولد كان آخر ما كان أولا، قال الله تبارك وتعالى: لا موت على أهل الجنة، ولا موت على أهل النار، ثم طوى الله السموات والأرض كطي السجل للكتب ثم دحا بهما ثم تلقفهما، ثم قال: أنا الجبار، ثم دحا بهما ثم تلقفهما ثم قال: أنا الجبار، ثم دحا بهما، ثم تلقفهما ثم قال: أنا الجبار. ثم هتف بصوته فقال: لمن الملك اليوم؟ ثم قال: لمن الملك اليوم؟ ثم قال: لمن الملك اليوم؟ ثم قال لنفسه لله الواحد القهار ثم بدل الأرض غير الأرض والسموات فبسطها وسطحها ومدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا"[١].

قوله تعالى:{وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ} [النمل : ٨٧]، أي:" وكل المخلوقات يأتون إلى ربهم صاغرين مطيعين"[٢].

قال مقاتل:" يعني: وكل البر والفاجر أتوه في الآخرة صاغرين"[٣].

قال الواحدي:" أي: من الأحياء الذي ماتوا، ثم أحيوا، يأتون الله يوم القيامة صاغرين"[٤].

قال أبو عبيدة:" أي: صاغرين خاضعين"[٥].

قال الطبري:" يقول: وكل أتوه صاغرين"[٦].

قال ابن كثير:" أي : صاغرين مطيعين ، لا يتخلف أحد عن أمره ، كما قال تعالى : { يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ } [الإسراء : ٥٢] ، وقال { ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ } [الروم : ٢٥]. وفي حديث الصور : أنه في النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح ، فتوضع في ثقب في الصور ، ثم ينفخ إسرافيل فيه بعدما تنبت الأجساد في قبورها وأماكنها ، فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح ، تتوهج أرواح المؤمنين نورًا ، وأرواح الكافرين ظُلمة ،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٨):ص٩/٢٩٣٠-٢٩٣١.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١٨.

(٤) التفسير الوسيط:٣/٣٨٦-٣٨٧.

(٥) مجاز القرآن:٢/٩٦.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٥٠٤.

فيقول الله ، عز وجل : وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها. فتجيء الأرواح إلى أجسادها ، فتدب فيها كما يَدب السم في اللديغ ، ثم يقومون فينفضون التراب من قبورهم ، قال الله تعالى : { يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ } [المعارج : ٤٣]"[١].

عن ابن عباس، قوله: "{وكل أتوه داخرين}، يقول: صاغرين"[٢]. وروي عن الحسن وقتادة والثوري مثل ذلك[٣].

قال ابن زيد:" الداخر، الصاغر الراهب لأن المرء يفزع إذا فزع إنما همته الهرب من الأمر الذي فزع منه، فلما نفخ في الصور فزعوا فلم يكن لهم من الله منجى"[٤].

عن أبي هريرة رضي الله، عنه أنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو في طائفة من أصحابه قال: ثم بدل الأرض غير الأرض والسموات فبسطها وسطحها، ومدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم هتف بصوته فقال: ألا من كان لي شريكا فليأت ألا من كان لي شريكا فليأت ألا من كان لي شريكا فليأت، فلا يأتيه أحد، ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش يقال له: الحيوان فقطر السماء عليكم أربعين يوما، حتى يكون الماء فوقكم ثنتي عشر ذراعا، ويأمر الله تبارك وتعالى الأجساد أن تنبت فتنبت نبات الطراثيث وكنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادكم فكانت كما كانت قال الله تبارك وتعالى: ليحي حملة عرشي فيحيون، ويأمر الله إسرافيل فيقبض الصور من العرش، ثم يقول الله ليحي جبريل وميكائيل فيجيبان، ثم يأمر الله تبارك وتعالى الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا والآخرين ظلمة، فيقبضها الله جميعا فيلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول الجبار: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح على الأجساد في الأرض، ثم تدخل في الخياشيم، ثم تمشي في الأجساد، تمشي السم في اللديغ، ثم تشقق الأرض، عنكم وأنا أول من تنشق، عنه الأرض، فتخرجون منها شبابا كلكم على سن ثلاثين، واللسان يومئذ سرياني، وذلك يوم الخروج وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا تخرجون سراعا إلى ربكم تمشون مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر حفاة عراة غلفا غرلا، ثم توقفون موقفا واحدا مقدار سبعين عاما لا ينظر إليكم ولا يقضي بينكم، فتبكون حتى ينقطع الدمع، فتدمعون دما، وتعرقون حتى يبلغ العرق منكم الأذقان، ويلجمكم العرق فيصيح من يصيح ويقولون: من يشفع لنا إلى ربنا، فيقضي بيننا "[٥].

وقرأ عبد الله بن مسعود:"«وكل أتوه داخرين»، ممدودة مضمومة التاء، على معنى: جاءوه"[٦].

وقرأ عاصم: «وكل آتوه» مقصورة مفتوحة التاء، على معنى: فاعلوه[٧].

القرآن

---

(١) تفسير ابن كثير:٢١٦/٦-٢١٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٣٢):ص٢٩٣٢/٩.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٩٣٢/٩. بدون سند

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٣٣):ص٢٩٣٣/٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٢٩):ص٢٩٣١/٩-٢٩٣٢.

(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٦٣٠):ص٢٩٣٢/٩، والسبعة في القراءات:٤٨٧.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٦٣١):ص٢٩٣٢/٩، والسبعة في القراءات:٤٨٧.

{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)} [النمل : ٨٨]

التفسير:

وترى الجبال تظنها واقفة مستقرة، وهي تسير سيرًا حثيثًا كسير السحاب الذي تسيِّره الرياح، وهذا مِن صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه وأتقنه. إن الله خبير بما تفعلون أيها الناس من خير وشر، وسيجازيهم على ذلك.

قوله تعالى:{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النمل : ٨٨]، أي:" وترى الجبال تظنها واقفة مستقرة، وهي تسير سيرًا حثيثًا كسير السحاب الذي تسيِّره الرياح"(١).

قال ابن قتيبة:أي:" أنها تجمع وتسيّر، فهي لكثرتها كأنها جامدة واقفة في رأي العين، وهي تسير سير السحاب، وكل جيش غصّ الفضاء به، لكثرته، وبعد ما بين أطرافه، فقصر عنه البصر- فكأنه في حسبان الناظر واقف وهو يسير، وإلى هذا المعنى ذهب الجعديّ في وصف جيش فقال(٢):

بأرعن مثل الطّود تحسب أنهم ... وقوف لحاج والرّكاب تهملج"(٣).

قال مقاتل:" يعني: تحسبها مكانها، {وهي تمر مر السحاب} فتستوي في الأرض"(٤).

قال الطبري:" وإنما قيل: {وهي تمر مر السحاب}، لأنها تجمع ثم تسير، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة"(٥).

قال قتادة:" أي: تحسبها ثابتة في أصولها لا تحرك، وهي تمر مر السحاب"(٦).

عن ابن عباس، قوله: "{وترى الجبال تحسبها جامدة}، يقول: قائمة"(٧).

عن أبي هريرة أنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: "يسير الله الجبال فتمر مر السحاب، ثم يجعلها سرابا، وترج الأرض بأهلها رجا، فتكون الأرض كالسفينة المرنقة في البحر، أو كالقنديل المعلق بالعرش"(٨).

قال الزمخشري:" {جامدة}: من: جمد في مكانه، إذا لم يبرح. تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب، فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفه ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٢)ديوانه ص ١٨٧، ولسان العرب (صرد) ، وتاج العروس (صرد) والمعاني الكبير ص ٨٩١.

والأرعن: يريد به الجيش العظيم، شبهه بالجبل الضخم ذي الرعان، وهي الفضول، كرعان الجبال. والرعن الأنف العظيم من الجبل تراه متقدما. وقيل الأرعن: هو المضطرب لكثرته. والطود: الجبل العظيم والحاج: جمع حاجة، وتهملج: تمشى الهملجة، والهملجة: سير حسن في سرعة، والبيت شاهد على أن الشيء الضخم تراه وهو يتحرك، فتحسبه ساكنا، مع أنه مسرع في سيره جدا، وذلك كسير الجيش، وكسير السفينة في البحر، يحسبها الناظر إليها وهي مجدة في سيرها، كأنها واقفة. وذلك هو شأن الجبال عند القيامة: تراها كأنها جامدة، وهي تسير مسرعة كالسحاب.

(٣) تاويل مشكل القرآن:١٢-١٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣١٨.

(٥) تفسير الطبري:١٩/٥٠٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٣٥):ص٩/٢٩٣٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٣٤):ص٩/٢٩٣٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٣٦):ص٩/٢٩٣٣.

قوله تعالى:{صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} [النمل : ٨٨]، أي:" وهذا مِن صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه وأتقنه"[٢].

قال الثعلبي:" {صنع الله} نصب على المصدر، وقيل: على الإغراء، أي: اعلموا وأبصروا الذي أحكم كل شيء"[٣].

قال الزمخشري:" {صنع الله}، من المصادر المؤكدة، كقوله: {وَعْدَ الله}. و{صبغة الله}، إلا أن مؤكدة محذوف، وهو الناصب لـ«يوم ينفخ»، والمعنى: ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين، ثم قال: {صنع الله}، يريد به: الإثابة والمعاقبة، وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب، حيث قال: {صنع الله الذي أتقن كل شيء}، يعنى: أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب: من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها، وإجرائه لها على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه، فيكافئهم على حسب ذلك، لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة إلى آخر الآيتين، فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغا واحدا ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق[٤]،ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام، جاء كالشاهد بصحته والمنادى على سداده، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان، ألا ترى إلى قوله: {صنع الله}، و{صبغة الله}، و{وعد الله}، و{فطرت الله}: بعد ما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم، كيف تلاها بقوله: {الذي أتقن كل شيء}، و{من أحسن من الله صبغة}، {لا يخلف الله الميعاد} {لا تبديل لخلق الله}"[٥].

قال الطبري: "{أتقن كل شيء}: أوثق خلقه"[٦].

عن ابن عباس، "{أتقن كل شيء}، يقول: أحكم كل شيء"[٧]. وروي عن الحسن وعطاء الخراساني والثوري مثل ذلك[٨].

وقال ابن عباس:" أحسن كل شيء خلقه وأوثقه"[٩].

وروي عن قتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، أنهم قالوا: "أحسن كل شيء"[١٠].

عن مجاهد، قوله: "{أتقن كل شيء}، قال: أحصى كل شيء"[١١].

وفي رواية عن مجاهد: قال: "أترص كل شيء"[١٢].

وقال مجاهد:" أبرم كل شيء"[١٣].

---

(١) الكشاف:٣/٣٨٧.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٤.

(٣) الكشف والبيان:٧/٢٢٩-٢٣٠.

(٤)في الصحاح «شقشق الفحل شقشقة» : هدر. وإذا قالوا للخطيب: ذو شقشقة، فإنما يشبه بالفحل.

(٥) الكشاف:٣/٣٨٧-٣٨٨.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٥٠٦.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٣٧):ص٩/٢٩٣٣.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٩/٢٩٣٣. بدون سند.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٤١):ص٩/٢٩٣٤.

(١٠) تفسير ابن ابي حاتم:٩/٢٩٣٤. بدون سند.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٣٨):ص٩/٢٩٣٣.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٣٩):ص٩/٢٩٣٣.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٤٠):ص٩/٢٩٣٤.

وقال الحسن:" هدى كل شيء لمنفعته"[1].
قال الواحدي:" معنى: «الإتقان» -في اللغة-: الإحكام للأشياء"[2].
قوله تعالى:{إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} [النمل : ٨٨]، أي:" الله خبير بما تفعلون أيها الناس من خير وشر، وسيجازيهم على ذلك"[3].
قال الواحدي:" بما يفعل أعداؤه من المعصية والكفر، وبما يفعل أولياؤه من الطاعة، ومن قرأ بالتاء، فهو خطاب للكافة"[4].

القرآن
{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩)} [النمل : ٨٩]
التفسير:
من جاء بتوحيد الله والإيمان به وعبادته وحده، والأعمال الصالحة يوم القيامة، فله عند الله من الأجر العظيم ما هو خير منها وأفضل، وهو الجنة، وهم يوم الفزع الأكبر آمنون.
قوله تعالى:{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا} [النمل : ٨٩]، أي:" من جاء بتوحيد الله والإيمان به وعبادته وحده، والأعمال الصالحة يوم القيامة، فله عند الله من الأجر العظيم ما هو خير منها وأفضل، وهو الجنة"[5].
قال الطبري: يقول:" {من جاء} الله بتوحيده والإيمان به، وقول لا إله إلا الله موقنا به قلبه {فله} من هذه الحسنة عند الله {خير} يوم القيامة، وذلك الخير أن يثيبه الله (منها) الجنة"[6].
قال السعدي: " ثم بين كيفية جزائه فقال: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ} اسم جنس يشمل كل حسنة قولية أو فعلية أو قلبية {فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا} هذا أقل التفضيل"[7].
قال مقاتل:" يعني: بلا إله إلا الله، {فله خير منها}، فيها تقديم، يقول: له منها خير"[8].
قال الواحدي:يعني:" بكلمة الإخلاص شهادة أن لا إله إلا الله، والمعنى: من وافى يوم القيامة بالإيمان، له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والنجاة من العذاب"[9].
عن أبي ذر قال: قلت: "يا رسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال: هي من أحسن الحسنات"[10].
عن عبد الله، قوله: "{من جاء بالحسنة}، قال: لا إله إلا الله"[11]. وروي عن ابن عباس وأبي هريرة وعلي بن الحسين وسعيد بن جبير والحسن وعطاء ومجاهد وأبي صالح ومحمد بن كعب والنخعي والضحاك والزهري وعكرمة وزيد بن أسلم وقتادة نحو ذلك[12].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٤٢):ص٢٩٣٤/٩.
(٢) التفسير الوسيط:٣٨٧/٤.
(٣) التفسير الميسر:٣٨٤.
(٤) التفسير الوسيط:٣٨٧/٤.
(٥) التفسير الميسر:٣٨٥.
(٦) تفسير الطبري:٥٠٧/١٩.
(٧) تفسير السعدي:٦١٠.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٨/٣.
(٩) التفسير الوسيط:٣٨٧/٤.
(١٠)أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٤٣):ص٢٩٣٤/٩ .
(١١)أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٤٤):ص٢٩٣٤/٩ .
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٢٩٣٤/٩. بدون سند، وانظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١٩ وما بعدها.

عن زرعة ابن إبراهيم، قوله:"{من جاء بالحسنة فله خير منها}، لا إله إلا الله خير، ليس شيء خيرا من لا إله إلا الله"[1]. وروي عن عكرمة نحو ذلك[2].

عن ابن زيد، قوله: "{من جاء بالحسنة فله خير منها}، قال: أعطاه الله بالواحدة عشرا، فهذا خير منها"[3].

عن ابن عباس، قوله: "{فله خير منها}، قال: خير ثواب"[4].

قال الزمخشري:" {فله خير منها}، يريد الإضعاف وأن العمل يتقضى والثواب يدوم، وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد. وقيل: فله خير منها، أى: له خير حاصل من جهتها وهو الجنة"[5].

قال البيضاوي: {فله خير منها} " إذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة، وقيل خير منها أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة"[6].

قوله تعالى:{وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} [النمل : ٨٩]، أي:" وهم يوم الفزع الأكبر آمنون"[7].

قال الطبري: أي:" ويؤمنه {من فزع} الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور"[8].

قال السعدي: " أي: من الأمر الذي فزع الخلق لأجله آمنون وإن كانوا يفزعون معهم"[9].

عن أبي هريرة، قال: "حدثنا رسول الله ﷺ قال: الشهداء هم أحياء، عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك وآمنهم منه"[10].

وقال الكلبي: "إذا أطبقت النار على أهلها، فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها، وأهل الجنة آمنون من ذلك الفزع"[11].

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما الفرق بين الفزعين؟

قلت: الفزع الأول: هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ، من رعب وهيبة، وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به، كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وإن كانت ساعة إعزاز وتكرمة وإحسان وتولية.

وأما الثاني: فالخوف من العذاب"[12].

وقرئ:«من فزع يومئذ»، بتنوين «فزع»[13]، ويحتمل معنيين[14]:

---

(١)أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٤٧):ص٩/٢٩٣٥ .

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٩/٢٩٣٥. بدون سند.

(٣)أخرجه الطبري:١٩/٥٠٩ .

(٤)أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٤٥):ص٩/٢٩٣٤ .

(٥) الكشاف:٣/٣٨٨.

(٦) تفسير البيضاوي:٤/١٦٩.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٨) تفسير الطبري:١٩/٥٠٧.

(٩) تفسير السعدي:٦١٠.

(١٠)أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٤٨):ص٩/٢٩٣٥ .

(١١) التفسير الوسيط للواحدي:٣/٣٨٧.

(١٢) الكشاف:٣/٣٨٨.

(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥١٠.

(١٤) انظر: الكشاف:٣/٣٨٨.

أحدهما: من فزع واحد وهو خوف العقاب، وأما ما يلحق الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم، فلا يخلون منه، لأن البشرية تقتضي ذلك، وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه.
والثاني: ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف: وهو خوف النار.

القرآن
{وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)} [النمل : ٩٠]
التفسير:
ومن جاء بالشرك والأعمال السيئة المنكرة، فجزاؤهم أن يكبَّهم الله على وجوههم في النار يوم القيامة، ويقال لهم توبيخًا: هل تجزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا؟
قوله تعالى:{وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ} [النمل : ٩٠]، أي:" ومن جاء بالشرك والأعمال السيئة المنكرة، فجزاؤهم أن يكبَّهم الله على وجوههم في النار يوم القيامة"(١).
القيامة"(١).
قال الطبري: يقول: ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه، وجحود وحدانيته {فكبت وجوههم} في نار جهنم"(٢).
قال ابن كثير:" أي : مَنْ لقي الله مسيئًا لا حسنة له ، أو : قد رجحت سيئاته على حسناته ، كل بحسبه"(٣).
قال الزمخشري:" يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة، فكأنه قيل: فكبوا في النار، كقوله تعالى:{فكبكبوا فيها}، ويجوز أن يكون ذكر الوجوه إيذانا بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين"(٤).
عن أبي هريرة، قوله: "{ومن جاء بالسيئة}، قال: الشرك"(٥).
عن ابن عباس، قوله: "{ومن جاء بالسيئة}، قال: بالشرك"(٦). وروي عن عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وأبي وائل وعطاء والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة والنخعي وأبي صالح والزهري وزيد بن أسلم ومحمد بن كعب القرظي والسدي وقتادة والضحاك مثله(٧).
قال السعدي: " {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ} اسم جنس يشمل كل سيئة {فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ} أي: ألقوا في النار على وجوههم"(٨).
عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "إن عبدا في جهنم ينادي ألف سنة: يا حنان يا منان، فيقول الله تبارك وتعالى: يا جبريل اذهب فأتني بعبدي هذا، فيذهب فيجد أهل النار منكبين على وجوههم يبكون، فيرجع إلى ربه فيخبره، فيقول: اذهب فأتني بعبدي، فيقول: هو في موضع كذا وكذا، فيذهب فيجيء به، فيوقف بين يدي الله تعالى، فيقول: عبدي كيف ومكانك،

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٥.
(٢) تفسير الطبري:٥٠٧/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:٢١٧/٦.
(٤) الكشاف:٣٨٨/٣.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٤٩):ص٢٩٣٥/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٥٠):ص٢٩٣٥/٩.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٩٣٥/٩. بدون سند.
(٨) تفسير السعدي:٦١٠.

وكيف وجدت مقيلك؟ فيقول: يا رب شر مقيل وشر مكان. فيقول ردوا عبدي. فيقول: يا رب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تعيدني إليها، فيقول: دعوا عبدي"(١).

وروي عن صفوان بن عسال المرادي، قال: قال رسول الله، ﷺ: " إذا كان يوم القيامة جاء الإيمان والشرك يجتمعان بين يدي الرب، عز وجل، فيقول الله للإيمان: انطلق أنت وأهلك إلى الجنة، ويقول للشرك: انطلق أنت وأهلك إلى النار، قال: ثم قرأ رسول الله، ﷺ: " {من جاء بالحسنة فله خير منها} يعني: قوله: لا إله إلا الله، {ومن جاء بالسيئة} يعني: الشرك، {فكبت وجوههم في النار}"(٢).

قال السمعاني:" فإن أكثر المفسرين على أن المراد من «الحسنة»: الإيمان، ومن «السيئة»: الشرك"(٣).

قوله تعالى:{هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النمل : ٩٠]، أي:" ويقال لهم توبيخًا: هل تجزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا؟"(٤).

قال الطبري:" يقال لهم: هل تجزون أيها المشركون إلا ما كنتم تعملون، إذ كبكم الله لوجوهكم في النار، وإلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم؛ وترك "يقال لهم"اكتفاء بدلالة الكلام عليه"(٥).

قال الزمخشري:" {هل تجزون}، يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب بإضمار القول"(٦).

فوائد الآيات:[٨٧-٩٠]:

١- تقرير عقيد البعث والجزاء بذكر أحداثها مفصلة.

٢- بيان كيفية خراب العوالم وفناء الأكوان.

٣- فضل الشهداء حيث لا يحزنهم الفزع الأكبر وهم آمنون.

٤- تقرير مبدأ الجزاء وهو الحسنة والسيئة، حسنة التوحيد وسيئة الشرك.

القرآن

{إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٩٢)} [النمل : ٩١-٩٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للناس: إنما أُمرت أن أعبد رب هذه البلدة، وهي «مكة» ، الذي حَرَّمها على خلقه أن يسفكوا فيها دمًا حرامًا، أو يظلموا فيها أحدًا، أو يصيدوا صيدها، أو يقطعوا شجرها، وله سبحانه كل شيء، وأُمرت أن أعبده وحده دون مَن سواه، وأُمرت أن أكون من المنقادين لأمره، المبادرين لطاعته، وأن أتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بما فيه واتبع ما جئت به، فإنما خير ذلك وجزاؤه لنفسه، ومن ضلَّ عن الحق فقل -أيها الرسول-: إنما أنا نذير لكم من عذاب الله وعقابه إن لم تؤمنوا، فأنا واحد من الرسل الذين أنذروا قومهم، وليس بيدي من الهداية شيء.

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٥١):ص٩/٢٩٣٥-٢٩٣٦.

(٢) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط(٦٩٤):ص٣/٣٨٧. قال السمعامي:١١٩/٤:" الخبر غريب".

(٣) تفسير السمعاني:١١٩/٤.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٥) تفسير الطبري:٥١٠/١٩.

(٦) الكشاف:٣٨٨/٣.

قوله تعالى:{إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا} [النمل : ٩١]، أي:" قل - أيها الرسول- للناس: إنما أُمرت أن أعبد رب هذه البلدة، وهي «مكة» ، الذي حَرَّمها على خلقه أن يسفكوا فيها دمًا حرامًا، أو يظلموا فيها أحدًا، أو يصيدوا صيدها، أو يقطعوا شجرها"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد قل {إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة} وهي مكة {الذي حرمها} على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما، أو يظلموا فيها أحدا، أو يصاد صيدها، أو يختلى خلاها دون الأوثان التي تعبدونها أيها المشركون.

وإنما قال جل ثناؤه: {رب هذه البلدة الذي حرمها} فخصها بالذكر دون سائر البلدان، وهو رب البلاد كلها، لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله ﷺ، الذين هم أهل مكة، بذلك نعمته عليهم، وإحسانه إليهم، وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرم بلدهم، فمنع الناس منهم، وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا، لا من لم تجر له عليهم نعمة، ولا يقدر لهم على نفع ولا ضر"[٢].

قال الزمخشري:" أمر رسوله بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة، ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش.. والبلدة: مكة حرسها الله تعالى: اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها، لأنها أحب بلاده إليه، وأكرمها عليه، وأعظمها عنده. وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره، فلما بلغ الحزورة[٣] استقبلها بوجهه الكريم فقال: «إنى أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله. ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت»[٤] وأشار إليها إشارة تعظيم لها لها وتقريب، دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه. ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها، فأجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو، ووصفها بأنها محرمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها. واللاجئ إليها آمن. وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما. وفي ذلك إشارة إلى أن ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٢) تفسير الطبري:١٩/٥١٠-٥١١.

(٣)هي تل صغير كما في الصحاح.

قال عبد الرزاق: "الحزورة: عند باب الحناطين".[جامع المسانيد والسنن:٥/٣٥٥]

(٤)من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهرى فى المسند(١٨٧١٧)٤/١٣.

عن أبى هريرة. قال: وقف النبى – صلى الله عليه وسلم – على الحزورة، فقال: «علمت أنك خير أرض الله، وأحب الأرض إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت».

وأخرجه البيهقي في "الدلائل" ٢/٥١٨، وأخرجه أبو يعلى (٥٩٥٤) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٣١٤٦) و (٤٧٩٥) و (٤٧٩٦) ، وفي "شرح المعاني" ٢/٢٦١، ٣/٣٢٨ من طريق محمد ابن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة مرفوعا، وعندهم زيادة: لفظها عند أبي يعلى: "وإنها لم تحل لأحد كان قبلي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ثم هي من ساعتي هذه حرام، لا يعضد شجرها، ولا يحتش خلاها، ولا يلتقط إلا لمنشد".

وقال أبو زرعة وأبو حاتم في "العلل" ١/٢٨٠: هذا خطأ، وهم فيه محمد ابن عمرو، ورواه الزهري، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن عدي بن الحمراء، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الصحيح.

وبنحو الزيادة في رواية محمد بن عمرو بإسناد صحيح من مسند أبي هريرة برقم (٧٢٤٢).

إليها كل شيء: اللهم بارك لنا في سكناها، وآمنا فيها شر كل ذى شر، ولا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار"[١].

قال ابن كثير:" إضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها ، كما قال : { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } [قريش : ٣ ، ٤]، وقوله : { الَّذِي حَرَّمَهَا } أي : الذي إنما صارت حراماً قدرًا وشرعًا ، بتحريمه لها ، كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : "إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يُعضَد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لُقَطَتُه إلا لِمَنْ عرفها ، ولا يختلى خلاها" الحديث بتمامه. وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من طرق جماعة تفيد القطع[٢]، كما هو مبين في موضعه من كتاب الأحكام ، ولله الحمد"[٣].

عن ابن عباس، "{أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها}، يعني: مكة"[٤]. وروي عن قتادة مثله[٥].

وقال أبو العالية:" إنها منى"[٦].

قوله تعالى:{وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ} [النمل : ٩١]، أي:" وله سبحانه كل شيء"[٧].

قال الطبري:" يقول: ولرب هذه البلدة الأشياء كلها ملكا. فإياه أمرت أن أعبد، لا من لا يملك شيئا"[٨].

قال ابن كثير:" قوله : { وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ } : من باب عطف العام على الخاص ، أي : هو رب هذه البلدة ، ورب كل شيء ومليكه"[٩].

عن عبد الله بن عباس، قال: "قال جبريل عليه السلام: يا محمد لله الخلق كله السموات كلهن ومن فيهن، والأرضون كلهن ومن فيهن، وما بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[١٠].

قوله تعالى:{وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [النمل : ٩١]، أي:" وأُمرت أن أكون من المنقادين لأمره، المبادرين لطاعته"[١١].

قال الطبري:" يقول: وأمرني ربي أن أسلم وجهي له حنيفا، فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله إبراهيم وجدكم أيها المشركون، لا من خالف دين جده المحق، ودان دين إبليس عدو الله"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له"[١].

---

(١) الكشاف:٣٨٨/٣.

(٢)صحيح البخاري برقم (١٨٣٤) وصحيح مسلم برقم (١٣٥٣) وسنن أبي داود برقم (٢٠١٨) وسنن الترمذي برقم (١٥٩٠) وسنن النسائي (٢٠٣/٥) والمسند (٢٥٩/١).

(٣) تفسير ابن كثير:٢١٧/٦-٢١٨.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٥٢):ص٢٩٣٦/٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٥٣):ص٢٩٣٦/٩.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٨) تفسير الطبري:٥١١/١٩.

(٩) تفسير ابن كثير:٢١٨/٦.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٥٤):ص٢٩٣٦/٩.

(١١) التفسير الميسر:٣٨٥.

(١٢) تفسير الطبري:٥١١/١٩.

قال الزمخشري:أي:" وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام"(٢).
عن ابن عباس، قوله: "{المسلمين}، يقول: موحدين"(٣).
قوله تعالى:{وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ} [النمل : ٩٢]، أي:" وأمرت أن أتلو القرآن على الناس"(٤).
قال القرطبي:" أي وأمرت أن أتلو القرآن، أي: أقرأه"(٥).
قال الواحدي:" {وأن أتلو القرءان} عليكم يا أهل مكة، يريد تلاوة الدعوة إلى الإيمان"(٦).
قال ابن كثير:" أي : على الناس أبلغهم إياه ، كقوله : { ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ } [آل عمران : ٥٨] ، وكقوله : { نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [القصص : ٣] أي : أنا مبلغ ومنذر"(٧).
قال السعدي: " {و} أمرت أيضا {أن أَتْلُوَ} عليكم {الْقُرْآنُ} لتهتدوا به وتقتدوا وتعلموا ألفاظه ومعانيه فهذا الذي علي وقد أديته"(٨).
قال الزمخشري:" {وأن أتلوا القرآن}، من: التلاوة أو التلو، كقوله: {واتبع ما يوحى إليك}"(٩).
قوله تعالى:{فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ} [النمل : ٩٢]، أي:" فمن اهتدى بما فيه واتبع ما جئت به، فإنما خير ذلك وجزاؤه لنفسه"(١٠).
قال الطبري:" يقول: فمن تبعني وآمن بي وبما جئت به، فسلك طريق الرشاد، فإنما يسلك سبيل الصواب باتباعه إياي، وإيمانه بي، وبما جئت به لنفسه، لأنه بإيمانه بي، وبما جئت به يأمن نقمته في الدنيا وعذابه في الآخرة"(١١).
قال الزمخشري:" {فمن اهتدى} باتباعه إياى فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفى الأنداد عنه، والدخول في الملة الحنيفية، واتباع ما أنزل على من الوحى، فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إليّ"(١٢).
قال الواحدي:أي:" له ثواب اهتدائه"(١٣).
قوله تعالى:{وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [النمل : ٩٢]، أي:" ومن ضلَّ عن الحق فقل -أيها الرسول-: إنما أنا نذير لكم من عذاب الله وعقابه إن لم تؤمنوا، فأنا واحد من الرسل الذين أنذروا قومهم، وليس بيدي من الهداية شيء"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:٢١٨/٦.
(٢) الكشاف:٣٨٨/٣.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٥٥):ص٢٩٣٦/٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٨٥.
(٥) تفسير القرطبي:٢٤٦/١٣.
(٦) التفسير الوسط:٣٨٨/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٢١٨/٦.
(٨) تفسير السعدي:٦١١.
(٩) الكشاف:٣٨٨/٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣٨٥.
(١١) تفسير الطبري:٥١١/١٩.
(١٢) الكشاف:٣٨٩/٣.
(١٣) التفسير الوسط:٣٨٨/٣.

قال الواحدي:أي:" ومن ضل عن الإيمان بالقرآن، وأخطأ طريق الهدى، {فقل إنما أنا من المنذرين}: من المخوفين، فليس علي إلا البلاغ، وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال"(٢).

قال الزمخشري:" {ومن ضل} ولم يتبعني فلا على، وما أنا إلا رسول منذر، وما على الرسول إلا البلاغ"(٣).

قال الطبري:" يقول: ومن جار عن قصد السبيل بتكذيبه بي وبما جئت به من عند الله، فقل يا محمد لمن ضل عن قصد السبيل، وكذبك، ولم يصدق بما جئت به من عندي: إنما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله وسخطه على معصيتهم إياه، وقد أنذرتكم ذلك معشر كفار قريش، فإن قبلتم وانتهيتم عما يكرهه الله منكم من الشرك به، فحظوظ أنفسكم تصيبون، وإن رددتم وكذبتم فعلى أنفسكم جنيتم، وقد بلغتكم ما أمرت بإبلاغه إياكم، ونصحت لكم"(٤).

قال ابن كثير:" أي : لي سوية الرسل الذين أنذروا قومهم ، وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم ، وخَلَصُوا من عهدتهم ، وحساب أممهم على الله ، كقوله تعالى : { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } [الرعد : ٤٠] ، وقال : { إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } [هود : ١٢]"(٥).

قال السعدي: " وليس بيدي من الهداية شيء"(٦).

قال يحيى:" أي: ولا أستطيع أن أكرههم عليه"(٧).

قال القرطبي:" نسختها آيه القتال"(٨).

عن مقاتل بن حيان، قوله:"{ومن ضل}، يقول: أخطأ"(٩).

عن ابن عباس، قوله: "«منذر»، هو النبي ﷺ"(١٠).

وروي، عن علي بن أبي طالب وسعيد بن جبير ومجاهد وأبي صالح وعكرمة وأبي الضحى وأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين والسدي والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم "أن المنذر النبي ﷺ"(١١).

القرآن

{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)} [النمل : ٩٣]

التفسير:

وقل -أيها الرسول-: الثناء الجميل لله، سيريكم آياته في أنفسكم وفي السماء والأرض، فتعرفونها معرفة تدلكم على الحق، وتبيِّن لكم الباطل، وما ربك بغافل عما تعملون، وسيجازيكم على ذلك.

سبب النزول:

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٢) التفسير الوسط:٣٨٨/٣.

(٣) الكشاف:٣٨٩/٣-٣٩٠.

(٤) تفسير الطبري:٥١١/١٩.

(٥) تفسير ابن كثير:٢١٨/٦.

(٦) تفسير السعدي:٦١١.

(٧) تفسير يحيى بن سلام:٥٧٦/٢.

(٨) تفسير القرطبي:٢٤٦/١٣.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٥٦):ص٢٩٣٦/٩.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٥٧):ص٢٩٣٧/٩.

(١١) تفسير ابن ابي حاتم:٢٩٣٧/٩. بدون سند.

قال مقاتل:" وذلك أن النبي- ﷺ- أخبرهم بالعذاب أنه نازل بهم فكذبوه، فنزلت: {سيريكم آياته}، يعني: القتل ببدر إذا نزل بكم فلا تستعجلون"[١].

قوله تعالى:{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا} [النمل : ٩٣]، أي:" وقل -أيها الرسول-: الثناء الجميل لله، سيريكم آياته في أنفسكم وفي السماء والأرض، فتعرفونها معرفة تدلكم على الحق، وتبيّن لكم الباطل"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {قل} يا محمد لهؤلاء القائلين لك من مشركي قومك: {متى هذا الوعد إن كنتم صادقين} : {الحمد لله} على نعمته علينا بتوفيقه إيانا للحق الذي أنتم عنه عمون، سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه، فتعرفون بها حقيقة نصحي كان لكم، ويتبين صدق ما دعوتكم إليه من الرشاد"[٣].

قال القرطبي:"{ وقل الحمد لله}، أي: على نعمه وعلى ما هدانا، {سيريكم آياته}، أي في أنفسكم وفي غيركم كما قال: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ} [فصلت : ٥٣]، {فتعرفونها}، أي: دلائل قدرته ووحدانيته في أنفسكم وفي السماوات وفي الأرض، نظيره قوله تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ(٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات : ٢٠-٢١] "[٤].
"[٤].

قال ابن كثير:" أي : لله الحمد الذي لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، والإعذار إليه ؛ ولهذا قال : { سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا } كما قال تعالى : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } [فصلت : ٥٣]"[٥].

قال السمعاني:" {وقل الحمد لله} هو خطاب للنبي وسائر المؤمنين، {سيريكم آياته} أي: دلالاته، {فتعرفونها}، أي: تعرفون الدلالات"[٦].

قال الزجاج:" أي: سيريكم الله آياته في جميع ما خلق، وفي أنفسكم"[٧].

قال السعدي: " {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} الذي له الحمد في الأولى والآخرة ومن جميع الخلق، خصوصا أهل الاختصاص والصفوة من عباده، فإن الذي ينبغي أن يقع منهم من الحمد والثناء على ربهم أعظم مما يقع من غيرهم لرفعة درجاتهم وكمال قربهم منه وكثرة خيراته عليهم، {سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا} معرفة تدلكم على الحق والباطل، فلا بد أن يريكم من آياته ما تستنيرون به في الظلمات. {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ}"[٨].

عن مجاهد، قوله: "{سيريكم آياته فتعرفونها} في أنفسكم، وفي السماء وفي الأرض وفي الرزق"[٩].

وقال مقاتل:" يعني: العذاب في الدنيا {فتعرفونها} أنها حق"[١٠].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٩/٣.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٣) تفسير الطبري:٥١٢/١٩.

(٤) تفسير القرطبي:٢٤٦/١٣.

(٥) تفسير ابن كثير:٢١٨/٦-٢١٩.

(٦) تفسير السمعاني:١١٩/٤.

(٧) معاني القرآن:١٣٠/٤.

(٨) تفسير السعدي:٦١١.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٥٨):ص٢٩٣٧/٩.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٩/٣.

قال الزمخشري:" أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة، وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم إلى المعرفة، والإقرار بأنها آيات الله. وذلك حين لا تنفعهم المعرفة-يعنى: في الآخرة-.

وعن الحسن وعن الكلبي: الدخان، وانشقاق القمر. وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا. وقيل: هو كقوله: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِم} [فصلت : ٥٣] الآية"(١).

قوله تعالى:{وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [النمل : ٩٣]، أي:" وما ربك بغافل عما تعملون، وسيجازيكم على ذلك"(٢).

قال الطبري: يقول:" وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون، ولكن لهم أجل هم بالغوه، فإذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: فلا يحزنك تكذيبهم إياك، فإني من وراء إهلاكهم، وإني لهم بالمرصاد، فأيقن لنفسك بالنصر، ولعدوك بالذل والخزي"(٣).

قال الزمخشري:" وكل عمل يعملونه، فالله عالم به غير غافل عنه.. وهو من وراء جزاء العاملين"(٤).

قال ابن كثير:" أي : بل هو شهيد على كل شيء"(٥).

قال الواحدي:" وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم"(٦).

قال السعدي: " بل قد علم ما أنتم عليه من الأعمال والأحوال وعلم مقدار جزاء تلك الأعمال وسيحكم بينكم حكما تحمدونه عليه ولا يكون لكم حجة بوجه من الوجوه عليه"(٧).

قال مقاتل:" هذا وعيد فعذبهم الله- عز وجل- بالقتل وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجل الله بأرواحهم إلى النار"(٨).

عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس لا يغترن أحدكم بالله، فإن الله لو كان غافلا شيئا لأغفل البعوضة والخردلة والذرة"(٩).

قال عمر بن عبد العزيز: "فلو كان الله مغفلا عن شيء لأغفل الرياح من أثر قدمي ابن آدم"(١٠).

فوائد الآيات:[٩١-٩٣]:

١-بيان وظيفة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنها عبادة الله والإسلام له، وتلاوة القرآن إنذار أَو إعذاراً وتعليما وتعبداً به وتقرباً إلى منزله عز وجل.

٢- بيان وتقرير حرمة مكة المكرمة والحرم.

٣-الندب إلى حمد الله تعالى على نعمة الظاهرةوالباطنة ولا سيما عند تجدد النعمة وعند ذكرها.

٤-بيان أن عوائد الكسب عائد على الكاسب خيراً كانت أو شراً.

---

(١) الكشاف:٣٩٠/٣.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٣) تفسير الطبري:٥١٢/١٩.

(٤) الكشاف:٣٩٠/٣.

(٥) تفسير ابن كثير:٢١٩/٦.

(٦) التفسير الوسط:٣٨٨/٣.

(٧) تفسير السعدي:٦١١.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣١٩/٣.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٥٩):ص٢٩٣٧/٩.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٦٠):ص٢٩٣٧/٩.

٥- بيان معجزة القرآن الكريم إذ ما علم به المشركين أنهم سيرونها قد رأوه فعلاً وهو غيب، فظهر كما أخبر.

«آخر تفسير سورة (النمل)، والحمد لله وحده»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «القصص»

سورة «القصص»: هي السورة «الثامنة والعشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة التاسعة والأربعون في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة «النمل»[(١)]، وقبل سورة الإسراء.

قال ابن عاشور:" فكانت هذه الطواسين الثلاث متتابعة في النزول كما هو ترتيبها في المصحف، وهي متماثلة في افتتاح ثلاثتها بذكر موسى عليه السلام. ولعل ذلك الذي حمل كتاب المصحف على جعلها متلاحقة"[(٢)].

وعدد آياتها: ثمان وثمانون، وكلماتها: ألف وأربعمائة وواحدة. وحروفها: خمسة آلاف وثمانمائة، الآيات المختلف فيها اثنتان: {طسم} [القصص : ١]، {يَسْقُونَ } [القصص : ٢٣]. فواصل آياتها: «لم تر»[(٣)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة القصص»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة القصص»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وقد وردت هذه التسمية عن ابن عباس، وابن الزبير:

- عن ابن عباس قال: "نزلت سورة القصص بمكة"[(٤)].
- عن ابن الزبير قال: "أنزلت سورة القصص بمكة"[(٥)].

ولا يعرف لهذه السورة اسم آخ عيرهذا الاسم. والله أعلم.

- **وجه التسمية:**

سميت: «سورة القصص»؛ لاشتمالها عليها فى قوله: {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص : ٢٥] أى: قص موسى على شعيب[(٦)]،فهي السّورة الوحيدة التي انفردت بذكر موسى - عليه السلام - وسبب هجرته من مصر إلى مدين، وهو المذكور بعد تفصيله بقوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ}[القصص:٢٥].

وقال القاسمي: " سميت بدلالة قوله تعالى: {فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين}[القصص:٢٥] الدال على نجاة من هرب من مكان الأعداء إلى مكان الأنبياء، اعتباراً بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين، وهلاك الباقين بمكان الأعداء، من الهلاك"[(٧)].

قال ابن عاشور:" فالقصص الذي أضيفت إليه السورة هو قصص موسى الذي قصه على شعيب عليهما السلام فيما لقيه في مصر قبل خروجه منها. فلما حكي في السورة ما قصه موسى

---

(١) انظر: الكشاف:٣٩١/٣، والتحرير والتنوير:٦١/٢٠

(٢) التحرير والتنوير:٦١/٢٠.

(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٣.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى النحاس وابن الضريس وابن مردوية والبيهقي في في الدلائل.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى مردويه.

(٦)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٣.

(٧) محاسن التأويل: ٥١٣/٧.

كانت هاته السورة ذات قصص لحكاية قصص، فكان القصص متوغلا فيها، وجاء لفظ «القصص» في سورة يوسف، ولكن سورة يوسف نزلت بعد هذه السورة"(١).

قال محمود شلتوت:" فهي قصص موسى ـ عَلَيْه السَّلام ـ وهو في مصر مع المصريين، وليس قصصه مع فرعون وقومه، ولعل هذا القصص الخاص هنا هو الوجه في تسمية السّورة باسم «القصص»"(٢).

- **ثانيا:- اسماؤها الإجتهادية:**
- **الإسم الأول: «سورة طسم»:**

وهي تسمية للسورة بما افتتحت به، ولم يستند فيها إلى خبر صحيح عن رسول الله-ﷺ-، او الصحابة، وقد ذكره يحيى بن سلام(٣)، والسخاوي في جمال القراء(٤).

وقد روي عن عتبة بن الندر، قال: "كنا عند رسول الله ﷺ، فقرأ طسم، حتى إذا بلغ قصة موسى، قال: «إن موسى ﷺ أجر نفسه ثماني سنين، أو عشرا، على عفة فرجه، وطعام بطنه»(٥).[ضعيف جدا]

- **الإسم الثاني: «سورة موسى»:**

سماها بهذا الاسم: الجمل في " الفتوحات الإلهية"(٦)، والشربيني في "السراج المنير"(٧)، ومحمد صديق خان في فتح البيان(٨)، ومحمد بن عمر نووي الجاوي في مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد(٩)، وذلك دون نسبته إلى قائل.

والمشهور أن هذه التسمية من الأسماء الإجتهادية لسورة «طه»(١٠)، كما سياتي بيانه إن شاء الله.

---

(١) التحرير والتنوير:٦١/٢٠.

(٢)إلى القُرْآن الكَرِيم. محمود شلتوت. دار الهلال. (د. ت) : ص١١١.

(٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٥٩/١، ٥٧٧/٢.

(٤) انظر: جمال القراء: ٣٧/١. وانظر: مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير. جمع وتخريج أحمد أحمد أحمد البزرا، ومُحَمَّد بن برزق بن الطرهوني، وحكمت بشير ياسين. الطبعة الأولى. مكتبة المؤيد. السعودية. ١٤١٤ هـــ ــــ ١٩٩٤ م.: ٣ /٣٢٩.

(٥) أخرجه ابن ماجة في السنن(٢٤٤٤):ص٨١٧/٢.، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٤٠٨/٦، وزاد نسبته إلى البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه. ورواياته فيه«{طس}».

وضعفه البوصيري في الزوائد (٢٦٠/٢): لأن فيه بقية وهو مدلس. وليس لبقية هذا عند ابن ماجة سوى هذا الحديث.

وقال ابن كثير:٢٠٧/٦:" وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف، لأن مسلمة بن علي وهو الخشني الدمشقي البلاطي ضعيف الرواية عند الأئمة، ولكن قد روي من وجه آخر، وفيه نظر أيضا".

و[حكم الألباني]: ضعيف جدا

(٦) انظر: الفتوحات الإلهية بتوضيح تَفْسِير الجلالين للدقائق الخفية. للعَلاَّمَة الشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي المشهور بالجمل. المتوفى سنة ١٢٠٤ هــ. مطبعة الاستقامة. القاهرة. (د. ت) : ٣ /٣٣٣.

(٧) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:٧٩/٣.

(٨) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن:٨٥/١٠.

(٩) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: ١٨٧/٢.

(١٠) قال السيوطي، وسماها الهذلي في كامله: سورة موسى، انظر: الإتقان:١٩٩/١، وانظر: المبسوط في

قال ابن عادل الحنبلي:" ولقائل أن يقول: لم لا سميت: سورة موسى، لاشتمالها على قصة موسى فقط من حين ولد إلى أن أهلك الله فرعون وخسف بقارون، كما سميت: سورة نوح، وسورة يوسف لاشتمالها على قصتهما، ولا يقال: سميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله: {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} [القصص : ٢٥]، لأن سورة يوسف فيها ذكر القصص مرتين، الأولى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَص} [يوسف : ٣]، والثانية قوله: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ} [يوسف : ١١١]، فكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم، وأيضا فكانت سورة هود أولى بهذا الاسم، يعني: بسورة القصص؛ لأنه ذكر فيها قصص سبعة أنبياء وهذه ليس فيها إلا قصة واحدة، فكان ينبغي العكس، أن تسمى سورة هود سورة القصص، وهذه سورة موسى"(١).

وقال الشربيني:" وتسمى: سورة موسى عليه السلام لاشتمالها على قصّته فقط من حين ولد إلى أن أهلك الله تعالى فرعون وخُسف بقارون، كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتمالهما على قصتهما، ولا يقال سميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله تعالى: {فلما جاءه وقص عليه القصص} لأنّ سورة يوسف فيها ذكر القصص مرّتين الأولى: {نقص عليك أحسن القصص} والثانية: قوله تعالى: {لقد كان في قصصهم} فكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم، وأيضاً فكانت سورة هود أولى بهذا الاسم، لأنه ذكر فيها قصص سبعة أنبياء وهذه ليس فيها إلا قصة واحدة فكان ينبغي العكس وأن تسمى سورة هود القصص وهذه سورة موسى"(٢).

- **الإسم الثالث: «سورة موسى وفرعون»:**

وردت هذه التسمية في خبر عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:" إن رب العزة نادى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي ثم أنزلت هذه الآية في سورة موسى وفرعون {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا}(٣)"(٤).

وهذه التسمية من باب اشتمال السورة على قصة موسى مع فرعون. والله أعلم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس(٥)، وابن الزبير(٦)، والحسن(٧)، وعطاء(٨)، وعكرمة(٩).

قال الفيروزآبادي: " السورة مكية بالاتفاق"(١٠).

القراءات العشر:٢٩٢.

(١) اللباب في علوم الكتاب:٢١٢/١٥.

(٢)السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:٧٩/٣.

(٣)[القصص : ٤٦].

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤١٨/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى النحاس وابن الضريس وابن مردوية والبيهقي في الدلائل.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى مردويه.

(٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٧٤/٣.

(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٧٤/٣.

(٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٧٤/٣.

(١٠) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٣.

الثاني: أنها مكية كلها غير آية منها، وهي قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]، فإنها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة. وهذا قول ابن عباس أيضا[١].

الثالث: أنها مكية إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة؛ وهي قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} [القصص : ٥٢] إلى قوله: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} [القصص : ٥٥]، :" وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية قوله: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]، نزلت بالحجفة أثناء الهجرة. وهذا قول مقاتل[٢].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول جمهور التابعين، وفيها آية: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]. قيل: نزلت على النبيء ﷺ في الجحفة في طريقه إلى المدينة للهجرة تسلية له على مفارقة بلده. وهذا لا يناكد أنها مكية لأن المراد بالمكي ما نزل قبل حلول النبيء ﷺ بالمدينة كما أن المراد بالمدني ما نزل بعد ذلك ولو كان نزوله بمكة"[٣].

- **مناسبة سورة«القصص» مع سورة «النمل»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنه سبحانه بسط فى هذه السورة ما أوجز فى السورتين قبلها من قصص موسى عليه السلام وفصل ما أجمله هناك، فشرح تربية فرعون لموسى وذبح أبناء بنى إسرائيل الذي أوجب إلقاء موسى حين ولادته فى اليم خوفا عليه من الذبح، ثم ذكر قتله القبطي، ثم فراره إلى مدين وما وقع له مع شعيب من زواجه ببنته، ثم مناجاته لربه.

٢- إنه أجمل فى السورة السالفة توبيخ المشركين بالسؤال عن يوم القيامة وبسطه هنا أتم البسط.

٣- إنه فصل هناك أحوال بعض المهلكين من قوم صالح وقوم لوط، وأجمله هنا فى قوله: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [القصص : ٥٨]، الآيات.

٤- بسط هناك حال من جاء بالحسنة وحال من جاء بالسيئة، وأوجز ذلك هنا، وهكذا من المناسبات التي تظهر بالتأمل حين قراءة السورتين[٤].

وقال أبو حيان: "مناسبة أول هذه السورة لآخر السورة التي قبلها: أن الله سبحانه أمر نبيه -ﷺ - بحمده، ثم قال: {سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ} وكان مما فُسّر به آياته تعالى معجزات الرسول، وأنه أضافها تعالى إليه، إذ كان هو المخبر بها على قدمه فقال: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} إذ كان الكتاب هو أعظم المعجزات، وأكبر الآيات البينات"[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

يقوم كيان السورة على قصة موسى وفرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه - قوم موسى -في الختام.

أولا:- قصة موسى وفرعون :

١- في هذه القصة تعرض قوة الحكم والسلطان؛ قوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر، وفي مواجهتها موسى طفلاً رضيعاً، لا حول له ولا قوة، ولا ملجأ له ولا وقاية، وقد علا فرعون في الأرض، واتخذ أهلها شيعاً، واستضعف بني إسرائيل ، يذبح أبناءهم،

---

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٧٤/٣.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٣٤/٣.

(٣) التحرير والتنوير:٦١/٢٠.

(٤) انظر: تفسير المراغي:٣٠/٢٠.

(٥) البحر المحيط:٢٨٥/٨.

ويستحيي نساءهم، وهو على حذر منهم، وهو قابض على أعناقهم، كاتم على أنفاسهم، مراقب لحركاتهم، مُحْصٍ عليهم تحركاتهم، كشأن الطغاة في كل عصر ومصر.

بيد أن قوة فرعون وجبروته، وحذره ويقظته، لم تكن لتغني عنه من الله شيئاً، بل لم تكن لتمكن له من موسى الطفل الصغير، المجرد من كل قوة وحيلة؛ إذ هو في حراسة القوة الحقيقية الوحيدة، ترعاه عين العناية، وتدفع عنه السوء، وتعمي عنه العيون، وتتحدى به فرعون وجنده تحدياً سافراً، فتدفع به إلى حِجره، وتدخل به عليه عرينه، وتقتحم به عليه قلب امرأته، وهو مكتوف اليدين إزاءه، مكفوف الأذى عنه، يصنع بنفسه لنفسه ما يحذره ويخشاه!

٢- ذكر سبحانه في هذه السورة قصة موسى وفرعون؛ ليبين للناس أين يكون الأمن، وأين تكون المخافة، ويُعلمهم أن الأمن إنما يكون في جوار الله، ولو فُقدت كل أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس، وأن الخوف إنما يكون في البعد عن ذلك الجوار، ولو تظاهرت أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس! وساق لهم قصة قارون؛ لتقرر هذه الحقيقة في صورة أخرى وتؤكدها.

قال ابن عاشور:" ويقرب عندي أن يكون المسلمون ودوا أن تفصل لهم قصة رسالة موسى عليه السلام فكان المقصود انتفاعهم بما في تفاصيلها من معرفة نافعة لهم تنظيرا لحالهم وحال أعدائهم. فالمقصود ابتداء هم المسلمون ولذلك قال تعالى: {في أولها نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون} [القصص: ٣] أي: للمؤمنين"(١).

ثانيا:- قصة قصة قارون مع قوم موسى:

وهذه القصة تعرض قيمة المال، ومعها قيمة العلم؛ المال الذي يستخف القوم، وقد خرج عليهم قارون في زينته، وهم يعلمون أنه أوتي من المال ما إن مفاتحه لتعيي الأقوياء من الرجال. والعلم الذي يعتز به قارون ويغتر، ويحسب أنه بسببه وعن طريقه أوتي ذلك المال. ولكن الذين أوتوا العلم الصحيح من قومه لا تستخفهم خزائنه، ولا تستخفهم زينته، بل يتطلعون إلى ثواب الله، ويعلمون أنه خير وأبقى. ثم تتدخل يد الله فتخسف به وبداره الأرض، لا يغني عنه ماله، ولا يغني عنه علمه، وتتدخل تدخلاً مباشراً سافراً، كما تدخلت في أمر فرعون، فألقته في اليم هو وجنوده، فكان من المغرقين.

وبالجملة: دلت هاتان القصتان على المقاصد الآتية:

١- أنه حين يسود الشر، ويسفر الفساد، ويقف الخير عاجزاً، والصلاح حسيراً، ويُخشى من الفتنة بالبأس والفتنة بالمال، عندئذ تتدخل يد القدرة سافرة متحدية، بلا ستار من الخلق، ولا سبب من قوى الأرض، لتضع حداً للشر والفساد. وهذا من أهم المقاصد التي تقرره هذه السورة.

٢- بين القصتين يجول السياق مع المشركين جولات يبصرهم فيها بدلالة القصص-في سورة القصص- ويفتح أبصارهم على آيات الله المبثوثة في مشاهد الكون تارة، وفي مصارع الغابرين تارة، وفي مشاهد القيامة تارة...وكلها تؤكد العبر المستفادة من القصص، وتساوقها، وتتناسق معها، وتؤكد سنة الله التي لا تتخلف ولا تتبدل على مدار الزمان، واختلاف المكان.

يقول سيد قطب -رحمه الله- ملخصاً مقاصد هذه السورة: "هذه السورة مكية، نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطَّول والجاه والسلطان. نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان. فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة،

---

(١) التحرير والتنوير: ٦٣/٢٠.

ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له، ولا طمأنينة، ولو ساندته جميع القوى، ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة، فليس بنافعه شيء أصلاً"[(١)].

٣- نوهت السورة بشأن القرآن، وعرَّضت ببلغاء المشركين، بأنهم عاجزون عن الإتيان بسورة مثله. وفصلت ما أجمل في سورة الشعراء من قول فرعون لموسى: {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)} [الشعراء : ١٨ - ١٩]، ففصلت سورة القصص كيف كانت تربية موسى في آل فرعون .وبيَّنت سبب زوال مُلك فرعون.

٤- فصلت السورة ما أجمل في سورة النمل من قوله سبحانه: {إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [النمل : ٧]، ففصلت سورة القصص كيف سار موسى وأهله، وأين آنس النار، ووصفت المكان الذي نودي فيه بالوحي، ومن ثم ذكرت دعوة موسى فرعون، فكانت هذه السورة أوعب لأحوال نشأة موسى إلى وقت إبلاغه الدعوة، ثم أجملت ما بعد ذلك؛ لأن تفصيله في سورة الأعراف، وفي سورة الشعراء. والمقصود من التفصيل ما يتضمنه من زيادة المواعظ والعبر.

٥- ومن مقاصد السورة تحدي المشركين بعلم النبي ﷺ بذلك، وهو أمي لم يقرأ، ولم يكتب، ولا خالط أهل الكتاب، ذيل الله ذلك بتنبيه المشركين إليه، وتحذيرهم من سوء عاقبة الشرك، وأنذرهم إنذاراً بليغاً.

٦- فنَّدت السورة قول المشركين: {لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى} [القصص : ٤٨] من الخوارق، كقلب العصا حية، ثم انتقاضهم في قولهم؛ إذ كذبوا موسى أيضاً. وتحداهم بإعجاز القرآن وهديه مع هدي التوراة. وأبطل معاذيرهم، وأنذرهم بما حل بالأمم المكذبة رسل الله، وساق لهم أدلة على وحدانية الله تعالى، وفيها كلها نعم عليهم، وذكرهم بما سيحل بهم يوم الجزاء، وأنحى عليهم في اعتزازهم على المسلمين بقوتهم ونعمتهم ومالهم، بأن ذلك متاع الدنيا، وأن ما ادخر للمسلمين عند الله خير وأبقى.

٧- أومأت السورة إلى اقتراب هجرة المسلمين إلى المدينة، وإلى أن الله مظهرهم على المشركين بقوله: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ} [القصص : ٥].

٨- قرّرت السورة سنة اجتماعية، وهي إهلاك المكذبين بعد الإنذار والإعذار، كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} [القصص : ٥٩].

٩- ألمعت السورة إلى أن البطر وعدم الشكر عاقبته الهلاك: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [القصص : ٥٨]، وهذا كله من السنن التي لا تتخلف.

١٠- عرضت السورة مشهداً من مشاهد يوم القيامة، حين يتخلى الشركاء عن شركائهم على رؤوس الأشهاد، فيبصرهم سبحانه بعذاب الآخرة، بعد أن حذرهم عذاب الدنيا، وبعد أن علمهم أين يكون الخوف، وأين يكون الأمان.

١١- خُتمت السورة بوعد من الله لرسوله الكريم، وهو مُخْرَج من مكة، مُطَارَد من المشركين، بأن الذي فرض عليه القرآن لينهض بتكاليفه، لا بد رادّه إلى بلده، ناصره على الشرك وأهله، وقد أنعم عليه بالرسالة، ولم يكن يتطلع إليها، وسينعم عليه بالنصر والعودة إلى البلد الذي أخرجه منه المشركون، سيعود آمناً ظافراً مؤيداً[(٢)].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

---

(١) في ظلال القرآن:٥/٢٦٧٣-٢٦٧٤.

(٢) موقع: [إسلام ويب].

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ طسم القصص أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بموسى وكذب به، ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا أن {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}»(١).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٢٣٢/٧، وذكره الطبرسي في تفسير مجمع البيان: ٧/ ٤١٢.

والحديث لم أقف عليه في كتب الأحاديث. وقد أورده الطرابلسي ت ١١٧٧ هـ، في الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع. تحقيق د. مُحَمَّد محمود أحمد بكاء. الطبعة الأولى. مكتبة الطالب الجامعي. الريان. مكة المكرمة. ١٤٠٨ هـ: ١ /٩٨٦.

القرآن

{طسم (١)} [القصص : ١]

التفسير:

(طسم) سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

وقد ذكر اهل التفسير في قوله تعالى: {طسم (١)} [القصص : ١]، قولان:

أحدهما: إنه قسم أقسمه الله وهي من أسماء الله. قاله ابن عباس(١).

وقال شعبة: "سألت السدي، عن قوله: {الم} و{حم} و{طسم}، فقال ابن عباس: هو اسم الله الأعظم"(٢).

الثاني: أنه اسم من أسماء القرآن أقسم به الله. وهذا قول قتادة(٣).

القرآن

{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)} [القصص : ٢]

التفسير:

هذه آيات القرآن الذي أنزلته إليك -أيها الرسول-، مبينًا لكل ما يحتاج إليه العباد في دنياهم وأخراهم.

قال الطبري:" يعني: هذه آيات الكتاب الذي أنزلته إليك يا محمد، المبين أنه من عند الله، وأنك لم تتقوله: ولم تتخرصه"(٤).

قال ابن كثير:" { تلك } أي : هذه { آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ } أي : الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الأمور ، وعلم ما قد كان وما هو كائن"(٥).

قال الزجاج:" معنى :«مبين»: مبين خبره وبركته، ومبين الحق من الباطل والحلال من الحرام، ومبين أن نبوة النبي - ﷺ - حق لأنه لا يقدر أحد بمثله، ومبين قصص الأنبياء"(٦).

قال قتادة: "يعني: مبين والله بركته ورشده وهداه"(٧).

القرآن

{نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣)} [القصص : ٣]

التفسير:

نقصُّ عليك من خبر موسى وفرعون بالصدق لقوم يؤمنون بهذا القرآن، ويصدِّقون بأنه من عند الله، ويعملون بهديه.

قوله تعالى:{نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ} [القصص : ٣]، أي:" نقصُّ عليك من خبر موسى وفرعون بالصدق"(٨).

قال الطبري:" يقول: نقرأ عليك، ونقص في هذا القرآن من خبر {موسى وفرعون بالحق}"(١).

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٦٦١):ص٢٩٣٨/٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٦٢):ص٢٩٣٨/٩.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٦٦٣):ص٢٩٣٨/٩.

(٤) تفسير الطبري:٥١٣/١٩.

(٥) تفسير ابن كثير:٢٢٠/٦.

(٦) معاني القرآن:١٣١/٤.

(٧) أخرجه الطبري:٥١٣/١٩.

(٨) التفسير الميسر:٣٨٥.

قال الزجاج:" أي: من خبر موسى وخبر فرعون"[2].

قال قتادة:"في القرآن نبأهم"[3].

قوله تعالى:{لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [القصص : ٣]، أي:" لقوم يؤمنون بهذا القرآن، ويصدِّقون بأنه من عند الله، ويعملون بهديه"[4].

قال الزجاج:" معناه: يصدقون"[5].

قال الطبري:" يقول: لقوم يصدقون بهذا الكتاب، ليعلموا أن ما نتلو عليك من نبئهم فيه نبؤهم، وتطمئن نفوسهم، بأن سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين سنتنا فيمن عادى موسى، ومن آمن به من بني إسرائيل من فرعون وقومه، أن نهلكهم كما أهلكناهم، وننجيهم منهم كما أنجيناهم"[6].

القرآن

{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)} [القصص : ٤]

التفسير:

إن فرعون تكبر وطغى في الأرض، وجعل أهلها طوائف متفرقة، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، يذبّح أبناءهم، ويستعبد نساءهم، إنه كان من المفسدين في الأرض.

قوله تعالى:{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ} [القصص : ٤]، أي:" إن فرعون تكبر وطغى في الأرض"[7].

قال السدي:" يقول: تجبر في الأرض"[8].

قال قتادة:" أي: بغى في الأرض"[9].

قال الزجاج:" معناه: طغى"[10].

قال ابن كثير:" أي : تكبر وتجبر وطغى "[11].

قال الطبري: يقول: " إن فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر، وعلا أهلها وقهرهم، حتى أقروا له بالعبودة"[12].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا} [القصص : ٤]، أي:" وجعل أهلها طوائف متفرقة"[13].

قال ابن كثير:" أي : أصنافا ، قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته"[1].

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٥١٣.

(٢) معاني القرآن:٤/١٣١.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٦٤):ص٩/٢٩٣٨.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٥) معاني القرآن:٤/١٣١.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٥١٣.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٨) أخرجه الطبري:١٩/٥١٦.

(٩) أخرجه الطبري:١٩/٥١٦.

(١٠) معاني القرآن:٤/١٣١.

(١١) تفسير ابن كثير:٦/٢٢١.

(١٢) تفسير الطبري:١٩/٥١٤.

(١٣) التفسير الميسر:٣٨٥.

قال قتادة:" أي: فرقا يذبح طائفة منهم، ويستحيي طائفة، ويعذب طائفة، ويستعبد طائفة"[٢].

عن مجاهد، قوله :"{وجعل أهلها شيعا، قال: فرق بينهم"[٣]. وفي رواية: "فرقا"[٤].

قال ابن زيد:" الشيع: الفرق"[٥].

قال السدي:" يعني: بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة"[٦].

قال الطبري: " يعني بالشيع: الفرق، يقول: وجعل أهلها فرقا متفرقين"[٧].

قال الزجاج:" معنى: «شيع»: فرق، أي: جعل كل فرقة يشيع بعضها بعضا في فعلها"[٨].

قال السدي:" كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه، أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، وأحرقت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة[٩] فسألهم عن رؤياه، فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه، يعنون بيت المقدس، رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر ببني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، ولا تولد لهم جارية إلا تركت، وقال للقبط: انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا، فأدخلوهم، واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم، وأدخلوا غلمانهم، فذلك حين يقول: {إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا}، يعني: بني إسرائيل، حين جعلهم في الأعمال القذرة"[١٠].

قوله تعالى:{يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ} [القصص : ٤]، أي:" يستعبد ويستذل فريقاً منهم وهم بنوا إسرائيل"[١١].

قال الطبري:" ذكر أن استضعافه إياها كان استعباده"[١٢].

قال ابن كثير:" يعني : بني إسرائيل. وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم. هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الأعمال ، ويَكُدُّهُم ليلا ونهارًا في أشغاله وأشغال رعيته"[١٣].

قال قتادة:" يستعبد طائفة منهم، ويذبح طائفة، ويقتل طائفة، ويستحي طائفة"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/٢٢٠.

(٢) أخرجه الطبري:١٩/٥١٦.

(٣) أخرجه الطبري:١٩/٥١٦-٥١٧.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٥١٧.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/٥١٦-٥١٧.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٦٧):ص٩/٢٩٣٩.

(٧) تفسير الطبري:١٩/٥١٤.

(٨) معاني القرآن:٤/١٣١.

(٩) قال المحقق:" لعله: الحزاة، بضم الحاء، جمع الحازي، وهو المتكهن. قال في (اللسان: حزا) التحزي: التكهن، حزى حزيا، وتحزى: تكهن. ولم نجده في مادة (حوز) معنى التكهن. فلعل ما في الأصل خطأ الناسخ".

(١٠) أخرجه الطبري:١٩/٥١٦.

(١١) صفوة التفاسير:٢/٣٩٠.

(١٢) تفسير الطبري:١٩/٥١٧.

(١٣) تفسير ابن كثير:٦/٢٢٠.

قوله تعالى:{يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} [القصص : ٤]، أي:" يذبِّح أبناءهم، ويستعبد نساءهم"(٢).

قال ابن كثير:" ويقتل مع هذا أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ، إهانة لهم واحتقارا ، وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام ، يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه. وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل ، حين ورد الديار المصرية ، وجرى له مع جبارها ما جرى ، حين أخذ سارة ليتخذها جارية ، فصانها الله منه ، ومنعه منها بقدرته وسلطانه. فبشر إبراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته مَن يكون هلاك ملك مصر على يديه ، فكانت القبط تتحدث بهذا عند فرعون ، فاحترز فرعون من ذلك ، وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل ، ولن ينفع حذر من قدر ؛ لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ، ولكل أجل كتاب"(٣).

قال الزجاج:" معنى «نسائهم» -ههنا- أنه كان يستحيي بناتهم، وإنما كان يعمل ذلك لأنه قال له بعض الكهنة: إن مولودا يولد في ذلك الحين يكون سبب ذهاب ملكك، فالعجب من حمق فرعون، إن كان الكاهن عنده صادقا فما ينفع القتل، وإن كان كاذبا فما معنى القتل"(٤).

قال السدي:" وجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح فلا يكبر الصغير، وقذف الله عز وجل في مشيخة بني إسرائيل الموت فأسرع فيهم، فدخل رءوس القبط على فرعون، فكلموه فقالوا: إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا، نذبح أبناءهم، فلا يبلغ الصغار، فيعينون الكبار فلو أنك تبقي من أولادهم لأمر أن يذبحوا سنة، ويتركوا سنة، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت موسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه"(٥).

قال قتادة:" ذكر لنا أن حازيا حزى لفرعون قال ابن عباس: الحازي: المنجم، فقال له: إنه يولد في هذا العام غلام من بني إسرائيل يسلبك ملكك فتتبع أبناءهم ذلك العام، فيقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم حذرا مما قال له الحازي"(٦).

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص : ٤]، أي:" إنه كان من المفسدين في الأرض"(٧).

قال الطبري:" يقول: إنه كان ممن يفسد في الأرض بقتله من لا يستحق منه القتل، واستعباده من ليس له استعباده، وتجبره في الأرض على أهلها، وتكبره على عبادة ربه"(٨).

قال الصابوني:" أي: من الراسخين في الفساد، المتجبرين في الأرض، ولذلك ادعى الربوبية وأمعن في القتل وإذلال العباد"(٩).

قال مجاهد:" لقد ذكر لي أنه كان ليأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار، ثم يصف بعضه إلى بعض، ثم يؤتي بحبالى من بني إسرائيل، فيوقفن عليه، فيجز أقدامهن، حتى إن المرأة منهن لتمصع بولدها فيقع بين رجليها، فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب، عن رجليها لما بلغ من جهدها، حتى أسرف في ذلك وكاد يفنيهم، فقيل له: أفنيت الناس وقطعت النسل، وإنما

---

(١) أخرجه الطبري:٥١٧/١٩.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٣) تفسير ابن كثير:٦/٢٢٠-٢٢١.

(٤) معاني القرآن:١٣١/٤.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٧٢):ص٢٩٤٠/٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٧٣):ص٢٩٤٠/٩.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٨) تفسير الطبري:٥١٧/١٩.

(٩) صفوة التفاسير:٣٩٠/٢.

هو خولك وعمالك فتأمر بأن يقتل الغلمان عاما، ويستحيوا عاما فولد هارون عليه السلام في السنة التي يستحي فيها الغلمان، وولد موسى عليه السلام في السنة التي فيها يذبحون وكان هارون أكبر منه بسنة"[١].

القرآن

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥)} [القصص : ٥]

ونريد أن نتفضل على الذين استضعفهم فرعون في الأرض، ونجعلهم قادةً في الخير ودعاةً إليه، ونجعلهم يرثون الأرض بعد هلاك فرعون وقومه.

قوله تعالى:{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ} [القصص : ٥]، أي:" ونريد أن نتفضل على الذين استضعفهم فرعون في الأرض"[٢].

قال الطبري:" قوله: {ونريد} عطف على قوله: {يستضعف طائفة منهم}، أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها، من بني إسرائيل، فرقا يستضعف طائفة منهم {و} نحن {نريد أن نمن على الذين} استضعفهم فرعون من بني إسرائيل"[٣].

قال البيضاوي:" أن نتفضل عليهم بإنقاذهم من بأسه"[٤].

عن قتادة، "{ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض}، قال: بنو إسرائيل"[٥].

وعن علي، "{ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض}، قال: يوسف وولده"[٦].
وولده"[٦].

عن الحسن قال: "قال عمر: إني استعملت عمارا لقول الله: {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض}"[٧].

قوله تعالى:{وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} [القصص : ٥]، أي:" ونجعلهم قادةً في الخير ودعاةً إليه"[٨].

قال البيضاوي:" مقدمين في أمر الدين"[٩].

قال الطبري:" أي: ولاة وملوكا"[١٠].

عن قتادة، "{ونجعلهم أئمة}، أي: ولاة الأمر"[١١].

قوله تعالى:{وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} [القصص : ٥]، أي:" ونجعلهم يرثون الأرض بعد هلاك فرعون وقومه"[١٢].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٧٤):ص٢٩٤٩/٩.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٣) تفسير الطبري:٥١٧/١٩.

(٤) تفسير البيضاوي:١٧١/٤.

(٥) أخرجه الطبري:٥١٧/١٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٧٦):ص٢٩٤١/٩.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٧٥):ص٢٩٤١/٩.

(٨) التفسير الميسر:٣٨٥.

(٩) تفسير البيضاوي:١٧١/٤.

(١٠) تفسير الطبري:٥١٧/١٩.

(١١) أخرجه الطبري:٥١٨/١٩.

(١٢) التفسير الميسر:٣٨٥.

قال الطبري: "يقول: ونجعلهم وراث آل فرعون يرثون الأرض من بعد مهلكهم"[١].
قال البيضاوي:" لما كان في ملك فرعون وقومه"[٢].
قال قتادة:" أي: يرثون الأرض بعد فرعون وقومه"[٣].

القرآن
{وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)} [القصص : ٦]

ونمكن لهم في الأرض، ونجعل فرعون وهامان وجنودهما يرون من هذه الطائفة المستضعفة ما كانوا يخافونه مِن هلاكهم وذهاب ملكهم، وإخراجهم من ديارهم على يد مولود من بني إسرائيل.

قوله تعالى:{وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} [القصص : ٦]، أي:" ونجعل لهم على الأرض سلطانا، بحيث ينفذ أمرهم فيها"[٤].

قال الطبري: " يقول: ونوطئ لهم في أرض الشام ومصر"[٥].

قال البيضاوي:أي:" أرض مصر والشام، وأصل التمكين أن تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط وإطلاق الأمر"[٦].

قال السمعاني:" أي: نجعل لهم مصرا مكانا يستقرون فيه"[٧].

قال يحيى:" أرض مصر، وهو تبع للكلام الأول: {ونريد أن نمن}"[٨].

قال النسفي:يقال:" مكن له، إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد. ومعنى «التمكين»: {لهم في الأرض}، أي: أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ويسلطهم وينفذ أمرهم"[٩].

قوله تعالى:{وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} [القصص : ٦]، أي:" ونجعل فرعون وهامان وجنودهما يرون من هذه الطائفة المستضعفة ما كانوا يخافونه مِن هلاكهم وذهاب ملكهم، وإخراجهم من ديارهم على يد مولود من بني إسرائيل"[١٠].

قال الطبري: " كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل، فكانوا من ذلك على وجل منهم، ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما، من بني إسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه، ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم"[١١].

قال يحيى:" {منهم}، من بني إسرائيل"[١٢].

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٥١٨.

(٢) تفسير البيضاوي:٤/١٧١.

(٣) أخرجه الطبري:١٩/٥١٨.

(٤) الأساس في التفسير:٧/٤٠٦١.

(٥) تفسير الطبري:١٩/٥١٨.

(٦) تفسير البيضاوي:٤/١٧١.

(٧) تفسير السمعاني:٤/١٢٢.

(٨) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥٧٨.

(٩) .

(١٠) التفسير الميسر:٣٨٥.

(١١) تفسير الطبري:١٩/٥١٨.

(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥٧٨.

قال مقاتل:" {ونري فرعون وهامان وجنودهما} القبط {منهم}، يعني: من بني إسرائيل {ما كانوا يحذرون} من مولود بني إسرائيل أن يكون هلاكهم في سببه وهو موسى- صلى الله عليه وسلم-، وذلك أن الكهنة أخبروا فرعون أنه يولد في هذه السنة مولود في بني إسرائيل يكون هلاكك في سببه، فجعل فرعون على نساء بني إسرائيل قوابل من نساء أهل مصر وأمرهن أن يقتلن كل مولود ذكر يولد من بني إسرائيل مخافة ما بلغه، فلم يزل الله- عز وجل- بلطفه يصنع لموسى- عليه السلام- حتى نزل بآل فرعون من الهلاك ما كانوا يحذرون، وملك فرعون أربعمائة سنة وستة وأربعين سنة"[١].

قال البيضاوي:" {ما كانوا يحذرون} من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم"[٢].
منهم"[٢].

قال السمعاني:" الحذر هو التوقي من الضرر"[٣].

عن قتادة ، "{ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون} شيئا ما حذر القوم"[٤].

قال قتادة:" كان لفرعون رجل ينظر له ويخبره، يعني أنه كاهن، فقال له: إنه يولد في هذا العام غلام يذهب بملككم، فكان فرعون يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم حذرا، فذلك قوله: {ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون}"[٥].

قال ابن كثير:" أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى ، فما نفعه ذلك مع قَدَر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري ، بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القِدَم بأن يكون إهلاك فرعون على يديه ، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده ، وقتلت بسببه ألوفا من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك ، وفي دارك ، وغذاؤه من طعامك ، وأنت تربيه وتدلله وتتفداه ، وحتفك ، وهلاكك وهلاك جنودك على يديه ، لتعلم أن رب السموات العلا هو القادر الغالب العظيم ، العزيز القوي الشديد المحال ، الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن"[٦].

وقرأ حمزة والكسائي: «ويري»، بالياء، و«فرعون وهامان وجنودهما»، بالرفع[٧].

فوائد الآيات:[١-٦]:

١- تقرير إعجاز القرآن الذي هو آية أنه كتاب الله حقاًَ.
٢- تقرير النبوة المحمدية بهذا الوحي الإلهي.
٣- التحذير من الظلم والاستطالة على الناس والفساد في الأرض.
٤- المؤمنون هم الذين ينتفعون بما يتلى عليهم لحياة قلوبهم.
٥- تقرير قاعدة لا حذر مع القدر.
٦- تحريم تحديد النسل بإلزام المواطن بأن لا يزيد على عدد معين من الأطفال.

القرآن

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٣٦.

(٢) تفسير البيضاوي:٤/١٧١.

(٣) تفسير السمعاني:٤/١٢٢.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٥١٨.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/٥١٨.

(٦) تفسير ابن كثير:٦/٢٢١.

(٧) انظر: تفسير البيضاوي:٤/١٧١-١٧٢.

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)} [القصص: ٧-٨]

التفسير:

وألْهمنا أم موسى حين ولدته وخشيت عليه أن يذبحه فرعون كما يذبح أبناء بني إسرائيل: أن أرضعيه مطمئنة، فإذا خشيت أن يُعرف أمره فضعيه في صندوق وألقيه في النيل، دون خوف من فرعون وقومه أن يقتلوه، ودون حزن على فراقه، إنا رادُّو ولدك إليك وباعثوه رسولا. فوضعته في صندوق وألقته في النيل، فعثر عليه أعوان فرعون وأخذوه، فكانت عاقبةُ ذلك ما قدره الله بأن يكون موسى عدوا لهم بمخالفة دينهم، وموقعا لهم في الحزن بإغراقهم وزوال ملكهم على يده. إن فرعون وهامان وأعوانهما كانوا آثمين مشركين.

قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} [القصص: ٨]، أي:" وألْهمنا أم موسى حين ولدته وخشيت عليه أن يذبحه فرعون كما يذبح أبناء بني إسرائيل: أن أرضعيه مطمئنة"[١].

قال ابن قتيبة:" أي: قذفنا في قلبها، ومثله: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّين} [المائدة : ١١١]"[٢].

قال الواحدي:" أَيْ: ألهمناها ما يلهم الإنسان من الصَّواب"[٣].

قال القرطبي:" قيل: {أوحينا}: ألهمنا. وقيل: أوحى إليها في النوم. وقال ابن عباس -رضى الله عنهما-: أوحى إليها كما أوحى إلى النبيين"[٤].

قال الزجاج: قيل: إن الوحي ههنا ألقاء الله في قلبها، وما بعد هذا يدل - والله أعلم -أنه وحى من الله عز وجل على جهة الإعلام للضمان لها {إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين{، ويدل عليه :{ولتعلم أن وعد الله حق}، وقد قيل: إن الوحي ههنا الإلهام، وجائز أن يلقي الله في قلبها أنة مردود إليها وأنه يكون مرسلا، ولكن الإعلام أبين في هذا أعني أن
يكون الوحي ههنا إعلاما.

قال الزجاج:" وأصل «الوحى» في اللغة كلها إعلام في خفي، فلذلك صار الإلهام يسمى وحيا"[٥].

قال مقاتل:" واسمها يوكابد[٦] من ولد لاوى بن يعقوب، {أن أرضعيه}، فأمرها جبريل- عليه السلام- بذلك"[٧].

عن قتادة، "{وأوحينا إلى أم موسى}، وحيا جاءها من الله، فقذف في قلبها، وليس بوحي نبوة، أن أرضعي موسى، {فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني} ... الآية"[٨].

قال السدي:" أمر فرعون أن يذبح من ولد من بني إسرائيل سنة، ويتركوا سنة؛ فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى؛ فلما أرادت وضعه، حزنت من شأنه، فأوحى الله إليها: {أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم}"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٣٨٦.

(٢) غريب القرآن:٢٧٨.

(٣) الوجيز:٦٩٤.

(٤) تفسير القرطبي:١٩٥/١١.

(٥) معاني القرآن:١٣٢/٤-١٣٣.

(٦)وذكرت فى مواضع أخرى:«يوخاند».

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٦/٣.

(٨) أخرجه الطبري:٥١٩/١٩.

قوله تعالى:{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ} [القصص: ٨]، أي:" فإذا خشيت أن يُعرف أمره فضعيه في صندوق وألقيه في بحر النيل"[٢].

عن السدي ، "{فألقيه في اليم}، قال: هو البحر، وهو النيل"[٣].

قال ابن كثير:" وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل ، فاتخذت تابوتًا ، ومهدَت فيه مهدًا ، وجعلت ترضع ولدها ، فإذا دخل عليها أحد مِمَّنْ تخاف جعلته في ذلك التابوت ، وسيرته في البحر ، وربطته بحبل عندها. فلما كان ذات يوم دخل عليها مَنْ تخافه ، فذهبت فوضعته في ذلك التابوت ، وأرسلته في البحر وذهلت عن أن تربطه ، فذهب مع الماء واحتمله"[٤].

وفي قوله تعالى:{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ} [القصص: ٨]، وجهان:

احدهما: أنها أمرت أن تلقيه في اليم بعد ميلاده بأربعة أشهر، وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبي بعد حال سقوطه من بطن أمه. وهذا قول ابن جريج[٥]، وابو بكر بن عبدالله[٦]، ومقاتل[٧].

عن ابن جريج، قوله: "{أن أرضعيه فإذا خفت عليه}، قال: إذا بلغ أربعة أشهر وصاح، وابتغى من الرضاع أكثر من ذلك {فألقيه} حينئذ {في اليم} فذلك قوله: {فإذا خفت عليه}"[٨].

قال أبو بكر بن عبد الله: "لم يقل لها: إذا ولدتيه فألقيه في اليم، إنما قال لها: {أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم} بذلك أمرت، قال: جعلته في بستان، فكانت تأتيه كل يوم فترضعه، وتأتيه كل ليلة فترضعه، فيكفيه ذلك"[٩].

قال مقاتل:" {فإذا خفت عليه} القتل وكانت أرضعته ثلاثة أشهر وكان خوفها أنه كان يبكي من قلة اللبن فيسمع الجيران بكاء الصبي، فقال: «فإذا خفت عليه» فألقيه في اليم يعني في البحر وهو بحر النيل، فقالت: رب، إني قد علمت أنك قادر على ما تشاء، ولكن كيف لي أن ينجو صبي صغير من عمق البحر وبطون الحيتان. فأوحى الله- عز وجل- إليها أن تجعله فى التابوت، ثم تقذفه فى اليم، فإنى أو كل به ملك يحفظه في اليم، فصنع لها التابوت حزقيل القبطي، ووضعت موسى في التابوت، ثم ألقته في البحر"[١٠].

الثاني: أن ام موسى أمرت أن تلقيه في اليم بعد ولادها إياه، وبعد رضاعها. هذا قول السدي[١١].

وقال السدي:" لما وضعته أرضعته، ثم دعت له نجارا، فجعل له تابوتا، وجعل مفتاح التابوت من داخل، وجعلته فيه، فألقته في اليم"[١٢].

قال الطبري:" وأولى قول قيل في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم. وجائز أن

---

(١) أخرجه الطبري:١٩/٥١٩.

(٢) التفسير الميسر: ٣٨٦.

(٣) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير:٦/٢٢٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥٢٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥٢٠.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٣٦-٣٣٧.

(٨) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٠.

(٩) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٠.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٣٦-٣٣٧.

(١١) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥٢٠.

(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٠.

تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه؛ وأي ذلك كان، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه، ولا خبر قامت به حجة، ولا فطرة في العقل لبيان أي ذلك كان من أي، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه "[١].

قوله تعالى:{وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي} [القصص: ٨]، أي:" ولا تخافي عليه الهلاك ولا تحزني لفراقه"[٢].

قال الطبري:" يقول: لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه، ولا تحزني لفراقه"[٣].

قال ابن زيد:" قال: لا تخافي عليه البحر، ولا تحزني لفراقه؛ {إنا رادوه إليك}"[٤].

قوله تعالى:{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٨]، أي:" إنا رادُّو ولدك إليك وباعثوه رسولا"[٥].

قال الطبري:" يقول: إنا رادو ولدك إليك للرضاع لتكوني أنت ترضعيه، وباعثوه رسولا إلى من تخافينه عليه أن يقتله، وفعل الله ذلك بها وبه"[٦].

عن ابن إسحاق، "{إنا رادوه إليك} وباعثوه رسولا إلى هذا الطاغية، وجاعلو هلاكه، ونجاة بني إسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه"[٧].

قوله تعالى:{فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} [القصص: ٨]، أي:" فأخذه وأصابه أعوان فرعون لتكون عاقبة الأمر أن يصبح لهم عدواً ومصدر حزن وبلاءٍ وهلاك"[٨].
وهلاك"[٨].

قال الطبري:" فالتقطه آل فرعون فأصابوه وأخذوه، ليكون موسى لآل فرعون عدوا في دينهم، وحزنا على ما ينالهم منه من المكروه"[٩].

قال قتادة:" عدوا لهم في دينهم، وحزنا لما يأتيهم"[١٠].

قال الزجاج: أي: ليصير الأمر إلى ذلك لا أنهم طلبوه وأخذوه لهذا كما تقول للذي كسب مالا فأدى ذلك إلى الهلاك: إنما كسب فلان لحتفه، وهو لم يطلب المال للحتف. ومثله: فللموت ما تلد الوالدة، أي فهي لم تلده طلبا أن يموت ولدها ولكن المصير إلى ذلك"[١١].

وقرئ"«وحزنا»، بضم الحاء وتسكين الزاي[١٢].

وفي معنى قوله تعالى:{آلُ فِرْعَوْنَ} [القصص: ٨]، هنا، أقوال:
أحدها: عنى بذلك: جواري امرأة فرعون. قاله السدي[١٣].

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٥٢٠.

(٢) صفوة التفاسير:٢/٣٩١.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٥٢١.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٥٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٣٨٦.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٥٢١.

(٧) أخرجه الطبري:١٩/٥٢١.

(٨) صفوة التفاسير:٢/٣٩١.

(٩) تفسير الطبري:١٩/٥٢١، ٥٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٤.

(١١) معاني القرآن:٤/١٣٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥٢٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥٢٢.

قال السدي:" أقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون، فخرج جواري آسية امرأة فرعون يغسلن، فوجدن التابوت، فأدخلنه إلى آسية، وظنن أن فيه مالا فلما نظرت إليه آسية، وقعت عليها رحمته فأحبته؛ فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه، فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها، قال: إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل، وأن يكون هذا الذي على يديه هلاكنا، فذلك قول الله: {فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا}"[(١)].

الثاني: عني به ابنة فرعون. وهذا قول محمد بن قيس[(٢)].

قال محمد بن قيس:" كانت بنت فرعون برصاء، فجاءت إلى النيل، فإذا التابوت في النيل تخفقه الأمواج، فأخذته بنت فرعون، فلما فتحت التابوت، فإذا هي بصبي، فلما اطلعت في وجهه برأت من البرص، فجاءت به إلى أمها، فقالت: إن هذا الصبي مبارك لما نظرت إليه برئت، فقال فرعون: هذا من صبيان بني إسرائيل، هلم حتى أقتله، فقالت: {قرة عين لي ولك لا تقتلوه}"[(٣)].

الثالث: أنهم أعوان فرعون. وهذا قول ابن إسحاق[(٤)].

قال ابن إسحاق:" أصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة: فبينما هو جالس، إذ مر النيل بالتابوت يقذف به، وآسية بنت مزاحم امرأته جالسة إلى جنبه، فقالت: إن هذا لشيء في البحر، فأتوني به، فخرج إليه أعوانه، حتى جاءوا به، ففتح التابوت فإذا فيه صبي في مهده، فألقى الله عليه محبته، وعطف عليه نفسه، قالت امرأته آسية: {لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا}[(٥)].

قال الطبري:" ولا قول في ذلك عندنا أولى بالصواب مما قال الله عز وجل: {فالتقطه آل فرعون}"[(٦)].

قال ابن كثير:" فذهب مع الماء واحتمله ، حتى مر به على دار فرعون ، فالتقطه الجواري فاحتملنه ، فذهبن به إلى امرأة فرعون ، ولا يدرين ما فيه ، وخشين أن يفتتن عليها في فتحه دونها. فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه ، فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه ، وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلها ؛ ولهذا قال { فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}"[(٧)].

قوله تعالى:{إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} [القصص: ٨]، أي:" إن فرعون وهامان وأعوانهما كانوا آثمين مشركين"[(٨)].

قال الطبري:يقول:" إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا بربهم آثمين، فلذلك كان لهم موسى عدوا وحزنا"[(٩)].

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري:٥٢٢/١٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٥٢٢/١٩.

(٣) أخرجه الطبري:٥٢٢/١٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٢٣/١٩.

(٥) أخرجه الطبري:٥٢٣/١٩.

(٦) تفسير الطبري:٥٢٣/١٩.

(٧) تفسير ابن كثير:٢٢٢/٦.

(٨) صفوة التفاسير:٣٩١/٢.

(٩) تفسير الطبري:٥٢٤/١٩.

{وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩)} [القصص: ٩]

التفسير:

ولمَّا شاهدته امرأة فرعون ألقى الله محبته في قلبها، وقالت لفرعون: هذا الطفل سيكون مصدر سرور لي ولك، لا تقتلوه؛ فقد نصيب منه خيرًا أو نتخذه ولدًا، وفرعون وآله لا يدركون أن هلاكهم على يديه.

قوله تعالى:{وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ} [القصص: ٩]، اي:" قالت زوجة فرعون لفرعون: هذا الغلام فرحة ومسرة لي ولك لعلنا نسر به فيكون قرة عين لنا"(١).

قال ابن كثير:" يعني : أن فرعون لما رآه همَّ بقتله خوفًا من أن يكون من بني إسرائيل فجعلت امرأته آسية بنت مزاحم تُحَاجُّ عنه وتَذب دونه ، وتحببه إلى فرعون ، فقالت : { قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ } فقال : أما لك فَنَعَم ، وأما لي فلا. فكان كذلك ، وهداها الله به ، وأهلكه الله على يديه"(٢).

قال محمد بن قيس:" قالت امرأة فرعون: {قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا}، قال فرعون: قرة عين لك، أما لي فلا. قال محمد بن قيس: قال رسول الله ﷺ: «لو قال فرعون: قرة عين لي ولك، لكان لهما جميعا»"(٣).

قال السدي:" اتخذه فرعون ولدا، ودعى على أنه ابن فرعون؛ فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبيا، فبينما هي ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه، قرة عين لي ولك، قال فرعون: هو قرة عين لك، لا لي. قال عبد الله بن عباس: لو أنه قال: وهو لي قرة عين إذن؛ لآمن به، ولكنه أبى"(٤).

قال ابن عباس:" لما أتت بموسى امرأة فرعون فرعون قالت: {قرة عين لي ولك} قال فرعون: يكون لك، فأما لي فلا حاجة لي فيه، فقال رسول الله ﷺ: «والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت، لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك»"(٥).

عن قتادة، "قالت امرأة فرعون: {قرة عين لي ولك}، تعني بذلك: موسى"(٦).

قوله تعالى:{لَا تَقْتُلُوهُ} [القصص: ٩]، اي:" لا تقتله يا فرعون"(٧).

قال الصابوني:" خاطبته بلفظ الجمع كما يُخاطب الجبارون تعظيماً له ليساعدها فيما تريد"(٨).

قال الطبري:" ذكر أن امرأة فرعون قالت هذا القول حين هم بقتله. قال بعضهم: حين أتي به يوم التقطه من اليم. وقال بعضهم: يوم نتف من لحيته، أو ضربه بعصا كانت في يده"(٩).

يده"(٩).

---

(١) صفوة التفاسير:٢/٣٩١.

(٢) تفسير ابن كثير:٦/٢٢٢.

(٣) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٤.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٤-٥٢٥.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٥.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٥.

(٧) صفوة التفاسير:٢/٣٩١.

(٨) صفوة التفاسير:٢/٣٩١.

(٩) تفسير الطبري:١٩/٥٢٥.

عن قتادة ، "{لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا}، قال: ألقيت عليه رحمتها حين أبصرته"(١).

قال السدي:" لما أتي فرعون به صبيا أخذه إليه، فأخذ موسى بلحيته فنتفها، قال فرعون: علي بالذباحين، هو هذا! قالت آسية {لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا} إنما هو صبي لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه"(٢).

قوله تعالى:{عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} [القصص: ٩]، اي:" عسى أن ينفعنا في الكبر، أو نتبناه فنجعله لنا ولداً تقَرُّ به عيوننا"(٣).

قال ابن كثير:" وقد حصل لها ذلك ، وهداها الله به ، وأسكنها الجنة بسببه. وقولها : { أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا } أي : أرادت أن تتخذه ولدًا وتتبناه ، وذلك أنه لم يكن لها ولد منه "(٤).

قوله تعالى:{وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [القصص: ٩]، اي:" وهم لا يشعرون أن هلاك فرعون وزبانيه سيكون على يديه وبسببه"(٥).

قال ابن كثير:" أي : لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه ، من الحكمة العظيمة البالغة ، والحجة القاطعة "(٦).

قال قتادة:" وهم لا يشعرون أن هلكتهم على يديه، وفي زمانه"(٧).

قال قتادة:" آل فرعون إنه لهم عدو"(٨).

وقال ابن إسحاق: يقول الله: وهم لا يشعرون أي: بما هو كائن بما أراد الله به"(٩).

وقال محمد بن قيس:" يقول: لا تدري بنو إسرائيل أنا التقطناه"(١٠).

قال الفراء:" يعني بني إسرائيل. فهذا وجه. ويجوز أن يكون هذا من قول الله. وهم لا يشعرون بأن موسى هو الذي يسلبهم ملكهم"(١١).

قال الطبري:" معنى ذلك: وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه"(١٢).

القرآن

{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠)} [القصص: ١٠]

وأصبح فؤاد أم موسى خاليًا من كل شيء في الدنيا إلا من همِّ موسى وذكره، وقاربت أن تُظهِر أنه ابنها لولا أن ثبتناها، فصبرت ولم تُبْدِ به؛ لتكون من المؤمنين بوعد الله الموقنين به.

---

(١) أخرجه الطبري:٥٢٥/١٩.

(٢) أخرجه الطبري:٥٢٥/١٩.

(٣) صفوة التفاسير:٣٩١/٢.

(٤) تفسير ابن كثير:٢٢٣/٦.

(٥) صفوة التفاسير:٣٩١/٢.

(٦) تفسير ابن كثير:٢٢٣/٦.

(٧) اخرجه الطبري:٥٢٥/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٥٢٦/١٩.

(٩) أخرجه الطبري:٥٢٦/١٩.

(١٠) أخرجه الطبري:٥٢٦/١٩.

(١١) معاني القرآن:٣٠٣/٢.

(١٢) تفسير الطبري:٥٢٦/١٩.

قوله تعالى:{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} [القصص: ١٠]، أي:" وأصبح فؤاد أم موسى خاليًا من كل شيء في الدنيا إلا من همِّ موسى وذكره"[١].

وفي قوله تعالى:{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} [القصص: ١٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : فارغاً من كل شيء إلا من ذكر ابنها موسى ، قاله ابن مسعود[٢]، وابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥]، والضحاك[٦]، ومطر[٧]، واختاره الزجاج[٨].

قال ابن مسعود:" فرغ من ذكر كل شيء من أمر الدنيا إلا من ذكر موسى"[٩].

قال ابن عباس:" فارغا من كل شيء إلا من هم موسى"[١٠].

قال ابن عباس:" خاليا من كل شيء إلا ذكر موسى"[١١].

قال ابن عباس:" فرغ من كل شيء، إلا من ذكر موسى"[١٢].

قال ابن عباس:" يقول: لا تذكر إلا موسى"[١٣].

قال مجاهد:" من كل شيء غير ذكر موسى"[١٤].

قال قتادة: أي: لاغيا من كل شيء، إلا من ذكر موسى"[١٥].

وقال قتادة:" لاهيا من كل شيء إلا من ذكر موسى"[١٦].

وقال الفراء:" فرغ لهمه، فليس يخلط هم موسى شيء"[١٧].

قال الزجاج:" المعنى أصبح فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى، وقيل إلا من الهم بموسى والمعنى واحد"[١٨].

الثاني : فارغاً من وحينا بنسيانه ، قاله الحسن[١٩]، وابن زيد[٢٠]، وابن إسحاق[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٣٨٦.

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٧٠٥):ص٢٩٤٦/٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٩.

(٦) انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٩.

(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٩.

(٨) انظر: معاني القرآن:١٣٤/٤.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٠٥):ص٢٩٤٦/٩.

(١٠) أخرجه الطبري:٥٢٧/١٩.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٠٦):ص٢٩٤٦/٩.

(١٢) أخرجه الطبري:٥٢٧/١٩.

(١٣) أخرجه الطبري:٥٢٧/١٩.

(١٤) أخرجه الطبري:٥٢٧/١٩.

(١٥) أخرجه الطبري:٥٢٧/١٩.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧١٠):ص٢٩٤٦/٩.

(١٧) معاني القرآن:٣٠٣/٢.

(١٨) معاني القرآن:١٣٤/٤.

(١٩) انظر: تفسير الطبري:٥٢٨/١٩.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري:٥٢٨/١٩.

قال الحسن: أصبح فارغا من العهد الذي عهدنا إليها، والوعد الذي وعدناها أن نرد عليها ابنها، فنسيت ذلك كله، حتى كادت أن تبدي به لولا أن ربطنا على قلبها"[٢].

قال ابن زيد:" فارغا من الوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر، ولا تخاف ولا تحزن، قال: فجاءها الشيطان، فقال: يا أم موسى، كرهت أن يقتل فرعون موسى، فيكون لك أجره وثوابه، وتوليت قتله، فألقيتيه في البحر وغرقتيه، فقال الله: {وأصبح فؤاد أم موسى فارغا} من الوحي الذي أوحاه إليها"[٣].

قال ابن إسحاق:" قد كانت أم موسى ترفع له حين قذفته في البحر، هل تسمع له بذكر؟ حتى أتاها الخبر بأن فرعون أصاب الغداة صبيا في النيل في التابوت، فعرفت الصفة، ورأت أنه وقع في يدي عدوه الذي فرت به منه، وأصبح فؤادها فارغا من عهد الله إليها فيه، قد أنساها عظيم البلاء ما كان من العهد عندها من الله فيه"[٤].

وقال مقاتل:" وذلك أنها رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر، فخشيت عليه الغرق، فكادت تصيح شفقة عليه"[٥].

الثالث : فارغاً من الحزن لعلمها أنه لم يغرق ، قاله أبو عبيدة[٦].

قال أبو عبيدة:" ومنه قولهم: دم فرغ أي لا قود فيه ولا دية فيه"[٧].

ورد الطبري على قول أبي عبيدة، فقال:" وهذا قول لا معنى له؛ لخلافه قول جميع أهل التأويل"[٨].

وقال الأخفش:" فارغا من الوحي إذ تخوفت على موسى"[٩].

الرابع : معنى فارغاً، أي: نافراً ، قاله العلاء بن بدر[١٠].

الخامس : ناسياً ، قاله اليزيدي[١١].

السادس : معناه: فأصبحت أم موسى والها، رواه ابن جبير عن ابن عباس[١٢].

السابع: أي فارغا من ذكر غير الله، اعتمادا على وعد الله، {إنا رادوه إليك}. وهذا قول سهل بن عبدالله[١٣].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: معناه: {وأصبح فؤاد أم موسى فارغا} من كل شيء، إلا من هم موسى. وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب؛ لدلالة قوله: {إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها} ولو كان عنى بذلك: فراغ

---

(١) انظر: الطبري:١٩/٥٢٨.

(٢) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٨.

(٣) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٨.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٥٢٨.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٣٧.

(٦) انظر: مجاز القرآن:٢/٩٨.

(٧) مجاز القرآن:٢/٩٨.

(٨)تفسير الطبري:١٩/٥٢٨ .

(٩) معاني القرآن:٢/٤٦٩.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٧٠٩):ص٩/٢٩٤٦.

(١١) انظر: النكت والعيون:٤/٢٣٨.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٧٠٨):ص٩/٢٩٤٦.

(١٣) انظر: تفسير التستري:١١٨.

قلبها من الوحي، لم يعقب بقوله: {إن كادت لتبدي به}، لأنها إن كانت قاربت أن تبدي الوحي، فلم تكد أن تبديه إلا لكثرة ذكرها إياه، وولوعها به. ومحال أن تكون به ولعة إلا وهي ذاكرة.

وإذا كان ذلك كذلك، بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحي إليها. وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب، ولم يخصص فراغ قلبها من شيء دون شيء، فذلك على العموم إلا ما قامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه. وقد ذكر عن فضالة بن عبيد أنه كان يقرؤه: «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَزِعاً» من الفزع"[1].

قوله تعالى:{إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} [القصص: ١٠]، أي:" وقاربت أن تُظهِر أنه ابنها لولا أن ثبتناها، فصبرت ولم تُبْدِ به"[2].

قال الزجاج:" المعنى: إن كادت لتظهر أنه ابنها لولا ربطنا على قلبها، و«الربط على القلب»: إلهام الصبر وتشديده وتقويته"[3].

قال الطبري:"{ لولا أن ربطنا على قلبها} يقول: لولا أن عصمناها من ذلك بتثبيتناها وتوفيقناها للسكوت عنه"[4].

عن قتادة، قال: "قال الله {لولا أن ربطنا على قلبها}: أي بالإيمان {لتكون من المؤمنين}"[5].

قال السدي:" كادت تقول: هو ابني، فعصمها الله، فذلك قول الله: {إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها}"[6].

عن قتادة:"{لولا أن ربطنا على قلبها}، أي: بالإيمان"[7].

وفي قوله تعالى:{إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} [القصص: ١٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن تصيح عند إلقائه: وا إبناه ، قاله ابن عباس[8]، وأبو عبيدة[9]، وعكرمة[10]، ومغيث ومغيث بن سمي[11]، وقتادة[12].

قال قتادة:" أي: لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها"[13].

الثاني : أن تقول لما حملت لإرضاعه وحضانته :هو ابني، لأنه ضاق صدرها لما قيل: هو ابن فرعون. قاله السدي[14].

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٥٢٨-٥٢٩.

(٢) التفسير الميسر: ٣٨٦.

(٣) معاني القرآن:٤/١٣٤.

(٤) تفسير الطبري:١٩/٥٣٠.

(٥) اخرجه الطبري:١٩/٥٣٠.

(٦) اخرجه الطبري:١٩/٥٣٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧١٧):ص٩/٢٩٤٧.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٧١٢):ص٩/٢٩٤٧.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩/٢٩٤٧ بدون سند.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩/٢٩٤٧ بدون سند.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩/٢٩٤٧ بدون سند.

(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥٢٩.

(١٣) اخرجه الطبري:١٩/٥٢٩.

(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥٢٩.

قال السدي:" لما جاءت أمه أخذ منها، يعني الرضاع، فكادت أن تقول: هو ابني، فعصمها الله، فذلك قول الله {إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها}"(١).
الثالث : أن تبدي بالوحي، أي: تظهره ، قاله الأخفش(٢)، وحكاه ابن عيسى(٣).
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا: إن كادت لتقول: يا بنياه؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، وأنه عقيب قوله: {وأصبح فؤاد أم موسى فارغا}، فلأن يكون لو لم يكن ممن ذكرنا في ذلك إجماع على ذلك من ذكر موسى، لقربه منه، أشبه من أن يكون من ذكر الوحي"(٤).
قوله تعالى:{لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [القصص: ١٠]، أي:" لتكون من المؤمنين بوعد الله الموقنين به"(٥).
قال الطبري:يقول:" عصمناها من إظهار ذلك وقيله بلسانها، وثبتناها للعهد الذي عهدنا إليها {لتكون من المؤمنين} بوعد الله، الموقنين به"(٦).
عن سعيد بن جبير، "{لتكون من المؤمنين}، من المصدقين"(٧).
قال السدي:" قد كانت من المؤمنين ولكن بقوله: {إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين}"(٨).

القرآن

{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١)} [القصص: ١١]

التفسير:

وقالت أم موسى لأخته حين ألقته في اليم: اتَّبِعي أثر موسى كيف يُصْنَع به؟ فتتبعت أثره فأبصرته عن بُعْد، وقوم فرعون لا يعرفون أنها أخته، وأنها تتبع خبره.
قوله تعالى:{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ} [القصص: ١١]، أي:" وقالت أم موسى لأخته حين ألقته في اليم: اتَّبِعي أثر موسى كيف يُصْنَع به؟"(٩).
قال الطبري: يقول:" {وقالت} أم موسى لأخت موسى حين ألقته في اليم: قصي أثر موسى، اتبعي أثره"(١٠).
قال ابن كثير:" أي : أمرت ابنتها - وكانت كبيرة تعي ما يقال لها - فقالت لها : { قُصِّيهِ } أي : اتبعي أثره ، وخذي خبره ، وتَطَلَّبي شأنه من نواحي البلد. فخرجت لذلك"(١١).
قال مجاهد:" اتبعي أثره كيف يصنع به"(١٢).

---

(١) اخرجه الطبري:٥٢٩/١٩.
(٢) انظر: معاني القرآن:٤٦٩/٢.
(٣) انظر: النكت والعيون:٢٣٨/٤.
(٤) تفسير الطبري:٥٢٩/١٩-٥٣٠.
(٥) التفسير الميسر: ٣٨٦.
(٦) تفسير الطبري:٥٣٠/١٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧١٨):ص٢٩٤٧/٩.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧١٩):ص٢٩٤٧/٩.
(٩) التفسير الميسر: ٣٨٦.
(١٠) تفسير الطبري:٥٣٠/١٩-٥٣١.
(١١) تفسير ابن كثير:٢٢٣/٦.
(١٢) أخرجه الطبري:٥٣١/١٩.

قال قتادة:" أي: انظري ماذا يفعلون به"[١].

قال سعيد بن جبير: انظريه"[٢].

قال ابن عباس:" أي: قصي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا، أحي ابني أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدها"[٣].

قوله تعالى:{فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [القصص: ١١]، أي:" فتتبعت أثره فأبصرته عن بُعْد، وقوم فرعون لا يعرفون أنها أخته، وأنها تتبع خبره"[٤].

قال الطبري: يقول:" فقصت أخت موسى أثره، فبصرت بموسى عن بعد لم تدن منه ولم تقرب، لئلا يعلم أنها منه بسبيل"[٥].

عن السدي، "{وهم لا يشعرون} أنها أخته"[٦].

عن قتادة، "{وهم لا يشعرون} أنها أخته، قال: جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده"[٧].

قال ابن إسحاق:" أي: لا يعرفون أنها منه بسبيل"[٨].

قال مقاتل: يعني: كأنها مجانبة له بعيدا من أن ترقبه كقوله- تعالى-: {والجار الجنب}، يعني: بعيدا منهم من قوم آخرين وعينها إلى التابوت معرضة بوجهها عنه إلى غيره {وهم لا يشعرون} أنها ترقبه"[٩].

وقال ابن عباس:" الجنب: أن يسمو بصر الإنسان إلى الشيء البعيد وهو إلى جنبه لا يشعر به"[١٠].

وفي قوله تعالى:{فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ} [القصص: ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : عن جانب ، قاله ابن عباس[١١].

وقال يحيى بن سلام:" أي: عن ناحية"[١٢].

وقال قتادة:" يقول: بصرت به وهي مجانبة لم تأته"[١٣].

الثاني : عن بعيد ، قاله مجاهد[١٤]، وابو عبيدة[١٥]، وابن قتيبة[١٦]، والزجاج[١]، ومنه: الأجنبي، الأجنبي، قال أعشى بن قيس[٢]:

---

(١) أخرجه الطبري:٥٣١/١٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٢١):ص٢٩٤٨/٩.

(٣) أخرجه الطبري:٥٣١/١٩.

(٤) التفسير الميسر: ٣٨٦.

(٥) تفسير الطبري:٥٣٠/١٩-٥٣١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٢٨):ص٢٩٤٩/٩.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٢٩):ص٢٩٤٩/٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٣٠):ص٢٩٤٩/٩.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٨/٣.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٣١):ص٢٩٤٩/٩.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٧٢٥):ص٢٩٤٨/٩.

(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٥٨١/٢.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٢٦): ٢٩٤٨/٩.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٧٢٧):ص٢٩٤٨/٩.

(١٥) انظر: مجاز القرآن:٩٨/٢.

(١٦) انظر: غريب القرآن:٣٢٩.

أتيتُ حُريثًا زائرًا عن جنابةٍ ... وكان حُرَيثٌ عن عَطَائِيَ جَامِدًا
وقال علقمة بن عبدة[٣]:
فَلا تَحْرِمنِّي نَائِلًا عن جَنَابةٍ ... فإني امرؤٌ وَسْط القِبَاب غَرِيبُ
أي: لاتحرمني نائلا عن بعد، وإن كنت بعيدا منك[٤].
وقال الحطيئة[٥]:
والله يا معشر لاموا امرأ جنبا ... فى آل لأى بن شمّاس لأكياس
قال ابن قتيبة: أي: عن بعد منها عنه وإعراض، لئلا يفطنوا لها. و«المجانبة» من هذا"[٦].
قال الزجاج: أي: عن بعد تبصر ولا توهم أنها تراه، يقال: بصرت به جنب وعن جنابة، إذا نظرت إليه عن بعد"[٧].
قال السمعاني:" وفي القصة: أنها كانت تمشي جانبا، وتنظر مختلسة وتري الناس أنها لا تنظر"[٨].
الثالث : عن شوق ، حكاه أبوعمرو بن العلاء[٩]، وذكر أنها لغة جذام يقولون: جنبت إليك، أي: اشتقت.
قال ابن كثير:" وذلك أنه لما استقر موسى ، عليه السلام ، بدار فرعون ، وأحبته امرأة الملك ، واستطلقته منه ، عرضوا عليه المراضع التي في دارهم ، فلم يقبل منها ثديًا ، وأبى أن يقبل شيئًا من ذلك. فخرجوا به إلى سوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته ، فلما رأته بأيديهم عرفته ، ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها"[١٠].
فوائد الآيات:[٧-١١]:
١- بيان تدبير الله تعالى لأولياء وصالحي عباده وتجلى ذلك في الوحي إلى أم موسى بإرضاعه وإلقائه في البحر والتقاط آل فرعون له ليتربى في بيت الملك عزيزاً مكرماً.

---

(١) انظر: معاني القرآن:١٣٤/٤.
(٢)ديوانه: ٤٩، معاني الزجاج" ٢/ ٥٠، والكامل ٢٦/٢، وتفسير الطبري:٥٣١/١٩.
و«حُرَيث»: تصغير لكلمة حارث، وهو ذم للحارث بن وعلة بن مجالد الى الرقاشي. الجنابَة: البعد. وانظر "الكامل" ٢/ ٩٠٢، ٩٠٣.
(٣) ديوانه:٣١، ومجاز القرآن لأبي عبيدة:٩٨/٢، والكامل: ٣/ ١٦، والاختيارين للأخفش الأصغر: ٦٥٦، وفيه: الديار بدل القباب، "الزاهر" ١/ ٤٣٠.
والجَنابة: البعد والغربة وهو الشاهد. والمعنى: لا تحرمني بعد غربة وبعد عن دياري. والبيت من قصيدة في فكاك أسر أخ له.
(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج:١٣٤/٤.
(٥)مطلع قصيدة فى ديوانه رقم ٢٠ وهو فى المختارات ص ١١٦، وانكظر: مجاز القرىن لأبي عبيدة:٩٩/٢.
(٦) غريب القرآن:٣٢٩.
(٧) معاني القرآن:١٣٤/٤.
(٨) تفسير السمعاني:١٢٥/٤.
(٩) انظر: النكت والعيون:٢٣٩/٤.
(١٠) تفسير ابن كثير:٢٢٣/٦.

٢- بيان سوء الخطيئة وآثارها السيئة وعواقبها المدمرة وتجلى ذلك فيما حل بفرعون وهامان وجنودهما.
٣- فضيلة الرجاء تجلت في قول آسية "قرة عين لي ولك" فقال فرعون: أما لي فلا. فكان موسى قرة عين لآسية ولم يكن لفرعون.
٤- بيان عاطفة الأمومة حيث أصبح فؤاد أم موسى فارغا إلا من موسى.
٥- بيان عناية الله بأوليائه حيث ربط على قلب أم موسى فصبرت ولم تبده لهم وتقول هو ولدي ليمضي وعد الله تعالى كما أخبرها. والحمد له رب العالمين.

القرآن
{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢)} [القصص : ١٢]
التفسير:
وحرمنا على موسى المراضع أن يرتضع منهن مِن قبل أن نردَّه إلى أمه، فقالت أخته: هل أدلكم على أهل بيت يحسنون تربيته وإرضاعه، وهم مشفقون عليه؟ فأجابوها إلى ذلك.
قوله تعالى:{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ} [القصص : ١٢]، أي:" وحرمنا على موسى المراضع أن يرتضع منهن مِن قبل أن نردَّه إلى أمه"(١).
قال ابن كثير:" أي : تحريمًا قَدَريا ، وذلك لكرامة الله له صانه عن أن يرتضع غير ثدي أمه ؛ ولأن الله - سبحانه - جعل ذلك سببًا إلى رجوعه إلى أمه ، لترضعه وهي آمنة ، بعدما كانت خائفة "(٢).
قال السمعاني:" أي: منعناه من قبول الرضاع، وليس المراد من التحريم هو التحريم الشرعي؛ وإنما المراد من التحريم هو المنع، قال امرؤ القيس شعرا(٣):
جَالَتْ لِتصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا اقْصِري ... إنِّ امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَامُ
أي: ممتنع، وفي القصة: أن موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا، ويصيح وهم في طلب مرضعة له"(٤).
قال مقاتل:" وذلك أنه لم يقبل ثدي امرأة"(٥).
قال قتادة:" جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها"(٦).
قال ابن إسحاق:" جمعوا المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه، فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم ذلك، فيؤتي بمرضع بعد مرضع، فلا يقبل شيئا منهن"(٧).
قوله تعالى:{فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ} [القصص : ١٢]، أي:" فقالت أخته: هل أدلكم على أهل بيت يحسنون تربيته وإرضاعه"(٨).
قال مقاتل:" يعني: يضمنون لكم رضاعه"(٩).

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٦.
(٢) تفسير ابن كثير:٢٢٤/٦.
(٣) ديوانه: ١٥٧.
(٤) تفسير السمعاني:١٢٦/٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٨/٣.
(٦) أخرجه الطبري:٥٣٤/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٥٣٤/١٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٨٦.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٨/٣.

قال ابن إسحاق:" جمعوا المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه، فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم ذلك، فيؤتي بمرضع بعد مرضع، فلا يقبل شيئا منهن"[١].

قوله تعالى:{وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} [القصص : ١٢]، أي:" وهم مشفقون عليه"[٢].

قال مقاتل:" هم أشفق عليه وأنصح له من غيره"[٣].

قال السمعاني:" أي: عليه مشفقون، والنصح ضد الغش، وقيل: النصح تصفية العمل من شوائب الفساد، ومنه قوله: «إن الدين النصيحة. قيل: لمن؟ قال: لله ولرسوله وكتابه والمؤمنين»[٤]"[٥].

عن ابن إسحاق، قوله: {وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}، " أي: لمنزلته عندكم، وحرصكم على مسرة الملك، قالوا: هاتي"[٦].

قال السدي:" لما قالت أخته :{هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون} أخذوها، وقالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام، فدلينا على أهله، فقالت: ما أعرفه، ولكني إنما قلت: هم للملك ناصحون"[٧].

---

(١) أخرجه الطبري:٥٣٤/١٩.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٨/٣.

(٤) الحديث:« إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

حديث تميم الدارى: أخرجه أحمد (١٠٢/٤، رقم ١٦٩٨٢) ، ومسلم (٧٤/١، رقم ٥٥) ، وأبو داود (٢٨٦/٤، رقم ٤٩٤٤) ، والنسائى (١٥٦/٧، رقم ٤١٩٧) ، وأبو عوانة (٤٤/١، رقم ١٠١) ، وابن خزيمة فى السياسة كما فى إتحاف المهرة للحافظ (٨/٣، رقم ٢٤٥٦) ، وابن حبان (٤٣٥/١٠، رقم ٤٥٧٤) ، والبغوى فى الجعديات (٣٩٢/١، رقم ٢٦٨١) وابن قانع (١٠٩/١) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٢٣/٤، رقم ٥٢٦٥) ، وأبو نعيم فى المعرفة (٤٤٩/١، رقم ١٢٩١) . وأخرجه أيضا: الطبرانى (٥٤/٢، رقم ١٢٦٧) ، وابن عساكر (٥٤/١١) .

حديث أبى هريرة: أخرجه الترمذى (٣٢٤/٤ رقم ١٩٢٦) وقال: حسن صحيح. والنسائى (١٥٧/٧ رقم ٤١٩٩) ، والدارقطنى فى الأفراد كما أطرافه لابن طاهر (٣٤٦/٥، رقم ٥٦٩٩) . وأخرجه أيضا: أحمد (٢٩٧/٢، رقم ٧٩٤١) ، والطبرانى فى الأوسط (١٢٢/٤، رقم ٣٧٦٩) .

حديث ابن عباس: أخرجه أحمد (٣٥١/١، رقم ٣٢٨١) ، والطبرانى (١٠٨/١١، رقم ١١١٩٨) . وأخرجه أيضا: أبو يعلى (٢٥٩/٤، رقم ٢٣٧٢) ، والبزار كما فى كشف الأستار (٤٩/١، رقم ٦١) . قال الهيثمى (٨٧/١) : مقتضى رواية أحمد الانقطاع بين عمرو وابن عباس ومع ذلك فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد ضعفه. ورواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

حديث ثوبان: أخرجه ابن عساكر (٣٠٧/٩) . وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الأوسط (٤٢/٢، رقم ١١٨٤) . قال الهيثمى (٨٧/١) : فيه أيوب بن سويد، وهو ضعيف لا يحتج به.

وللحديث أطراف أخرى منها: "الدين النصيحة"، "رأس الدين النصيحة".

(٥) .تفسير السمعاني:١٢٦/٤

(٦)أخرجه الطبري:٤٣٤/١٩ .

(٧)أخرجه الطبري:٤٣٤/١٩ .

قال ابن جريج:" فعلقوها حين قالت: وهم له ناصحون، قالوا: قد عرفته، قالت: إنما أردت هم للملك ناصحون"[١].

القرآن

{فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)} [القصص : ١٣]

التفسير:

فرددنا موسى إلى أمه؛ كي تقرَّ عينها به، ووفينا إليها بالوعد؛ إذ رجع إليها سليمًا مِن قتل فرعون، ولا تحزنَ على فراقه، ولتعلم أن وعد الله حق فيما وعدها مِن ردِّه إليها وجعله من المرسلين. إن الله لا يخلف وعده، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق.

قوله تعالى:{فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ} [القصص : ١٣]، أي:" أعدناه إليها تحقيقاً للوعد كي تسعد وتهنأ بلقائه ولا تحزن على فراقه"[٢].

قال الطبري:يقول:" {فرددنا} موسى {إلى أمه} بعد أن التقطه آل فرعون، لتقر عينها بابنها، إذ رجع إليها سليما من قتل فرعون {ولا تحزن} على فراقه إياها"[٣].

قال مقاتل:" فأرسل إليها فجاءت، فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها"[٤].

قال ابن كثير:" ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل : يوم وليلة ، أو نحوه ، والله سبحانه أعلم ، فسبحان من بيديه الأمر! ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجًا ، وبعد كل ضيق مخرجًا. ولهذا قال تعالى : { فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا } أي : به ، { وَلا تَحْزَنْ } أي : عليه"[٥].

قوله تعالى:{وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [القصص : ١٣]، أي:" ولتتحقق من صدق وعد الله برده عليها وحفظه من شر فرعون"[٦].

قال النسفي:" أي: وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا"[٧].

قال ابن كثير:" أي : فيما وعدها من رده إليها ، وجعله من المرسلين. فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين ، فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعًا وشرعًا "[٨].
"[٨].

قال قتادة:" ووعدها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين، ففعل الله ذلك بها"[٩].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [القصص : ١٣]، أي:" ولكن أكثر الناس يرتابون ويشكون في وعد الله القاطع"[١٠].

قال الطبري: يقول:" ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق، لا يصدقون بأن ذلك كذلك"[١].

---

(١)أخرجه الطبري:١٩/٤٣٤ .

(٢) صفوة التفاسير:٢/٣٩٢.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٥٣٤.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٣٨.

(٥) تفسير ابن كثير:٦/٢٢٤.

(٦) صفوة التفاسير:٢/٣٩٢.

(٧) تفسير النسفي:٢/٦٣٢.

(٨) تفسير ابن كثير:٦/٢٢٤.

(٩) أخرجه الطبري:١٩/٥٣٥.

(١٠) صفوة التفاسير:٢/٣٩٢.

قال ابن كثير:"أي: حُكْمَ الله في أفعاله وعواقبها المحمودة ، التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة ، فربما يقع الأمر كريها إلى النفوس ، وعاقبته محمودة في نفس الأمر ، كما قال تعالى : { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ } [البقرة : ٢١٦] وقال تعالى : { فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا } [النساء : ١٩]"(٢).

قال النسفي:قوله:" {ولكن أكثرهم لا يعلمون} هو داخل تحت علمها أي لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون، ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت"(٣).

القرآن

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤)} [القصص : ١٤]

التفسير:

ولما بلغ موسى أشد قوته وتكامل عقله، آتيناه حكمًا وعلمًا يعرف بهما الأحكام الشرعية، وكما جزينا موسى على طاعته وإحسانه نجزي مَن أحسن مِن عبادنا.

قوله تعالى:{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} [القصص : ١٤]، أي:" ولما بلغ موسى أشد قوته وتكامل عقله"(٤).

قال الطبري: يقول: "ولما بلغ موسى {أشده}، يعني: حان شدة بدنه وقواه، {واستوى}، يقول: وانتهى ذلك منه، تناهي شبابه، وتم خلقه واستحكم"(٥).

واختلف أهل العلم في معنى «الأشدُّ»، على عشرة أقوال:

أحدها : معناه: بلوغ الحلم ، قاله الشعبي(٦)، وربيعة(٧)، وزيد بن أسلم(٨)، ومالك(٩).

قال الشعبي:" لأشد: الحلم. إذا كتبت له الحسنات، وكتبت عليه السيئات"(١٠).

الثاني : ثماني عشرة سنة ، قاله سعيد بن جبير(١١)، وبه قال مقاتل(١٢).

الثالث : عشرون سنة ، قاله ابن عباس(١٣)، والضحاك(١٤).

الرابع : خمس وعشرون سنة ، قاله عكرمة(١٥).

---

(١) تفسير الطبري:٥٣٥/١٩.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٢٤/٦.

(٣) تفسير النسفي:٦٣٢/٢.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٥) تفسير الطبري:٥٣٥/١٩.

(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٨):ص٢١١٩/٧.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٦):ص٢١١٩/٧، و(١٦٧٤١):ص٢٩٥١/٩.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٧):ص٢١١٩/٧، و(١٦٧٤٢):ص٢٩٥١/٩.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢١١٩/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٤٤٨):ص٢١١٩/٧.

(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٥٠):ص٢١١٩/٧.

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٨/٣.

(١٣) انظر: النكت والعيون:٢١/٣.

(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٦١):ص٢٣/١٦.

(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٥):ص٢١١٩/٧.

الخامس : ثلاثون سنة ، قاله السدي[١].
السادس : ثلاث وثلاثون سنة . قاله ابن عباس[٢]، والحسن[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥].
السابع: بضع ثلاثون سنة. قاله ابن عباس[٦].
الثامن: ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وهذا مروي عن ابن عباس من وجه غير مرضي-كما قاله الطبري-[٧].
التاسع: أربعون سنة. قاله الحسن[٨]. قال ابن العربي:" يروى عن جماعة"[٩].
العاشر: وهو ما بين ثلاث وثلاثين إلى تسع وثلاثين"[١٠].
قال الشوكاني:" والأولى في تحقيق بلوغ «الأشد»: أنه البلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد، وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكا مسلك العقلاء، لا مسلك أهل السفه والتبذير، ويدل على هذا قوله تعالى في سورة النساء: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} [النساء : ٦]، فجعل بلوغ النكاح، وهو بلوغ سن التكليف مقيدا بإيناس الرشد"[١١].

قال الشنقيطي:" أما الأشُد من حيث هو: فهو يطلق على خمس وعشرين، وعلى ثلاثين سنة، وعلى أربعين، وعلى ستين، وعلى خمسين"[١٢].

واختلف أهل العلم في معنى قوله تعالى: {وَاسْتَوَى} [القصص : ١٤]، على أقوال:
أحدها : اعتدال القوة ، قاله ابن شجرة[١٣].
وقال الزجاج: استكمل نهاية قوة الرجل"[١٤].
وقال أبو عبيدة:"أي: استحكم وتم"[١٥].
الثاني : يعني بـ«الاستواء»: خروج لحيته، قاله ابن قبيصة[١٦].
الثالث : انتهى شبابه واستقر، فلم يكن في نباته مزيد، قاله ابن قتيبة[١٧].

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٩):ص٧/٢١٩.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٣):ص٧/٢١١٨.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣/٢١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٥٧)-(١٨٩٦٠):ص١٦/٢٢.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٧/٢١١٨. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٨٩٦٠):ص١٦/٢٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٦/٢٣.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٤٤٤):ص٧/٢١١٨.
(٩) أحكام القرآن:٣/٤٦.
(١٠) معاني القرآن:٤/١٣٥.
(١١) فتح القدير:٢/٣٠٢.
(١٢) العذب المنير:٢/٥٠٨.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٤/٢٤١.
(١٤) معاني القرآن:٤/١٣٥.
(١٥)مجاز القرآن:٢/٩٩ .
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٧٤٥)ص: ٩/٢٩٥١.
(١٧) انظر: غريب القرآن:٢٧٧.

الرابع : أربعون سنة ، قاله ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، قتادة[٣]، وزيد بن اسلم[٤]، والثوري[٥]، والثوري[٥]، وبه قال مقاتل[٦].
الخامس: وصل حقيقة بلوغ الأشد. أجازه الزجاج[٧].
قوله تعالى:{آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [القصص : ١٤]، أي:" أعطيناه الفهم والعلم والتفقه في الدين مع النبُوَّة"[٨].
قال النسفي:" {آتيناه حكما} نبوة {وعلما} فقها أو علما بمصالح الدارين"[٩].
قال محمد بن إسحاق:" أي: آتاه الله حكما وعلما، فقها في دينه ودين آبائه وعلما بما في دينه من شرائعه وحدوده"[١٠].
قال مقاتل:" يقول: أعطيناه علما وفهما"[١١].
قال محمد بن إسحاق:" أي: آتاه الله حكما وعلما"[١٢].
قال مجاهد:" الفقه والعقل والعلم قبل النبوة"[١٣].
قال عكرمة:" الحكم: اللب"[١٤].
قال ابن عباس:" الحكم: العلم"[١٥].
قال الزجاج: "فعلم موسى عليه السلام وحكم قبل أن يبعث"[١٦].
وعن السدي قوله: "{آتيناه حكما وعلما}، قال: النبوة"[١٧].
عن مجاهد: "«الحكم»، قال: هو القرآن"[١٨].
قوله تعالى:{وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [القصص : ١٤]، أي:" مثل هذا الجزاء الكريم نجازي المحسنين على إحسانهم"[١٩].
قال مقاتل:" يقول: هكذا نجزى من أحسن، يعني: من آمن بالله- عز وجل-"[١].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٧٤٤):ص٩/٢٩٥١.

(٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥٣٥، وتفسير ابن أبي حاتم: ٩/٢٩٥١. بدون سند.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩/٢٩٥١. بدون سند.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩/٢٩٥١. بدون سند.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩/٢٩٥١. بدون سند.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٣٨.

(٧) انظر: معاني القرآن:٤/١٣٥.

(٨) صفوة التفاسير:٢/٣٩٢.

(٩) تفسير النسفي:٢/٦٣٢.

(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٥١):ص٩/٢٩٥٢.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٣٨.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٤٦):ص٩/٢٩٥١.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٤٨):ص٩/٢٩٥٢.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٤٧):ص٩/٢٩٥١.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٤٧):ص٩/٢٩٥٢.

(١٦) معاني القرآن:٤/١٣٦.

(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٤٩):ص٩/٢٩٥٢.

(١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٥٠):ص٩/٢٩٥٢.

(١٩) صفوة التفاسير:٢/٣٩٢.

قال الزجاج: "فجعل الله إتيان العلم والحكمة مجازاة على الإحسان لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين، والعالم الحكيم من استعمل علمه، لأن الله - عز وجل - قال: {وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون} [البقرة : ١٠٢]، فجعلهم إذ لم يعملوا بالعلم: جهال"[٢].

القرآن

{وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥)} [القصص : ١٥]

التفسير:

ودخل موسى المدينة مستخفيًا وقت غفلة أهلها، فوجد فيها رجلين يقتتلان: أحدهما من قوم موسى من بني إسرائيل، والآخر من قوم فرعون، فطلب الذي من قوم موسى النصر على الذي من عدوه، فضربه موسى بجُمْع كفِّه فمات، قال موسى حين قتله: هذا من نزغ الشيطان، بأن هيَّج غضبي، حتى ضربت هذا فهلك، إن الشيطان عدو لابن آدم، مضل عن سبيل الرشاد، ظاهر العداوة.

قوله تعالى:{وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا} [القصص : ١٥]، أي:" ودخل موسى المدينة مستخفيًا وقت غفلة أهلها"[٣].

قال مقاتل: وكان بقرية تدعى «خانين» على رأس فرسخين، فأتى المدينة فدخلها نصف النهار، فذلك قوله- عز وجل-: {ودخل المدينة}، يعني: القرية، {على حين غفلة من أهلها}، يعني: نصف النهار وقت القائلة"[٤].

عن السدي، "أن فرعون ركب مركبا، وليس، عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها: منف، فدخلها نصف النهار، وقد تغلقت أسواقها، وليس في طرقها أحد، وهي التي يقول الله عز وجل: {ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها}"[٥].

عن ابن عباس، "{ودخل المدينة على حين غفلة}، قال: نصف النهار"[٦].

قال سعيد بن جبير:" نصف النهار والناس قائلون"[٧]. وروي، عن عكرمة والسدي مثل ذلك[٨].

وفي رواية عن ابن عباس:"{على حين غفلة من أهلها}، قال: بين المغرب والعشاء"[٩].

وقال ابن زيد:" على حين غفلة من الناس، على حين غفلة من ذكر موسى"[١٠].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٣٨-٣٣٩.

(٢) معاني القرآن:٤/١٣٦.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٣٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٥٤):ص٩/٢٩٥٢-٢٩٥٣.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٥٥):ص٩/٢٩٥٣.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٥٦):ص٩/٢٩٥٣.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/٢٩٥٣. بدون سند.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٥٨):ص٩/٢٩٥٣.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٥٩):ص٩/٢٩٥٣.

قوله تعالى:{فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ} [القصص : ١٥]، أي:" فوجد فيها رجلين يقتتلان: أحدهما من قوم موسى من بني إسرائيل، والآخر من قوم فرعون"(١).

قال ابن عباس:" لما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع، فبينا موسى يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعوني، والآخر إسرائيلي"(٢).

وفي رواية عن ابن عباس:" هذا من شيعته إسرائيلي وهذا من عدوه قبطي"(٣). وروي، وروي، عن قتادة والسدي نحو ذلك(٤).

عن محمد بن إسحاق، :"{هذا من شيعته}، أي: مسلم، {وهذا من عدوه}، أي: هذا من أهل دين فرعون: كافر"(٥).

قوله تعالى:{فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} [القصص : ١٥]، أي:" فطلب الذي من قوم موسى النصر على الذي من عدوه"(٦).

قال قتادة: كان الذي استغاثه رجل من بني إسرائيل استغاث موسى على عدوه من آل فرعون"(٧).

قال ابن عباس:" فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني"(٨).

قال ابن عباس:" فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل، وحفظه لهم لا يعلم الناس إلا إنما ذلك من الرضاع إلا أم موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى ﷺ من ذلك ما لم يطلع عليه غيره، فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما إلا الله ثم الإسرائيلي"(٩).

قوله تعالى:{فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} [القصص : ١٥]، أي:" فضربه موسى بجُمْع كفِّه فمات"(١٠).

قال ابن كثير:" { فَقَضَى عَلَيْهِ } أي : كان فيها حتفه فمات"(١١).

قال مجاهد:" فوكزه موسى بجمع كفه"(١٢).

قال قتادة:" فوكزه نبي الله موسى ﷺ- بعصاه ولم يتعمد قتله"(١٣).

قال محمد بن إسحاق:" وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق، وشدة في البطش فضب بعدوهما فنازعه، فوكزه موسى وكزة قتله منها، وهو لا يريد قتله"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٦٠):ص٩/٢٩٥٣-٢٩٥٤.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٦١):ص٩/٢٩٥٤.

(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٩/٢٩٥٤. بدون سند.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٦٢):ص٩/٢٩٥٤.

(٦) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٦٤):ص٩/٢٩٥٤.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٦٣):ص٩/٢٩٥٤.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٦٥):ص٩/٢٩٥٤.

(١٠) التفسير الميسر:٣٨٧.

(١١) تفسير ابن كثير:٦/٢٢٥.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٦٦):ص٩/٢٩٥٥.

(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٦٧):ص٩/٢٩٥٥.

قال ابن عباس:" فقضى عليه فمات، فكبر ذلك على موسى ﷺ"[٢].

قال القرطبي:" فعل موسى عليه السلام ذلك وهو لا يريد قتله، إنما قصد دفعه فكانت فيه نفسه"[٣].

قال سعيد بن جبير:" الذي وكزه موسى كان خبازا لفرعون"[٤].

قوله تعالى:{قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [القصص : ١٥]، أي:" قال موسى حين قتله: هذا من نزغ الشيطان، بأن هيَّج غضبي، حتى ضربت هذا فهلك"[٥].

قال القرطبي:" أي: من إغوائه"[٦].

قال الطبري: "قال موسى حين قتل القتيل: هذا القتل من تسبب الشيطان لي بأن هيج غضبي حتى ضربت هذا فهلك من ضربتي"[٧].

قال ابن عباس:" فقال موسى حين قتل الرجل: {هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين}"[٨].

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} [القصص : ١٥]، أي:" إن الشيطان عدو لابن آدم، مضل عن سبيل الرشاد، ظاهر العداوة"[٩].

قال الطبري: " يقول: إن الشيطان عدو لابن آدم {مضل} له عن سبيل الرشاد بتزيينه له القبيح من الأعمال، وتحسينه ذلك له {مبين} يعني: أنه يبين عداوته لهم قديما، وإضلاله إياهم"[١٠].

القرآن

{قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦)} [القصص : ١٦]

التفسير:

قال موسى: رب إني ظلمت نفسي بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها فاغفر لي ذلك الذنب، فغفر الله له. إن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي} [القصص : ١٦]، أي:" قال موسى: رب إني ظلمت نفسي بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها فاغفر لي ذلك الذنب"[١١].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التي قتلها، وتوبته إليه منه ومسألته غفرانه من ذلك {رب إني ظلمت نفسي} بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها، فاعف عن ذنبي ذلك، واستره علي، ولا تؤاخذني به فتعاقبني عليه"[١٢].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٦٨):ص٩/٢٩٥٥.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٧٠):ص٩/٢٩٥٥.

(٣) تفسير القرطبي:٢٦١/١٣.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٦٩):ص٩/٢٩٥٥.

(٥) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٦) تفسير القرطبي:٢٦١/١٣.

(٧) تفسير الطبري:٥٤١/١٩.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٧١):ص٩/٢٩٥٥.

(٩) التفسير الميسر:٣٨٧.

(١٠) تفسير الطبري:٥٤١/١٩.

(١١) التفسير الميسر: ٣٨٧.

(١٢) تفسير الطبري:٥٤١/١٩.

قال القرطبي:" ندم موسى عليه السلام على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس، فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه"(١).

قال ابن عباس:" قال في موسى: {إني ظلمت نفسي}، يعني: ذنبا"(٢).

قال قتادة:" عرف نبي الله ﷺ من أين المخرج يراد المخرج، فلم يلق ذنبه على ربه. قال بعض الناس: أي: من جهة المقدور"(٣).

قوله تعالى:{فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [القصص : ١٦]، أي:" فغفر الله له. إن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم"(٤).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فعفا الله لموسى عن ذنبه ولم يعاقبه به، {إنه هو الغفور الرحيم} يقول: إن الله هو الساتر على المنيبين إليه من ذنوبهم على ذنوبهم، المتفضل عليهم بالعفو عنها، الرحيم للناس أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد ما تابوا منها"(٥).

قال سعيد بن جبير:" الغفور، يعني: لما كان منه الرحيم لمن تاب"(٦).

فوائد الآيات:[١٢-١٦]:

١- بيان حسن تدبير الله تعالى في منع موسى من سائر المرضعات حتى يرده إلى أمه.
٢- بيان حسن رد الفتاة على التهمة التي وجهت إليها وذلك من ولاية الله لها وتوفيقه.
٣- تقرير أن وعد الله حق، وأنه تعالى لا يخلف الوعد ولا الميعاد.
٤- بيان إنعام الله على موسى بالحكمة والعلم قبل النبوة والرسالة.
٥- مشروعية إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم، لأن نصر المظلوم دِين في الملل كلها وفرض في جميع الشرائع.
٦- وجوب التوبة بعد الوقوع في الزلل، وأول التوبة الاعتراف بالذنب.

القرآن

{قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (١٧)} [القصص : ١٧]

التفسير:

قال موسى: ربِّ بما أنعمت عليَّ بالتوبة والمغفرة والنعم الكثيرة، فلن أكون معينًا لأحد على معصيته وإجرامه.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} [القصص : ١٧]، اي:" قال موسى: ربِّ بما أنعمت عليَّ بالتوبة والمغفرة والنعم الكثيرة"(٧).

قال الطبري:" قال موسى رب بإنعامك علي بعفوك عن قتل هذه النفس"(٨).

قال مقاتل: يقول: إذ أنعمت علي بالمغفرة فلم تعاقبني بالقتل"(٩).

قال السمعاني:" مننت علي بالمغفرة"(١٠).

---

(١) تفسير القرطبي:٢٦١/١٣.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٧٢):ص٢٩٥٥/٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٧٣):ص٢٩٥٥/٩.

(٤) التفسير الميسر: ٣٨٧.

(٥) تفسير الطبري:٥٤١/١٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٧٤):ص٢٩٥٦/٩.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٨) تفسير الطبري:٥٤١/١٩-٥٤٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٩/٣.

(١٠) تفسير السمعاني:١٢٨/٤.

قوله تعالى:{فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ} [القصص : ١٧]، اي:" فلن أكون معينًا لأحد على معصيته وإجرامه"[١].

قال الطبري:" يعني: المشركين، كأنه أقسم بذلك"[٢].

قال مقاتل: يعني: معينا للكافرين فيما بعد اليوم، لأن الذي نصره موسى كان كافرا"[٣].

قال قتادة:" لن أعين بعدها ظالما على فجره"[٤].

عن الضحاك، "{فلن أكون ظهيرا للمجرمين}، قال: معينا للمجرمين"[٥]. وروي عن عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة نحو ذلك[٦].

وفي قراءة عبد الله: «فلا تجعلني ظهيرا للمجرمين»[٧].

قال الطبري:" كأنه على هذه القراءة دعا ربه، فقال: اللهم لن أكون ظهيرا ولم يستثن عليه السلام حين قال {فلن أكون ظهيرا للمجرمين} فابتلي"[٨].

قال قتادة: يقول: فلن أعين بعدها ظالما على فجره، قال: وقلما قالها رجل إلا ابتلي، قال: فابتلي كما تسمعون"[٩].

قال السمعاني:" كانت زلة من موسى حين لم يقرن به مشيئة الله أو الاستغاثة من الله، وقلما يقول الإنسان هذا القول، ويطلق هذا الإطلاق إلا ابتلى، فابتلى موسى في اليوم الثاني ما ذكره الله تعالى"[١٠].

قال جابر بن حنظلة الكاتب: "قال رجل لعامر: يا أبا عمرو إني رجل كاتب، أكتب ما يدخل وما يخرج، آخذ رزقا أستغني به أنا وعيالي. قال: فلعلك تكتب في دم يسفك. قال: لا. قال: فلعلك تكتب في مال يؤخذ. قال: لا. قال: فلعلك تكتب في دار تهدم. قال: لا، أسمعت بما قال موسى؟ {رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين}، قال: أبلغت إلي يا أبا عمرو، والله لا أخط لهم بقلم أبدا. قال: والله لا يدعك الله بغير رزق أبدا"[١١].

عن عبيد الله بن الوليد الصافي، "أنه سأل عطاء بن أبي رباح عن أخ له كاتب، قلت: ليس يلي من أمور السلطان شيئا إلا أنه يكتب لهم بقلم ما دخل وما خرج. فإن ترك قلمه صار عليه دين واحتاج. وإن أخذ له كان له فيه غنى. قال: الرأس من هو؟ قال: خالد بن عبد الله. قال: قال العبد الصالح -يعني موسى عليه السلام-:{رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين}، فلا يهتم بشيء، وليرم قلمه، فإن الله سيأتيه برزق"[١٢].

القرآن

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٢) تفسير الطبري:١٩/٥٤١-٥٤٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٣٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٧٨):ص٩/٢٩٥٦.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٧٧):ص٩/٢٩٥٦.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٩/٢٩٥٦. بدون سند.

(٧) تفسير الطبري:١٩/٥٤٢.

(٨) تفسير الطبري:١٩/٥٤٢.

(٩) أخرجه الطبري:١٩/٥٤٢.

(١٠) تفسير السمعاني:٤/١٢٨.

(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٧٥):ص٩/٢٩٥٦.

(١٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٧٦):ص٩/٢٩٥٦.

{فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨)} [القصص : ١٨]

التفسير:

فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفًا يترقب الأخبار مما يتحدث به الناس في أمره وأمر قتيله، فرأى صاحبه بالأمس يقاتل قبطيًا آخر، ويطلب منه النصر، قال له موسى: إنك لكثير الغَواية ظاهر الضلال.

قوله تعالى:{فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} [القصص : ١٨]، أي:" فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفًا يترقب الأخبار مما يتحدث به الناس في أمره وأمر قتيله"[١].

قال الطبري:" فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفا من جنايته التي جناها، وقتله النفس التي قتلها أن يؤخذ فيقتل بها يترقب الأخبار، أي: ينتظر ما الذي يتحدث به الناس، مما هم صانعون في أمره وأمر قتيله"[٢].

قال ابن عباس:" خائفا من قتله النفس، يترقب أن يؤخذ"[٣].

قال السدي:" خائفا أن يؤخذ"[٤].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{يترقب}، قال: يتلفت"[٥]. وروي عن الضحاك نحو ذلك[٦].
ذلك[٦].

قوله تعالى:{فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ} [القصص : ١٨]، أي:" فرأى صاحبه بالأمس يقاتل قبطيًا آخر، ويطلب منه النصر"[٧].

قال مقاتل:" يعني: يستغيثه ثانية على رجل آخر كافر من القبط"[٨].

قال الطبري:" فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف مترقبا الأخبار عن أمره وأمر القتيل، فإذا الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس على الفرعوني يقاتله فرعوني آخر، فرآه الإسرائيلي فاستصرخه على الفرعوني. يقول: فاستغاثه أيضا على الفرعوني، وأصله من: الصراخ"[٩].

عن عكرمة، قال: "الذي استنصره: هو الذي استصرخه"[١٠].

قال قتادة:" الاستنصار والاستصراخ واحد"[١١].

قال السدي:" يقول: يستغيثه"[١٢].

قوله تعالى:{قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} [القصص : ١٨]، أي:" قال له موسى: إنك لكثير الغَواية ظاهر الضلال"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٢) تفسير الطبري:٥٤٢/١٩.

(٣) أخرجه الطبري:٥٤٢/١٩.

(٤) أخرجه الطبري:٥٤٢/١٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٨٣):ص٢٩٥٧/٩.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٩٥٧/٩. بدون سند.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٩/٣.

(٩) تفسير الطبري:٥٤٢/١٩.

(١٠) أخرجه الطبري:٥٤٤/١٩.

(١١) أخرجه الطبري:٥٤٣/١٩.

(١٢) أخرجه الطبري:٥٤٣/١٩.

قال مقاتل:" يقول: إنك لمضل مبين، قتلت أمس في سببك رجلا"[٢].

قال ابن كثير:" أي : ظاهر الغواية كثير الشر"[٣].

قال الطبري:" قال موسى للإسرائيلي الذي استصرخه، وقد صادف موسى نادما على ما سلف منه من قتله بالأمس القتيل، وهو يستصرخه اليوم على آخر: إنك أيها المستصرخ لغوي: يقول: إنك لذو غواية، مبين. يقول: قد تبينت غوايتك بقتالك أمس رجلا واليوم آخر"[٤].

قال السمعاني:" الأكثرون أن هذا قاله موسى للإسرائيلي، فإنه كان أغواه أمس أي: أوقعه في الغواية، فمعنى قوله: {غوى} : موقع في الغواية. وقوله: {مبين} أي: بين، ويقال: إن هذا قاله للقبطي، والأصح هو الأول"[٥].

قال ابن إسحاق:" لما قتل موسى القتيل، خرج فلحق بمنزله من مصر، وتحدث الناس بشأنه، وقيل: قتل موسى رجلا حتى انتهى ذلك إلى فرعون، فأصبح موسى غاديا الغد، وإذا صاحبه بالأمس معانق رجلا آخر من عدوه، فقال له موسى: {إنك لغوي مبين}، أمس رجلا واليوم آخر؟"[٦].

القرآن

{فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩)} [القصص : ١٩]

التفسير:

فلما أن أراد موسى أن يبطش بالقبطي، قال: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس؟ ما تريد إلا أن تكون طاغية في الأرض، وما تريد أن تكون من الذين يصلحون بين الناس.

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا} [القصص : ١٩]، أي:" فلما أن أراد موسى أن يبطش بالقبطي"[٧].

قال الطبري:يقول:" فلما أراد موسى أن يبطش بالفرعوني الذي هو عدو له وللإسرائيلي"[٨].

قال مقاتل:" {فلما أن أراد أن يبطش} الثانية بالقبطي {بالذي هو عدو لهما}، يعنى: عدوا لموسى وعدوا للإسرائيلي"[٩].

قال السمعاني:" في التفسير: إن موسى أدركته الرقة والرحمة للإسرائيلي، فقصد أن يبطش بالقبطي"[١٠].

قوله تعالى:{قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ} [القصص : ١٩]، أي:" قال: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس؟"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٠.

(٣) تفسير ابن كثير:٦/٢٢٥.

(٤) تفسير الطبري:١٩/٥٤٢-٥٤٣.

(٥) تفسير السمعاني:٤/١٢٩.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/٥٤٣.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٨) تفسير الطبري:١٩/٥٤٤.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٠.

(١٠) تفسير السمعاني:٤/١٢٩.

قال الطبري: " قال الإسرائيلي لموسى وظن أنه إياه يريد :{أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس}"[٢].

قال مقاتل:" ظن الإسرائيلي أن موسى يريد أن يبطش به لقول موسى له: {إنك لغوي مبين}، قال الإسرائيلي: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس"[٣].

قال قتادة: خافه الذي من شيعته حين قال له موسى: {إنك لغوي مبين}"[٤].

قال السدي:" قال موسى للإسرائيلي: {إنك لغوي مبين}، ثم أقبل لينصره، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي، {قال} الإسرائيلي، وفرق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ له الكلام: {يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين} فتركه موسى"[٥].

قال ابن كثير:" عزم على البطش بذلك القبطي ، فاعتقد الإسرائيلي لخوَرِه وضعفه وذلته أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك ، فقال يدفع عن نفسه : { يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأمْسِ } وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى ، عليه السلام ، فلما سمعها ذلك القبطي لقَفَها من فمه ، ثم ذهب بها إلى باب فرعون فألقاها عنده ، فعلم بذلك ، فاشتد حنقه ، وعزم على قتل موسى ، فطلبوه فبعثوا وراءه ليحضروه لذلك "[٦].

قوله تعالى:{إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ} [القصص : ١٩]، أي:" ما تريد إلا أن تكون طاغية في الأرض"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الإسرائيلي لموسى: إن تريد ما تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض، وكان من فعل الجبابرة: قتل النفوس ظلما، بغير حق. وقيل: إنما قال ذلك لموسى الإسرائيلي؛ لأنه كان عندهم من قتل نفسين: من الجبابرة"[٨].

قال مقاتل:" يعني: قتالا في الأرض: مثل سيرة الجبابرة القتل فى غير حق"[٩].

قال السمعاني:" أي: تقتل على الغضب، وكل من قتل على الغضب فهو جبار، ويقال: من قتل نفسين بغير حق فهو من جبابرة الأرض"[١٠].

عن الشعبي قال: "من قتل رجلين فهو جبار؛ قال: ثم قرأ {أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين}"[١١].

قال قتادة: إن الجبابرة هكذا، تقتل النفس بغير النفس"[١٢].

قال ابن جريج: تلك سيرة الجبابرة أن تقتل النفس بغير النفس"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٢) تفسير الطبري:٥٤٤/١٩.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٠/٣.

(٤) اخرجه الطبري:٥٤٤/١٩.

(٥) اخرجه الطبري:٥٤٤/١٩.

(٦) تفسير ابن كثير:٢٢٥/٦-٢٢٦.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٨) تفسير الطبري:٥٤٥/١٩.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٠/٣.

(١٠) تفسير السمعاني:١٢٩/٤.

(١١) أخرجه الطبري:٥٤٥/١٩.

(١٢) أخرجه الطبري:٥٤٥/١٩.

(١٣) أخرجه الطبري:٥٤٥/١٩.

قال أبو عمران الجوني:" وآية الجبابرة القتل بغير الحق"[١].

قال ابن عباس:" أتي فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون، فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك، قال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه، لا يستقيم أن نقضي بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا ذلك، فبينما هم يطوفون لا يجدون شيئا، إذ مر موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس، وكره الذي رأى، فغضب موسى، فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم {إنك لغوي مبين}، فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال هذا، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس إذ قتل فيه الفرعوني، فخاف أن يكون بعد ما قال له: {إنك لغوي مبين} إياه أراد، ولم يكن أراده، إنما أراد الفرعوني، فخاف الإسرائيلي فحاجه، فقال: {يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض}؟ وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله، فتتاركا"[٢].

قوله تعالى:{وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ} [القصص : ١٩]، أي:" وما تريد أن تكون من الذين يصلحون بين الناس"[٣].

قال مقاتل:" يعني: من المطيعين لله- عز وجل- في الأرض"[٤].

قال الطبري:" يقول: ما تريد أن تكون ممن يعمل في الأرض بما فيه صلاح أهلها، من طاعة الله"[٥].

قال السمعاني:" أي: الرافقين بالناس"[٦].

قال ابن إسحاق:" أي: ما هكذا يكون الإصلاح"[٧].

قال السعدي: "وإلا فلو أردت الإصلاح لحلت بيني وبينه من غير قتل أحد، فانكف موسى عن قتله، وارعوى لوعظه وزجره"[٨].

القرآن

{وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠)} [القصص : ٢٠]

التفسير:

وجاء رجل من آخر المدينة يسعى، قال يا موسى: إن أشراف قوم فرعون يتآمرون بقتلك، ويتشاورون، فاخرج من هذه المدينة، إني لك من الناصحين المشفقين عليك.

قوله تعالى:{وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى} [القصص : ٢٠]، أي:" وجاء رجل من آخر المدينة يسعى"[٩].

قال السعدي: " أي: ركضا على قدميه من نصحه لموسى، وخوفه أن يوقعوا به، قبل أن يشعر"[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٩١):ص٢٩٥٩/٩.

(٢) أخرجه الطبري:٥٤٣/١٩.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٠/٣.

(٥) تفسير الطبري:٥٤٥/١٩.

(٦) تفسير السمعاني:١٢٩/٤.

(٧) أخرجه الطبري:٥٤٥/١٩.

(٨) تفسير السعدي:٦١٣.

(٩) التفسير الميسر:٣٨٧.

قال الطبري:" ذكر أن قول الإسرائيلي سمعه سامع فأفشاه، وأعلم به أهل القتيل، فحينئذ طلب فرعون موسى، وأمر بقتله؛ فلما أمر بقتله، جاء موسى مخبر وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره، وأشار عليه بالخروج من مصر، بلد فرعون وقومه.. وقوله: {وجاء رجل}، ذكر أنه مؤمن آل فرعون، وكان اسمه فيما قيل: سمعان. وقال بعضهم: بل كان اسمه: شمعون"(٢).

عن ابن جريج: "{وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى}، قال: يعجل، ليس بالشد"(٣).

عن الضحاك، "{وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى}، قال: مؤمن من آل فرعون"(٤).

قال مقاتل:" ولم يكن أهل مصر علموا بالقاتل حتى أفشى الإسرائيلي على موسى فلما سمع القبطي بذلك انطلق فأخبرهم أن موسى هو القاتل فائتمروا بينهم بقتل موسى، فجاء حزقيل بن صابوث القبطي- وهو المؤمن- من أقصى القرية يسعى على رجليه"(٥).

قال ابن عباس:" انطلق الفرعوني الذي كان يقاتل الإسرائيلي إلى قومه، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: {أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس}، فأرسل فرعون الذباحين لقتل موسى، فأخذوا الطريق الأعظم، وهم لا يخافون أن يفوتهم، وكان رجل من شيعة موسى في أقصى المدينة، فاختصر طريقا قريبا، حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر"(٦).

قال معمر:" قال الإسرائيلي لموسى: {أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس}، وقبطي قريب منهما يسمع، فأفشى عليهما"(٧).

قال ابن جريج:" سمع ذلك عدو، فأفشى عليهما"(٨).

قال قتادة:" أعلمهم القبطي الذي هو عدو لهما، فأتمر الملأ ليقتلوه، فجاء رجل من أقصى المدينة، وقرأ {إن ... } إلى آخر الآية، قال: كنا نحدث أنه مؤمن آل فرعون"(٩).

قال ابن كثير:" وصفه بالرّجُولية لأنه خالف الطريق ، فسلك طريقًا أقرب من طريق الذين بُعثوا وراءه ، فسبق إلى موسى"(١٠).

قوله تعالى:{قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ} [القصص : ٢٠]، أي:" قال يا موسى: إن أشراف قوم فرعون يتآمرون بقتلك، ويتشاورون"(١١).

قال ابن كثير:" أي : يتشاورون فيك { لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ } أي : من البلد"(١٢).

قال الطبري:" قال الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى: يا موسى إن أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك، ويتشاورون ويرتئون فيك؛ ومنه قول الشاعر(١):

---

(١) تفسير السعدي:٦١٣.

(٢) تفسير الطبري:٥٤٥/١٩، ٥٤٧.

(٣) أخرجه الطبري:٥٤٧/١٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٧٩٣):ص٢٩٥٩/٩.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٠/٣.

(٦) أخرجه الطبري:٥٤٦/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:٥٤٦/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٥٤٦/١٩.

(٩) أخرجه الطبري:٥٤٦/١٩.

(١٠) تفسير ابن كثير:٢٢٦/٦.

(١١) التفسير الميسر:٣٨٧.

(١٢) تفسير ابن كثير:٢٢٦/٦.

ما تأتمر فينا فأم ... رك في يمينك أو شمالك
يعني: ما ترتئي، وتهم به؛ ومنه قول النمر بن تولب[٢]:
أرى الناسَ قد أَحْدَثُوا شِيْمَةً ... وفي كلِّ حادثةٍ يُؤْتَمَرْ
أي: يتشاور ويرتأى فيها"[٣].

قال السدي:" ذهب القبطي، يعني الذي كان يقاتل الإسرائيلي، فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل، فطلبه فرعون وقال: خذوه فإنه صاحبنا، وقال للذين يطلبونه: اطلبوه في بنيات الطريق، فإن موسى غلام لا يهتدي الطريق، وأخذ موسى في بنيات الطريق، وقد جاءه الرجل فأخبره: {إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك}"[٤].

عن شعيب الجبئي، قال: "اسمه شمعون الذي قال لموسى: {إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك}"[٥].

قال ابن إسحاق:" أصبح الملأ من قوم فرعون قد أجمعوا لقتل موسى فيما بلغهم عنه، فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى يقال له سمعان، فقال: {يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين}"[٦].

قوله تعالى:{فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} [القصص : ٢٠]، أي:" فاخرج من هذه المدينة، إني لك من الناصحين المشفقين عليك"[٧].

قال الطبري:" يقول: فاخرج من هذه المدينة، إني لك في إشارتي عليك بالخروج منها من الناصحين"[٨].

قال السعدي: " فامتثل نصحه"[٩].

القرآن

{فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١)} [القصص : ٢١]

التفسير:

فخرج موسى من مدينة فرعون خائفًا ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه، فدعا الله أن ينقذه من القوم الظالمين.

قوله تعالى:{فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} [القصص : ٢١]، أي:" فخرج موسى من مدينة فرعون خائفًا ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه"[١٠].

قال الطبري: يقول:" فخرج موسى من مدينة فرعون خائفا من قتله النفس أن يقتل به، ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه"[١١].

---

(١)في اللسان: «أمر».

(٢) من شواهد ابي عبيدة في مجاز القرآن:٢/١٠٠، وانظر: والقرطبي ١٣/ ٢٦٦.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٥٤٧-٥٤٨.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٥٤٦.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/٥٤٧.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/٥٤٧.

(٧) التفسير الميسر:٣٨٧.

(٨) تفسير الطبري:١٩/٥٤٨.

(٩) تفسير السعدي:٦١٣.

(١٠) التفسير الميسر:٣٨٧.

(١١) تفسير الطبري:١٩/٥٤٨.

قال قتادة: خائفا من قتله النفس يترقب الطلب"[1].
قال ابن زيد:" يترقب مخافة الطلب"[2].
قال ابن إسحاق:" ذكر لي أنه خرج على وجهه خائفا يترقب ما يدري أي وجه يسلك، وهو يقول: {رب نجني من القوم الظالمين}"[3].
قال ابن عباس:" فخرج منها متوجها نحو مدين لم يلق رجلا قبل ذلك، وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه"[4].
قال السدي:" فلما أخذ في بنيات الطريق جاءه ملك على فرس بيده عنزة، فلما رآه موسى سجد له من الفرق، وقال: لا تسجد لي ولكن اتبعني، فاتبعه وهداه نحو مدين"[5].
قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص : ٢١]، أي:" فدعا الله أن ينقذه من القوم الظالمين"[6].
قال الطبري: يقول:" قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفا: رب نجني من هؤلاء القوم الكافرين، الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بك"[7].
قال مقاتل:" يعني: المشركين، أهل مصر"[8].
قال السعدي: " فإنه قد تاب من ذنبه وفعله غضبا من غير قصد منه للقتل، فَتَوعُّدُهُمْ له ظلم منهم وجراءة"[9].
فوائد الآيات:[١٧-٢١]:
١- شكر النعم، فموسى لما غفر الله له شكره بأن تعهد له أن لا يقف إلى جنب مجرم أبداً.
٢- سوء صحبة الأحمق الغوي فإن الإسرائيلي لغوايته وحمقه هو الذي سبب متاعب موسى.
٣- لزوم إبلاغ الدولة عن أهل الفساد والشر في البلاد لحمايتها.
٤- وجوب النصح وبذل النصيحة فمؤمن آل فرعون يعلم سلامة موسى من العيب ومن الجريمة فتعين له أن ينصح موسى بمغادرة البلاد لينجو إن شاء الله وليس هذا من باب خيانة البلاد والدولة، لأن موسى من أهل الكمال وما حدث عنه كان من باب الخطأ فرفده ومد إليه اليد إنقاذاً من موت متعين.
٥- الخوف الطبيعي لا يلام عليه فموسى عليه السلام قد خاف خوفاً أدى به إلى الالتجاء إلى ربه بالدعاء، فدعاه واستجاب له ولله الحمد والمنة.

القرآن
{وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢)} [القصص : ٢٢]
التفسير:
ولما قصد موسى بلاد «مدين» وخرج من سلطان فرعون قال: عسى ربي أن يرشدني خير طريق إلى «مدين».

---

(١) اخرجه الطبري:١٩/٥٤٨.
(٢) اخرجه الطبري:١٩/٥٤٨.
(٣) اخرجه الطبري:١٩/٥٤٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٩٩):ص٩/٢٩٦٠.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٨٠٠):ص٩/٢٩٦٠.
(٦) التفسير الميسر:٣٨٧.
(٧) تفسير الطبري:١٩/٥٤٨-٥٤٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٠.
(٩) تفسير السعدي:٦١٣.

قوله تعالى:{وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ} [القصص : ٢٢]، أي:" ولما قصد موسى بلاد «مدين» وخرج من سلطان فرعون"[١].

قال الطبري: يقول:" ولما جعل موسى وجهه نحو مدين، ماضيا إليها، شاخصا عن مدينة فرعون، وخارجا عن سلطانه"[٢].

قال قتادة:" ومدين: ماء كان عليه قوم شعيب"[٣].

قوله تعالى:{قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} [القصص : ٢٢]، أي:" قال: عسى ربي أن يرشدني خير طريق إلى «مدين»"[٤].

قال الطبري: " يقول: عسى ربي أن يبين لي قصد السبيل إلى مدين، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها"[٥].

عن مجاهد: "{سواء السبيل}، قال: الطريق إلى مدين"[٦].

وقال قتادة:" قصد السبيل"[٧].

وقال الحسن:" الطريق المستقيم"[٨].

قال ابن عباس:" خرج موسى متوجها نحو مدين، وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه، فإنه قال: {عسى ربي أن يهديني سواء السبيل}"[٩].

قال ابن إسحاق:" ذكر لي أنه خرج وهو يقول: {رب نجني من القوم الظالمين}، فهيأ الله الطريق إلى مدين، فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ولا ظهر ولا درهم ولا رغيف، خائفا يترقب، حتى وقع إلى أمة من الناس يسقون بمدين"[١٠].

قال سعيد بن جبير:" خرج موسى من مصر إلى مدين، وبينها وبينها مسيرة ثمان، قال: وكان يقال نحو من الكوفة إلى البصرة، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر، وخرج حافيا، فما وصل إليها حتى وقع خف قدمه"[١١].

القرآن

{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣)} [القصص : ٢٣]

التفسير:

ولما وصل ماء «مدين» وجد عليه جماعة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد من دون تلك الجماعة امرأتين منفردتين عن الناس، تحبسان غنمهما عن الماء؛ لعجزهما وضعفهما عن مزاحمة الرجال، وتنتظران حتى تَصْدُر عنه مواشي الناس، ثم تسقيان ماشيتهما، فلما رآهما

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٢) تفسير الطبري:٥٤٩/١٩.

(٣) أخرجه الطبري:٥٥٠/١٩.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٥) تفسير الطبري:٥٤٩/١٩.

(٦) أخرجه الطبري:٥٥٠/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:٥٥٠/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٥٥٠/١٩.

(٩) أخرجه الطبري:٥٤٩/١٩.

(١٠) أخرجه الطبري:٥٤٩/١٩-٥٥٠.

(١١) اخرجه الطبري:٥٥٠/١٩.

موسى -عليه السلام- رقَّ لهما، ثم قال: ما شأنكما؟ قالتا: لا نستطيع مزاحمة الرجال، ولا نسقي حتى يسقي الناس، وأبونا شيخ كبير، لا يستطيع أن يسقي ماشيته؛ لضعفه وكبره.

قوله تعالى:{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ} [القصص : ٢٣]، أي:" ولما وصل ماء «مدين»"[١].

قال السمعاني:" يعني: لما ورد موسى ماء مدين، وهو بئر كانوا يسقون منها أغنامهم ومواشيهم"[٢].

قوله تعالى:{وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} [القصص : ٢٣]، أي:" وجد عليه جماعة من الناس يسقون مواشيهم"[٣].

قال السمعاني:" أي: سوى الجماعة امرأتين، وقيل: بعيدا من الجماعة امرأتين تحبسان وتكفان أغنامهما من مخالطة أغنام الناس"[٤].

قال ابن قتيبة:{أُمَّةً}، " أي: جماعة"[٥].

قال الطبري:" يعني: جماعة {من الناس يسقون} نعمهم ومواشيهم"[٦].

عن مجاهد، قوله: "{أمة من الناس}، قال: أناسا"[٧].

قال السدي:" يقول: كثرة من الناس يسقون"[٨].

قال ابن إسحاق:" وقع إلى أمة من الناس يسقون بمدين أهل نعم وشاء"[٩].

قوله تعالى:{وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} [القصص : ٢٣]، أي:" ووجد سوى الجماعة الرعاة امرأتين تكفَّان غنمهما عن الماء"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: حابستين الغنم لتسقى فضل ماء الرعاء، وهما ابنتا شعيب النبي-ﷺ- واسم الكبرى صبورا واسم الصغرى عبرا، وكانتا توأمتين فولدت الأولى قبل الأخرى بنصف نهار"[١١].

قال أبو ماللك:" تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا وتخلو لهما البئر"[١٢].

قال ابن جريج:" تمنعان الغنم من الماء"[١٣].

قال ابن إسحاق:" يعني: دون القوم تذودان غنمهما عن الماء، وهو ماء مدين"[١٤].

وقال قتادة:" أي: حابستين شاءهما تذودان الناس عن شائهما"[١٥].

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٢) تفسير السمعاني:١٣١/٤.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٤) تفسير السمعاني:١٣١/٤.

(٥) غريب القرآن: ٣٣٢.

(٦) تفسير الطبري:٥٥١/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:٥٥١/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٥٥١/١٩.

(٩) أخرجه الطبري:٥٥١/١٩.

(١٠) صفوة التفاسير: ٣٩٥/٢.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤١/٣.

(١٢) أخرجه الطبري:٥٥٣/١٩.

(١٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٨١٩):ص٢٩٦٣/٩.

(١٤) أخرجه الطبري:٥٥٣/١٩.

(١٥) أخرجه الطبري:٥٥٣/١٩.

عن معمر، عن أصحابه :"{تذودان} قال: تذودان الناس عن غنمهما"[1].
وقال أبو عمران الجوني:" تكفان أغنامهما بعضها على بعض"[2].
قال الطبري:" يقول: ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء، امرأتين تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم"[3].
قال ابن قتيبة:" أي: تكفان غنمهما. وحذف «الغنم»، اختصارا"[4].
قال أبو عبيدة:" تَذُودانِ»: مجازه: تمنعان وتردان وتطردان، قال جرير[5]:
وقد سلبت عصاك بنو تميم ... فما تدري بأي عصا تذود
وقال سعيد بن كراع[6]:
أبيت على باب القوافي كأنما ... أذود بها سربا من الوحش نزّعا"[7].
قال الفراء:{تذودان}" تحبسان غنمهما، ولا يجوز أن تقول ذدت الرجل: حبسته. وإنما كان الذياد حبسا للغنم، لأن الغنم والإبل إذا أراد شيء منها أن يشذ ويذهب فرددته فذلك ذود، وهو الحبس"[8].
قال الزجاج:" أي: تذودان غنمهما عن أن يقرب موضع الماء، لأنها يطردها عن الماء من هو على السقي أقوى منهما"[9].
روي عن النبي ﷺ: " إنى لبعقر حوضى يوم القيامة أذود الناس لأهل اليمن وأضربهم بعصاى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى إلى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانة من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق"[10].
وفي قراءة عبد الله :«ودونهم امرأتان حابستان»[11].
قوله تعالى:{قَالَ مَا خَطْبُكُمَا} [القصص : ٢٣]، أي:" فلما رآهما موسى -عليه السلام- رقّ لهما، ثم قال: ما شأنكما؟"[1].

---

(١) أخرجه الطبري:٥٥٣/١٩.

(٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٨١٨):ص٢٩٦٣/٩.

(٣) تفسير الطبري:٥٥١/١٩، ٥٥٣.

(٤) غريب القرآن: ٣٣٢.

(٥) البيت من كلمة فى البيان والتبيين ٢/ ١١ والشعراء والأغانى وهو تفسير الطبري:٥٥١/١٩، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٦٨.

و«سويد بن كراع» : هو من عكل جاهلى إسلامى وكان هجا قومه فاستعدوا عليه عثمان بن عفان رضى الله عنه فأوعده عليه ألا يعود انظر ترجمته فى الشعراء ص ٤٠٣ والأغانى ١١/ ١٢١ والإصابة ٣/ ١٧٣.

(٦)فى قصيدة يهجو بها القتم فى ديوانه ص ١٦٠- ١٦٨، والبيت في تفسير الطبري:٥٥١/١٩، وتفسيير القرطبي:٢٦٨/١٣.

(٧) مجاز القرآن: ١٠١/٢.

(٨) معاني القرآن:٣٠٥/٢.

(٩) معاني القرآن:١٣٩/٤.

(١٠)أخرجه أحمد (٢٨١/٥، رقم ٢٢٤٧٩) ، ومسلم (١٧٩٩/٤، رقم ٢٣٠١) ، وابن حبان (٣٦٨/١٤، رقم ٦٤٥٦) .

ومن غريب الحديث: "ورق": فضة.

(١١) معاني القرآن للفراء:٣٠٥/٢.

قال مقاتل:" يعني: ما أمركما"(٢).
قال ابن قتيبة:" أي: ما أمركما؟ وما شأنكما؟"(٣).
قال الفراء:" فسألهما عن حبسهما"(٤).
قال أبو عبيدة:" أي: ما أمركما وحالكما وشأنكما، قال(٥):
يا عجبا ما خطبه وخطبى"(٦).

قال الطبري:" قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما تذودان ماشيتكما عن الناس، هلا تسقونها مع مواشي الناس والعرب، تقول للرجل: ما خطبك؟ بمعنى: ما أمرك وحالك"(٧).

قال الزجاج:" أي: ما أمركما، معناه: ما تخطبان، أي: ما تريدان بذودكما غنمكما عن الماء"(٨).

قال السمعاني:" «الخطب»: الأمر المهم، وإنما سأل هذا عنهما؛ لأنهما لا تسقيان الغنم مع الناس"(٩).

قال ابن عباس:" قال: قال لهما: {ما خطبكما} معتزلتين لا تسقيان مع الناس"(١٠).

قال ابن عباس:" وجد لهما رحمة، ودخلته فيهما خشية، لما رأى من ضعفهما، وغلبة الناس على الماء دونهما، فقال لهما: ما خطبكما: أي ما شأنكما"(١١).

قوله تعالى:{قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} [القصص : ٢٣]، أي:" قالتا: لا نستطيع مزاحمة الرجال، ولا نسقي حتى يسقي الناس"(١٢).

قال الفراء:" فقالتا: لا نقوى على السقي مع الناس حتى يصدروا"(١٣).

قال الطبري:" قالت المرأتان لموسى: لا نسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم، لأنا لا نطيق أن نسقي، وإنما نسقي مواشينا ما أفضلت مواشي الرعاء في الحوض"(١٤).

قال ابن قتيبة:" أي يرجع الرعاء. ومن قرأ: { يُصْدِرَ الرِّعَاءُ}؛ أراد: يرد الرعاء أغنامهم عن الماء"(١٥).

قال ابن عباس:" لما قال موسى للمرأتين: {ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير}، أي: لا نستطيع أن نسقي حتى يسقي الناس، ثم نتبع فضلاتهم"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤١.

(٣) غريب القرآن: ٣٣٢.

(٤) معاني القرآن:٢/٣٠٥.

(٥) الشعر لرؤبة، ديوانه ص ١٦ ، وتمامه: « والعبد حيّان بن ذات القنب ... يا عجبا ما خطبه وخطبى».

(٦) مجاز القرآن: ٢/١٠٢.

(٧) تفسير الطبري:١٩/٥٥٣.

(٨) معاني القرآن:٤/١٣٩.

(٩) تفسير السمعاني:٤/١٣١.

(١٠) أخرجه الطبري:١٩/٥٥٤.

(١١) أخرجه الطبري:١٩/٥٥٤.

(١٢) التفسير الميسر:٣٨٨.

(١٣) معاني القرآن:٢/٣٠٥.

(١٤) تفسير الطبري:١٩/٥٥٣.

(١٥) غريب القرآن: ٣٣٢.

قال ابن عباس:" قالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوم"(٢).
قال ابن جريج:" تنتظران تسقيان من فضول ما في الحياض حياض الرعاء"(٣).
قال ابن إسحاق:" امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال"(٤).
قوله تعالى:{وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} [القصص : ٢٣]، أي:" وأبونا شيخ كبير، لا يستطيع أن يسقي ماشيته؛ لضعفه وكبره"(٥).
قال مقاتل:" لا يستطيع أن يسقي الغنم من الكبر"(٦).
قال الطبري:" يقولان: لا يستطيع من الكبر والضعف أن يسقي ماشيته"(٧).
قال ابن إسحاق:" لا يقدر أن يمس ذلك من نفسه، ولا يسقي ماشيته، فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا"(٨).
قال الزجاج:" الفائدة في قوله: {وأبونا شيخ كبير}، أي: لا يمكنه أن يرد، ويسقي، فلذلك احتجنا ونحن نساء أن نسقي"(٩).
قال السمعاني:" قوله: {وأبونا شيخ كبير} لا يقدر على سقي الغنم، كأنهما جعلتا ذلك عذرا لهما، وقيل: إنما قالتا ذلك استعطافا لقلب موسى حتى يسقيهما"(١٠).
قال أبو حيان: فيه "اعتذار لموسى عن مباشرتهما السقي بأنفسهما، وتنبيه على أن أباهما لا يقدر على السقي لشيخه وكبره، واستعطاف لموسى في إعانتهما"(١١).

القرآن
{فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)} [القصص : ٢٤]
التفسير:
فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما، ثم تولى إلى ظل شجرة فاستظلَّ بها وقال: رب إني مفتقر إلى ما تسوقه إليَّ مِن أي خير كان، كالطعام. وكان قد اشتد به الجوع.
قوله تعالى:{فَسَقَى لَهُمَا} [القصص : ٢٤]، أي:" فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما"(١٢).
قال الطبري:" ذكر أنه عليه السلام فتح لهما عن رأس بئر كان عليها حجر لا يطيق رفعه إلا جماعة من الناس، ثم استسقى فسقى لهما ماشيتهما منه"(١٣).

---

(١) أخرجه الطبري:٥٥٤/١٩.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٨٢٢):ص٢٩٦٣/٩.
(٣) أخرجه الطبري:٥٥٤/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:٥٥٤/١٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٨٨.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤١/٣.
(٧) تفسير الطبري:٥٥٥/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٥٥٤/١٩.
(٩) معاني القرآن:١٣٩/٤.
(١٠) تفسير السمعاني:١٣١/٤.
(١١) البحر المحيط: ٢٩٧/٨.
(١٢) التفسير الميسر:٣٨٨.
(١٣) تفسير الطبري:٥٥٥/١٩.

قال الزجاج:" أي: فسقى لهما من قبل الوقت الذي كانتا تسقيان فيه، ويقال إنه رفع حجرا عن البئر كان لا يرفعه إلا عشرة أنفس، وقيل إن موسى كان في ذلك الوقت من الفقر لا يقدر على شق تمرة"(١).

قال مقاتل:" فقال لهما موسى- عليه السلام-: أين الماء؟ فانطلقا به إلى الماء فإذا الحجر على رأس البئر لا يزيله إلا عصابة من الناس فرفعه موسى- عليه السلام- وحده بيده، ثم أخذه الدلو فأدلى دلوا واحدا فأفرغه في الحوض ثم دعا بالبركة. فسقى لهما الغنم فرويت"(٢).

قال الفراء:" فأتى أهل الماء فاستوهبهم دلوا فقالوا: استق إن قويت، وكانت الدلو يحملها الأربعون ونحوهم. فاستقى هو وحده، فسقي غنمهما"(٣).

قال مجاهد:" فتح لهما عن بئر حجرا على فيها، فسقى لهما منها"(٤).

قال شريح:" انتهى إلى حجر لا يرفعه إلا عشرة رجال، فرفعه وحده"(٥).

قال ابن جريج: "حجرا كان لا يطيقه إلا عشرة رهط"(٦).

قال السدي:" رحمهما موسى حين :{قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير}، فأتى إلى البئر فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها، حتى يرفعوها، فسقى لهما موسى دلوا فأروتا غنمهما، فرجعتا سريعا، وكانتا إنما تسقيان من فضول الحياض"(٧).

قال ابن عباس:" فجعل يغرف في الدلو ماء كثيرا حتى كانتا أول الرعاء ريا، فانصرفتا إلى أبيهما بغنمهما"(٨).

قال قتادة:" تصدق عليهما نبي الله ﷺ، فسقى لهما، فلم يلبث أن أروى غنمهما"(٩).

قال ابن إسحاق:" أخذ دلوهما موسى، ثم تقدم إلى السقاء بفضل قوته، فزاحم القوم على الماء حتى أخرهم عنه، ثم سقى لهما"(١٠).

قوله تعالى:{ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ} [القصص : ٢٤]، أي:" ثم تولى إلى ظل شجرة فاستظلَّ بها"(١١).

قال مقاتل:" يعني: انصرف إلى الظل ظل شجرة فجاس تحتها من شدة الحر وهو جائع"(١٢).

قال الطبري:" فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما، ثم تولى إلى ظل شجرة ذكر أنها سمرة"(١٣).

---

(١) معاني القرآن:١٣٩/٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤١/٣.

(٣) معاني القرآن:٣٠٥/٢.

(٤) اخرجه الطبري: ٥٥٥/١٩.

(٥) اخرجه الطبري: ٥٥٥/١٩.

(٦) اخرجه الطبري: ٥٥٥/١٩.

(٧) اخرجه الطبري: ٥٥٥/١٩.

(٨) اخرجه الطبري: ٥٥٥/١٩.

(٩) اخرجه الطبري: ٥٥٥/١٩.

(١٠) اخرجه الطبري: ٥٥٥/١٩.

(١١) التفسير الميسر:٣٨٨.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤١/٣.

(١٣) تفسير الطبري:٥٥٦/١٩.

قال ابن عباس:" انصرف موسى إلى شجرة، فاستظل بظلها، {فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير}"(١).

عن السدي، "{ثم تولى} موسى إلى ظل شجرة سمرة"(٢).

قال السمعاني:" يقال: كان ظل شجرة، ويقال: كان ظل حائط بلا سقف"(٣).

عن عبد الله، قال: "حثثت على جمل لي ليلتين حتى صبحت مدين، فسألت عن الشجرة التي أوى إليها موسى، فإذا شجرة خضراء ترف، فأهوى إليها جملي وكان جائعا، فأخذها جملي، فعالجها ساعة، ثم لفظها، فدعوت الله لموسى عليه السلام، ثم انصرفت"(٤).

قوله تعالى:{فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص : ٢٤]، أي:" وقال: رب إني مفتقر إلى ما تسوقه إليَّ مِن أي خير كان، كالطعام. وكان قد اشتد به الجوع"(٥).

قال مقاتل:" يعني: إلى الطعام"(٦).

قال الطبري:" ذكر أن نبي الله موسى عليه السلام قال هذا القول، وهو بجهد شديد، وعرض ذلك للمرأتين تعريضا لهما، لعلهما أن تطعماه مما به من شدة الجوع. وقيل: إن الخير الذي قال نبي الله {إني لما أنزلت إلي من خير فقير} محتاج، إنما عنى به: شبعة من طعام"(٧).

قال السمعاني:" أجمع المفسرون على أنه طلب من الله الطعام لجوعه"(٨).

قال ابن عباس: لما هرب موسى من فرعون أصابه جوع شديد، حتى كانت ترى أمعاؤه من ظاهر الصفاق؛ فلما سقى للمرأتين، وأوى إلى الظل، قال: {رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير}"(٩).

قال ابن عباس:" ورد الماء وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من الهزال، {فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير}، قال: شبعة"(١٠).

قال ابن عباس:" لقد قال موسى: ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع، وما يسأل الله إلا أكلة"(١١).

قال قتادة:" كان نبي الله بجهد"(١٢).

عن سعيد بن جبير، "{إني لما أنزلت إلي من خير فقير}، قال: شبعة يومئذ"(١٣).

قال ابن زيد:" الطعام يستطعم، لم يكن معه طعام، وإنما سأل الطعام"(١٤).

قال مجاهد:" ما سأل ربه إلا الطعام"(١).

---

(١) أخجره الطبري:٥٥٦/١٩.

(٢) أخجره الطبري:٥٥٦/١٩.

(٣) تفسير السمعاني:١٣١/٤.

(٤) أخجره الطبري:٥٥٦/١٩.

(٥) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤١/٣.

(٧) أخرجه الطبري:٥٥٦/١٩.

(٨) تفسير السمعاني:١٣١/٤.

(٩) اخرجه الطبري: ٥٥٦/١٩.

(١٠) اخرجه الطبري: ٥٥٧/١٩.

(١١) اخرجه الطبري: ٥٥٧/١٩.

(١٢) اخرجه الطبري: ٥٥٧/١٩.

(١٣) اخرجه الطبري: ٥٥٧/١٩.

(١٤) أخرجه الطبري:٥٥٨/١٩.

قال إبراهيم:" قال هذا وما معه درهم ولا دينار"[٢].
قال عطاء بن السائب:" بلغني أن موسى قالها وأسمع المرأة"[٣].

القرآن
{فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)} [القصص : ٢٥]
التفسير:
فجاءت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما تسير إليه في حياء، قالت: إن أبي يدعوك ليعطيك أجر ما سقيت لنا، فمضى موسى معها إلى أبيها، فلما جاء أباها وقصَّ عليه قصصه مع فرعون وقومه، قال له أبوها: لا تَخَفْ نجوت من القوم الظالمين، وهم فرعون وقومه؛ إذ لا سلطان لهم بأرضنا.
قوله تعالى:{فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} [القصص : ٢٥]، أي:" فجاءت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما تسير إليه في حياء"[٤].
قال ابن كثير:" أي : مشي الحرائر"[٥].
قال الطبري: يقول:" فجاءت موسى إحدى المرأتين اللتين سقى لهما تمشي على استحياء من موسى، قد سترت وجهها بثوبها"[٦].
قال الزجاج:" المعنى: فلما شربت غنمهما رجعتا إلى أبيهما فأخبرتاه خبر موسى وسقيه غنمهما، وجاءتاه قبل وقتهما شاربة غنمهما، فوجه بإحداهما تدعو موسى فجاءته {تمشي على استحياء}، جاء في التفسير: أنها ليست بخراجة من النساء ولا ولاجة، أي: تمشي مشي من لم تعتد الدخول والخروج متخفرة مستحيية"[٧].
قال مقاتل:" يعنى: الكبرى تمشي، {على استحياء} يعنى على حياء، وهي التي تزوجها موسى- عليه السلام-"[٨].
عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في قوله: "{فجاءته إحداهما تمشي على استحياء}، قال: مستترة بكم درعها، أو بكم قميصها"[٩].
قال عمر-رضي الله عنه-:"جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع خراجة ولاجة"[١٠].
قال عمر-رضي الله عنه-:" واضعة يدها على وجهها مستترة"[١١].

---

(١) اخرجه الطبري: ٥٥٧/١٩.
(٢) اخرجه الطبري: ٥٥٧/١٩.
(٣) اخرجه الطبري: ٥٥٧/١٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٨٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٢٢٨/٦.
(٦) تفسير الطبري:٥٥٨/١٩.
(٧) معاني القرآن:١٤٠/٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤١/٣.
(٩) أخرجه الطبري:٥٥٨/١٩.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٨٣٢):ص٢٩٦٥/٩.
(١١) أخرجه الطبري:٥٥٨/١٩.

قال عمرو بن ميمون:" ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة واضعة ثوبها على وجهها، تقول: {إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا}"(١).

قال نوف:" قد سترت وجهها بيديها"(٢).

قال ابن إسحاق:" واضعة يدها على جبينها"(٣).

قال السدي:" أتته تمشي على استحياء منه"(٤).

قال الحسن:" بعيدة من البذاء"(٥).

قوله تعالى:{قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} [القصص : ٢٥]، أي:" إن أبي يدعوك ليعطيك أجر ما سقيت لنا"(٦).

قال الطبري: "قالت المرأة التي جاءت موسى تمشي على استحياء: إن أبي يدعوك ليجزيك: تقول: يثيبك أجر ما سقيت لنا"(٧).

قال سعيد بن جبير:" ليطعمك"(٨).

قال ابن كثير:" وهذا تأدب في العبارة ، لم تطلبه طلبا مطلقا لئلا يوهم ريبة ، بل قالت : { إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا } يعني : ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا "(٩).

قال مقاتل:" وبين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال فلولا الجوع الذي أصابه ما اتبعها، فقام يمشي معها، ثم أمرها أن تمشي خلفه وتدله بصوتها على الطريق كراهية أن ينظر إليها وهما على غير جادة"(١٠).

قال السمعاني:" وأكثر أهل التفسير أن أباهما كان هو: شعيب النبي عليه السلام، وقال الحسن البصري: هو رجل ممن آمن بشعيب، وقال بعضهم: هو ابن أخي شعيب"(١١).

وقد روى الطبراني عن سلمة بن سعد العنزي أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : "مرحبا بقوم شعيب وأَخْتان موسى ، هُديت"(١٢).

قال ابن كثير:" وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل : مَنْ هو ؟ على أقوال : أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين. وهذا هو المشهور عند كثيرين(١٣).

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} [القصص : ٢٥]، أي:" فلما جاء أباها وقصَّ عليه قصصه مع فرعون وقومه"(١).

---

(١) أخرجه الطبري:٥٥٩/١٩.

(٢) أخرجه الطبري:٥٥٨/١٩.

(٣) أخرجه الطبري:٥٥٩/١٩.

(٤) أخرجه الطبري:٥٥٩/١٩.

(٥) أخرجه الطبري:٥٥٩/١٩.

(٦) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٧) تفسير الطبري:٥٥٩/١٩ .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٨٣٥):ص٢٩٦٥/٩.

(٩) تفسير ابن كثير:٢٢٨/٦.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٢/٣.

(١١) تفسير السمعاني:١٣٢/٤.

(١٢)المعجم الكبير (٥٥/٧) من طريق حفص بن سلمة عن شيبان بن قيس عن سلمة بن سعد به ، وقال الهيثمي : "فيه من لم أعرفهم".

(١٣) تفسير ابن كثير:٢٢٨/٦.

قال الطبري: " يقول: فمضى موسى معها إلى أبيها، فلما جاء أباها وقص عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط"(٢).

قال الزجاج:" أي: قص عليه قصته في قتله الرجل، وأنهم يطلبونه ليقتلوه"(٣).

قال ابن كثير:" أي : ذكر له ما كان من أمره ، وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده "(٤).

قال مقاتل:" فلما أتى موسى شعيبا- عليهما السلام- {وقص عليه}، يعني: على شعيب القصص الذي كان من أمره أجمع، أمر القوابل اللائي قتلن أولاد بني إسرائيل، وحين ولد وحين قذف في التابوت في اليم، ثم المراضع بعد التابوت حتى أخبره بقتل الرجل من القبط"(٥).

قال مطرف: أما والله لو كان عند نبي الله شيء ما تتبع مذقيهما(٦) ولكن إنما حمله على ذلك الجهد"(٧).

قوله تعالى:{قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص : ٢٥]، أي:" قال له أبوها: لا تَخَفْ نجوت من القوم الظالمين، وهم فرعون وقومه؛ إذ لا سلطان لهم بأرضنا"(٨).

قال الطبري: " قال له أبوها: {لا تخف} فقد {نجوت من القوم الظالمين}، يعني: من فرعون وقومه، لأنه لا سلطان له بأرضنا التي أنت بها"(٩).

قال ابن كثير:" يقول : طب نفسا وَقرّ عينا ، فقد خرجتَ من مملكتهم فلا حُكْم لهم في بلادنا "(١٠).

قال الزجاج:" وذلك أن القوم لم يكونوا في مملكة فرعون، فأعلم شعيب موسى أنه قد تخلص من الخوف، وأنه لا يقدر عليه - أعني بالقوم قوم مدين الذين كان فيهم أبو المرأتين. وقال في التفسير إنه كان ابن أخي شعيب النبي عليه السلام"(١١).

قال السدي:" لما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعا سألهما، فأخبرتاه خبر موسى، فأرسل إليه إحداهما، فأتته تمشي على استحياء، وهي تستحي منه {قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا} فقام معها، وقال لها: امضي، فمشت بين يديه، فضربتها الريح، فنظر إلى عجيزتها، فقال لها موسى: امشي خلفي، ودليني على الطريق إن أخطأت. فلما جاء الشيخ وقص عليه القصص {قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين}"(١٢).

قال ابن إسحاق:" رجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها، فأنكر شأنهما، فسألهما فأخبرتاه الخبر، فقال لإحداهما: عجلي علي به، فأتته على استحياء فجاءته، فقالت: {إن

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٢) تفسير الطبري:٥٥٩/١٩ .

(٣) معاني القرآن:١٤٠/٤.

(٤) تفسير ابن كثير:٢٢٨/٦.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٢/٣.

(٦)مذقيهما: مثنى مذق، وهو اللبن يخلط بالماء، ويشرب. يريد أن موسى عليه السلام، لم يكن معه مال ولا زاد. [أفاده المحقق]

(٧) أخرجه الطبري:٥٦٠/١٩.

(٨) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٩) تفسير الطبري:٥٥٩/١٩ .

(١٠) تفسير ابن كثير:٢٢٨/٦.

(١١) معاني القرآن:١٤٠/٤.

(١٢) أخرجه الطبري:٥٦٠/١٩.

أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا} فقام معها كما ذكر لي، فقال لها: امشي خلفي، وانعتي لي الطريق، وأنا أمشي أمامك، فإنا لا ننظر إلى أدبار النساء؛ فلما جاءه أخبره الخبر، وما أخرجه من بلاده {فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين}، وقد أخبرت أباها بقوله: إنا لا ننظر إلى أدبار النساء"(١).

قال ابن عباس:" ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان، ولسنا في مملكته"(٢).

قال السمعاني:" إنما قال هذا؛ لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين، و«الظالمين»: فرعون وقومه"(٣).

قال مقاتل: {مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}، " يعني: المشركين"(٤).

فوائد الآيات:[٢٢-٢٥]:

١- وجوب حسن الظن بالله تعالى وقوة الرجاء فيه عز وجل والتوكل عليه.

٢- بيان فضل الحياء وشرف المؤمنات اللائي يتعففن عن الاختلاط بالرجال.

٣- بيان مروءة موسى في سقيه للمرأتين.

٤- فضل الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه.

٥- ستر الوجه عن الأجانب سنة المؤمنات من عهد قديم وليس كما يقول المبطلون هو عادة جاهلية، فبنتا شعيب نشأتا في دار النبوة والطهر والعفاف وغطت إحداهما وجهها عن موسى حياءً وتقوى.

٦- تجلى كرم شعيب ومروءته وشهامته في تطمين موسى وإكرامه وإيوائه.

القرآن

{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)} [القصص : ٢٦]

التفسير:

قالت إحدى المرأتين لأبيها: يا أبت استأجره ليرعى لك ماشيتك؛ إنَّ خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك، الأمين الذي لا تخاف خيانته فيما تأمنه عليه.

قوله تعالى:{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ} [القصص : ٢٦]، أي:" قالت إحدى المرأتين لأبيها: يا أبت استأجره ليرعى لك ماشيتك"(٥).

قال ابن كثير:" أي : قالت إحدى ابنتي هذا الرجل. قيل : هي التي ذهبت وراء موسى ، عليه السلام ، قالت لأبيها : { يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ } أي : لرعْية هذه الغنم"(٦).

قال الطبري:أي:" استأجره ليرعى عليك ماشيتك"(٧).

قال شعيب الجبئي: "اسم الجاريتين ليا، وصفورا، وامرأة موسى صفورا ابنة يثرون كاهن مدين، والكاهن: حبر"(٨).

قال ابن إسحاق:" إحداهما صفورا ابنة يثرون وأختها شرفا، ويقال: ليا، وهما اللتان كانتا تذودان. وأما أبوهما ففي اسمه اختلاف، فقال بعضهم: كان اسمه يثرون"(١).

---

(١) أخرجه الطبري:١٩/٥٦٠.

(٢) أخرجه الطبري:١٩/٥٦٠.

(٣) تفسير السمعاني:٤/١٣٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٢.

(٥) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٦) تفسير ابن كثير:٦/٢٢٩.

(٧) تفسير الطبري:١٩/٥٦٢.

(٨) أخرجه الطبري:١٩/٥٦١.

قال أبو عبيدة:" كان الذي استأجر موسى ابن أخي شعيب يثرون"[٢].
وقال أبو عباس:" الذي استأجر موسى: يثرى صاحب مدين"[٣].
وقال الحسن:" يقولون شعيب صاحب موسى، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ"[٤].
قوله تعالى:{إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص : ٢٦]، أي:" إنَّ خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك، الأمين الذي لا تخاف خيانته فيما تأمنه عليه"[٥].
قال الطبري: " تقول: إن خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانته، فيما تأمنه عليه"[٦].
قال الفراء:" فقوته إخراجه الدلو وحده، وأمانته أن إحدى الجاريتين قالت: إن أبى يدعوك، فقام معها فمرت بين يديه، فطارت الريح بثيابها فألصقتها بجسدها، فقال لها: تأخري فإن ضللت فدليني. فمشت خلفه فتلك أمانته"[٧].
قال الزمخشري:" قولها :{إن خير من استأجرت القوي الأمين} كلام حكيم جامع لا يزاد عليه، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعنى الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل، والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته"[٨].
قال ابن عباس:" فأحفظته الغيرة أن قال: وما يدريك ما قوته وأمانته؟ قالت: أما قوته، فما رأيت منه حين سقى لنا، لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه؛ وأما أمانته، فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين، فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت"[٩].
قال عبد الرحمن بن أبي نعم :"قال لها أبوها: ما رأيت من أمانته؟ قالت: لما دعوته مشيت بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثيابي، فتلزق بجسدي، فقال: كوني خلفي، فإذا بلغت الطريق فاذهبي، قالت: ورأيته يملأ الحوض بسجل واحد"[١٠].
قال عمرو بن ميمون: "كان يوم ريح، فقال: لا تمشي أمامي، فيصفك الريح لي، ولكن امشي خلفي ودليني على الطريق؛ قال: فقال لها: كيف عرفت قوته؟ قالت: كان الحجر لا يطيقه إلا عشرة فرفعه وحده"[١١].
قال شريح:" أما قوته: فانتهى إلى حجر لا يرفعه إلا عشرة، فرفعه وحده. وأما أمانته: فإنها مشت أمامه فوصفها الريح، فقال لها: امشي خلفي وصفي لي الطريق"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري:٥٦١/١٩.

(٢) أخرجه الطبري:٥٦١/١٩.

(٣) أخرجه الطبري:٥٦١/١٩.

(٤) أخرجه الطبري:٥٦٢/١٩.

(٥) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٦) تفسير الطبري:٥٦٢/١٩.

(٧) معاني القرآن:٣٠٥/٢.

(٨) الكشاف:٤٠٣/٣.

(٩) أخرجه الطبري:٥٦٢/٩.

(١٠) أخرجه الطبري:٥٦٣/٩.

(١١) أخرجه الطبري:٥٦٣/٩.

(١٢) أخرجه الطبري:٥٦٣/٩.

قال مجاهد:" فتح عن بئر حجرا على فيها، فسقى لهما بها، والأمين: أنه غض بصره عنهما حين سقى لهما فصدرتا"[١].

قال مجاهد:" رفع حجرا لا يرفعه إلا فئام من الناس"[٢].

عن ابن عباس، "قوله: لموسى {إن خير من استأجرت القوي الأمين}، يقول: أمين فيما ولي، أمين على ما استودع"[٣].

قال قتادة: "القوي في الصنعة، الأمين فيما ولي"[٤].

قال قتادة: بلغنا أن قوته كانت سرعة ما أروى غنمهما. وبلغنا أنه ملأ الحوض بدلو واحد. وأما أمانته فإنه أمرها أن تمشي خلفه"[٥].

قال ابن زيد:" فقال لها: وما علمك بقوته وأمانته؟ فقالت: أما قوته فإنه كشف الصخرة التي على بئر آل فلان، وكان لا يكشفها دون سبعة نفر. وأما أمانته فإني لما جئت أدعوه قال: كوني خلف ظهري، وأشيري لي إلى منزلك، فعرفت أن ذلك منه أمانة"[٦].

قال ابن إسحاق:" لما رأت من قوته وقوله: لها ما قال: أن امشي خلفي، لئلا يرى منها شيئا مما يكره، فزاده ذلك فيه رغبة"[٧].

قال الأعمش: "سألت تميم بن إبراهيم: بم عرفت أمانته؟ قال: في طرفه، بغض طرفه عنها"[٨].

القرآن

{قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)} [القصص : ٢٧]

التفسير:

قال الشيخ لموسى: إني أريد أن أزوّجك إحدى ابنتيَّ هاتين، على أن تكون أجيرًا لي في رعي ماشيتي ثماني سنين مقابل ذلك، فإن أكملت عشر سنين فإحسان من عندك، وما أريد أن أشق عليك بجعلها عشرا، ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن الصحبة والوفاء بما قلتُ.

قوله تعالى:{قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ} [القصص : ٢٧]، أي:" قال الشيخ لموسى: إني أريد أن أزوِّجك إحدى ابنتيَّ هاتين، على أن تكون أجيرًا لي في رعي ماشيتي ثماني سنين مقابل ذلك"[٩].

قال الفراء:" يقول: أن تجعل ثوابي أن ترعى علي غنمي ثماني حجج"[١٠].

قال الزجاج:" معنى «أنكحك»: أزوجك، {على أن تأجرني ثماني حجج}، أي: تكون أجيرا لي ثماني سنين"[١].

---

(١) أخرجه الطبري:٥٦٣/٩.

(٢) أخرجه الطبري:٥٦٣/٩.

(٣) أخرجه الطبري:٥٦٢/٩.

(٤) أخرجه الطبري:٥٦٤/١٩.

(٥) أخرجه الطبري:٥٦٤/١٩.

(٦) أخرجه الطبري:٥٦٤/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:٥٦٤/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٥٦٤/١٩.

(٩) التفسير الميسر:٣٨٨.

(١٠) معاني القرآن:٣٠٥/٢.

قال ابن كثير:" أي : طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى عنه ويزوجه إحدى ابنتيه هاتين على أن ترعى عليّ ثماني سنين "[٢].

قوله تعالى:{فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ} [القصص : ٢٧]، أي:" فإن أكملت عشر سنين فإحسان من عندك"[٣].

قال الطبري:" يقول: فإن أتممت الثماني الحجج عشرا التي شرطتها عليك بإنكاحي إياك إحدى ابنتي، فجعلتها عشر حجج، فإحسان من عندك، وليس مما اشترطته عليك بسبب تزويجك ابنتي"[٤].

قال ابن كثير:أي:" فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك، وإلا ففي ثمان كفاية "[٥].

قال الزجاج:" أي: فذلك بفضل - منك ليس بواجب عليك"[٦].

قال الفراء:" يقول: فهو تطوع"[٧].

قال الزمخشري:" يعنى: لا ألزمكه ولا أحتمه عليك، ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع، وإلا فلا عليك"[٨].

قوله تعالى:{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ} [القصص : ٢٧]، أي:" وما أريد أن أشق عليك بجعلها عشرا"[٩].

قال الطبري:أي:" باشتراط الثماني الحجج عشرا عليك "[١٠].

قال ابن كثير:" أي : لا أشاقك ، ولا أؤاذيك ، ولا أماريك"[١١].

قال الزمخشري:أي:" بإلزام أتم الأجلين وإيجابه. فإن قلت: ما حقيقة قولهم: شققت عليه، وشق عليه الأمر؟ قلت: حقيقته أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين، تقول تارة: أطيقه، وتارة: لا أطيقه. أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه، وأنه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعى غنمه، ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين، من المناقشة في مراعاة الأوقات، والمداقة في استيفاء الأعمال، وتكليف الرعاة أشغالا خارجة عن حد الشرط، وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالأسمح في معاملات الناس"[١٢].

قوله تعالى:{سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [القصص : ٢٧]، أي:" ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن الصحبة والوفاء بما قلتُ"[١٣].

قال الطبري:أي:" في الوفاء بما قلت لك"[١٤].

---

(١) معاني القرآن:١٤١/٤.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٢٩/٦-٢٣٠.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٤) تفسير ابن كثير:٥٦٥/١٩.

(٥) تفسير ابن كثير:٢٣٠/٦.

(٦) معاني القرآن:١٤١/٤.

(٧) معاني القرآن:٣٠٥/٢.

(٨) الكشاف:٤٠٥/٣.

(٩) التفسير الميسر:٣٨٨.

(١٠) تفسير ابن كثير:٥٦٥/١٩.

(١١) تفسير ابن كثير:٢٣٠/٦.

(١٢) الكشاف:٤٠٥/٣.

(١٣) التفسير الميسر:٣٨٨.

(١٤) تفسير ابن كثير:٥٦٥/١٩.

قال ابن إسحاق:" أي: في حسن الصحبة والوفاء بما قلت"[1].

قال الزمخشري:" يريد بالصلاح: حسن المعاملة ووطأة الخلق ولين الجانب «٢» . ويجوز أن يريد الصلاح على العموم، ويدخل تحته حسن المعاملة، والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح: الاتكال على توفيقه فيه ومعونته، لا أنه يستعمل الصلاح إن شاء الله، وإن شاء استعمل خلافه"[2].

القرآن

{قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)} [القصص : ٢٨]

التفسير:

قال موسى: ذلك الذي قلته قائم بيني وبينك، أي المدتين أَقْضِها في العمل أكن قد وفيتك، فلا أُطالَب بزيادة عليها، والله على ما نقول وكيل حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه.

قوله تعالى:{قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ} [القصص : ٢٨]، أي:" قال موسى: ذلك الذي قلته قائم بيني وبينك"[3].

قال الزجاج:" أي: ذلك الذي وصفت لي بيني وبينك، ومعناه: ما شرطت على فلك وما شرطت لي فلي، كذلك الأمر بيننا"[4].

قال الطبري: " أي: هذا الذي قلت من أنك تزوجني أحدى ابنتيك على أن آجرك ثماني حجج، واجب بيني وبينك، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه"[5].

قال ابن كثير:" يقول : إن موسى قال لصهره : الأمر على ما قلت من أنك استأجرتني على ثمان سنين ، فإن أتممت عشرًا فمن عندي ، فأنا متى فعلت أقلهما فقد برئت من العهد ، وخرجت من الشرط "[6].

قال الزمخشري:أي:" ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتنى عليه قائم بيننا جميعا، لا نخرج كلانا عنه، لا أنا عما شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك" [7].

قوله تعالى:{أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ} [القصص : ٢٨]، أي:" أي المدتين أَقْضِها في العمل أكن قد وفيتك، فلا أُطالَب بزيادة عليها"[8].

قال الطبري: " يقول: أي الأجلين من الثماني الحجج والعشر الحجج قضيت، يقول: فرغت منها فوفيتكها رعي غنمك وماشيتك فليس لك أن تعتدي علي، فتطالبني بأكثر منه"[9].

قال الزمخشري:" قال: {أي أجل من الأجلين قضيت}: أطولهما الذي هو العشر، أو أقصرهما الذي هو الثمان فلا عدوان علي أى لا يعتدى على في طلب الزيادة عليه، ومعناه: كما أنى إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه، فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثمان. أراد بذلك تقرير أمر الخيار، وأنه ثابت مستقر، وأن الأجلين على السواء: إما هذا وإما

---

(١) أخرجه الطبري:١٩/٥٦٥.

(٢) الكشاف:٣/٤٠٥.

(٣) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٤) معاني القرآن:٤/١٤١.

(٥) تفسير ابن كثير:١٩/٥٦٥.

(٦) تفسير ابن كثير:٦/٢٣٠.

(٧) الكشاف:٣/٤٠٥.

(٨) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٩) تفسير ابن كثير:١٩/٥٦٥.

هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء. وأما التتمة فموكولة إلى رأيى: إن شئت أتيت بها، وإلا لم أجبر عليها. وقيل: معناه فلا أكون متعديا، وهو في نفى العدوان عن نفسه، كقولك: لا إثم علي، ولا تبعة علي" [١].

قال الزجاج:" العدوان: المجاوزة في الظلم" [٢].

وفي قراءة ابن مسعود: «أي الأجلين ما قضيت». وقرئ: «أيما»، بسكون الياء، و«عدوان»، بالكسر [٣].

عن السدي: "{قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت}، إما ثمانيا، وإما عشرا" [٤].

قال ابن كثير:" أي : فلا حرج علي مع أن الكامل - وإن كان مباحًا لكنه فاضل من جهة أخرى ، بدليل من خارج. كما قال الله تعالى : { فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ } [البقرة : ٢٠٣]، وقال رسول الله ﷺ لحمزة بن عمرو الأسلمي ، رضي الله عنه ، وكان كثير الصيام ، وسأله عن الصوم في السفر - فقال : «إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر» [٥]، مع أن فعل الصيام راجح من دليل آخر. هذا وقد دل الدليل على أن موسى عليه السلام ، إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما" [٦].

قال سعيد بن جبير: " قال يهودي بالكوفة وأنا أتجهز للحج: إني أراك رجلا تتتبع العلم، أخبرني أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أعلم، وأنا الآن قادم على حبر العرب، يعني ابن عباس، فسائله عن ذلك؛ فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودي، فقال ابن عباس: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن النبي إذا وعد لم يخلف، قال سعيد: فقدمت العراق فلقيت اليهودي، فأخبرته، فقال: صدق، وما أنزل على موسى هذا، والله العالم" [٧].

عن محمد بن كعب القرظي، قال:" سئل رسول الله ﷺ: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: «أوفاهما وأتمهما»" [٨].

عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: "سألت جبرائيل: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أتمهما وأكملهما" [٩].

وقال ابن عباس:" خيرهما وأوفاهما" [١٠].

وفي رواية:" أتمهما وأخيرهما" [١١].

قال ابن عباس:" قضى موسى آخر الأجلين" [١٢].

قال ابن عباس:" رعى عليه نبي الله أكثرها وأطيبها" [١٣].

---

(١) الكشاف:٣/٤٠٥-٤٠٦.

(٢) معاني القرآن:٤/١٤١.

(٣) انظر: الكشاف:٣/٤٠٦.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٥٦٧.

(٥)رواه أحمد في مسنده (٣/٤٩٣) والنسائي في السنن (٤/١٨٥).

(٦) تفسير ابن كثير:٦/٢٣٠-٢٣١.

(٧) اخرجه الطبري:١٩/٥٦٩، وبنحوه في صحيح البخاري برقم (٢٦٨٤).

(٨) أخرجه الطبري:١٩/٥٦٩.

(٩) أخرجه الطبري:١٩/٥٦٩.

(١٠) أخرجه الطبري:١٩/٥٦٨.

(١١) أخرجه الطبري:١٩/٥٦٨.

(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٥٦٨.

(١٣) أخرجه الطبري:١٩/٥٦٩.

عن القاسم بن محمد، "وسأله رجل قال: {أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي}، قال: فقال القاسم: ما أبالي أي ذلك كان، إنما هو موعد وقضاء"(١).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [القصص : ٢٨]، أي:" والله على ما نقول وكيل حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه"(٢).

قال قتادة:"وكيل، أي: حفيظ"(٣).

قال مقاتل:" يعني: شهيد فيما بيننا"(٤).

قال الزجاج:" أي: والله عز وجل شاهدنا على ما عقد بعضنا على بعض"(٥).

قال الطبري:" يقول: والله على ما أوجب كل واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول، شهيد وحفيظ"(٦).

قال مجاهد:" شهيد على قول موسى وختنه"(٧).

روي عن ابن إسحاق، قال: "قال موسى {ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي} قال: نعم {والله على ما نقول وكيل} فزوجه، وأقام معه يكفيه، ويعمل له في رعاية غنمه، وما يحتاج إليه منه"(٨).

قال ابن عباس:"الجارية التي دعته هي التي تزوج"(٩).

عن ابن زيد: "قال: وأيتهما تريد أن تنكحني؟ قال: التي دعتك، قال: ألا وهي بريئة مما دخل نفسك عليها، فقال: هي عندك كذلك، فزوجه"(١٠).

قال السدي:" أمر -يعني أبا المرأتين- إحدى ابنتيه أن تأتيه، يعني أن تأتي موسى بعصا، فأتته بعصا، وكانت تلك العصا عصا استودعها إياه ملك في صورة رجل، فدفعها إليه، فدخلت الجارية، فأخذت العصا، فأتته بها؛ فلما رآها الشيخ قال: لا ائتيه بغيرها، فألقتها تريد أن تأخذ غيرها، فلا يقع في يدها إلا هي، وجعل يرددها، وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها؛ فلما رأى ذلك عمد إليها، فأخرجها معه، فرعى بها. ثم إن الشيخ ندم وقال: كانت وديعة، فخرج يتلقى موسى، فلما لقيه قال: اعطني العصا، فقال موسى: هي عصاي، فأبى أن يعطيه، فاختصما، فرضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما، فأتاهما ملك يمشي، فقال: ضعوها في الأرض، فمن حملها فهي له، فعالجها الشيخ فلم يطقها، وأخذ موسى بيده فرفعها، فتركها له الشيخ، فرعى له عشر سنين. قال عبد الله بن عباس: كان موسى أحق بالوفاء"(١١).

قال ابن زيد: "قال -يعني أبا الجارية- لما زوجها موسى لموسى: أدخل ذلك البيت فخذ عصا، فتوكأ عليها، فدخل، فلما وقف على باب البيت، طارت إليه تلك العصا، فأخذها، فقال: ارددها وخذ أخرى مكانها، قال: فردها، ثم ذهب ليأخذ أخرى، فطارت إليه كما هي، فقال: لا

---

(١) أخرجه الطبري:٥٦٧/١٩.

(٢) التفسير الميسر:٣٨٨.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٨٦٣):ص٢٩٧٠/٩.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٣/٣.

(٥) معاني القرآن:١٤١/٤.

(٦) تفسير الطبري:٥٦٧/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:٥٦٧/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٥٦٦/١٩.

(٩) أخرجه الطبري:٥٦٦/١٩.

(١٠) أخرجه الطبري:٥٦٦/١٩.

(١١) اخرجه الطبري:٥٦٧/١٩.

أرددها، فعل ذلك ثلاثا، فقال: اردها، فقال: لا أجد غيرها اليوم، فالتفت إلى ابنته، فقال لابنته: إن زوجك لنبي"(١).

وقال عكرمة: "أما عصا موسى، فإنها خرج بها آدم من الجنة، ثم قبضها بعد ذلك جبرائيل عليه السلام، فلقي موسى بها ليلا فدفعها إليه"(٢).

عن شداد بن أوس، قال: قال رسول الله، ﷺ: " وروي عن شداد بن أوس مرفوعا: بكى شعيب النبي ﷺ [من حب الله عز وجل حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، فقال الله: ما هذا البكاء؟ أشوقا إلى الجنة أم خوفا من النار؟ قال: لا يا رب، ولكن شوقا إلى لقائك، فأوحى الله إليه إن يكن ذلك فهنيئا لك لقائي يا شعيب، لذلك أخدمتك موسى كليمي"(٣).

فوائد الآيات:[٢٦-٢٨]:

١- بيان أن الكفاءة شرط في العمل ولا أفضل من القوة وهي القدرة البدنية والعلمية والأمانة.

٢- مشروعية عرض الرجل ابنته على من يرى صدقه وأمانته ليزوجه بها.

٣- مشروعية إشهاد الله تعالى على العقود بمثل {وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} .

٤- فضيلة موسى عليه السلام بإيجار نفسه على شبع بطنه وإحصان فرجه.

القرآن

{فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)} [القصص : ٢٩]

التفسير:

فلما وفى نبي الله موسى -عليه السلام- صاحبه المدة عشر سنين، وهي أكمل المدتين، وسار بأهله إلى «مصر» أبصر من جانب الطور نارًا، قال موسى لأهله: تمهلوا وانتظروا إني أبصرت نارًا؛ لعلي آتيكم منها بنبأ، أو آتيكم بشعلة من النار لعلكم تستدفئون بها.

قوله تعالى:{فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ} [القصص : ٢٩]، أي:" فلما أتم موسى المدة التي اتفقا عليها"(٤).

قال مقاتل:{الْأَجَلَ}، " السنين العشر"(٥).

قال الطبري:" فلما وفى موسى صاحبه الأجل الذي فارقه عليه، عند إنكاحه إياه ابنته، وذكر أن الذي وفاه من الأجلين، أتمهما وأكملهما، وذلك العشر الحجج، على أن بعض أهل العلم قد روي عنه أنه قال: زاد مع العشر عشرا أخرى"(١).

---

(١) اخرجه الطبري:٥٦٨/١٩.

(٢) اخرجه الطبري:٥٦٨/١٩.

(٣)أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد: ٦ / ٣١٥. وعزاه المتقي في كنز العمال: ١١ / ٤٩٨-٤٩٩ للخطيب وابن عساكر عن شداد بن أوس، وقال: "وفيه إسماعيل بن علي بن الحسن بن بندار بن المثنى الإسترابادي الواعظ، أبو سعيد، قال الخطيب: لم يكن موثوقا به في الرواية، والحديث منكر. وقال الذهبي في الميزان (١ / ٣٢٩) : هذا حديث باطل لا أصل له. وقال ابن عساكر: رواه الواحدي عن ابن الفتح محمد بن علي الكوفي عن علي بن الحسن بن بندار كما رواه ابنه إسماعيل عنه، فقد برئ من عهدته، والخطيب إنما ذكره لأنه حمل فيه على إسماعيل". وذكره ابن الجوزي في "العلل المتناهية": (١ / ٤٩) ، والألباني في "الضعيفة": (٢ / ٤٢٥) وقال: "ضعيف جدا".

(٤) صفوة التفاسير:٣٩٧/٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٣/٣.

قال ابن عباس:" قضى موسى آخر الأجلين"[٢].

قال ابن عباس:" رعى عليه نبي الله أكثرها وأطيبها"[٣].

عن مجاهد، قوله: "{فلما قضى موسى الأجل}، قال: عشر سنين، ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى"[٤].

قال أنس:" لما دعا نبي الله موسى صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما، قال له صاحبه: كل شاة ولدت على غير لونها فلك ولد، فعمد، فرفع خيالا على الماء، فلما رأت الخيال، فزعت، فجالت جولة فولدن كلهن بلقا، إلا شاة واحدة، فذهب بأولادهن ذلك العام"[٥].

قوله تعالى:{وَسَارَ بِأَهْلِهِ} [القصص : ٢٩]، أي:" وسار بأهله إلى «مصر»"[٦].

قال الطبري:" شاخصا بهم إلى منزله من مصر"[٧].

قال مقاتل:" سار بأهله ليلة الجمعة"[٨].

قوله تعالى:{آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا} [القصص : ٢٩]، أي:" أبصر من جانب الطور نارًا"[٩].

قال الزجاج:" آنس علم وأبصر، يقال: قد آنست ذلك الشخص أي أبصرته"[١٠].

قال قتادة:" أي: أحسست نارا"[١١].

قال الطبري:" ابصر وأحس، كما قال العجاج[١٢]:

آنس خربان فضاء فانكدر ... دانى جناحيه من الطور فمر"[١٣].

قال قتادة:" سار في الله حين سار وهو شاب"[١٤].

قوله تعالى:{قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا} [القصص : ٢٩]، أي:" قال موسى لأهله: تمهلوا وانتظروا إني أبصرت نارًا"[١٥].

قال الطبري:" يقول: قال موسى لأهله: تمهلوا وانتظروا، إني أبصرت نارا"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري:٥٦٨/١٩.

(٢) أخرجه الطبري:٥٦٨/١٩.

(٣) أخرجه الطبري:٥٦٩/١٩.

(٤) أخرجه الطبري:٥٧٠/١٩.

(٥) أخرجه الطبري:٥٧٠/١٩.

(٦) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(٧) تفسير الطبري:٥٧٠/١٩.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٣/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(١٠) معاني القرآن:١٤٢/٤.

(١١) أخرجه الطبري:٥٧١/١٩.

(١٢)هذان بيتان من مشطور الرجز للعجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص١٧) ورقم البيت الأول هو ٧٦ ورقم الثاني هو ٧٤. وفي رواية الأول: "أبصر" في موضع "آنس" وهما بمعنى.

(١٣) تفسير الطبري:٥٧٠/١٩.

(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١١٥):ص٢٨٤٢/٩.

(١٥) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(١٦) تفسير الطبري:٥٧١/١٩.

قال ابن عباس: "كان في الشتاء، ورُفعت لهم نار، فلما رآها ظنّ أنها نار، وكانت من نور الله :{قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا}"(١).

قال ابن عباس: "كان موسى رجلا غيورا، لا يحب الرفقة لئلا ترى امرأته، فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة، فرأى نارا من بعيد"(٢).

قوله تعالى:{لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ} [القصص : ٢٩]، أي:" لعلي آتيكم منها بنبأ"(٣).

قال مقاتل:" {بخبر} أين الطريق، وكان قد تحير ليل"(٤).

قال الزجاج:" أي: لعلي أعلم لم أوقدت"(٥).

قال ابن عباس:" فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله، فضل الطريق، وكان في الشتاء ورفعت له نار فلما رآها ظن أنها نار، وكانت من نور الله، {قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس}، فإن لم أجد خبرا أتيتكم بشهاب قبس"(٦).

قوله تعالى:{أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [القصص : ٢٩]، أي:" أو آتيكم بشعلة من النار لعلكم تستدفئون بها"(٧).

قال الطبري:" يقول: أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار، وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة؛ ومنه قول ابن مقبل(٨):

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذا غير خوار ولا دعر"(٩).

قال الزجاج:" الجذوة القطعهة الغليظة من الحطب"(١٠).

عن ابن عباس، قوله: "{أو جذوة من النار}، يقول: شهاب"(١١).

قال قتادة:" أو شعلة من النار"، والجذوة: أصل شجرة فيها نار"(١٢).

عن مجاهد :"{أو جذوة من النار}، قال: أصل شجرة"(١٣).

قال ابن زيد:" الجذوة: العود من الحطب الذي فيه النار، ذلك الجذوة"(١٤).

ويقرأ: «أو جِذوة» بالضم، ويقال: جذوة بالفتح، فيها ثلاث لغات(١٥).

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [القصص : ٢٩]، أي:" لعلكم تستدفئون بها"(١٦).

---

(١) أخرجه الطبري:١٨/٢٧٥-٢٧٦.

(٢) التفسير الوسيط:٣/٢٠١.

(٣) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٣.

(٥) معاني القرآن:٤/١٤٢.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١١٨):ص٩/٢٨٤٣.

(٧) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(٨)البيت لتميم بن مقبل (اللسان: جذا).

(٩) تفسير الطبري:١٩/٥٧١.

(١٠) معاني القرآن:٤/١٤٢.

(١١) أخرجه الطبري:١٩/٥٧١.

(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٥٧١، ٥٧٢.

(١٣) أخرجه الطبري:١٩/ ٥٧٢.

(١٤) أخرجه الطبري:١٩/ ٥٧٢.

(١٥) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٤/١٤٢.

(١٦) التفسير الميسر: ٣٨٩.

قال الطبري:" يقول: لعلكم تسخنون بها من البرد، وكان في شتاء"[١].

عن السدي، "{لعلكم تصطلون}، قال: من البرد"[٢].

قال ابن عباس:" كانوا أضلوا عن الطريق، فقال: لعلي أجد من يدلني على الطريق، أو آتيكم بقبس لعلكم تصطلون"[٣].

قال مقاتل:" فترك موسى- عليه السلام- امرأته وولده في البرية بين مصر ومدين، ثم استقام فذهب بالرسالة، فأقامت امرأته مكانها ثلاثين سنة في البرية مع ولدها وغنمها، فمر بها راع فعرفها وهي حزينة تبكي فانطلق بها إلى أبيها"[٤].

القرآن

{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١)} [القصص : ٣١]

التفسير:

فلما أتى موسى النار ناداه الله من جانب الوادي الأيمن لموسى في البقعة المباركة من جانب الشجرة: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين، وأن ألق عصاك، فألقاها موسى، فصارت حية تسعى، فلما رآها موسى تضطرب كأنها جانٌّ من الحيات ولَّى هاربًا منها، ولم يلتفت من الخوف، فناداه ربه: يا موسى أقبل إليَّ ولا تَخَفْ؛ إنك من الآمنين من كل مكروه.

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ} [القصص : ٣١]، أي:" فلما أتى موسى النار ناداه الله من جانب الوادي الأيمن لموسى في البقعة المباركة من جانب الشجرة"[٥].

قال الطبري:" فلما أتاها نادى الله موسى من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة منه من الشجرة"[٦].

قال الزجاج:" سميت مباركة لأن الله كلم موسى فيها، وبعثه نبيا"[٧].

عن مجاهد، "{فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن}، قال: شق الوادي عن يمين موسى عند الطور"[٨].

قال قتادة:" نودي من عند الشجرة"[٩].

قال قتادة:" الشجرة عوسج"[١٠]. وقال قتادة:" عصا موسى من العوسج؛ والشجرة من العوسج"[١١].

---

(١) تفسير الطبري:٥٧٢/١٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٢٠):ص٢٨٤٣/٩.

(٣) أخرجه الطبري:٢٧٧/١٨.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٣/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(٦) تفسير الطبري:٥٧٣/١٩.

(٧) ماني القرآن:١٤٣/٤.

(٨) أخرجه الطبري:٥٧٢/١٩.

(٩) أخرجه الطبري:٥٧٣/١٩.

(١٠) أخرجه الطبري:٥٧٣/١٩.

(١١) أخرجه الطبري:٥٧٣/١٩.

عن ابن إسحاق، عن بعض من لا يتهم، عن بعض أهل العلم "{إني آنست نارا}، قال: خرج نحوها، فإذا هي شجرة من العليق، وبعض أهل الكتاب يقول: هي عوسجة"(١).

قال عبد الله: "رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام، شجرة سمراء خضراء ترف"(٢).

وقرئ: «بقعة»، بالضم والفتح، فمن جمع بقاعا فهي جمع بقعة بالفتح، مثل قصعة وقصاع، ومن قال بقعة - بالضم -(٣).

قوله تعالى:{أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [القصص : ٣١]، أي:" نودي يا موسى إن الذي يخاطبك ويكلمك هو أنا الله العظيم الكبير، المنزه عن صفات النقص، ربُّ الإنس والجن والخلائق أجمعين"(٤).

قوله تعالى:{وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ} [القصص : ٣١]، أي:" ونودي بأن اطرح عصاك التي في يدك"(٥).

قال الطبري:" فألقاها موسى، فصارت حية تسعى"(٦).

قال سعيد بن جبير:" كانت عصا موسى عليه السلام من عوسج"(٧).

قال ابن عباس:" تلك العصا أعطاه إياها ملك من الملائكة لما أن توجه إلى مدين، فكانت تضيء له الليل، ويضرب بها الأرض فيخرج له نباته، ويهش بها على غنمه ورق الشجر"(٨).

قوله تعالى:{فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} [القصص : ٣١]، أي:" فلما رآها موسى تضطرب كأنها جانٌّ من الحيات ولَّى هاربًا منها، ولم يلتفت من الخوف"(٩).

قال الطبري:" {فلما رآها} موسى تتحرك وتضطرب كأنها جان من الحيات ولى موسى هاربا منها"(١٠).

قال ابن كثير:" { فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ } أي : تضطرب { كَأَنَّهَا جَانٌّ } أي : في حركتها السريعة مع عظم خَلْق قوائمها واتساع فمها ، واصطكاك أنيابها وأضراسها ، بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعتها ، فتنحدر في فيها تتقعقع ، كأنها حادرة في واد. فعند ذلك { وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ } أي : ولم يكن يلتفت ؛ لأن طبع البشرية ينفر من ذلك "(١١).

قال الزجاج:" جاء في التفسير {لم يعقب}: لم يلتفت، وجاء أيضا: لم يرجع. وأهل اللغة يقولون: لم يرجع، يقال: قد عقب فلان. إذا رجع يقاتل بعد أن ولى. قال لبيد(١٢):

---

(١) أخرجه الطبري:٥٧٣/١٩.

(٢) أخرجه الطبري:٥٧٣/١٩.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج:١٤٣/٤.

(٤) صفوة التفاسير:٣٩٧/٢.

(٥) صفوة التفاسير:٣٩٧/٢.

(٦) تفسير الطبري:٥٧٤/١٩.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٤٣):ص٢٨٤٨/٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٤١):ص٢٨٤٧/٩.

(٩) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(١٠) .

(١١) تفسير ابن كثير:٢٣٥/٦.

(١٢)ديوانه قصيدة رقم: ١٦، بيت ٢٦، واللسان (عقب) ، وتفسير الطبري:٣٨٥/١٦، وهو من أبيات في صفة حمار الوحش، وشرح البيت يطول، وخلاصته أن الحمار" تهجر من الرواح"، أي: عجل في الرواح إلى الماء، و" هاجه"، أي: حركه حب الماء، فعجل إليه عجلة طالب الحق يطلبه مرة بعد مرة، وهو" المعقب".

حتى تهجر في الرواح وهاجه. . . طلب المعقب حقه المظلوم"[1].

عن مجاهد، قوله:"{ولم يعقب}، قال: لم يرجع"[2].

قال قتادة:" أي: لم يلتفت من الفرق"[3].

قال السدي:" لم ينتظر"[4].

قال ابن زيد:"لم يرجع"[5].

قوله تعالى:{يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ} [القصص : ٣١]، أي:" فنودي يا موسى: إرجع إلى حيث كنت ولا تخف فأنت آمنٌ من المخاوف"[6].

قال الطبري:" فنودي موسى: يا موسى أقبل إلي ولا تخف من الذي تهرب منه {إنك من الآمنين} من أن يضرك، إنما هو عصاك"[7].

قال الزجاج:" أي: قد آمنت من أن ينالك منها مكروه وهي حية"[8].

قال ابن كثير:" فلما قال الله له : { يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ } ، رجع فوقف في مقامه الأول "[9].

قال ابن زيد:" لما ألقى العصا صارت حية، فرعب منها وجزع، فقال الله: {إني لا يخاف لدي المرسلون} قال: فلم يرعو لذلك، قال: فقال الله له: {أقبل ولا تخف إنك من الآمنين} قال: فلم يقف أيضا على شيء من هذا حتى قال: {سنعيدها سيرتها الأولى}، قال: فالتفت فإذا هي عصا كما كانت، فرجع فأخذها، ثم قوي بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها"[10].

القرآن

{اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢)} [القصص : ٣٢]

التفسير:

أدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر، وأخرجها تخرج بيضاء كالثلج مِن غير مرض ولا برص، واضمم إليك يدك لتأمن من الخوف، فهاتان اللتان أريتُكَهما يا موسى: مِن تحوُّل العصا حية، وجَعْلِ يدك بيضاء تلمع من غير مرض ولا برص، آيتان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه. إن فرعون وملأه كانوا قومًا كافرين.

قوله تعالى:{اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} [القصص : ٣٢]، أي:" أدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر، وأخرجها تخرج بيضاء كالثلج مِن غير مرض ولا برص"[11].

---

(١) معاني القرآن:٤/١٠٩.

(٢) أخرجه الطبري:١٩/٤٣١.

(٣) اخرجه الطبري:١٩/٥٧٤.

(٤) اخرجه الطبري:١٩/٥٧٤.

(٥) اخرجه الطبري:١٩/٤٣١.

(٦) صفوة التفاسير:٢/٣٩٨.

(٧) تفسير الطبري:١٩/٥٧٤.

(٨) ماني القرآن:٤/١٤٣.

(٩) تفسير ابن كثير:٦/٢٣٥.

(١٠) اخرجه الطبري:١٩/٤٣١.

(١١) التفسير الميسر: ٣٨٩.

قال الطبري:" يقول: أدخل يدك في قميصك تخرج بيضاء من غير برص"(١).

قال ابن كثير:" أي : إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فإنها تخرج تتلألأ كأنها قطعة قمر في لمعان البرق ؛ ولهذا قال : { مِنْ غَيْرِ سُوءٍ } أي : من غير برص "(٢).

عن قتادة، {اسلك يدك في جيبك}، أي: في جيب قميصك"(٣).

عن ابن عباس ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، قوله :"{تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}، قال: من غير برص"(٤).

قال ابن عباس:" فأدخلها ثم أخرجها بيضاء من غير سوء، كأنها فرو"(٥).

قال الحسن:" فخرجت كأنها المصباح، فأيقن موسى أنه لقي ربه"(٦).

عن ابن مسعود: "إن موسى أتى فرعون حين أتاه في ذر مانقة، يعني جبة صوف"(٧).

قوله تعالى:{وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ} [القصص : ٣٢]، أي:" واضمم إليك يدك لتأمن من الخوف"(٨).

قال الطبري:" واضمم إليك يدك من الخوف والفرق الذي قد نالك من معاينتك ما عاينت من هول الحية"(٩).

قال ابن كثير:" أمره عليه السلام ، إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب ، وهي يده ، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف. وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يديه على فؤاده ، فإنه يزول عنه ما يجد أو يَخف ، إن شاء الله ، وبه الثقة"(١٠).

قال الزجاج:" {جناحك} ههنا هو: العضد، ويقال: اليد كلها جناح"(١١).

قال ابن عباس: "{واضمم إليك جناحك}، قال: يدك"(١٢)

قال مجاهد:" وجناحاه: الذراع. والعضد: هو الجناح. والكف: اليد"(١٣).

عن مجاهد، قوله: "{من الرهب}، قال: الفرق"(١٤).

قال قتادة:" أي: من الرعب"(١٥).

قال ابن زيد:" مما دخله من الفرق من الحية والخوف، وقال: ذلك الرهب، وقرأ قول الله: {يدعوننا رغبا ورهبا} قال: خوفا وطمعا"(١).

---

(١) تفسير الطبري:٥٧٤/١٩.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٣٥/٦.

(٣) أخرجه الطبري:٥٧٤/١٩.

(٤) أخرجه عنهم الطبري:٢٩٧/١٨-٢٩٨.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٥٨):ص٢٨٥٠/٩.

(٦) اخرجه الطبري:٥٧٤/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:٤٣٤/١٩.

(٨) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(٩) تفسير الطبري:٥٧٤/١٩.

(١٠) تفسير ابن كثير:٢٣٥/٦.

(١١) ماني القرآن:١٤٣/٤.

(١٢) اخرجه الطبري:٥٧٥/١٩.

(١٣) اخرجه الطبري:٥٧٥/١٩.

(١٤) اخرجه الطبري:٥٧٥/١٩.

(١٥) اخرجه الطبري:٥٧٥/١٩.

قال مجاهد:" كان موسى عليه السلام ، قد مُلئ قلبه رعبًا من فرعون ، فكان إذا رآه قال : اللهم إني أدرأ بك في نحره ، وأعوذ بك من شره ، ففرّغ الله ما كان في قلب موسى عليه السلام ، وجعله في قلب فرعون ، فكان إذا رآه بال كما يبول الحمار"(٢).

قوله تعالى:{فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} [القصص : ٣٢]، أي:" فهاتان اللتان أريتُكَهما يا موسى: مِن تحوُّل العصا حية، وجَعْلِ يدك بيضاء تلمع من غير مرض ولا برص، آيتان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه"(٣).

قال الزجاج:" {برهانان} آيتان بينتان، أي: أرسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين"(٤).

قال ابن كثير:" يعني : إلقاءه العصا وجعلها حية تسعى ، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء - دليلان قاطعان واضحان على قدرة الفاعل المختار ، وصحة نبوة مَنْ جرى هذا الخارق على يديه ؛ ولهذا قال : { إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ } أي : وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع"(٥).

عن السدي، "{فذانك برهانان من ربك}: العصا واليد آيتان"(٦).

عن مجاهد، قوله:"{فذانك برهانان من ربك}، تبيانان من ربك"(٧).

قال ابن إسحاق:" هذان برهانان"(٨).

قال ابن زيد:" آيتان من الله"(٩).

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [القصص : ٣٢]، أي:" إن فرعون وملأه كانوا قومًا كافرين"(١٠).

قال الطبري:" يقول: إن فرعون وملأه كانوا قوما كافرين"(١١).

قال ابن كثير:" أي : خارجين عن طاعة الله ، مخالفين لدين الله "(١٢).

فوائد الآيات:[٢٩-٣٢]:

١- الأنبياء أوفياء فموسى قضى أوفى الأجلين وأتمها وهو العشر.
٢- مشروعية السفر بالأهل وقد يحصل للمرء أنه يضل الطريق أو يحتاج إلى شيء ويصبر.
٣- فضل تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام وهي من جبل الطور.
٤- مشروعية حمل العصا لا سيما للمسافر وراعي ماشية أو سائقها.
٥- مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله.
٦- لا يلام على الخوف الطبيعي.

---

(١) اخرجه الطبري:٥٧٥/١٩.

(٢) اخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٢٣٥/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(٤) ماني القرآن:١٤٣/٤.

(٥) تفسير ابن كثير:٢٣٥/٦.

(٦) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٩.

(٩) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٩.

(١٠) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(١١) تفسير الطبري:٥٧٦/١٩.

(١٢) تفسير ابن كثير:٢٣٥/٦.

٧- آية العصا واليد.
٨- من خاف، وضع يده على صدره زال خوفه إن شاء الله تعالى.
٩- التنديد بالفسق وأهله.

القرآن
{قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤)} [القصص : ٣٣-٣٤]
التفسير:
قال موسى: ربِّ إني قتلت من قوم فرعون نفسًا فأخاف أن يقتلوني، وأخي هارون هو أفصح مني نطقًا، فأرسله معي عونًا يصدقني، ويبين لهم عني ما أخاطبهم به، إني أخاف أن يكذبوني في قولي لهم: إني أُرسلت إليهم.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ} [القصص : ٣٣]، أي:" قال موسى: ربِّ إني قتلت من قوم فرعون نفسًا فأخاف أن يقتلوني"(١).

قال الطبري: " {قال} موسى: رب إني قتلت من قوم فرعون نفسا فأخاف إن أتيتهم فلم أبن عن نفسي بحجة {أن يقتلون}، لأن في لساني عقدة، ولا أبين معها ما أريد من الكلام"(٢).

قوله تعالى:{وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا} [القصص : ٣٤]، أي:" وأخي هارون هو أفصح مني نطقًا"(٣).

قال الطبري: " يقول: أحسن بيانا عما يريد أن يبينه"(٤).

قال أبو عبيدة:" لأن موسى كانت فى لسانه عقدة"(٥).

قال ابن كثير:" وذلك أن موسى ، عليه السلام ، كان في لسانه لثغة ، بسبب ما كان تناول تلك الجمرة ، حين خُيّر بينها وبين التمرة أو الدرّة ، فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه ، فحصل فيه شدة في التعبير ؛ ولهذا قال : { وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي } [طه : ٢٧ - ٣٢] أي : يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم ، وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد"(٦).

قوله تعالى:{فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي} [القصص : ٣٤]، أي:" فأرسله معي عونًا يصدقني"(٧).

قال الطبري: " يقول: عونا يبين لهم عني ما أخاطبهم به"(٨).

قال ابن كثير:" أي : وزيرًا ومعينًا ومقويًّا لأمري ، يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل ؛ لأن خبر اثنين أنجع في النفوس من خبر واحد"(٩).

---

(١) التفسير الميسر: ٣٨٩.
(٢) تفسير الطبري:٥٧٧/١٩.
(٣) التفسير الميسر: ٣٨٩.
(٤) تفسير الطبري:٥٧٧/١٩.
(٥) مجاز القرىن:١٠٤/٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٣٦/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٣٨٩.
(٨) تفسير الطبري:٥٧٧/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٢٣٦/٦.

قال أبو عبيدة:" {رِدْءاً}، أي: معينا. ويقال: قد أردأت فلانا على عدوه وعلى ضيعته أي أكنفته وأعنته أي صرت له كنفا"[١].

نافع ابن أبي نعيم قال: "سألت مسلم بن جندب:" الرداء الزيادة، أما سمعت قول الشاعر:

وأسمرَ خَطِّيّاً كأنَّ كُعُوبَه ... نوى القصب[٢] قد أردى ذِراعاً على عشر [٣]"[٤].

عن مجاهد، قوله: "{فأرسله معي ردءا يصدقني}، قال: عونا"[٥].

وقال ابن عباس:" كي يصدقني"[٦].

قال السدي:" يقول: كيما يصدقني"[٧].

قال مقاتل:" يعني: عونا لكي يصدقني، وهارون يومئذ بمصر"[٨].

قال ابن إسحاق:" أي: يبين لهم عني ما أكلمهم به، فإنه يفهم ما لا يفهمون"[٩].

وقال ابن زيد:" لأن الاثنين أحرى أن يصدقا من واحد"[١٠].

قال ابن عباس:" ونبئ هارون ساعتئذ حين نبئ موسى ﷺ"[١١].

قوله تعالى:{إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ} [القصص : ٣٤]، أي:" إني أخاف أن يكذبوني في قولي لهم: إني أُرسلت إليهم"[١٢].

قال الطبري:" يقول: إني أخاف أن لا يصدقون على قولي لهم: إني أرسلت إليكم"[١٣].

القرآن

{قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٥)} [القصص : ٣٥]

التفسير:

قال الله لموسى: سنقوِّيك بأخيك، ونجعل لكما حجة على فرعون وقومه فلا يصلون إليكما بسوء. أنتما -يا موسى وهارون- ومَن آمن بكما المنتصرون على فرعون وقومه؛ بسبب آياتنا وما دلَّتْ عليه من الحق.

قوله تعالى:{قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} [القصص : ٣٥]، أي:" قال الله لموسى: سنقوِّيك بأخيك"[١٤].

قال أبو عبيدة:" أي: سنقوّيك به ونعينك"[١].

---

(١) مجاز القرىن:٢/١٠٤.

(٢) وفي بعض الروايت:« القَسْبِ».

(٣) وفي بعض الروايات:«العشر».

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٠٦):ص٩/٢٩٧٧.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/٥٧٧.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/٥٧٧.

(٧) أخرجه الطبري:١٩/٥٧٨.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٤.

(٩) أخرجه الطبري:١٩/٥٧٧.

(١٠) أخرجه الطبري:١٩/٥٧٧.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٠٤):ص٩/٢٩٧٧.

(١٢) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(١٣) تفسير الطبري:١٩/٥٧٨.

(١٤) التفسير الميسر: ٣٨٩.

قال الطبري:" أي نقويك ونعينك بأخيك. تقول العرب إذا أعز رجل رجلا وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم: قد شد فلان على عضد فلان، وهو من عاضده على أمره: إذا أعانه، ومنه قول ابن مقبل[٢]:
عاضدتها بعتود غير معتلث ... كأنه وقف عاج بات مكنونا"[٣].

قال ابن كثير:" أي : سنقوي أمرك ، ونعز جانبك بأخيك ، الذي سألت له أن يكون نبيا معك. كما قال في الآية الأخرى : { قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى } [طه : ٣٦] ، وقال تعالى : { وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا } [مريم : ٥٣].

ولهذا قال بعض السلف : ليس أحد أعظم مِنَّةً على أخيه ، من موسى على هارون ، عليهما السلام ، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيًّا ورسولا معه إلى فرعون وملئه، ولهذا قال الله تعالى في حق موسى : { وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا } [الأحزاب : ٦٩]"[٤].

قال ابن عباس:" فآتاه الله سؤله فحل عقدة من لسانه، فأوحى الله إلى هارون فانطلقا جميعا إلى فرعون"[٥].

قوله تعالى:{وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا} [القصص : ٣٥]، أي:" ونجعل لكما حجة على فرعون وقومه"[٦].

قال الطبري:" يقول: ونجعل لكما حجة"[٧].

قال ابن كثير:" أي : حجة قاهرة"[٨].

عن مجاهد، قوله: "{لكما سلطانا}، حجة"[٩].

قال السدي:" السلطان: الحجة"[١٠].

عن قتادة قوله: "{ونجعل لكما سلطانا بآياتنا}، عند أهل الإيمان ومعذرة، عند الناس"[١١].

قوله تعالى:{فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا} [القصص : ٣٥]، أي:" فلا يصلون إليكما بسوء"[١٢].

قال الطبري: يقول: " فلا يصل إليكما فرعون وقومه بسوء"[١٣].

---

(١) مجاز القرىن:٢/١٠٤.

(٢)من قصيدة خمسين بيتا فى جمهرة الأشعار ص ١٦٠– ١٦٢، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢/١٠٥، ولكن بين رواية جمهرة الأشعار وبين رواية أبى عبيدة لخلافا حيث إن صدر البيت قد أصبح صدرا لبيت آخر ورواه الطبري كما هو عند أبى عبيدة.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٥٧٨.

(٤) تفسير ابن كثير:٦/٢٣٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٠٩):ص٩/٢٩٧٧.

(٦) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(٧) تفسير الطبري:١٩/٥٧٩.

(٨) تفسير ابن كثير:٦/٢٣٦.

(٩) أخرجه الطبري:١٩/٥٧٩.

(١٠) أخرجه الطبري:١٩/٥٧٩.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩١٠):ص٩/٢٩٧٨.

(١٢) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(١٣) تفسير الطبري:١٩/٥٧٩.

قال ابن كثير:" { فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا } أي : لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكما بسبب إبلاغكما آيات الله ، كما قال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ] وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } [المائدة : ٦٧]. وقال تعالى : { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا } [الأحزاب : ٣٩] ، أي : وكفى بالله ناصرًا ومعينًا ومؤيدًا. ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولِمَنْ اتبعهما في الدنيا والآخرة"[١].

قوله تعالى:{بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ} [القصص : ٣٥]، أي:" أنتما -يا موسى وهارون- ومَن آمن بكما المنتصرون على فرعون وقومه؛ بسبب آياتنا وما دلَّتْ عليه من الحق"[٢].

قال الطبري:" الباء في قوله: {بآياتنا} من صلة «غالبون». ومعنى الكلام: أنتما ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملأه بآياتنا؛ أي: بحجتنا وسلطاننا الذي نجعله لكما"[٣].

قال ابن كثير:" ووجه ابن جرير على أن المعنى : {وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا }، ثم يبتدئ فيقول : { بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ } ، تقديره : أنتما ومَنْ اتبعكما الغالبون بآياتنا.

ولا شك أن هذا المعنى صحيح ، وهو حاصل من التوجيه الأول ، فلا حاجة إلى هذا ، والله أعلم"[٤].

قال قتادة:" كان موسى ﷺ قد ملئ قلبه رعبا من فرعون، فكان إذا رآه قال: اللهم أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره ففرغ الله ما كان في قلب موسى وجعله في قلب فرعون، فكان إذا رآه بال كما يبول الحمار"[٥].

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٦)} [القصص : ٣٦]

التفسير:

فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى مِن عند ربه، قالوا لموسى: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افتريته كذبًا وباطلا وما سمعنا بهذا الذي تدعونا إليه في أسلافنا الذين مضوا قبلنا.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ} [القصص : ٣٦]، أي:" فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى مِن عند ربه"[٦].

قال الطبري: يقول:" فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه"[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/٢٣٦-٢٣٧.

(٢) التفسير الميسر: ٣٨٩.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٥٧٩.

(٤) تفسير ابن كثير:٦/٢٣٦-٢٣٧.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩١١):ص٩/٢٩٧٨.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٠.

(٧) تفسير الطبري:١٩/٥٧٩.

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن مجيء موسى وأخيه هارون إلى فرعون وملئه ، وعرضه ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة والدلالات القاهرة ، على صدقهما فيما أخبر عن الله عز وجل من توحيده واتباع أوامره "[١].

قال عبدالله بن عبير بن عمري:" كان يغلق دون فرعون ثمانون بابا فما يأتي موسى بابا منها إلا انفتح، وكان لا يكلم أحدا حتى يقوم بين يديه"[٢].

قوله تعالى:{قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى} [القصص : ٣٦]، أي:" قالوا لموسى: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افتريته كذبًا وباطلا"[٣]

قال الطبري: يقول:" فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه"[٤].

قال الطبري: " قالوا لموسى: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افتريته من قبلك وتخرصته كذبا وباطل"[٥].

قال ابن كثير:" فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه ، وأيقنوا أنه من الله ، عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد والمباهتة ، وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق ، فقالوا : { مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى } أي : مفتعل مصنوع. وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه ، فما صعد معهم ذلك"[٦].

قوله تعالى:{وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ} [القصص : ٣٦]، أي:" وما سمعنا بهذا الذي تدعونا إليه في أسلافنا الذين مضوا قبلنا"[٧].

قال الطبري: يقول: {وما سمعنا بهذا}:" الذي تدعونا إليه من عبادة من تدعونا إلى عبادته في أسلافنا وآبائنا الأولين الذين مضوا قبلنا"[٨].

قال ابن كثير:" يعنون : عبادة الله وحده لا شريك له ، يقولون : ما رأينا أحدا من آبائنا على هذا الدين ، ولم نر الناس إلا يشركون مع الله آلهة أخرى "[٩].

القرآن

{وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧)} [القصص : ٣٧]

التفسير:

وقال موسى لفرعون: ربي أعلم بالمحقِّ منَّا الذي جاء بالرشاد من عنده، ومَن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة، إنه لا يظفر الظالمون بمطلوبهم.

قوله تعالى:{وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} [القصص : ٣٧]، أي:" وقال موسى لفرعون: ربي أعلم بالمحقِّ منَّا الذي جاء بالرشاد من عنده، ومَن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٣٧/٦.

(٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩١٢):ص٢٩٧٨/٩.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٠.

(٤) تفسير الطبري:٥٧٩/١٩.

(٥) تفسير الطبري:٥٧٩/١٩.

(٦) تفسير ابن كثير:٢٣٧/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٠.

(٨) تفسير الطبري:٥٧٩/١٩.

(٩) تفسير ابن كثير:٢٣٧/٦.

قال الطبري:" {وقال موسى} مجيبا لفرعون: {ربي أعلم} بالمحق منا يا فرعون من المبطل، ومن الذي جاء بالرشاد إلى سبيل الصواب والبيان عن واضح الحجة من عنده، ومن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة منا.

قال الطبري: وهذه معارضة من نبي الله موسى عليه السلام لفرعون، وجميل مخاطبة، إذ ترك أن يقول له: بل الذي غر قومه وأهلك جنوده، وأضل أتباعه أنت لا أنا، ولكنه قال: {ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار}"(٢).

قال ابن كثير:" قال موسى ، عليه السلام ، مجيبا لهم : { رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ } يعني : مني ومنكم ، وسيفصل بيني وبينكم. ولهذا قال : { وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ } أي : النصرة والظفر والتأييد"(٣).

قال أبو عبيدة:" عاقبة الأمر، أي: آخره"(٤).

عن قتادة:" {عاقبة الدار}، أي الجنة"(٥).

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [القصص : ٣٧]، أي:" إنه لا يظفر الظالمون بمطلوبهم"(٦).

قال الطبري:" يقول: إنه لا ينجح ولا يدرك طلبتهم الكافرون بالله تعالى، يعني بذلك فرعون إنه لا يفلح ولا ينجح لكفره به"(٧).

عن ابن عباس قوله: "{الظالمون}، يقول: الكافرون"(٨).

قال ابن كثير:" أي : المشركون بالله"(٩).

فوائد الآيات:[٣٣-٣٧]:

١- بيان أن القصاص كان معروفا معمولا به عند أقدم الأمم، وجاءت الحضارة الغربية فأنكرته فتجرأ الناس على سفك الدماء وإزهاق الأرواح بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية ولذلك صح أن تسمى الخسارة البشرية بدل الحضارة الغربية.

٢- مشروعية طلب العون عند التكليف بما يشق ويصعب من المسؤولين المكلفين.

٣- مشروعية التلطف في خطاب الجبابرة وإلانة القول لهم، بل هو مشروع مع كل من يدعى إلى الحق من أجل أن يتفهم القول ولا يفلق عليه بالإغلاظ له.

القرآن

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨)} [القصص : ٣٨]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٠.

(٢) تفسير الطبري:٥٨٠/١٩.

(٣) تفسير ابن كثير:٢٣٧/٦.

(٤) مجاز القرآن:١٠٥/٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩١٣):ص٢٩٧٨/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٠.

(٧) تفسير الطبري:٥٨٠/١٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩١٤):ص٢٩٧٨/٩.

(٩) تفسير ابن كثير:٢٣٧/٦.

وقال فرعون لأشراف قومه: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري يستحق العبادة، فأشْعِل لي -يا هامان- على الطين نارًا، حتى يشتد، وابْنِ لي بناء عاليًا؛ لعلي أنظر إلى معبود موسى الذي يعبده ويدعو إلى عبادته، وإني لأظنه فيما يقول من الكاذبين.

قوله تعالى:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ} [القصص : ٣٨] أي:" وقال فرعون لأشراف قومه: يا أيها الملأ "[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم"[٢].

قال مقاتل:" يعني: الأشراف من قومه"[٣].

قوله تعالى:{مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص : ٣٨] أي:" ما علمت لكم من إله غيري يستحق العبادة"[٤].

قال مقاتل:" هذا القول من فرعون كفر"[٥].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافترائه في دعوى الإلهية لنفسه القبيحة - لعنه الله - كما قال تعالى : { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } [الزخرف : ٥٤] ، وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية ، فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم ؛ ولهذا قال : { يَا أَيُّهَا الْمَلأ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } ، [و] (١) قال تعالى إخبارا عنه : { فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى } [النازعات : ٢٣ - ٢٦] يعني : أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مُصَرِّحا لهم بذلك ، فأجابوه سامعين مطيعين. ولهذا انتقم الله تعالى منه ، فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة ، وحتى إنه واجه موسى الكليم بذلك فقال : { لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ } [الشعراء : ٢٩]"[٦].

قال السعدي:" {وَقَالَ فِرْعَوْنُ} متجرئا على ربه، ومموها على قومه السفهاء، أخفاء العقول: {يَا أَيُّهَا الْمَلأ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} أي: أنا وحدي، إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثَمَّ إله غيري، لعلمته، فانظر إلى هذا الورع التام من فرعون!، حيث لم يقل " ما لكم من إله غيري " بل تورع وقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} وهذا، لأنه عندهم، العالم الفاضل، الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه"[٧].

قال ابن عباس:" لما قال فرعون: ما علمت لكم من إله غيري قال جبريل عليه السلام: يا رب، طغى عبدك، فأذن لي في هلاكه قال: يا جبريل، هو عبدي ولن يبقني، له أجل قد أجلته يجيء ذلك الأجل، فلما قال: أنا ربكم الأعلى. قال: يا جبريل.. سبقت دعوتك"[٨].

قوله تعالى:{فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا} [القصص : ٣٨] أي:" فأشْعِل لي -يا هامان- على الطين نارًا، حتى يشتد، وابْنِ لي بناء عاليًا"[٩].

قال الطبري:" يقول: فاعمل لي آجرا فابن لي بالآجر بناء"[١٠].

---

(١) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٢) تفسير الطبري:٥٨٠/١٩.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٥/٣.

(٤) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٥/٣.

(٦) تفسير ابن كثير:٢٣٨/٦.

(٧) تفسير السعدي:٦١٦.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩١٥):ص٢٩٧٩/٩.

(٩) التفسير الميسر:٣٩٠.

(١٠) تفسير الطبري:٥٨٠/١٩-٥٨١.

قال مقاتل:" يقول: أوقد النار على الطين حتى يصير اللبن آجرا- وكان فرعون أول من طبخ الأجر وبناء- {فاجعل لي صرحا}، يعني: قصرا طويلا"[١].

قال ابن كثير:" أي : أمر وزيره هامان ومدبر رعيته ومشير دولته أن يوقد له على الطين ، ليتخذ له آجُرّا لبناء الصرح ، وهو القصر المنيف الرفيع - كما قال في الآية الأخرى : { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ } [غافر : ٣٦ ، ٣٧] ، وذلك لأن فرعون بنى هذا الصرح الذي لم يُرَ في الدنيا بناء أعلى منه ، إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون"[٢].

قال الزجاج:" الصرح: كل بناء متسع مرتفع"[٣].

عن ابن زيد، قوله:"{فأوقد لي يا هامان على الطين}، قال: الطين المطبوخ الذي يوقد عليه هو من طين يبنون به البنيان. {فاجعل لي صرحا}، قال: الصرح البنيان فأمره أن يرفعه"[٤].

عن مجاهد قوله: "{فأوقد لي يا هامان على الطين}، قال: على المدر، يكون لبنا مطبوخا"[٥].

قال قتادة:" وكان أول من طبخ الآجر وصنع له الصرح"[٦].

قال ابن جريج: "أول من أمر بصنعة الآجر وبنى به فرعون"[٧].

قوله تعالى:{لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى} [القصص : ٣٨] أي:" لعلي أنظر إلى معبود موسى الذي يعبده ويدعو إلى عبادته"[٨].

قال الطبري: يقول: {لعلي} "انظر إلى معبود موسى، الذي يعبده، ويدعو إلى عبادته"[٩].

قال الزجاج:" وظن فرعون أنه يتهيأ له أن يبلغ بصرحه نحو السماء فيرى السماء وما فيها"[١٠].

قال مقاتل:" فبني، وكان ملاطة[١١] خبث القوارير، فكان الرجل لا يستطيع القيام عليه مخافة أن تنسفه الريح"[١٢].

قال السدي: "فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه فأمر بنشابه، فرمى بها نحو السماء فردت إليه وهي متلطخة دماء، قال: قتلت إله موسى"[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٥-٣٤٦.

(٢) تفسير ابن كثير:٦/٢٣٨.

(٣) معاني القرآن:٤/١٤٥.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٢٠):ص٩/٢٩٧٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩١٧):ص٩/٢٩٧٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩١٩):ص٩/٢٩٧٩.

(٧) أخرجه الطبري:١٩/٥٨٠.

(٨) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٩) تفسير الطبري:١٩/٥٨٠-٥٨١.

(١٠) معاني القرآن:٤/١٤٥.

(١١)الملاط: بالميم هو ما يطلى به من نحو الجص.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٥-٣٤٦.

قوله تعالى:{وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [القصص : ٣٨] أي:" وإني لأظنه فيما يقول من الكاذبين"[٢].

قال الطبري: يقول:" {وإني لأظنه} فيما يقول من أن له معبودا يعبده في السماء، وأنه هو الذي يؤيده وينصره، وهو الذي أرسله إلينا من الكاذبين؛ فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح، فارتقى فوقه"[٣].

قال ابن كثير:" أي : في قوله إن ثَمّ ربًّا غيري ، لا أنه كذبه في أن الله أرسله ؛ لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع "[٤].

قال الزجاج:" «الظن» -في اللغة-: ضرب يكون شكا ويقينا. وقول فرعون: {وإني لأظنه} اعتراف بأنه شاك، وأنه لم يتيقن أن موسى كاذب، ففي هذا بيان أنه قد كفر بموسى على غير يقين أنه ليس بنبي، وقد وقع في نفسه أنه نبي، لأن الآيات التي هي النبوة لا يجهلها ذو فطرة، وقوله في غير هذا الموضع: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ} [الإسراء : ١٠٢]. دليل على أنه قد ألزم فرعون الحجة القاطعة"[٥].

قال القرطبي:" الظن: هنا شك، فكفر على الشك، لأنه قد رأى من البراهين ما لا يخيل على ذي فطرة"[٦].

قال السعدي:" فانظر هذه الجراءة العظيمة على الله، التي ما بلغها آدمي، كذب موسى، وادَّعى أنه إله، ونفى أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب، ليتوصل إلى إله موسى، وكل هذا ترويج، ولكن العجب من هؤلاء الملأ الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشئونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم. فسد دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم، فنسألك اللهم الثبات على الإيمان، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وتهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب"[٧].

القرآن

{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩)} [القصص : ٣٩]

التفسير:

واستعلى فرعون وجنوده في أرض «مصر» بغير الحق عن تصديق موسى واتِّباعه على ما دعاهم إليه، وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون.

قوله تعالى:{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [القصص : ٣٩]، أي:" واستعلى فرعون وجنوده في أرض «مصر» بغير الحق عن تصديق موسى واتِّباعه على ما دعاهم إليه"[٨].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٢١):ص٩/٢٩٧٩.

(٢) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٥٨١.

(٤) تفسير ابن كثير:٦/٢٣٨.

(٥) معاني القرآن:٤/١٤٥.

(٦) تفسير القرطبي:١٣/٢٨٩.

(٧) تفسير السعدي:٦١٦.

(٨) التفسير الميسر:٣٩٠.

قال الطبري: يقول:" {واستكبر} فرعون {وجنوده} في أرض مصر عن تصديق موسى واتباعه على ما دعاهم إليه من توحيد الله، والإقرار بالعبودية له بغير الحق، يعني تعديا وعتوا على ربهم"(١).

قال ابن كثير:" أي : طغوا وتجبروا ، وأكثروا في الأرض الفساد"(٢).

قال القرطبي:" أي: تعظم {هو وجنوده} عن الإيمان بموسى، أي: لم تكن له حجة تدفع ما جاء به موسى"(٣).

قال السعدي:" استكبروا على عباد الله، وساموهم سوء العذاب، واستكبروا على رسل الله، وما جاءوهم به من الآيات، فكذبوها، وزعموا أن ما هم عليه أعلى منها وأفضل"(٤).

قوله تعالى:{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ} [القصص : ٣٩]، أي:" وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون"(٥).

قال الطبري: " يقول: وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون، ولا ثواب، ولا عقاب، فركبوا أهواءهم، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد، وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة"(٦).

قال القرطبي:" أي: توهموا أنه لا معاد ولا بعث"(٧).

قال ابن كثير:أي: " واعتقدوا أنه لا معاد ولا قيامة "(٨).

قال السعدي:" تجرأوا، وإلا فلو علموا، أو ظنوا أنهم يرجعون إلى الله، لما كان منهم ما كان"(٩).

قال مجاهد:" ما كان من «ظن» في القرآن، فهو يقين"(١٠).

وقرأ نافع وابن محيصن وشيبة وحميد ويعقوب وحمزة والكسائي:«لا يرجعون»، بفتح الياء وكسر الجيم على أنه مسمى الفاعل(١١).

القرآن

{فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠)} [القصص : ٤٠]

التفسير:

فأخذنا فرعون وجنوده، فألقيناهم جميعًا في البحر وأغرقناهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كان نهاية هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بربهم؟

قوله تعالى:{فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} [القصص : ٤٠]، أي:" فأخذنا فرعون وجنوده، فألقيناهم جميعًا في البحر وأغرقناهم"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:٥٨٢/١٩.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٣٨/٦.

(٣) تفسير القرطبي:٢٨٩/١٣.

(٤) تفسير السعدي:٦١٦.

(٥) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٦) تفسير الطبري:٥٨٢/١٩.

(٧) تفسير القرطبي:٢٨٩/١٣.

(٨) تفسير ابن كثير:٢٣٨/٦.

(٩) تفسير السعدي:٦١٦.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٢٢):ص٢٩٨٠/٩.

(١١) انظر: تفسير القرطبي:٢٨٩/١٣.

(١٢) التفسير الميسر:٣٩٠.

قال الطبري: يقول: " فجمعنا فرعون وجنوده من القبط، فألقيناهم جميعهم في البحر فغرقناهم فيه"[١].

قال ابن كثير:" أي : أغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة ، فلم يبق منهم أحد"[٢].

قال القرطبي:" طرحناهم في البحر المالح، وكانوا ألفي ألف وستمائة ألف"[٣].

قال الزجاج:" اليم: البحر وهو الذي يقال له: «إيساف»، وهو الذي غرق فيه فرعون وجنوده بناحية مصر"[٤].

قال قتادة:" اليم: بحر يقال له: «إساف» من وراء مصر، ففرقهم الله فيه"[٥].

قوله تعالى:{فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} [القصص : ٤٠]، أي:" فانظر -أيها الرسول- كيف كان نهاية هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بربهم؟"[٦].

قال الطبري: يقول: " فانظر يا محمد بعين قلبك: كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بربهم، وردوا على رسوله نصيحته، ألم نهلكهم فنورث ديارهم وأموالهم أولياءنا، ونخولهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز، ومقام كريم، بعد أن كانوا مستضعفين، تقتل أبناؤهم، وتستحيا نساؤهم، فإنا كذلك بك وبمن آمن بك وصدقك فاعلون مخولوك وإياهم ديار من كذبك، ورد عليك ما أتيتهم به من الحق وأموالهم، ومهلكوهم قتلا بالسيف، سنة الله في الذين خلوا من قبل"[٧].

قال السعدي:" كانت شر العواقب وأخسرها عاقبة أعقبتها العقوبة الدنيوية المستمرة، المتصلة بالعقوبة الأخروية"[٨].

القرآن

{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١)} [القصص : ٤١]

التفسير:

وجعلنا فرعون وقومه قادة إلى النار، يَقتدي بهم أهل الكفر والفسق، ويوم القيامة لا ينصرون؛ وذلك بسبب كفرهم وتكذيبهم رسول ربهم وإصرارهم على ذلك.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} [القصص : ٤١]، أي:" وجعلنا فرعون وقومه قادة إلى النار، يَقتدي بهم أهل الكفر والفسق"[٩].

قال الطبري: يقول:" وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتم بهم أهل العتو على الله والكفر به، يدعون الناس إلى أعمال أهل النار"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم ، في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٥٨٢/١٩.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٣٨/٦.

(٣) تفسير القرطبي:٢٨٩/١٣.

(٤) معاني القرآن:١٤٦/٤.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٢٢):ص٢٩٨٠/٩. هكذا الترقيم بالمطبوع!

(٦) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٧) تفسير الطبري:٥٨٢/١٩.

(٨) تفسير السعدي:٦١٦.

(٩) التفسير الميسر:٣٩٠.

(١٠) تفسير الطبري:٥٨٣/١٩.

قال القرطبي:" أي:جعلناهم زعماء يتبعون على الكفر، فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم حتى يكون عقابهم أكثر. وقيل: جعل الله الملأ من قومه رؤساء السفلة منهم، فهم يدعون إلى جهنم. وقيل: أئمة يأتم بهم ذوو العبر ويتعظ بهم أهل البصائر. {يدعون إلى النار} أي: إلى عمل أهل النار "[٢].

قال السعدي:" أي: جعلنا فرعون وملأه من الأئمة الذين يقتدي بهم ويمشي خلفهم إلى دار الخزي والشقاء"[٣].

قال مجاهد:" جعلهم الله أئمة يدعون إلى المعاصي"[٤].

قال الزجاج:" أي: من اتبعهم فهو في النار"[٥].

قال أبو عبيدة:" والإمام يكون في الخير وفي الشر"[٦].

عن ابن عباس:" ولا تجعلنا أئمة ضلالة، لأنه قال لأهل السعادة: {وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا}، وقال لأهل الشقاوة: {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار}"[٧].

قوله تعالى:{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ} [القصص : ٤١]، أي:" ويوم القيامة لا ينصرون؛ وذلك بسبب كفرهم وتكذيبهم رسول ربهم وإصرارهم على ذلك"[٨].

قال الطبري: يقول:" ويوم القيامة لا ينصرهم إذا عذبهم الله ناصر، وقد كانوا في الدنيا يتناصرون، فاضمحلت تلك النصرة يومئذ"[٩].

قال الزجاج:" أي: لا ناصر لهم ولا عاصم من عذاب الله"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولا بذل الآخرة ، كما قال تعالى : { أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ } [محمد : ١٣]"[١١].

القرآن

{وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)} [القصص : ٤٢]

التفسير:

وأتبعنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيًا وغضبًا منا عليهم، ويوم القيامة هم من المستقذرة أفعالهم، المبعدين عن رحمة الله.

قوله تعالى:{وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً} [القصص : ٤٢]، أي:" وأتبعنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيًا وغضبًا منا عليهم"[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٣٨/٦.

(٢) تفسير القرطبي:٢٨٩/١٣-٢٩٠.

(٣) تفسير السعدي:٦١٦.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٢٣):ص٢٩٨٠/٩. هكذا الترقيم بالمطبوع!

(٥) معاني القرآن:١٤٦/٤.

(٦) مجاز القرآن:١٠٦/٢.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٢٤):ص٢٩٨٠/٩.

(٨) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٩) تفسير الطبري:٥٨٣/١٩.

(١٠) معاني القرآن:١٤٦/٤.

(١١) تفسير ابن كثير:٢٣٨/٦.

(١٢) التفسير الميسر:٣٩٠.

قال الطبري: يقول:" وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيا وغضبا منا عليهم، فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيئ"(١).

قال القرطبي:" أي: أمرنا العباد بلعنهم فمن ذكرهم لعنهم. وقيل: أي: ألزمناهم اللعن أي البعد عن الخير"(٢).

قال ابن كثير:" أي : وشرع الله لعنتهم ولعنة مَلكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين رسله ، وكما أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنة الأنبياء وأتباعهم كذلك"(٣).

قال السعدي:" أي: وأتبعناهم، زيادة في عقوبتهم وخزيهم، في الدنيا لعنة، يلعنون، ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أئمة الملعونين في الدنيا ومقدمتهم"(٤).

وروي عن قتادة: "{وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة}، قال: لعنوا في الدنيا والآخرة، قال: هو كقوله: {وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود}"(٥).

وعن ابن جريج، قوله: "{وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة}، لعنة أخرى"(٦).

قوله تعالى:{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} [القصص : ٤٢]، أي:" ويوم القيامة هم من المستقذرة أفعالهم، المبعدين عن رحمة الله"(٧).

قال أبو عبيدة:أي: " المهلكين"(٨).

قال القرطبي:" أي: من المهلكين الممقوتين، وقيل: من المبعدين. يقال: قبحه الله، أي: نحاه من كل خير"(٩).

قال الطبري: {هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ}: يقول: "هم من القوم الذين قبحهم الله، فأهلكهم بكفرهم بربهم، وتكذيبهم رسوله موسى عليه السلام، فجعلهم عبرة للمعتبرين، وعظة للمتعظين"(١٠).

قال السعدي:" أي:[من] المبعدين، المستقذرة أفعالهم. الذين اجتمع عليهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت أنفسهم"(١١).

قال يحيى:" وأهل النار مقبوحون مشوهون، سود، زرق، حبن، كأن رءوسهم آجام القصب، كالحون، شفة أحدهم السفلى ساقطة على صدره، وشفته العليا قالصة قد غطت وجهه، رأس أحدهم مثل الجبل العظيم، وضرسه مثل أحد، وأنيابه كالصياصي، وهي الجبال ، وغلظ جلده سبعون ذراعا، وبعضهم يقول أربعون، يشتد الدود ما بين جلده ولحمه كما يشتد الوحوش في البرية، وفخذه مسيرة يومين"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٥٨٣.

(٢) تفسير القرطبي:١٣/٢٩٠.

(٣) تفسير ابن كثير:٦/٢٣٨.

(٤) تفسير السعدي:٦١٦.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/٥٨٣.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/٥٨٣.

(٧) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٨) مجاز القرآن:٢/١٠٦.

(٩) تفسير القرطبي:١٣/٢٩٠.

(١٠) تفسير الطبري:١٩/٥٨٣.

(١١) تفسير السعدي:٦١٦.

(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥٩٤-٥٩٥.

قال السدي:" لم يبعث نبي بعد فرعون إلا لعن على لسانه، ويوم القيامة ترفد لعنة أخرى في النار"[١].

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)} [القصص : ٤٣]

التفسير:

ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الأمم التي كانت من قبله -كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب «مدين» - فيها بصائر لبني إسرائيل، يبصرون بها ما ينفعهم وما يضرهم، وفيها رحمة لمن عمل بها منهم؛ لعلهم يتذكرون نِعَم الله عليهم، فيشكروه عليها، ولا يكفروه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى} [القصص : ٤٣]، أي:" ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الأمم التي كانت من قبله"[٢].

قال الطبري: يقول:" {ولقد آتينا موسى} التوراة {من بعد ما أهلكنا} الأمم التي كانت قبله، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين"[٣].

قال الزجاج:" فكان خاتمة إهلاك القرون بالعذاب في الدنيا أن جعل المكذبين بموسى الذين عدوا في السبت قردة خاسئين عند تكذيبهم بموسى عليه السلام"[٤].

قوله تعالى:{بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} [القصص : ٤٣]، أي:" فيها بصائر لبني إسرائيل، يبصرون بها ما ينفعهم وما يضرهم"[٥].

قال الطبري: " يقول: ضياء لبني إسرائيل فيما بهم إليه الحاجة من أمر دينهم"[٦].

قال القرطبي:" أي: آتيناه الكتاب بصائر. أي: ليتبصروا"[٧].

قال الزجاج:" أي: مبينا للناس، المعنى: ولقد آتينا موسى الكتاب بصائر للناس، أي: هذه حال إيتائنا إياه الكتاب مبينا نبينه للناس"[٨].

قال السعدي:" أي: كتاب الله، الذي أنزله على موسى، فيه بصائر للناس، أي: أمور يبصرون بها ما ينفعهم، وما يضرهم، فتقوم الحجة على العاصي، وينتفع بها المؤمن"[٩].

قوله تعالى:{وَهُدًى وَرَحْمَةً} [القصص : ٤٣]، أي:" وفيها هدى من الضلالة، ورحمة لمن آمن بها"[١٠].

قال الطبري: " يقول: وبيانا لهم ورحمة لمن عمل به منهم"[١١].

قال القرطبي:" {وهدى}، أي: من الضلالة لمن عمل بها {ورحمة} لمن آمن بها "[١].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٢٦):ص٩/٢٩٨١.

(٢) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٣) تفسير الطبري:٥٨٣/١٩.

(٤) معاني القرآن:١٤٦/٤.

(٥) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٦) تفسير الطبري:٥٨٣/١٩.

(٧) تفسير القرطبي:٢٩١/١٣.

(٨) معاني القرآن:١٤٦/٤.

(٩) تفسير السعدي:٦١٦.

(١٠) صفوة التفاسير:٤١٠١/٢.

(١١) تفسير الطبري:٥٨٣/١٩.

قال السعدي:" فتكون رحمة في حقه، وهداية له إلى الصراط المستقيم"(٢).

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص : ٤٣]، أي:" لعلهم يتذكرون نِعَم الله عليهم، فيشكروه عليها، ولا يكفروه"(٣).

قال الطبري: " يقول: ليتذكروا نعم الله بذلك عليهم، فيشكروه عليها ولا يكفروا"(٤).

قال القرطبي:" أي: ليذكروا هذه النعمة فيقموا على إيمانهم في الدنيا، ويثقوا بثوابهم في الآخرة"(٥).

عن أبي سعيد الخدري، قال: ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخوا قردة، ألم تر أن الله يقول: {ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون}"(٦).

فوائد الآيات:[٣٨-٤٣]:

١- بيان أن فرعون كان على علم بأنه عبد مربوب لله وأن الله هو رب العالمين.

٢- تقرير صفة العلو والاستكبار لفرعون وأنه كان من العالين.

٣- بيان كيف تكون عاقبة الظلمة دماراً وفساداً.

٤- دعاة الدعارة والخنا والضلال والشرك أئمة أهل النار يدعون إليها وهم لا يشعرون.

٥- بيان إفضال الله تعالى على بني إسرائيل بإنزال التوراة فيهم كتاباً كله بصائر وهدى ورحمة.

القرآن

{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤)} [القصص : ٤٤]

التفسير:

وما كنت -أيها الرسول- بجانب الجبل الغربي من موسى إذ كلَّفناه أَمْرنا ونَهْينا، وما كنت من الشاهدين لذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق.

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ} [القصص : ٤٤]، أي:" وما كنت -أيها الرسول- بجانب الجبل الغربي من موسى إذ كلَّفناه أَمْرنا ونَهْينا"(٧).

قال ابن كثير:" يعني : يا محمد ، ما كنت بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {وما كنت} يا محمد {بجانب} غربي الجبل، إذ فرضنا إلى موسى الأمر فيما ألزمناه وقومه، وعهدنا إليه من عهد"(٩).

---

(١) تفسير القرطبي:٢٩١/١٣.

(٢) تفسير السعدي:٦١٦.

(٣) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٤) تفسير الطبري:٥٨٣/١٩.

(٥) تفسير القرطبي:٢٩١/١٣.

(٦) اخرجه الطبري:٥٨٤/١٩.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩١.

(٨) تفسير ابن كثير:٢٤٠/٦.

(٩) تفسير الطبري:٥٨٤/١٩.

قال مقاتل:" {جانب البر}، يعني: ناحية البر الغربي بالأرض المقدسة، و«الغربي»، يعني: غربي الجبل حيث تغرب الشمس. {إذ قضينا إلى موسى الأمر}، يقول: إذ عهدنا إلى موسى الرسالة إلى فرعون وقومه"(١).

عن قتادة، قوله: "{وما كنت} يا محمد {بجانب الغربي}، يقول: بجانب غربي الجبل {إذ قضينا إلى موسى الأمر}"(٢).

قال قتادة: "{بجانب الغربي}: يعني: جبلا قريبا كان"(٣).

عن أبي زرعة بن عمرو، قال: "إنكم أمة محمد ﷺ قد أجبتم قبل أن تسألوا، وقرأ: {وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر}"(٤).

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [القصص : ٤٤]، أي:" وما كنت من الشاهدين لذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق"(٥).

قال الطبري:" يقول: وما كنت لذلك من الشاهدين"(٦).

قال ابن كثير:" { وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ } لذلك"(٧).

القرآن

{وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥)} [القصص : ٤٥]

التفسير:

ولكنا خلقنا أممًا من بعد موسى، فمكثوا زمنًا طويلا فنسوا عهد الله، وتركوا أمره، وما كنت مقيمًا في أهل «مدين» تقرأ عليهم كتابنا، فتعرف قصتهم وتخبر بها، ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى وحي، وشاهد على رسالتك.

قوله تعالى:{وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا} [القصص : ٤٥]، أي:" ولكنا خلقنا أممًا من بعد موسى"(٨).

عن السدي، "{أنشأنا}: خلقنا"(٩).

قال مقاتل:" يعني: خلقنا قرونا"(١٠).

قال الطبري:أي:" ولكنا خلقنا أمما فأحدثناها من بعد ذلك"(١١).

قال ابن كثير:" ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك، ليجعله حجة وبرهانًا على قرون قد تطاول عهدها ، ونَسُوا حُجَج الله عليهم ، وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين "(١٢).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٧.

(٢) أخرجه الطبري:١٩/٥٨٤.

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٣٢):ص٩/٢٩٨٢.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٥٨٤.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩١.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٥٨٤.

(٧) تفسير ابن كثير:٦/٢٤٠.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩١.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٣٣):ص٩/٢٩٨٢.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٧.

(١١) تفسير الطبري:١٩/٥٨٥.

(١٢) تفسير ابن كثير:٦/٢٤٠.

عبد الله بسر قال: "قلت: يا رسول الله، كم القرن؟ قال:«مائة سنة»"(١).

عن زرارة بن أوفى، قال: "القرن: عشرون ومائة سنة"(٢).

قال قتادة:" القرن سبعون سنة"(٣).

قال الحسن:" القرن: ستون سنة"(٤).

قال إبراهيم:" القرن أربعون سنة"(٥).

عن مالك بن دينار، قال: "سألت الحسن، عن القرن، فقال: عشرون سنة"(٦).

قوله تعالى:{فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ} [القصص : ٤٥]، أي:" فمكثوا زمنًا طويلا فنسوا عهد الله وتركوا أمره"(٧).

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص : ٤٥]، أي:" وما كنت مقيمًا في أهل «مدين» تقرأ عليهم كتابنا، فتعرف قصتهم وتخبر بها"(٨).

قال مقاتل:" يعني: تشهد مدين فتقرأ على أهل مكة أمرهم"(٩).

قال الطبري: " يقول: وما كنت مقيما في أهل مدين"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : وما كنت مقيما في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ، حين أَخْبرتَ عن نبيها شعيب ، وما قال لقومه ، وما ردُّوا عليه "(١١).

قال ابن زيد:" الثاوي: المقيم"(١٢).

عن سعيد بن جبير، قوله:"{آياتنا}، يعني: القرآن"(١٣).

قوله تعالى:{وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} [القصص : ٤٥]، أي:" ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى وحي، وشاهد على رسالتك"(١٤).

قال ابن كثير:" أي : ولكن نحن أوحينا إليك ذلك ، وأرسلناك للناس رسولا "(١٥).

قال مقاتل:" يعني: أرسلناك إلى أهل مكة لتخبرهم بأمر مدين"(١٦).

عن أبي أمامة قال: قلت: "يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا"(١).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٣٤):ص٢٩٨٢/٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٣٥):ص٢٩٨٢/٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٣٧):ص٢٩٨٢/٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٣٨):ص٢٩٨٢/٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٤٠):ص٢٩٨٢/٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٤١):ص٢٩٨٢/٩.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩١.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩١.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٧/٣.

(١٠) تفسير الطبري:٥٨٥/١٩.

(١١) تفسير ابن كثير:٢٤٠/٦.

(١٢) أخرجه الطبري:٥٨٥/١٩.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٤٣):ص٢٩٨٣/٩.

(١٤) التفسير الميسر: ٣٩١.

(١٥) تفسير ابن كثير:٢٤٠/٦.

(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤٧/٣.

القرآن

{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)} [القصص : ٤٦]

التفسير:

وما كنت -أيها الرسول- بجانب جبل الطور حين نادينا موسى، ولم تشهد شيئًا من ذلك فتعلمه، ولكنا أرسلناك رحمة من ربك؛ لتنذر قومًا لم يأتهم مِن قبلك من نذير؛ لعلهم يتذكرون الخير الذي جئتَ به فيفعلوه، والشرَّ الذي نَهيتَ عنه فيجتنبوه.

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا} [القصص : ٤٦]، أي:" وما كنت -أيها الرسول- بجانب جبل الطور حين نادينا موسى، ولم تشهد شيئًا من ذلك فتعلمه"(٢).

قال الطبري: " وما كنت يا محمد بجانب الجبل إذ نادينا موسى بأن {سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي}... الآية"(٣).

قال مقاتل بن حيان:" ما كنت يا محمد، بجانب الطور"(٤).

عن مقاتل بن حيان، "{وما كنت بجانب الطور إذ نادينا} أمتك وهم في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بعثت"(٥).

عن أبي زرعة، في قول الله: "{وما كنت بجانب الطور إذ نادينا}، قال: نادى يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل أن تدعوني"(٦).

قال قتادة:" نودوا: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني، واستجبت لكم قبل أن تدعوني"(٧).

قال أو هريرة: "نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني، واستجبت لكم قبل أن تدعوني، قال: وهو قوله: حين قال موسى: {واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة}... الآية"(٨).

وقال قتادة:" أي: إذ نادينا موسى ﷺ"(٩).

قال ابن كثير:" وهذا - والله أعلم - أشبه بقوله تعالى : { وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأمْرَ }"(١٠).

قوله تعالى:{وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} [القصص : ٤٦]، أي:" ولكنا أرسلناك رحمة من ربك"(١١).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٤٤):ص٩/٢٩٨٣.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩١.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٥٨٥.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٤٥):ص٩/٢٩٨٣.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٤٧):ص٩/٢٩٨٣.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/٥٨٥-٥٨٦.

(٧) اخرجه الطبري:١٩/٥٨٦.

(٨) اخرجه الطبري:١٩/٥٨٦.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٤٨):ص٩/٢٩٨٤.

(١٠) تفسير ابن كثير:٦/٢٤١.

(١١) التفسير الميسر: ٣٩١.

قال ابن كثير:" أي : ما كنت مشاهدًا لشيء من ذلك ، ولكن الله أوحاه إليك وأخبرك به ، رحمة منه لك وبالعباد بإرسالك إليهم "[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لم تشهد شيئا من ذلك يا محمد فتعلمه، ولكنا عرفناكه، وأنزلنا إليك، فاقتصصنا ذلك كله عليك في كتابنا، وابتعثناك بما أنزلنا إليك من ذلك رسولا إلى من ابتعثناك إليه من الخلق رحمة منا لك ولهم"[٢].

قال مقاتل:" يقول: ولكن القرآن نعمة من ربك، النبوة اختصصت بها"[٣].

وقال قتادة:" أي: ما قصصنا عليك: لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون"[٤].

قال قتادة:" كان رحمة من ربك النبوة"[٥].

عن ابن زيد، "{ولكن رحمة من ربك] قال: الذي أنزلنا عليك من القرآن، {لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك}"[٦].

قوله تعالى:{لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ} [القصص : ٤٦]، أي:" لتنذر قومًا لم يأتهم مِن قبلك من نذير"[٧].

قال مقاتل:" يعني: أهل مكة بالقرآن"[٨].

قال الطبري:يقول: " ولكن أرسلناك بهذا الكتاب وهذا الدين لتنذر قوما لم يأتهم من قبلك نذير، وهم العرب الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ، بعثه الله إليهم رحمة لينذرهم بأسه على عبادتهم الأصنام، وإشراكهم به الأوثان والأنداد"[٩].

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص : ٤٦]، أي:" لعلهم يتذكرون الخير الذي جئتَ به فيفعلوه، والشرَّ الذي نَهيتَ عنه فيجتنبوه"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : لعلهم يهتدون بما جئتهم به من الله عز وجل "[١١].

قال الطبري: " يقول: ليتذكروا خطأ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بربهم، فينيبوا إلى الإقرار لله بالوحدانية، وإفراده بالعبادة دون كل ما سواه من الآلهة"[١٢].

القرآن

{وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)} [القصص : ٤٧]

التفسير:

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/٢٤١.

(٢) تفسير الطبري:١٩/٥٨٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٧.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٤٨):ص٩/٢٩٨٤.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/٥٨٦.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/٥٨٧.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩١.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٧.

(٩) تفسير الطبري:١٩/٥٨٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٣٩١.

(١١) تفسير ابن كثير:٦/٢٤١.

(١٢) تفسير الطبري:١٩/٥٨٦.

ولولا أن ينزل بهؤلاء الكفار عذاب بسبب كفرهم بربهم، فيقولوا: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا من قبل، فنتبع آياتك المنزلة في كتابك، ونكون من المؤمنين بك.

قوله تعالى:{وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} [القصص : ٤٧]، أي:" ولولا أن ينزل بهؤلاء الكفار عذاب بسبب كفرهم بربهم"(١).

قال الطبري:يقول: " ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتك يا محمد إليهم، لو حل بهم بأسنا، أو أتاهم عذابنا من قبل أن نرسلك إليهم على كفرهم بربهم، واكتسابهم الآثام، واجترامهم المعاصي"(٢).

قال مقاتل:" يعني: العذاب في الدنيا {بما قدمت أيديهم} من المعاصي، يعني: كفار مكة"(٣).

قال أبو عبيدة:{ وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ}، "وهى من كل نقمة وعذاب"(٤).

قال القرطبي:" {ولولا أن تصيبهم}، يريد قريشا. وقيل: اليهود. {مصيبة}، أي: عقوبة ونقمة، {بما قدمت أيديهم} من الكفر والمعاصي. وخص الأيدي بالذكر، لأن الغالب من الكسب إنما يقع بها"(٥).

قوله تعالى:{فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا} [القصص : ٤٧]، أي:" فيقولوا: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا من قبل"(٦).

قال الطبري:أي: " ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا من قبل أن يحل بنا سخطك، وينزل بنا عذابك"(٧).

عن ابن عباس، قوله: "{ربنا}، يعني: يا ربنا"(٨).

قال مقاتل:" فيها تقديم، يقول: لولا أن يقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لأصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم"(٩).

قال الفراء:" المعنى: لولا أن يقولوا إن أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم: هلا أرسلت إلينا رسولا"(١٠).

قال الزجاج:" أي: لولا ذلك لم يحتج إلى إرسال الرسل، ومواترة الاحتجاج"(١١).

قال القرطبي:" وجواب «لولا» محذوف، أي: لولا أن يصيبهم عذاب بسبب معاصيهم المتقدمة {فيقولوا ربنا لولا}، أي: هلا {أرسلت إلينا رسولا} لما بعثنا الرسل"(١٢).

قوله تعالى:{فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ} [القصص : ٤٧]، أي:" فنتبع آياتك المنزلة في كتابك"(١٣).

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩١.

(٢) تفسير الطبري:١٩/٥٨٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٧.

(٤) مجاز القرآن:٢/١٠٧.

(٥) تفسير القرطبي:١٣/٢٩٣.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩١.

(٧) تفسير الطبري:١٩/٥٨٧.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٤٩):ص٩/٢٩٨٤.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٧.

(١٠) معاني القرآن:١/١٨٤.

(١١) معاني القرآن: ٤/١٤٧.

(١٢) تفسير القرطبي:١٣/٢٩٣.

(١٣) التفسير الميسر: ٣٩١.

قال الطبري:أي: " فنتبع أدلتك، وآي كتابك الذي تنزله على رسولك"[١].

قال مقاتل:" يعني: القرآن"[٢].

عن السدي، أما «آيات الله»: محمد ﷺ"[٣].

قوله تعالى:{وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [القصص : ٤٧]، أي:" ونكون من المؤمنين بك"[٤].

قال مقاتل:" يعني: المصدقين"[٥].

قال الطبري:أي: " ونكون من المؤمنين بألوهيتك، المصدقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا"[٦].

قال ابن كثير:" أي : وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة ولتقطع عذرهم إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم ، فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير ، كما قال تعالى بعد ذكره إنزال كتابه المبارك وهو القرآن : { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ } [الأنعام : ١٥٦ ، ١٥٧] ، وقال : { رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } [النساء : ١٦٥] ، وقال تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [المائدة : ١٩] ، والآيات في هذا كثيرة والله أعلم"[٧].

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "الهالك في الفترة يقول: رب لم يأتني كتاب ولا رسول، ثم قرأ هذه الآية: {ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين}"[٨].

فوائد الآيات:[٤٤-٤٧]:

١- تقرير النبوة المحمدية بأقوى الأدلة العقلية.

٢- بعثة الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءت في أوانها واشتداد الحاجة إليها.

٣- البعثة المحمدية كانت عبارة عن رحمة إلهية رحم الله بها العالمين.

٤- جواب {لولا} في قوله {وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ} . محذوف وقد ذكرناه وهو لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم ورسولا.

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨)} [القصص : ٤٨]

التفسير:

فلما جاء محمد هؤلاء القوم نذيرًا لهم، قالوا: هلا أوتي هذا الذي أُرسل إلينا مثل ما أوتي موسى من معجزات حسية، وكتابٍ نزل جملة واحدة! قل -أيها الرسول- لهم: أو لم يكفر اليهود بما

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٥٨٧.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٧.

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٥١):ص٩/٢٩٨٤.

(٤) التفسير الميسر: ٣٩١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٧.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٥٨٧.

(٧) تفسير ابن كثير:٦/٢٤١.

(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٥٠):ص٩/٢٩٨٤.

أوتي موسى من قبل؟ قالوا: في التوراة والقرآن سحران تعاونا في سحرهما، وقالوا: نحن بكل منهما كافرون.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى} [القصص : ٤٨]، أي:" فلما جاء أهل مكة الحقُّ المبين وهو محمد بالقرآن المعجز من عندنا قالوا - على وجه التعنت والعناد - هلاّ أُعطي محمد من الآيات الباهرة، والحجج القاهرة مثل ما أُعطي موسى من العصا واليد"[١].

قال مجاهد:" يهود تأمر قريشا أن تسأل محمدا مثل ما أوتي موسى"[٢].

قال الطبري:يقول: " فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يا محمد نذير فبعثناك إليهم نذيرا {الحق من عندنا}، وهو محمد ﷺ بالرسالة من الله إليهم، قالوا تمردا على الله، وتماديا في الغي: هلا أوتي هذا الذي أرسل إلينا، وهو محمد ﷺ مثل ما أوتي موسى بن عمران من الكتاب؟"[٣].

قال ابن كثير:" يعنون - والله أعلم - : من الآيات الكثيرة ، مثل العصا واليد ، والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وتنقص الزروع والثمار ، مما يضيق على أعداء الله ، وكفلق البحر ، وتظليل الغمام ، وإنزال المنّ والسلوى ، إلى غير ذلك من الآيات الباهرة ، والحجج القاهرة ، التي أجراها الله على يدي موسى عليه السلام ، حجة وبراهين له على فرعون وملئه وبني إسرائيل ، ومع هذا كله لم ينجع في فرعون وملئه ، بل كفروا بموسى وأخيه هارون ، كما قالوا لهما : { أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ } [يونس : ٧٨] ، وقال تعالى : { فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ } [المؤمنون : ٤٨]"[٤].

قال مجاهد:" يقول الله لمحمد ﷺ: قل لقريش يقولوا لهم: أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل"[٥].

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ} [القصص : ٤٨]، أي:" قل -أيها الرسول- لهم: أو لم يكفر اليهود بما أوتي موسى من قبل؟"[٦].

قال الطبري " يقول الله تبارك وتعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لقومك من قريش، القائلين لك {لولا أوتي مثل ما أوتي موسى} أو لم يكفر الذين علموا هذه الحجة من اليهود بما أوتي موسى من قبلك"[٧].

قال ابن كثير:" أي : أولم يكفر البشر بما أوتي موسى من تلك الآيات العظيمة "[٨].

قوله تعالى:{قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا} [القصص : ٤٨]، أي:" قال المشركون: ما التوراة والقرآن إلا من قبيل السحر، فهما سحران تعاونا بتصديق كل واحدٍ منهما الآخر"[٩].

قال ابن كثير:" أي: تعاونا"[١٠].

---

(١) صفوة التفاسير:٤٠٢/٢.

(٢) أخرجه الطبري:٥٨٨/١٩.

(٣) تفسير الطبري:٥٨٧/١٩.

(٤) تفسير ابن كثير:٢٤٢/٦.

(٥) أخرجه الطبري:٥٨٨/١٩.

(٦) التفسير الميسر:٣٩١.

(٧) تفسير الطبري:٥٨٧/١٩.

(٨) تفسير ابن كثير:٢٤٢/٦.

(٩) صفوة التفاسير:٤٠٢/٢.

(١٠) تفسير ابن كثير:٢٤٢/٦.

قرأ عاصم وحمزة والكسائى: {سحران} ليس قبل الحاء ألف، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: «ساحران»، بألف قبل الحاء[1].

فمن قرأ :«ساحران»، ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها : موسى ومحمد -عليهما السلام- . وهذا قول مشركي العرب ، وبه قال ابن عباس[2]، والحسن[3].

الثاني : موسى وهارون -عليهما السلام-. وهذا قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة ، قاله ابن جبير[4]، ومجاهد[5]، وأبو رزين[6].

قال ابن كثير:" وهذا قول جيد قَويّ ، والله أعلم"[7].

الثالث : عيسى ومحمد -ﷺ-، وهذا قول اليهود اليوم ، وبه قال الحسن-في رواية-[8]، وقتادة[9].

ومن قرأ : {سحران}، ففيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها التوارة والقرآن ، قاله ابن عباس[10]، وعاصم الجحدري[11]، والسدي[12]، وابن زيد[13].

الثاني : التوراة والإنجيل ، قاله أبو رزين[14]، وبه قال ابن جرير الطبري[15].

قال الطبري:" لأن الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب، وهو قوله: {قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى} والذي يليه من بعده ذكر الكتاب، وهو قوله: {فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه} فالذي بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بأن يكون من ذكر غيره، ومعنى الكلام: قل يا محمد، أو لم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتي موسى من قبل؟ وقالوا لما أوتي موسى من الكتاب وما أوتيته أنت: سحران تعاونا؟"[16].

وروي عن مجاهد، قال: "كنت إلى جنب ابن عباس وهو يتعوذ بين الركن والمقام، فقلت كيف تقرأ «سحران»، أو «ساحران»؟ فلم يرد علي شيئا، فقال عكرمة: ساحران، وظننت أنه

---

(١) انظر: السبعة في القراءات:٤٩٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٥٨٨/١٩.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٩٨٥/٩. بدون سند.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٩.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٩٨٥/٩. بدون سند.

(٧) تفسير ابن كثير:٢٤٢/٦.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٩.

(٩)انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٩٥٨): ص٢٩٨٥/٩ .

(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٩.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٩٨٥/٩. بدون سند.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٩٨٥/٩. بدون سند.

(١٣) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٩.

(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٩٦٠):ص٢٩٨٦/٩، وتفسير الطبري:٥٨٩/١٩.

(١٥) انظر: تفسير الطبري:٥٩٠/١٩.

(١٦) تفسير الطبري:٥٩٠/١٩.

لو كره ذلك أنكره علي. قال حميد فلقيت عكرمة بعد ذلك فذكرت ذلك له، وقلت كيف كان يقرؤها؟ قال: كان يقرأ «سحران تظاهرا»، أي: التوراة والإنجيل"[1].
الثالث : الإنجيل والقرآن ، قاله قتادة[2]، والضحاك[3].
قال قتادة:" قالت ذلك أعداء الله اليهود للإنجيل والفرقان"[4].
قوله تعالى:{وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ} [القصص : ٤٨]، أي:" وقالوا: نحن بكل منهما كافرون"[5].
قال الطبري:" وقالت اليهود: إنا بكل كتاب في الأرض من توراة وإنجيل، وزبور وفرقان كافرون"[6].
قال ابن كثير:" أي : بكل منهما كافرون. ولشدة التلازم والتصاحب والمقارنة بين موسى وهارون ، دلَّ ذكر أحدهما على الآخر ، كما قال الشاعر[7]:
فمَا أدْري إذَا يَمَّمْتُ أرْضًا ... أريدُ الخَيْرَ أيهُمَا يَليني
أي : فما أدري أيليني الخير أو الشر"[8].
عن مجاهد في قوله: {وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ}، قال:" قالوا: نكفر أيضا بما أوتي محمد"[9].
محمد"[9].
وقال الضحاك:" يقول: بالإنجيل والقرآن"[10].
قال ابن عباس:" هم أهل الكتاب، يقول: بالكتابين: التوراة والفرقان"[11].
قال ابن زيد:" الذي جاء به موسى، والذي جاء به محمد ﷺ"[12].

القرآن
{قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩)} [القصص : ٤٩]
التفسير:
قل -أيها الرسول- لهؤلاء: فأتوا بكتاب من عند الله هو أقوم من التوراة والقرآن أتبعه، إن كنتم صادقين في زعمكم.
قوله تعالى:{قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ} [القصص : ٤٩]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء: فأتوا بكتاب من عند الله هو أقوم من التوراة والقرآن أتبعه"[13].

---

(١) أخرجه الطبري:١٩/٥٨٩-٥٩٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥٩٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥٩٠.
(٤) أخرجه الطبري:١٩/٥٩٠.
(٥) التفسير الميسر:٣٩١.
(٦) تفسير الطبري:١٩/٥٩٠.
(٧) البيت للمثقب العبدي في ديوانه: ٢١٢، وخزانة الأدب: ٦/ ٣٧، ١١/ ٨٠، وشرح اختيارات المفضل : ١٢٦٧.
(٨) تفسير ابن كثير:٦/٢٤٢.
(٩) اخرجه الطبري:١٩/٥٩٠.
(١٠) اخرجه الطبري:١٩/٥٩١.
(١١) اخرجه الطبري:١٩/٥٩١.
(١٢) اخرجه الطبري:١٩/٥٩١.
(١٣) التفسير الميسر:٣٩١.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للقائلين للتوراة والإنجيل: هما سحران تظاهرا: ائتوا بكتاب من عند الله، هو أهدى منهما لطريق الحق، ولسبيل الرشاد {أتبعه}"[1].

قال ابن كثير:" وقد علم بالضرورة لذوي الألباب أن الله لم ينزل كتابًا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، وهو القرآن ، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى بن عمران ، عليه السلام ، وهو التوراة التي قال الله تعالى فيها : { إِنَّا أَنزلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ } [المائدة : ٤٤]. والإنجيل إنما نزل متمما للتوراة ومُحلا لبعض ما حُرّم على بني إسرائيل"[2].

قال ابن زيد، فقال الله: {قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما} من هذين الكتابين؛ الذي بعث به موسى، والذي بعث به محمد ﷺ"[3].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [القصص : ٤٩]، أي:" إن كنتم صادقين في زعمكم"[4].

قال الطبري:" في زعمكم أن هذين الكتابين سحران، وأن الحق في غيرهما"[5].

قال ابن كثير:" أي : فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل"[6].

عن أبي العالية، "{إن كنتم صادقين} بما تقولون إنه كما تقولون"[7]. وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك[8].

القرآن

{فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)} [القصص : ٥٠]

التفسير:

فإن لم يستجيبوا لك بالإتيان بالكتاب، ولم تبق لهم حجة، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ولا أحد أكثر ضلالا ممن اتبع هواه بغير هدى من الله. إن الله لا يوفِّق لإصابة الحق القوم الظالمين الذين خالفوا أمر الله، وتجاوزوا حدوده.

قوله تعالى:{فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ} [القصص : ٥٠]، أي:" فإن لم يستجيبوا لك بالإتيان بالكتاب، ولم تبق لهم حجة، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم"[9].

قال ابن كثير:" أي : فإن لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق { فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ } أي : بلا دليل ولا حجة"[10].

---

(١) تفسير الطبري:٥٩١/١٩.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٤٣/٦.

(٣) أخرجه الطبري:٥٩١/١٩-٥٩٢.

(٤) التفسير الميسر:٣٩١.

(٥) تفسير الطبري:٥٩١/١٩.

(٦) تفسير ابن كثير:٢٤٣/٦.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٦٧):ص٢٩٨٧/٩.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٩٨٧/٩. بدون سند.

(٩) التفسير الميسر:٣٩١.

(١٠) تفسير ابن كثير:٢٤٣/٦.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فإن لم يجبك هؤلاء القائلون للتوراة والإنجيل: سحران تظاهرا، الزاعمون أن الحق في غيرهما من اليهود يا محمد، إلى أن يأتوك بكتاب من عند الله، هو أهدى منهما، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، وأن الذي ينطقون به ويقولون في الكتابين، قول كذب وباطل، لا حقيقة له"(١).

قال الزجاج:" فاعلم أن ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه، وإنما آثروا فيه الهوى وقد علموا أنه هو الحق"(٢).

عن مجاهد قال: "الاستجابة: الطاعة"(٣).

قوله تعالى:{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ} [القصص : ٥٠]، أي:" ولا أحد أكثر ضلالا ممن اتبع هواه بغير هدى من الله"(٤).

قال ابن كثير:" أي : بغير حجة مأخوذة من كتاب الله "(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الله لا يوفق لإصابة الحق وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته، وكذبوا رسوله، وبدلوا عهده، واتبعوا أهواء أنفسهم إيثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم"(٦).

قال يحيى:أي:" أي: لا أحد أضل منه"(٧).

عن مقاتل بن حيان، قوله: "{ومن أضل}، يقول: أخطأ"(٨).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [القصص : ٥٠]، أي:" إن الله لا يوفِّق لإصابة الحق القوم الظالمين الذين خالفوا أمر الله، وتجاوزوا حدوده"(٩).

قال يحيى:أي:" المشركين الذين يموتون على شركهم"(١٠).

عن ابن عباس، "{الظالمين}، يقول: الكافرين"(١١).

القرآن

{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١)} [القصص : ٥١]

التفسير:

ولقد فصَّلنا وبيَّنا القرآن رحمة بقومك أيها الرسول؛ لعلهم يتذكرون، فيتعظوا به.

قال مقاتل: يقول: ولقد بينا لكفار مكة ما في القرآن من الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم رسله، لكي يتذكرون فيخافوا فيؤمنوا"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٥٩٢.

(٢) معاني القرآن: ٤/١٤٨.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٦٨):ص٩/٢٩٨٧.

(٤) التفسير الميسر:٣٩١.

(٥) تفسير ابن كثير:٦/٢٤٣.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٥٩٢.

(٧) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥٩٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٦٩):ص٩/٢٩٨٧.

(٩) التفسير الميسر:٣٩١.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥٩٨.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٧٠):ص٩/٢٩٨٧.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٤٨.

قال يحيى:" أخبرناهم به، بما أهلكنا الأمم السالفة، قوم نوح، وعادا وثمود، ومن بعدهم بتكذيبهم رسلهم"[1].

قال الطبري:" ولقد وصلنا يا محمد، لقومك من قريش ولليهود من بني إسرائيل القول بأخبار الماضين والنبأ عما أحللنا بهم من بأسنا، إذ كذبوا رسلنا، وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم، واحتذى في الكفر بالله، وتكذيب رسله مثالهم، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا [2].

قال الزجاج:" أي: فصلناه بأن فصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيصهم، وأقاصيص من مضى، بعضها ببعض،{ لعلهم يتذكرون}، أي: لعلهم يعتبرون"[3].

قال ابن قتيبة:" {ولقد وصلنا لهم القول}، أي: أتبعنا بعضه بعضا، فاتصل عندهم. يعني: القرآن"[4].

قال الفراء:" يقول: أنزلنا عليهم القرآن يتبع بعضه بعضا"[5].

قال أبو عبيدة:" أي: أتممناه، قال[6]:

جعلت عمامتى صلة لحبلى

وقال الأخطل[7]:

فقل لبنى مروان ما بال ذمة ... وحبل ضعيف لا يزال يوصّل"[8].

عن مجاهد، قوله: "{ولقد وصلنا لهم القول}، قال: فصلنا لهم القول"[9].

قال السدي:" بينا لهم القول"[10].

قال سفيان بن عيينة: "وصلنا: بينا"[11].

قال قتادة:" وصل الله لهم القول في هذا القرآن، يخبرهم كيف صنع بمن مضي، وكيف هو صانع {لعلهم يتذكرون}"[12].

قال ابن زيد، في قوله: "{ولقد وصلنا لهم} الخبر، خبر الدنيا بخبر الآخرة، حتى كأنهم عاينوا الآخرة، وشهدوها في الدنيا، بما نريهم من الآيات في الدنيا وأشباهها. وقرأ: {إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة}، وقال: إنا سوف ننجزهم ما وعدناهم في الآخرة كما أنجزنا للأنبياء ما وعدناهم نقضي بينهم وبين قومهم"[13].

روي عن مجاهد، قوله: "{ولقد وصلنا لهم القول}، قال: قريش"[14].

قال ابن كثير:" وهذا هو الظاهر"[1].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٥٩٨/٢.

(٢) تفسير الطبري:٥٩٣/١٩.

(٣) معاني القرآن: ١٤٨/٤.

(٤) غريب القرآن:٣٣٣.

(٥) معاني القرآن:٣٠٧/٢.

(٦)من كلمة ١١ بيتا للقحيف العقيلي العامري فى الأغانى ٢٠/ ١٤٢.

(٧)ديوانه: ١٠، وتفسير الطبري ٥٩٣/١٩، وتفسير القرطبي: ١٣/ ٢٩٥.

(٨) مجاز القرآن: ١٠٨/٢.

(٩) أخرجه الطبري:٥٩٣/١٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٧١):ص٢٩٨٧/٩.

(١١) أخرجه الطبري:٥٩٣/١٩.

(١٢) أخرجه الطبري:٥٩٣/١٩.

(١٣) أخرجه الطبري:٥٩٣/١٩.

(١٤) اخجره الطبر]:٥٩٤/١٩.

وعن عن ابن عباس، قوله: "{ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون}، قال: يعني محمد ﷺ"[٢].

وفي رواية:" {لعلهم يتذكرون}، يعني: محمدا ﷺ"[٣].

قال الطبري:" فكأن ابن عباس أراد بقوله: «يعني: محمدا»: لعلهم يتذكرون عهد الله في محمد إليهم، فيقرون بنبوته ويصدقونه"[٤].

وروي عن رفاعة القرظي، قال: "نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم :{ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون}"[٥].

عن عطية القرظي قال: نزلت هذه الآية: {ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون}، حتى بلغ: {إنا كنا من قبله مسلمين} في عشرة أنا أحدهم"[٦].

فوائد الآيات:[٤٨-٥١]:

١- بيان تناقض المشركين وكل من يبتع الهوى ويترك الهدى الإلهي.

٢- بيان تحدي المشركين بالإتيان بكتاب من عند الله وعجزهم عن ذلك فبان بذلك أنهم يتبعون أهواءهم وأنه لا أضل منهم اليوم.

٣- بيان سنة الله في حرمان المتوغلين في الظلم من الهداية الإلهية.

٤- بيان أن الله عز وجل وصل القول لأهل مكة مفصلاً مبيناً لهدايتهم فله الحمد وله المنة وعلى الكافرين اللعنة في جهنم.

القرآن

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)} [القصص : ٥٢]

التفسير:

الذين آتيناهم الكتاب من قبل القرآن -وهم اليهود والنصارى الذين لم يبدِّلوا- يؤمنون بالقرآن وبمحمد عليه الصلاة والسلام.

سبب النزول:

قال علي بن رفاعة: "خرج عشرة رهط من أهل الكتاب، منهم أبو رفاعة، يعني: أباه، إلى النبي ﷺ، فآمنوا، فأوذوا، فنزلت: {الذين آتيناهم الكتاب من قبله}، قبل القرآن"[٧].

قال قتادة: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق، يأخذون بها، وينتهون إليها، حتى بعث الله محمدا ﷺ، فآمنوا به، وصدقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين، بصبرهم على الكتاب الأول، واتباعهم محمدا ﷺ، وصبرهم على ذلك، وذكر أن منهم: سلمان، وعبد الله بن سلام"[٨].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٤٣/٦.

(٢) اخجره الطبر]:٥٩٤/١٩.

(٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٧٦):ص٢٩٨٨/٩.

(٤) تفسير الطبري:٥٩٤/١٩.

(٥) اخجره الطبري:٥٩٤/١٩.

(٦) اخجره الطبري:٥٩٤/١٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٩٥/١٩.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٩٥/١٩.

قال الطبري:" يعني بذلك تعالى ذكره قوما من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه، فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن، هم بهذا القرآن يؤمنون. فيقرون أنه حق من عند الله، ويكذب جهلة الأميين، الذين لم يأتهم من الله كتاب"[١].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن ، كما قال تعالى : { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } [البقرة : ١٢١] ، وقال : { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ } [آل عمران : ١٩٩] ، وقال : { إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا } [الإسراء : ١٠٧ ، ١٠٨] ، وقال : { وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } [المائدة : ٨٢ ، ٨٣]"[٢].

قال ابن عباس:" يعني: من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب"[٣].

عن مجاهد:"{الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به} ... إلى قوله: {لا نبتغي الجاهلين} في مسلمة أهل الكتاب"[٤].

عن الضحاك، في قوله: "{الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون} ... إلى قوله: {من قبله مسلمين} ناس من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل، ثم أدركوا محمدا ﷺ، فآمنوا به. فآتاهم الله أجرهم مرتين بما صبروا: بإيمانهم بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، وباتباعهم إياه حين بعث، فذلك قوله: {إنا كنا من قبله مسلمين}"[٥].

القرآن

{وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣)} [القصص : ٥٣]

التفسير:

وإذا يتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب، قالوا: صدَّقنا به، وعملنا بما فيه، إنه الحق من عند ربنا، إنا كنا من قبل نزوله مسلمين موحدين، فدين الله واحد، وهو الإسلام.

قوله تعالى:{وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ} [القصص : ٥٣]، أي:" وإذا يتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب"[٦].

قال الطبري:يقول: " {وإذا يتلى} هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول هذا القرآن"[٧].

قوله تعالى:{قَالُوا آمَنَّا بِهِ} [القصص : ٥٣]، أي:" قالوا: صدَّقنا به، وعملنا بما فيه"[٨].

قال الطبري:" يقولون: صدقنا به"[٩].

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٥٩٤.

(٢) تفسير ابن كثير:٦/٢٤٤.

(٣) أخرجه الطبري: ١٩/٥٩٥.

(٤) أخرجه الطبري: ١٩/٥٩٥.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩/٥٩٥.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٧) تفسير الطبري:١٩/٥٩٦.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٩) تفسير الطبري:١٩/٥٩٦.

قوله تعالى:{إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا} [القصص : ٥٣]، أي:" إنه الحق من عند ربنا"(١).
قال الطبري:" يعني: من عند ربنا نزل"(٢).
قوله تعالى:{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} [القصص : ٥٣]، أي:" إنا كنا من قبل نزوله مسلمين موحدين، فدين الله واحد، وهو الإسلام"(٣).
قال الطبري:" وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاء به الأنبياء قبل مجيء نبينا محمد ﷺ وعليهم من الكتب، وفي كتبهم صفة محمد ونعته، فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدقين قبل نزول القرآن، فلذلك قالوا: {إنا كنا من قبله مسلمين}"(٤).

القرآن
{أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)} [القصص : ٥٤-٥٥]
التفسير:
هؤلاء الذين تقدَّمَتْ صفتُهم يُؤتَوْن ثواب عملهم مرتين: على الإيمان بكتابهم، وعلى إيمانهم بالقرآن بما صبروا، ومن أوصافهم أنهم يدفعون السيئة بالحسنة، ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والبر. وإذا سمع هؤلاء القوم الباطل من القول لم يُصْغوا إليه، وقالوا: لنا أعمالنا لا نحيد عنها، ولكم أعمالكم ووزرها عليكم، فنحن لا نشغل أنفسنا بالرد عليكم، ولا تسمعون منَّا إلا الخير، ولا نخاطبهم بمقتضى جهلكم؛ لأننا لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها.
في سبب النزول الآية[٥٤]، أقوال:
أحدها:- عن مجاهد، قال: "إن قوما كانوا مشركين أسلموا، فكان قومهم يؤذونهم، فنزلت: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} [القصص : ٥٤]"(٥).
الثاني: عن قتادة في قول الله: " {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ} [القصص : ٥٤]: عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي إن هذه الآيات أنزلت فيهم، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: قد أوتوا أجرهم مرتين بإيمانهم بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، فأنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته} فقال أهل الكتاب: قد أعطوا كما أعطينا. فأنزل الله: {لئلا يعلم أهل الكتاب} حتى ختم الآية"(٦).
الثالث: - وروي عن سعيد بن جبير، قال:" لما أتى جعفر وأصحابه النجاشي، أنزلهم وأحسن إليهم، فلما أرادوا أن يرجعوا قال من آمن من أهل مملكته: ائذن لنا فلنحذف هؤلاء في البحر ونأتي هذا النبي فنحدث به عهدا، قال: فانطلقوا فقدموا على رسول الله ﷺ فشهدوا معه أحدا، وحنينا، وخيبر، قال: ولم يصب أحد منهم، فقالوا للنبي ﷺ: ائذن لنا فلنأت أرضنا، فإن لنا أموالا فنجيء بها فننفقها على المهاجرين فإنا نرى بهم جهدا، قال: فأذن لهم فانطلقوا، فجاؤا بأموالهم فأنفقوها على المهاجرين، فأنزل الله فيهم الآية : {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [القصص : ٥٤]"(٧).

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٢.
(٢) تفسير الطبري:٥٩٦/١٩.
(٣) التفسير الميسر: ٣٩٢.
(٤) تفسير الطبري:٥٩٦/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:٥٩٦/١٩.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٨٢):ص٢٩٨٩/٩-٢٩٩٠.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٩٢):ص٢٩٩٢/٩.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} [القصص : ٥٤]، أي:" هؤلاء الذين تقدَّمَتْ صفتُهم يُؤتَوْن ثواب عملهم مرتين: على الإيمان بكتابهم، وعلى إيمانهم بالقرآن بما صبروا"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم {يؤتون} ثواب عملهم {مرتين بما صبروا}"(٢).

قال ابن كثير:" أي : هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني [يؤتون أجرهم مرتين بإيمانهم بالرسول الأول ثم بالثاني ؛ ولهذا قال : { بِمَا صَبَرُوا } أي : على اتباع الحق ؛ فإنَّ تجشُّم مثل هذا شديد على النفوس. وقد ورد في الصحيحين من حديث عامر الشعبي، عن أبي بُرْدَةَ ، عن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثلاثة يُؤتَونَ أجْرهم مَرّتَين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورَجُل كانت له أمَة فأدّبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوَّجها»(٣)"(٤).

وعن أبي أمامة قال : "إني لتحتَ راحلة رسول الله ﷺ يوم الفتح ، فقال قولا حسنًا جميلا وقال فيما قال : «مَنْ أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين ، وله ما لنا وعليه ما علينا ، [ومَنْ أسلم من المشركين ، فله أجره ، وله ما لنا وعليه ما علينا»"(٥).

قال سعيد بن جبير:"لما نزلت هذه الآية:{أولئك يؤتون أجرهم مرتين}، فخرجت اليهود على المسلمين فقالت : من آمن منا بكتابكم وكتابنا فله أجران، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فأنزل الله تبارك وتعالى على رسول الله ﷺ {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم} [الحديد: ٢٨] فزادهم النور والمغفرة {لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون} [الحديد: ٢٩] إلى آخر الآية"(٦).

عن شهاب:" أن الآية التي في «طسم»: {أولئك يؤتون أجرهم مرتين}، قال: كانت فيمن أسلم من أهل الكتاب"(٧).

وفي قوله تعالى:{بِمَا صَبَرُوا} [القصص : ٥٤]، ثلاثة وجوه:

أحدها : صبروا على طاعة الله وصبروا عن معصيته ومحارمه. قاله قتادة(٨).

الثاني : صبروا على الأذى ، قاله مجاهد(٩)، والربيع(١٠).

قال الربيع:" كان قوما كانوا في زمان الفترة متمسكين بالإسلام مقيمين عليه صابرين على ما أوذوا، حتى أدرك رجال منهم النبي ﷺ فلحقوا به، وقال النبي ﷺ: إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء، فمن كان على الحق متمسكا به في زمانك هذا الذي أنت

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٢) تفسير الطبري:٥٩٦/١٩.

(٣)صحيح البخاري برقم (٩٧) وصحيح مسلم برقم (١٥٤).

(٤) تفسير ابن كثير:٢٤٤/٦.

(٥)المسند (٢٥٩/٥).

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٨٣):ص٢٩٩٠/٩.

(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٩٨٤):ص٢٩٩٠/٩.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٩٨٧):ص٢٩٩١/٩.

(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٩٦/١٩. قال:" إن قوما كانوا مشركين أسلموا، فكان قومهم يؤذونهم...".

(١٠) انظر: ابن أبي حاتم(١٦٩٨٦):ص٢٩٩٠/٩-٢٩٩١.

فيه فهو غريب من الغرباء في سنة القوم الذين كانوا على الإسلام في زمان الفترة فصبروا على ما أوذوا"[١].

الثالث : صبروا على إيمانهم بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، وباتباعهم إياه حين بعث. قاله الضحاك[٢]، وابن زيد[٣].

قال ابن زيد، في قوله: "{إنا كنا من قبله مسلمين} على دين عيسى، فلما جاء النبي ﷺ أسلموا، فكان لهم أجرهم مرتين بما صبروا أول مرة، ودخلوا مع النبي ﷺ في الإسلام"[٤].

قوله تعالى:{وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} [القصص : ٥٤]، أي:" ومن أوصافهم أنهم يدفعون السيئة بالحسنة"[٥].

قال الطبري:" يقول: ويدفعون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها سيئاتهم"[٦].

قال ابن كثير:" أي : لا يقابلون السيئ بمثله ، ولكن يعفون ويصفحون"[٧].

قال الزجاج:" معنى {ويدرءون}: يدفعون - بما يعلمون من الحسنات - ما تقدم لهم من السيئات"[٨].

قال سعيد بن جبير:" يعني: يردون معروفا على من يسئ إليهم"[٩].

قال ابن زيد:" يدفعون الشر بالخير لا يكافئون الشر بالشر، ولكن يدفعونه بالخير، وقال في موضع آخر: {ويدرؤن بالحسنة السيئة} لا يكافئون بالسيئة السيئة، ولكن يدرءون بالحسنة السيئة"[١٠].

قوله تعالى:{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [القصص : ٥٤]، أي:" ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والبر"[١١].

قال الزجاج:" أي: يتصدقون"[١٢].

قال الطبري:" {ومما رزقناهم} من الأموال {ينفقون} في طاعة الله، إما في جهاد في سبيل الله، وإما في صدقة على محتاج، أو في صلة رحم"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : ومن الذي رزقهم من الحلال ينفقون على خَلْق الله في النفقات الواجبة لأهلهم وأقاربهم ، والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات ، وصدقات النفل والقربات "[١٤].

---

(١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٨٦):ص٩/٢٩٩٠-٢٩٩١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩/٥٩٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/٥٩٦.

(٤) أخرجه الطبري:١٩/٥٩٦.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٥٩٦.

(٧) تفسير ابن كثير:٦/٢٤٤.

(٨) معاني القرآن: ٤/١٤٩.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٨٩):ص٩/٢٩٩١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٩٠):ص٩/٢٩٩١.

(١١) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(١٢) معاني القرآن: ٤/١٤٩.

(١٣) تفسير الطبري:١٩/٥٩٦-٥٩٧.

(١٤) تفسير ابن كثير:٦/٢٤٤.

قال ابن عباس:" يؤتون الزكاة احتسابا لها، تقدم تفسيره في سورة البقرة والزيادة عليه"(١).

قوله تعالى:{وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ} [القصص : ٥٥]، أي:" وإذا سمع هؤلاء القوم الباطل من القول لم يُصْغوا إليه"(٢).

قال الطبري:" وإذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب اللغو- وهو الباطل من القول- لم يصغوا إليه ولم يستمعوه"(٣).

قال الزجاج:" أي: إذا سمعوا ما لا يجوز وينبغي أن يلغى لم يلتفتوا إليه"(٤).

قال ابن كثير:" أي : لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم ، بل كما قال تعالى : { وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا } [٠الفرقان : ٧٢]"(٥).

قال قتادة:" لا يجارون أهل الجهل والباطل في باطلهم، أتاهم من أمر الله ما وقذهم عن ذلك"(٦).

وقال ابن زيد:" هذه لأهل الكتاب، إذا سمعوا اللغو الذي كتب القوم بأيديهم مع كتاب الله، وقالوا: هو من عند الله، إذا سمعه الذين أسلموا، ومروا به يتلونه، أعرضوا عنه، وكأنهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبي ﷺ، لأنهم كانوا مسلمين على دين عيسى، ألا ترى أنهم يقولون: {إنا كنا من قبله مسلمين}"(٧).

وقال مجاهد:" كان ناس من أهل الكتاب أسلموا، فكان المشركون يؤذونهم، فكانوا يصفحون عنهم، يقولون: {سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين}"(٨).

قوله تعالى:{وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} [القصص : ٥٥]، أي:" وقالوا: لنا أعمالنا لا نحيد عنها، ولكم أعمالكم ووزرها عليكم"(٩).

قال الطبري:" أجابوهم بالجميل من القول {لنا أعمالنا} قد رضينا بها لأنفسنا، {ولكم أعمالكم} قد رضيتم بها لأنفسكم"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : إذا سَفه عليهم سَفيه ، وكلمهم بما لا يَليقُ بهم الجوابُ عنه ، أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ، ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب"(١١).

قوله تعالى:{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} [القصص : ٥٥]، أي:" سلام متاركة ومباعدة"(١٢).

قال الطبري:" يقول: أمنة لكم منا أن نسابكم، أو تسمعوا منا ما لا تحبون"(١٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٩١):ص٢٩٩١/٩.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٣) تفسير الطبري:٥٩٧/١٩-٥٩٨.

(٤) معاني القرآن: ١٤٩/٤.

(٥) تفسير ابن كثير:٢٤٥/٦.

(٦) أخرجه الطبري:٥٩٧/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:٥٩٧/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٥٩٧/١٩-٥٩٨.

(٩) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(١٠) تفسير الطبري:٥٩٨/١٩.

(١١) تفسير ابن كثير:٢٤٥/٦.

(١٢) صفوة التفاسير: ٤٠٤/٢.

(١٣) تفسير الطبري:٥٩٨/١٩.

قال الجصاص:" هذا سلام متاركة وليس بتحية، وهو نحو قوله : {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان : ٦٣]"(١).

قال الزجاج:" ليس يريدون بقولهم –ههنا-: {سلام عليكم} التحية. المعنى فيه: أعرضوا عنه وقالوا: سلام عليكم، أي: بيننا وبينكم المتاركة والتسلم. وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال"(٢).

قوله تعالى:{لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} [القصص : ٥٥]، أي:" لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها"(٣).

قال الطبري:" يقول: لا نريد محاورة أهل الجهل ومسابتهم"(٤).

قال ابن كثير:" أي : لا نُريد طَريق الجاهلين ولا نُحبّها"(٥).

قال محمد بن إسحاق: "ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك ، من النصارى ، حين بلغهم خبره من الحبشة. فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وساءلوه - ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة - فلما فرغوا من مساءلة رسول الله عما أرادوا ، دعاهم إلى الله وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره. فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خَيَّبَكُم الله مِنْ ركب. بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال ؛ ما نعلم ركبًا أحمق منكم. أو كما قالوا لهم. فقالوا لهم سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نَألُ أنفسَنا خيرًا.

قال : ويقال : إن النفر النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

قال : ويقال - والله أعلم - إن فيهم نزلت هذه الآيات : { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ } إلى قوله : { لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ }.

قال : وقد سألت الزهري عن هذه الآيات فيمن أنزلْن، قال : ما زلتُ أسمع من علمائنا أنهن أنزلهن في النجاشي وأصحابه ، رضي الله عنهم ، والآيات التي في سورة المائدة : { ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا } إلى قوله : { فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } [المائدة : ٨٢ ، ٨٣]"(٦).

فوائد الآيات:[٥٢-٥٥]:

١- بيان فضل أهل الكتاب إذا آمنوا بالنبي الأمي وكتابه وأسلموا لله رب العالمين.

٢- فضيلة من يدرء بالحسنة السيئة، وينفق مما رزقه الله.

٣- فضيلة من يعرض عن اللغو وأهل الجهالات، ويقول ما يسلم به من القول، وهذه إحدى صفات عباد الرحمن {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما} أي قولا يسلمون به. وهذا السلام ليس سلام تحية وإنما هو سلام متاركة.

القرآن

{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)} [القصص : ٥٦]

---

(١) أحكام القرآن: ٢١٦/٥.

(٢) معاني القرآن: ١٤٩/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٤) تفسير الطبري:٥٩٨/١٩.

(٥) تفسير ابن كثير:٢٤٥/٦.

(٦)السيرة النبوية لابن هشام (٣٩٢/١)، نقلا عن تفسير ابن كثير: ٢٤٥/٦.

التفسير:
إنك -أيها الرسول- لا تهدي هداية توفيق مَن أحببت هدايته، ولكن ذلك بيد الله يهدي مَن يشاء أن يهديه للإيمان، ويوفقه إليه، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه.
سبب النزول:

عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: " أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله " فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه [ص:١١٣]، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين} [التوبة: ١١٣] وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص: ٥٦]"(١).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: " قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة "، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦]"(٢).

قوله تعالى:{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص : ٥٦]، أي:" إنك -أيها الرسول- لا تهدي هداية توفيق مَن أحببت هدايته"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {إنك} يا محمد {لا تهدي من أحببت} هدايته، ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهبا"(٤).

قال الزمخشري: أي:" لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم، لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره"(٥).

قال ابن كثير:" يقول تعالى لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه : إنك يا محمد { إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ } أي : ليس إليك ذلك ، إنما عليك البلاغ ، والله يهدي من يشاء ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، كما قال تعالى : { ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء } [البقرة : ٢٧٢] ، وقال : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف : ١٠٣]. وهذه الآية أخص من هذا كله"(٦).

قال الفراء:" يكون الحب على جهتين هاهنا:
إحداهما: إنك لا تهدي من تحبه للقرابة.
والوجه الآخر يريد: إنك لا تهدي من أحببت أن يهتدي كقولك: إنك لا تهدي من تريد، كما تراه كثيرا في التنزيل {ولكن الله يهدي من يشاء} أن يهديه"(٧).

---

(١)أخرجه البخاري (فتح الباري: ٥٠٦/٨ – ح: ٤٧٧٢) ومسلم (٥٤/١ – ح: ٢٤) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٦٥/١٨ – ح: ٣٠٠) وابن جرير (٥٩/٢٠) والطبراني (المعجم الكبير: ٣٤٩/٢٠ – ح: ٨٢٠) والبيهقي في "الدلائل" (٣٤٢/٢، ٣٤٣).

(٢)أخرجه مسلم (٥٥/١ – ح: ٢٥) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ٢٢٧/١٨ – ح: ٣٧٠) والترمذي (٣٤١/٥ – ح: ٣١٨٨) وابن جرير ٥٨/٢٠) والبيهقي في "الدلائل" (٣٤٤/٢).

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٤) تفسير الطبري:٥٩٨/١٩.

(٥) الكشاف: ٤٢٢/٣.

(٦) تفسير ابن كثير:٢٤٦/٦.

(٧) معاني القرآن: ٣٠٧/٢.

قال مجاهد:" قال محمد لأبي طالب: «اشهد بكلمة الإخلاص أجادل عنك بها يوم القيامة»، قال: أي ابن أخي ملة الأشياخ، فأنزل الله {إنك لا تهدي من أحببت}، قال: نزلت هذه الآية في أبي طالب"(١).

عن قتادة: "{إنك لا تهدي من أحببت}، يعني: أبا طالب"(٢).

قال الزجاج:" أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب، وجائز أن يكون ابتداء نزولها في أبي طالب وهي عامة، لأنه لا يهدي إلا الله، ولا يرشد ولا يوفق إلا هو، وكذلك هو يضل من يشاء"(٣).

قال القشيري:" الهداية في الحقيقة إمالة القلب من الباطل إلى الحق، وذلك من خصائص قدرة الحق- سبحانه-، وتطلق الهداية بمعنى: الدعاء إلى الحق- توسعا، وذلك جائز بل واجب فى صفته ﷺ، قال تعالى: {وإنك تهدى إلى صراط مستقيم}.

ويقال: لك شرف النبوة، ومنزلة الرسالة، وجمال السفارة، والمقام المحمود، والحوض المورود، وأنت سيد ولد آدم.. ولكنك لا تهدى من أحببت، فخصائص الربوبية لا تصلح لمن وصفه البشرية"(٤).

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص : ٥٦]، أي:" ولكن ذلك بيد الله يهدي مَن يشاء أن يهديه للإيمان، ويوفقه إليه"(٥).

قال الطبري:" {ولكن الله يهدي من يشاء} أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله"(٦).

قال الزمخشري: " ولكن الله يدخل في الإسلام من يشاء وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه، وأن الألطاف تنفع فيه، فيقرن به ألطافه حتى تدعوه إلى القبول"(٧).

عن قتادة:" {ولكن الله يهدي من يشاء}، يعني: العباس"(٨).

قوله تعالى:{وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص : ٥٦]، أي:" وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه"(٩).

قال الطبري:يقول:" والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسدده ويوفقه"(١٠).

قال الزمخشري: " {وهو أعلم بالمهتدين}، بالقابلين من الذين لا يقبلون"(١١).

قال ابن كثير:" أي : هو أعلم بِمَنْ يستحق الهداية بِمَنْ يستحق الغِوَاية "(١٢).

عن مجاهد، قوله: "{وهو أعلم بالمهتدين}، بمن قدر له الهدى والضلالة"(١).

---

(١) أخرجه الطبري:١٩/ ٦٠٠.

(٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٠٤):ص٩/٢٩٩٤.

(٣) معاني القرآن: ٤/ ١٤٩.

(٤) لطائف الإشارات: ٧٣/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٦) تفسير الطبري:٥٩٨/١٩.

(٧) الكشاف: ٤٢٢/٣.

(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٠٤):ص٩/٢٩٩٤.

(٩) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(١٠) تفسير الطبري:٥٩٨/١٩.

(١١) الكشاف: ٤٢٢/٣.

(١٢) تفسير ابن كثير:٢٤٦/٦.

القرآن

{وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)} [القصص : ٥٧]

التفسير:

وقال كفار «مكة» : إن نتبع الحق الذي جئتنا به، ونتبرأ من الأولياء والآلهة، نُتَخَطَّفْ من أرضنا بالقتل والأسر ونهب الأموال، أو لم نجعلهم متمكنين في بلد آمن، حرَّمنا على الناس سفك الدماء فيه، يُجلب إليه ثمرات كل شيء رزقًا مِن لدنا؟ ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قَدْر هذه النعم عليهم، فيشكروا مَن أنعم عليهم بها ويطيعوه.

سبب النزول:

قال قتادة:" ذكر لنا أن ناسا من أهل مكة قالوا: إنا نعلم أنك رسول الله، وأن الذي تقول حق، ولكنا لا نستطيع ترك أوطاننا، فأنزل الله هذه الآية"(٢).

قوله تعالى:{وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} [القصص : ٥٧]، أي:" وقال كفار «مكة» : إن نتبع الحق الذي جئتنا به، ونتبرأ من الأولياء والآلهة، نُتَخَطَّفْ من أرضنا بالقتل والأسر ونهب الأموال"(٣).

قال الطبري:" وقالت كفار قريش: إن نتبع الحق الذي جئتنا به معك، ونتبرأ من الأنداد والآلهة، يتخطفنا الناس من أرضنا بإجماع جميعهم على خلافنا وحربنا"(٤).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله ﷺ : { إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا }، أي : نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى ، وخالفنا مَنْ حولنا من أحياء العرب المشركين ، أن يقصدونا بالأذى والمحاربة ، ويتخطفونا أينما كنا"(٥).

قال الزجاج:" كانوا قالوا للنبي - ﷺ - إنا نعلم أن ما أتيت به حق، ولكنا نكره إن آمنا بك أن نقصد ونتخطف من أرضنا"(٦).

قال السمعاني:" الاختطاف: هو الاستلاب بسرعة، ويقال: إن القائل لهذا القول هو الحارث بن نوفل بن عبد مناف، قال للنبي: إنا نعلم ما جئت به حق، ولكنا إن أسلمنا معك لم نطق العرب؛ فإنا أكلة رأس، ويقصدنا العرب من كل ناحية، فلا نطيقهم"(٧).

عن ابن زيد، "{نتخطف من أرضنا}، قال: كان يغير بعضهم على بعض"(٨).

قال الضحاك:" هذا قول المشركين من أهل مكة"(٩).

قال ابن عباس:" هم أناس من قريش قالوا لمحمد: إن نتبعك يتخطفنا الناس، فقال الله: {أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء}"(١٠).

---

(١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٠٥):ص٢٩٩٤/٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٠٩):ص٢٩٩٥/٩.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٤) تفسير الطبري:٦٠١/١٩.

(٥) تفسير ابن كثير:٢٤٧/٦.

(٦) معاني القرآن: ٤/ ١٤٩-١٥٠.

(٧) تفسير السمعاني: ١٤٩/٤.

(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٠٨):ص٢٩٩٥/٩.

(٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٠٦):ص٢٩٩٥/٩.

(١٠) اخرجه الطبري:٦٠١/١٩.

وعن ابن عباس، "أن الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال : { إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا }"(١).

قوله تعالى:{أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا} [القصص : ٥٧]، أي:" أو لم نجعلهم متمكنين في بلد آمن، حرَّمنا على الناس سفك الدماء فيه"(٢).

قال الطبري:" يقول الله لنبيه: فقل: أو لم نوطئ لهم بلدا حرمنا على الناس سفك الدماء فيه، ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء، وأمنا على أهله من أن يصيبهم بها غارة، أو قتل، أو سباء"(٣).

قال ابن كثير:" يعني : هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل ؛ لأن الله جعلهم في بلد أمين ، وحَرَم معظم آمن منذ وُضع ، فكيف يكون هذا الحرم آمنًا في حال كفرهم وشركهم ، ولا يكون آمنًا لهم وقد أسلموا وتابعوا الحق ؟"(٤).

قال السمعاني:"{حرما أمنا} أي: ذا أمن، ومن المعروف أنه يأمن فيه الظباء من الذئاب، والحمام من الحدأة"(٥).

قال الزجاج:" فأعلمهم الله أنه قد تفضل عليهم بأن آمنهم بمكة، فأعلمهم أن قد آمنهم بحرمة البيت، ومنع منهم العدو، أي: فلو آمنوا لكان أولى بالتمكن والأمن والسلامة"(٦).

قال قتادة:" يقول: أو لم يكونوا آمنين في حرمهم لا يغزون فيه ولا يخافون"(٧).

قال قتادة :" كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث شاءوا، إذا خرج أحدهم فقال: إني من أهل الحرم لم يتعرض له، وكان غيرهم من الناس إذا خرج أحدهم قتل"(٨).

قال الزمخشري:" فألقمهم الله الحجر. بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته، وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون، وهم آمنون في حرمهم لا يخافون"(٩).

قوله تعالى:{يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا} [القصص : ٥٧]، أي:" يُجلب إليه ثمرات كل شيء رزقًا مِن لدنا؟"(١٠).

قال الطبري: يقول:" يحمل إليه ثمرات كل بلد ورزقا رزقناهم من عندنا"(١١).

قال الزمخشري:" والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره ، وكذلك المتاجر والأمتعة { رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا } أي : من عندنا "(١٣).

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، برقم (١١٣٨٥).

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٣) تفسير الطبري:٦٠١/١٩.

(٤) تفسير ابن كثير:٢٤٧/٦.

(٥) تفسير السمعاني: ١٤٩/٤.

(٦) معاني القرآن: ٤/ ١٥٠.

(٧) اخرجه الطبري:٦٠١/١٩، وبان ابي حاتم(١٧٠١٠):ص٢٩٩٥/٩

(٨) أخرجه الطبري:٦٠١/١٩-٦٠٢.

(٩) الكشاف: ٤٢٢/٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(١١) تفسير الطبري: ٦٠٢/١٩.

(١٢) الكشاف: ٤٢٢/٣-٤٢٣.

(١٣) تفسير ابن كثير:٢٤٧/٦.

عن ابن عباس، :"{يجبى إليه ثمرات كل شيء}، قال: ثمرات الأرض"(١).
قال مجاهد:" {من لدنا}، يعني: من، عندنا"(٢).
قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [القصص : ٥٧]، أي:" ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قَدْر هذه النعم عليهم، فيشكروا مَن أنعم عليهم بها ويطيعوه"(٣).
قال الطبري:" ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله ﷺ: {إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا} لا يعلمون أنا نحن الذين مكنا لهم حرما آمنا، ورزقناهم فيه، وجعلنا الثمرات من كل أرض تجبي إليهم، فهم بجهلهم بمن فعل ذلك بهم يكفرون، لا يشكرون من أنعم عليهم بذلك"(٤).
قال الزمخشري: " أى: قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله، وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له، ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده، ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا أنداده"(٥).
قال ابن كثير:" { وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ } فلهذا قالوا ما قالوا "(٦).
قال السمعاني: "{ولكن أكثرهم لا يعلمون}، أي: ما أقوله حق. ومعنى الآية: أنا مع كفركم أمناكم في الحرم، فكيف نخوفكم إذا أسلمتم؟"(٧).
عن ابن عباس، "{لا يعلمون}، يقول: لا يعقلون"(٨).

القرآن

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨)} [القصص : ٥٨]

التفسير:
وكثير من أهل القرى أهلكناهم حين أَلْهَتهم معيشتهم عن الإيمان بالرسل، فكفروا وطغَوْا، فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلا منها، وكنا نحن الوارثين للعباد نميتهم، ثم يرجعون إلينا، فنجازيهم بأعمالهم.
قوله تعالى:{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} [القصص : ٥٨]، أي:" وكثير من أهل القرى أهلكناهم حين أَلْهَتهم معيشتهم عن الإيمان بالرسل، فكفروا وطغَوْا"(٩).
قال الطبري:" {وكم أهلكنا من قرية} أبطرتها {معيشتها} فبطرت، وأشرت، وطغت، فكفرت ربها"(١٠).
قال ابن زيد:" البطر: الأشر، عصوا وخالفوا أمر الله وبطروا، وقرأ قول الله: {ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس

---

(١) أخرجه الطبري:١٩/ ٦٠٢.
(٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠١٤):ص٩/٢٩٩٦.
(٣) التفسير الميسر: ٣٩٢.
(٤) تفسير الطبري: ٦٠٢/١٩.
(٥) الكشاف: ٤٢٣/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٤٧/٦.
(٧) تفسير السمعاني: ١٥٠/٤.
(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠١٥):ص٩/٢٩٩٦.
(٩) التفسير الميسر: ٣٩٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٦٠٢/١٩.

مثوى المتكبرين}، وقال: هذا البطر. وقرأ: {وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها}، البطر الأشر والغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله، قال: ذلك هو البطر في المعيشة"[١].

قوله تعالى:{فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا} [القصص : ٥٨]، أي:" فتلك مساكنهم خاويةً بما ظلموا لم تسكن من بعد تدميرهم إلاَّ زماناً قليلاً"[٢].

قال الطبري:" يقول: خربت من بعدهم، فلم يعمر منها إلا أقلها، وأكثرها خراب"[٣].

قوله تعالى:{وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [القصص : ٥٨]، أي:" وكنا نحن الوارثين للعباد نميتهم، ثم يرجعون إلينا، فنجازيهم بأعمالهم"[٤].

قال الطبري:" يقول: ولم يكن لما خربنا من مساكنهم منهم وإرث، وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها، لا مالك لها إلا الله، الذي له ميراث السماوات والأرض"[٥].

قال ابن كثير:" أي : رجعت خرابًا ليس فيها أحد"[٦].

عن عبد الله بن مسعود قال: كنت، عند عمر بن الخطاب فدخل علينا كعب الأحبار، فقال: يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شيء قرأت في كتب الأنبياء، إن هامة جاءت إلى سليمان بن داود فقالت: السلام عليك يا نبي، الله فقال سليمان: وعليك السلام يا هام أخبريني كيف لا تأكلين الزرع؟ فقالت: يا نبي الله، لأن آدم عصى ربه في سببه، لذلك لا آكله. فقال لها سليمان: كيف لا تشربين الماء؟ قالت: يا نبي الله، لأن الله عز وجل أغرق بالماء قوم نوح، من أجل ذلك تركت شربها. قال لها سليمان: فكيف تركت العمران وسكنت الخراب؟ قالت: لأن الخراب ميراث الله، وأنا أسكن في ميراث الله، وقد ذكر الله في كتابه عز وجل: {وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين}، الدنيا كلها ميراث الله"[٧].

القرآن

{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩)} [القصص : ٥٩]

التفسير:

وما كان ربك -أيها الرسول- مهلك القرى التي حول «مكة» في زمانك حتى يبعث في أمها -وهي «مكة» - رسولا يتلو عليهم آياتنا، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون لأنفسهم بكفرهم بالله ومعصيته، فهم بذلك مستحقون للعقوبة والنكال.

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص : ٥٩]، أي:" وما كان ربك -أيها الرسول- مهلك القرى التي حول «مكة» في زمانك حتى يبعث في أمها -وهي «مكة» - رسولا يتلو عليهم آياتنا"[٨].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٠١٦):ص٩/٢٩٩٦، والطبري:١٩/٦٠٢. ملخصا.

(٢) صفوة التفاسير:٢/٤٠٤.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٦٠٣.

(٤) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٥) تفسير الطبري:١٩/٦٠٣.

(٦) تفسير ابن كثير:٦/٢٤٨.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠١٧):ص٩/٢٩٩٦-٢٩٩٧.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٢.

قال الطبري:" {وما كان ربك} يا محمد {مهلك القرى} التي حوالي مكة في زمانك وعصرك حتى يبعث في مكة رسولا وهي أم القرى، يتلو عليهم آيات كتابنا، والرسول: محمد ﷺ"(١).

قال قتادة:" وأم القرى: مكة، وبعث الله إليهم رسولا محمدا ﷺ"(٢).

قال مجاهد وعطاء بن أبي رباح:" البيت: أم القرى"(٣).

عن الحسن، قوله:"{وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا}، في أوائلها"(٤).

قال ابن كثير:" وقيل : المراد بقوله : { حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا } أي : أصلها وعظيمتها ، كأمهات الرساتيق والأقاليم. حكاه الزمخشري وابن الجوزيّ ، وغيرهما ، وليس ببعيد"(٥).

عن سعيد بن جبير، قوله:" {آياتنا}، يعني: القرآن"(٦).

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} [القصص : ٥٩]، أي:" وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون لأنفسهم بكفرهم بالله ومعصيته، فهم بذلك مستحقون للعقوبة والنكال"(٧).

قال الطبري:" يقول: ولم نكن لنهلك قرية وهي بالله مؤمنة إنما نهلكها بظلمها أنفسها بكفرها بالله، وإنما أهلكنا أهل مكة بكفرهم بربهم وظلم أنفسهم"(٨).

قال الزجاج:" ولم يكن ليهلكها إلا بظلم أهلها"(٩).

قال ابن عباس:" الله لم يهلك قرية بإيمان، ولكنه يهلك القرى بظلم إذا ظلم أهلها، ولو كانت قرية آمنت لم يهلكوا مع من هلك، ولكنهم كذبوا وظلموا، فبذلك أهلكوا"(١٠).

فوائد الآيات:[٥٦-٥٩]:

١- تقرير مبدأ لا هادي إلا الله. الهداية المنفية هي إنارة قلب العبد وتوفيق العبد للإيمان وعمل الصالحات، وترك الشرك والمعاصي. والهداية المثبة، يقول الله تعالى وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم. تلك هداية الدعوة والوعظ والإرشاد، ومنه {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} أي يدعوهم إلى الهدى.

٢- مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته فيما ألقاه في قلوب العرب المشركين الجاهليين من تعظيم الحرم وأهله ليهيء بذلك لسكان حرمه أمنا وعيشاً كما قال تعالى: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش:٢-٤] .

٣- من رحمة الله وعدله أن لا يهلك أمة من الأمم إلا إذا توفر لهلاكها شرطان:

أ- أن يبعث فيهم رسولا يتلو عليهم آيات الله تحمل الهدى والنور.

ب- أن يظلم أهلها بالتكذيب للرسول والكفر بما جاء به والإصرار على الكفر والمعاصي.

٤-وفي قوله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} دلالة على أن النبي الأمي ، وهو محمد ، صلوات الله وسلامه عليه، المبعوث من أم القرى ،

---

(١) تفسير الطبري:٦٠٣/١٩.

(٢) أخرجه الطبري:٦٠٣/١٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٢٠):ص٢٩٩٧/٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠١٨):ص٢٩٩٧/٩.

(٥) تفسير ابن كثير:٢٤٨/٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٢٢):ص٢٩٩٧/٩.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٢.

(٨) تفسير الطبري:٦٠٣/١٩.

(٩) معاني القرآن: ٤/ ١٥٠.

(١٠) أخرجه الطبر]:٦٠٣/١٩-٦٠٤.

رسول إلى جميع القرى ، من عرب وأعجام ، كما قال تعالى : { لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا } [الشورى : ٧] ، وقال تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الأعراف : ١٥٨] ، وقال : { لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } [الأنعام : ١٩] ، وقال : { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } [هود : ١٧]. وتمام الدليل قوله: { وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا } [الإسراء : ٥٨]. فأخبر أنه سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة ، وقد قال : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا } [الإسراء : ١٥]. فجعل تعالى بعثة النبي الأمي شاملة لجميع القرى ؛ لأنه مبعوث إلى أمها وأصلها التي ترجع إليها. وثبت في الصحيحين عنه ، صلوات الله وسلامه عليه، أنه قال : "بعثت إلى الأحمر والأسود"[١]. ولهذا ختم به الرسالة والنبوة ، فلا نبي بعده ولا رسول ، بل شرعه باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة[٢].

٥-التاريخ يعيد نفسه كما يقولون فما اعتذر به المشركون عن قبول الإسلام بحجة تألب العرب عليهم وتعطيل تجارتهم يعتذر به اليوم كثير من المسؤولين فعطلوا الحدود وجاروا الغرب في فصل الدين عن الدولة وأباحوا كبائر الاثم كالربا وشرب الخمور وترك الصلاة حتى لا يقال عنهم إنهم رجعيون متزمتون فيمنعوهم المعونات ويحاصرونهم اقتصاديا.

القرآن

{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠)} [القصص : ٦٠]

التفسير:

وما أُعطيتم -أيها الناس- من شيء من الأموال والأولاد، فإنما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا، وزينة يُتزيَّن بها، وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير وأبقى؛ لأنه دائم لا نفاد له، أفلا تكون لكم عقول -أيها القوم- تتدبرون بها، فتعرفون الخير من الشر؟

قوله تعالى:{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا} [القصص : ٦٠]، أي:" وما أُعطيتم -أيها الناس- من شيء من الأموال والأولاد، فإنما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا، وزينة يُتزيَّن بها"[٣].

قال الطبري:" وما أعطيتم أيها الناس من شيء من الأموال والأولاد، فإنما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا، وهو من زينتها التي يتزين به فيها، لا يغني عنكم عند الله شيئا، ولا ينفعكم شيء منه في معادكم"[٤].

قال البغوي:" تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء"[٥].

قال الزمخشري:" وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل، وهي مدة الحياة المتقضية"[٦].

قال سفيان:" إنما سميت الدنيا، لأنها دنت"[١].

---

(١)أخرجه الطيالسى (ص ٦٤ رقم ٤٧٢) ، وأحمد (١٤٧/٥، رقم ٢١٣٥٢) ، وقال الهيثمى (٢٥٩/٨) : رجاله رجال الصحيح. وقال فى موضع آخر (٣٧١/١٠) : رواه البزار بإسنادين حسنين. وأخرجه الدارمى (٢٩٥/٢، رقم ٢٤٦٧) ، وابن حبان (٣٧٥/١٤، رقم ٦٤٦٢) . وأخرجه أيضا: الحاكم (٤٦٠/٢، رقم ٣٥٨٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٤٨/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٤) تفسير الطبري:٦٠٤/١٩.

(٥) تفسير البغوي: ٢١٦/٦.

(٦) الكشاف: ٤٢٥/٣.

وعن رسول الله ﷺ، قال : "والله ما الدنيا في الآخرة ، إلا كما يَغْمِس أحدكم إصبعه في اليم ، فَلْينظُر ماذا يرجع إليه"(٢).

قوله تعالى:{وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [القصص : ٦٠]، أي:" وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير وأبقى لأنه دائم لا نفاد له"(٣).

قال الطبري:"وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير مما أوتيتموه أنتم في هذه الدنيا من متاعها وزينتها وأبقى لأهله؛ لأنه دائم لا نفاد له"(٤).

قال الزمخشري:" وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وأبقى، لأن بقاءه دائم سرمد"(٥).

قال البغوي:" أن الباقي خير من الفاني"(٦).

قال ابن إسحاق:" خير ثوابا، وأبقى عندنا"(٧).

قال عبد الله: "من استطاع منكم أن يضع كنزه حيث لا يأكله السوس ولا يناله السرق فليفعل"(٨).

قال كعب: "مكتوب في التوراة: ابن آدم ضع كنزك، عندي، فلا غرق ولا حرق أدفعه إليك أفقر ما تكون إليه يوم القيامة"(٩).

قال ابن زيد:" لا تنسى أن تقدم من دنياك لآخرتك فإنما تجد في آخرتك ما قدمت من الدنيا مما رزقك الله"(١٠).

قوله تعالى:{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [القصص : ٦٠]، أي:" أفلا تكون لكم عقول -أيها القوم- تتدبرون بها، فتعرفون الخير من الشر؟"(١١).

قال ابن كثير:" أي : أفلا يعقل مَنْ يقدم الدنيا على الآخرة ؟"(١٢).

قال الطبري:يقول:" أفلا عقول لكم أيها القوم تتدبرون بها فتعرفون بها الخير من الشر، وتختارون لأنفسكم خير المنزلتين على شرهما، وتؤثرون الدائم الذي لا نفاد له من النعيم، على الفاني الذي لا بقاء له"(١٣).

عن ابن زيد، قوله: "{أفلا تعقلون}، قال: أفلا تتفكرون"(١٤).

قال سهل بن عبدالله:" من أخذ من الدنيا بشهوة منه حرمه الله في الدنيا والآخرة ما هو خير منها، ومن أخذ منها لضرورة دخلت بنفسه أو لحق لزمه لم يحرم ما هو خير في الدنيا، لذة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٢٤):ص٢٩٩٨/٩.

(٢)رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٥٨) من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٤) تفسير الطبري:٦٠٤/١٩.

(٥) الكشاف: ٤٢٥/٣.

(٦) تفسير البغوي: ٢١٦/٦.

(٧) أخرجه الطبري:٦٠٤/١٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٢٥):ص٢٩٩٨/٩.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٢٦):ص٢٩٩٨/٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٢٧):ص٢٩٩٨/٩.

(١١) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٤٩/٦.

(١٣) تفسير الطبري:٦٠٤/١٩.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٢٨):ص٢٩٩٨/٩.

العبادة ومحبة الحق عز وجل، وفي الآخرة الدرجات العلى[١]. وقيل لعامر بن عبد قيس[٢]: لقد لقد رضيت من الدنيا باليسير. قال: أفلا أخبركم بمن رضي بدون ما رضيت؟ قالوا: بلى. قال: من رضي الدنيا حظا من الآخرة[٣]"[٤].

قال الثعلبي:" الذين كفروا يتمتعون في الدنيا ويأكلون كما تأكل الأنعام ليس لهم همة إلا بطونهم، وفروجهم، وهم لاهون ساهون عما في غدهم، وقيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع"[٥].

قرأ عامة القراء: «تعقلون» بالتاء، وأبو عمرو بالخيار بين التاء والياء[٦].

قال الزمخشري:"«يعقلون»، بالياء، أبلغ في الموعظة"[٧].

القرآن

{أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١)} [القصص : ٦١]

التفسير:

أفمَن وعدناه مِن خَلْقنا على طاعته إيانا الجنة، فهو ملاقٍ ما وُعِدَ، وصائر إليه، كمن متعناه في الحياة الدنيا متاعها، فتمتع به، وآثر لذة عاجلة على آجلة، ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب والجزاء؟ لا يستوي الفريقان، فليختر العاقل لنفسه ما هو أولى بالاختيار، وهو طاعة الله وابتغاء مرضاته.

اختلف فيمن نزلت الآية على أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في رسول الله -ﷺ- وأبي جهل بن هشام. قاله مجاهد[٨].

وعن ابن جريج: "{أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه}، قال: النبي ﷺ"[٩].

الثاني: في علي وحمزة رضي الله عنهما، وأبي جهل. قاله مجاهد أيضا[١٠].

وعن مجاهد، أيضا:" نزلت في حمزة وأبي جهل"[١١].

وعن السدي،: "{أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه}، قال: حمزة بن عبد المطلب"[١٢].

الثالث: في المؤمن والكافر، قاله قتادة[١].

---

(١)ورد مثل هذا القول في نوادر الأصول ٤/ ١٨٦.

(٢)عامر بن عبد الله، المعروف بابن عبد قيس العنبري (... - نحو ٥٥ هـ) : تابعي. أول من عرف بالنسك من عباد التابعين بالبصرة. تلقن القرآن من أبي موسى الأشعري. (الحلية ٢/ ٨٧).

(٣)كتاب الزهد لابن أبي عاصم ص ٢٢٨ ونسب هذا القول إلى داود الطائي في الحلية ٧/ ٣٥٣ وصفوة الصفوة ٣/ ١٤١.

(٤) تفسير التستري: ١١٨.

(٥) الكشف والبيان: ٣١/٩.

(٦) انظر: تفسير البغوي: ٢١٦/٦.

(٧) الكشاف: ٤٢٥/٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٥/١٩.

(٩) أخرجه الطبري:٦٠٥/١٩.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٥/١٩.

(١١) أخرجه الطبري:٦٠٥/١٩-٦٠٦.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٢٩):ص٢٩٩٨/٩.

الرابع: في عمار والوليد بن المغيرة، قاله السدي(٢).

قال ابن كثير:" الظاهر أنها عامة ، وهذا كقوله تعالى إخبارا عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه ، وهو في الدرجات وذاك في الدركات : { وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ } [الصافات : ٥٧] ، وقال تعالى : { وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ } [الصافات : ١٥٨]"(٣).

قوله تعالى:{أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ} [القصص : ٦١]، أي:" أفمَن وعدناه مِن خَلْقنا على طاعته إيانا الجنة، فهو ملاقٍ ما وُعِدَ، وصائر إليه"(٤).

قال الطبري:يقول:" أفمن وعدناه من خلقنا على طاعته إيانا الجنة، فآمن بما وعدناه وصدق وأطاعنا، فاستحق بطاعته إيانا أن ننجز له ما وعدناه، فهو لاق ما وعد، وصائر إليه"(٥).

قال البغوي:" {أفمن وعدناه وعدا حسنا} أي الجنة {فهو لاقيه} مصيبه ومدركه وصائر إليه"(٦).

قال قتادة:" هو المؤمن سمع كتاب الله فصدق به وآمن بما وعد الله فيه"(٧).

عن محمد بن عبد الرحمن الجعفي، أن مسروقا قرأ: «أفمن وعدناه منا نعمة فهو لاقيها»"(٨).

قوله تعالى:{كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [القصص : ٦١]، أي:" كمن متعناه في الحياة الدنيا متاعها، فتمتع به، وآثر لذة عاجلة على آجلة"(٩).

قال الطبري:يقول:" كمن متعناه في الدنيا متاعها، فتمتع به، ونسي العمل بما وعدنا أهل الطاعة، وترك طلبه، وآثر لذة عاجلة على آجلة"(١٠).

قال قتادة:" هو هذا الكافر ليس والله كالمؤمن"(١١).

عن السدي: "{كمن متعناه متاع الحياة الدنيا}، قال: أبو جهل بن هشام"(١٢).

قوله تعالى:{ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} [القصص : ٦١]، أي:" ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب والجزاء؟"(١٣).

قال الطبري:يقول:" ثم هو يوم القيامة إذا ورد على الله من المحضرين، يعني من المشهدين عذاب الله، وأليم عقابه"(١٤).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٩/٦٠٤-٦٠٥، وتفسير ابن أبي حاتم(١٧٠٣٠):ص٩/٢٩٩٨.

(٢) انظر: زاد المسير: ٣/٣٨٩، وأسباب النزول: ٣٤٩. مرسل.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٢٤٩.

(٤) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٥) تفسير الطبري:١٩/٦٠٤.

(٦) تفسير البغوي: ٦/٢١٦.

(٧) أخرجه الطبري:١٩/٦٠٤-٦٠٥.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٣١):ص٩/٢٩٩٩.

(٩) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(١٠) تفسير الطبري:١٩/٦٠٤.

(١١) أخرجه الطبري:١٩/٦٠٤-٦٠٥.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٣٢):ص٩/٢٩٩٩.

(١٣) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(١٤) تفسير الطبري:١٩/٦٠٤.

عن مجاهد :"{ثم هو يوم القيامة من المحضرين}، قال: أهل النار، أحضروها"(١).
عن قتادة، قوله: "{ثم هو يوم القيامة من المحضرين}، أي: في عذاب الله"(٢).
قال الحسن:" بئس المتاع متاع انقطع بصاحبه إلى النار"(٣).
فوائد الآيتين:[٦٠-٦١]:
١- فائدة العقل أن يعقل صاحبه دون ما يضره، ويبعثه على ما ينفعه فإن لم يعقله دون ما يضره ولم يبعثه على ما ينفعه فلا وجود له، ووجوده كعدمه.
٢- بيان فضل الآخرة على الدنيا.
٣- وعد الله للمؤمن بالجنة خير مما يؤتاه من مال ومتاع وزينة في الحياة الدنيا.

القرآن
{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢)} [القصص : ٦٢]
التفسير:
ويوم ينادي الله عز وجل الذين أشركوا به الأولياء والأوثان في الدنيا، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم لي شركاء؟
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي رب العزة الذين أشركوا به الأنداد والأوثان في الدنيا، فيقول لهم: {أين شركائي الذين كنتم تزعمون}، أنهم لي في الدنيا شركاء"(٤).
شركاء"(٤).
قال السمعاني:" يعني: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي؟ "(٥).
قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة ، حيث يناديهم فيقول : { أَيْنَ شُرَكَائي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } يعني : أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا ، من الأصنام والأنداد ، هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ وهذا على سبيل التقريع والتهديد ، كما قال : { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } [الأنعام : ٩٤]"(٦).
قال الزمخشري:" {شركائي} مبنى على زعمهم، وفيه تهكم"(٧).

القرآن
{قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣)} [القصص : ٦٣]
التفسير:
قال الذين حقَّ عليهم العذاب، وهم دعاة الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللنا، أضللناهم كما ضللنا، تبرأنا إليك مِن ولايتهم ونصرتهم، ما كانوا إيانا يعبدون، وإنما كانوا يعبدون الشياطين.

---

(١) أخرجه الطبري:٦٠٥/١٩.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٣٤):ص٢٩٩٩/٩.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٣٦):ص٢٩٩٩/٩.
(٤) تفسير الطبري:١٩/ ٦٠٦.
(٥)تفسير السمعاني: ١٥١/٤ .
(٦) تفسير ابن كثير:٦/ ٢٤٩-٢٥٠.
(٧) الكشاف: ٤٢٥/٣.

قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} [القصص : ٦٣]، أي:" قال الذين حقَّ عليهم العذاب، وهم دعاة الكفر"[١].

قال الطبري:" يقول: قال الذين وجب عليهم غضب الله ولعنته، وهم الشياطين الذين كانوا يغوون بني آدم"[٢].

قال السمعاني:" أي: وجبت عليهم كلمة العذاب"[٣].

قال ابن كثير:" يعني : من الشياطين والمَرَدَة والدعاة إلى الكفر"[٤].

قال الزمخشري:" {الذين حق عليهم القول}: الشياطين أو أئمة الكفر ورءوسه. ومعنى {حق عليهم القول}: وجب عليهم مقتضاه وثبت، وهو قوله {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود : ١١٩/ السجدة: ١٣] "[٥].

قوله تعالى:{رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا} [القصص : ٦٣]، أي:" ربنا هؤلاء الذين أضللنا"[٦].

قال السمعاني:" أي: دعوناهم إلى الغي"[٧].

قوله تعالى:{أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا} [القصص : ٦٣]، أي:" أضللناهم كما ضللنا"[٨].

قال مقاتل:" يعنون: كفار بني آدم، يعني: هؤلاء الذين أضللناهم كما ضللنا"[٩].

قال الزجاج:" يعنون: الإنس، أي: سولنا لهم الغي والضلال"[١٠].

قال الزمخشري:" يعنون: أنا لم نغو إلا باختيارنا، لا أن فوقنا مغوين أغرونا بقسر منهم وإلجاء. أو دعونا إلى الغى وسولوه لنا، فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم، لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلا لا قسرا وإلجاء، فلا فرق إذا بين غينا وغيهم. وإن كان تسويلنا داعيا لهم إلى الكفر، فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل، وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر، وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا إلى الإيمان. وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان {إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُم} [إبراهيم : ٢٢]، والله تعالى قدم هذا المعنى أول شيء، حيث قال لإبليس {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الحجر : ٤٢]"[١١].

قال ابن كثير:" فشهدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم"[١٢].

عن قتادة، قوله: "{هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا}، قال: هم الشياطين"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٢) تفسير الطبري:٦٠٦/١٩.

(٣)تفسير السمعاني: ١٥١/٤ .

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٦.

(٥) الكشاف: ٤٢٦/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٧)تفسير السمعاني: ١٥١/٤ .

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٣/٣.

(١٠) معاني القرآن: ١٥١/٤.

(١١) الكشاف: ٤٢٦/٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٦.

(١٣) أخرجه الطبري:٦٠٦/١٩.

قوله تعالى:{تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} [القصص : ٦٣]، أي:" تبرأنا إليك مِن ولايتهم ونصرتهم، ما كانوا إيانا يعبدون، وإنما كانوا يعبدون الشياطين"(١).

قال الطبري:" يقول: تبرأنا من ولايتهم ونصرتهم إليك {ما كانوا إيانا يعبدون} يقول: لم يكونوا يعبدوننا"(٢).

قال مقاتل:" فتبرأت الشياطين ممن كان يعبدها"(٣).

قال الزجاج:" برئ بعضهم من بعض، وصاروا أعداء، كما قال الله عز وجل: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف : ٦٧]"(٤).

قال السمعاني:" يعني: أنهم لم يعبدونا، ولكن دعوناهم فأجابوا"(٥).

قال الزمخشري:" تبرأنا إليك منهم ومما اختاروه من الكفر بأنفسهم، هوى منهم للباطل ومقتا للحق، لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا إيانا يعبدون إنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم"(٦).

قال ابن كثير:" ثم تبرؤوا من عبادتهم ، كما قال تعالى : { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا. كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا } [مريم : ٨١ ، ٨٢] ، وقال : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ. وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } [الأحقاف : ٥ ، ٦] ، وقال الخليل لقومه : { إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [العنكبوت : ٢٥] ، وقال الله (١) : { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } [البقرة : ١٦٦ ، ١٦٧]"(٧).

القرآن

{وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤)} [القصص : ٦٤]

التفسير:

وقيل للمشركين بالله يوم القيامة: ادعوا شركاءكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله، فدعوهم فلم يستجيبوا لهم، وعاينوا العذاب، لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق لما عُذِّبوا.

قوله تعالى:{وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ} [القصص : ٦٤]، أي:" وقيل للمشركين بالله يوم القيامة: ادعوا شركاءكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله"(٨).

قال الطبري:يقول: " وقيل للمشركين بالله الآلهة والأنداد في الدنيا: {ادعوا شركاءكم} الذين كنتم تدعون من دون الله"(٩).

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٢) تفسير الطبري:٦٠٦/١٩.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٣/٣.

(٤) معاني القرآن: ١٥١/٤.

(٥)تفسير السمعاني: ١٥١/٤ .

(٦) الكشاف: ٤٢٦/٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٩) تفسير الطبري:٦٠٦/١٩.

قال السمعاني:" يعني: قيل للكفار: ادعوا شركاءكم أي: الأصنام، ومعنى قوله: {شركاءكم} أي: شركائي في زعمكم"[١].

قال ابن كثير:"أي: ليخلصوكم مما أنتم فيه ، كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا "[٢].

قوله تعالى:{فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ} [القصص : ٦٤]، أي:" فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم ولم ينتفعوا بهم"[٣].

قال الطبري:" يقول: فلم يجيبوهم"[٤].

قال الصابوني:" وهذا من سخافة عقولهم"[٥].

قال الزجاج:" أي: لم يجيبوهم بحجة"[٦].

قال ابن كثير:" أي : وتيقنوا أنهم صائرون إلى النار لا محالة "[٧].

قوله تعالى:{وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} [القصص : ٦٤]، أي:" وعاينوا العذاب، لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق لما عُذِّبوا"[٨].

قال الطبري:" يقول: وعاينوا العذاب فودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق"[٩].

قال الزجاج:" جوأب «لو» محذوف - والله أعلم – المعنى: لو كانوا يهتدون لما اتبعوهم ولا رأوا العذاب"[١٠].

قال السمعاني:" معناه: لو أنهم كانوا يهتدون ما رأوا العذاب"[١١].

قال ابن كثير:" أي : فودوا حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا. وهذا كقوله تعالى : { وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا. وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا } [الكهف : ٥٢ ، ٥٣]"[١٢].

القرآن

{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥)} [القصص : ٦٥]

التفسير:

ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول: بأيِّ شيء أجبتم المرسلين فيما أرسلناهم به إليكم؟

---

(١)تفسير السمعاني: ١٥٢/٤ .

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٦.

(٣) صفوة التفاسير: ٤٠٥/٢.

(٤) تفسير الطبري:٦٠٦/١٩.

(٥) صفوة التفاسير: ٤٠٥/٢.

(٦) معاني القرآن: ١٥١/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٩) تفسير الطبري:٦٠٦/١٩.

(١٠) معاني القرآن: ١٥١/٤.

(١١)تفسير السمعاني: ١٥٢/٤ .

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٦.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول لهم: {ماذا أجبتم المرسلين} فيما أرسلناه به إليكم، من دعائكم إلى توحيدنا، والبراءة من الأوثان والأصنام"(١).

قال السمعاني:" أي: ينادى الكفار"(٢).

قال ابن كثير:" النداء الأول عن سؤال التوحيد ، وهذا فيه إثبات النبوات : ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم ؟ وكيف كان حالكم معهم ؟ وهذا كما يُسأل العبد في قبره : مَنْ ربك ؟ ومَنْ نبيك ؟ وما دينك؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبد الله ورسوله. وأما الكافر فيقول : هاه.. هاه. لا أدري "(٣).

عن ابن جريج، قوله: "{ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين}، قال: بلا إله إلا الله، التوحيد"(٤).

قال الزمخشري:" حكى أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء، ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة، اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها، ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم، ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل"(٥).

القرآن

{فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦)} [القصص : ٦٦]

التفسير:

فخفيت عليهم الحجج، فلم يَدْروا ما يحتجون به، فهم لا يسأل بعضهم بعضًا عما يحتجون به سؤال انتفاع.

قوله تعالى:{فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ} [القصص : ٦٦]، أي:" فخفيت عليهم الحجج، فلم يَدْروا ما يحتجون به"(٦).

قال السمعاني:" أي: الحجج؛ فكأنهم لما لم يجدوا حجة فقد عجزوا عنها"(٧).

قال الطبري:" يقول: فخفيت عليهم الأخبار، من قولهم: قد عمي عني خبر القوم: إذا خفي. وإنما عني بذلك أنهم عميت عليهم الحجة، فلم يدروا ما يحتجون؛ لأن الله تعالى قد كان أبلغ إليهم في المعذرة، وتابع عليهم الحجة، فلم تكن لهم حجة يحتجون بها، ولا خبر يخبرون به، مما تكون لهم به نجاة ومخلص.. وقيل معنى ذلك: فعميت عليهم الحجج يومئذ"(٨).

قال النسفي:" خفيت عليهم الحجج أو الأخبار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون إذ لم يكن عندهم جواب"(٩).

---

(١) تفسير الطبري:٦٠٧/١٩.

(٢)تفسير السمعاني: ١٥٢/٤ .

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٦.

(٤) أخرجه الطبري:٦٠٧/١٩.

(٥) الكشاف: ٤٢٧/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٧)تفسير السمعاني: ١٥٢/٤ .

(٨) تفسير الطبري:٦٠٧/١٩.

(٩) تفسير النسفي: ٦٥٣/٢.

قال ابن كثير:" لا جواب له يوم القيامة غير السكوت ؛ لأن مَنْ كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ولهذا قال تعالى:{فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ}"[1].

قال الزمخشري:أي:" فصارت الأنباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدى إليهم"[2].

قال الزمخشري:" المراد بالنبإ: الخبر عما أجاب به المرسل إليه رسوله، وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال، ويفوضون الأمر إلى علم الله، وذلك قوله تعالى : {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [المائدة : ١٠٩]، فما ظنك بالضلال من أممهم"[3].

عن مجاهد: "{فعميت عليهم الأنباء}، قال: الحجج، يعني: الحجة"[4].

قوله تعالى:{فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ} [القصص : ٦٦]، أي:" فهم لا يسأل بعضهم بعضًا عما يحتجون به سؤال انتفاع"[5].

قال الطبري:أي:" بالأنساب والقرابة، وقيل معنى ذللك: فسكتوا، فهم لا يتساءلون في حال سكوتهم"[6].

قال النسفي:" لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر وحجة لأنهم يتساوون في العجز عن الجواب"[7].

قال السمعاني:" يقال: لا يتساءلون سؤال التواصل والعطف، ويقال: لا يسأل بعضهم بعضا أي: لا يحمل غيره ذنبه؛ لأنه لا يجد"[8].

قال مجاهد:" لا يتساءلون بالأنساب، ولا يتماتون بالقرابات، إنهم كانوا في الدنيا إذا ألتقوا تساءلوا وتماتوا"[9].

قال الزمخشري:أي:" لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات، لأنهم يتساوون جميعا في عمى الأنباء عليهم والعجز عن الجواب"[10].

القرآن

{فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧)} [القصص : ٦٧]

فأما من تاب من المشركين، وأخلص لله العبادة، وعمل بما أمره الله به ورسوله، فهو من الفائزين في الدارين.

قوله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [القصص : ٦٧]، أي:" فأما من تاب من المشركين، وأخلص لله العبادة، وعمل بما أمره الله به ورسوله"[11].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٦.

(٢) الكشاف: ٤٢٧/٣.

(٣) الكشاف: ٤٢٧/٣.

(٤) أخرجه الطبري:٦٠٧/١٩.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٦) تفسير الطبري:٦٠٧/١٩.

(٧) تفسير النسفي: ٦٥٣/٢.

(٨)تفسير السمعاني: ١٥٢/٤ .

(٩) أخرجه الطبري: ٦٠٧/١٩.

(١٠) الكشاف: ٤٢٧/٣.

(١١) التفسير الميسر: ٣٩٣.

قال الطبري: يقول: "{فأما من تاب} من المشركين، فأناب وراجع الحق، وأخلص لله الألوهة، وأفرد له العبادة، فلم يشرك في عبادته شيئا، وصدق بنبيه محمد ﷺ، وعمل بما أمره الله بعمله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ"(١).

قال الزمخشري:" فأما من تاب من المشركين من الشرك، وجمع بين الإيمان والعمل الصالح"(٢).

قوله تعالى:{فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ} [القصص : ٦٧]، أي:" فهو من الفائزين في الدارين"(٣).

قال الطبري: " يقول: فهو من المنجحين المدركين طلبتهم عند الله، الخالدين في جنانه، وعسى من الله واجب"(٤).

قال الزمخشري:" فعسى أن يفلح عند الله، و «عسى» من الكرام تحقيق. ويجوز أن يراد: ترجى التائب وطمعه، كأنه قال: فليطمع أن يفلح"(٥).

قال ابن كثير:" و«عسى» من الله موجبة ، فإن هذا واقع بفضل الله ومَنّه لا محالة "(٦).

"(٦).

قال النسفي:" وفيه بشارة للمسلمين على الإسلام وترغيب الكافرين على الإيمان"(٧).

فوائد الآيات:[٦٢-٦٧]:

١- التنديد بالشرك والمشركين.

٢- براءة الرؤساء في الضلال من المرؤوسين.

٣- التحذير من الغواية وهي الضلال، والانغماس في الذنوب والآثام.

٤- خذلان المعبودين عابديهم يوم القيامة وتبرؤهم منهم.

٥- باب التوبة مفتوح لكل عبد مهما كانت ذنوبه ولا يهلك على الله إلا هالك.

القرآن

{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)} [القصص : ٦٨]

التفسير:

وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويصطفي لولايته مَن يشاء من خلقه، وليس لأحد من الأمر والاختيار شيء، وإنما ذلك لله وحده سبحانه، تعالى وتنزَّه عن شركهم.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن الوليد قال في «حم» الزخرف: {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف : ٣١]، يعني: نفسه وأبا مسعود الثقفي، فذلك قوله- سبحانه-: {ويختار}، أي: للرسالة والنبوة من يشاء، فشاء- ﷻ- أن يجعلها في النبي- ﷺ- وليست النبوة والرسالة بأيديهم ولكنها بيد الله- عز وجل-، ثم نزه نفسه- تبارك وتعالى- عن قول الوليد حين قال: { أَجَعَلَ} محمد- ﷺ- {الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص : ٥] ، فكفر بتوحيد

---

(١) تفسير الطبري:١٩/ ٦٠٨.

(٢) الكشاف: ٤٢٧/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٤) تفسير الطبري:١٩/ ٦٠٨.

(٥) الكشاف: ٤٢٧/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٦.

(٧) تفسي النسفي: ٦٥٤/٢.

الله- عز وجل- فأنزل الله- سبحانه- ينزه نفسه- عز وجل- عن شركهم فقال: {سُبْحَانَ الله...}"[١].
قال ابن الجوزي:" قال أهل التفسير: نزلت جوابا للوليد بن المغيرة، حين قال فيما أخبر الله تعالى عنه: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف : ٣١]، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم"[٢].
قوله تعالى:{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} [القصص : ٦٨]، أي:" وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويصطفي لولايته مَن يشاء من خلقه"[٣].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {وربك} يا محمد {يخلق ما يشاء} أن يخلقه {ويختار} لولايته الخيرة من خلقه، ومن سبقت له منه السعادة"[٤].
قال السمعاني:" أي: يخلق ما يشاء من الخلق، ويختار من يشاء للنبوة"[٥].
قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار ، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب فقال : { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ } أي : ما يشاء ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ، ومرجعها إليه"[٦].
قال ابن قتيبة:" {ويختار}، أي: يختار للرسالة"[٧].
قوله تعالى:{مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} [القصص : ٦٨]، أي:" وليس لأحد من الأمر والاختيار شيء، وإنما ذلك لله وحده سبحانه"[٨].
قال ابن قتيبة:" أي: لا يرسل الله الرسل على اختيارهم"[٩].
قال الزجاج:"أي: ليس لهم أن يختاروا على الله"[١٠].
قال الزمخشري:" المعنى: أن الخيرة لله تعالى في أفعاله، وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها، ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه"[١١].
قال السمعاني:" يعني: أن الاختيار إليه، وليس لهم اختيار على الله، وقيل: إن الآية نزلت في ذبائحهم للأصنام، وكانوا يجعلون الأسمن للأصنام، ويجعلون ما هو شر لله"[١٢].
عن ابن عباس، قوله: "{وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة}، قال: كانوا يجعلون خير أموالهم لآلهتهم في الجاهلية"[١٣].
قال ابن كثير:" قوله : { مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ } نفي على أصح القولين ، كقوله تعالى : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [الأحزاب : ٣٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان :٣/٣٥٣-٣٥٤.
(٢) أسباب النزول: ٣٤٩.
(٣) التفسير الميسر: ٣٩٣.
(٤) تفسير الطبري:١٩/ ٦٠٨.
(٥) تفسير السمعاني: ٤/١٥٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٢٥١.
(٧) غريب القرآن: ٣٣٤.
(٨) التفسير الميسر: ٣٩٣.
(٩) غريب القرآن: ٣٣٤.
(١٠) معاني القرآن: ٤/١٥١-١٥٢.
(١١) الكشاف: ٣/ ٤٢٧.
(١٢) تفسير السمعاني: ٤/١٥٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٠٨.

وقد اختار ابن جرير أن { مَا } هاهنا بمعنى "الذي" ، تقديره : ويختار الذي لهم فيه خيرة[١]. وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح. والصحيح أنها نافية ، كما نقله ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس وغيره أيضا ، فإن المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق والتقدير والاختيار ، وأنه لا نظير له في ذلك"[٢].

قوله تعالى:{سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [القصص : ٦٨]، أي:" تعالى وتنزَّه عن شركهم"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره تنزيها لله وتبرئة له، وعلوا عما أضاف إليه المشركون من الشرك، وما تخرصوه من الكذب والباطل عليه"[٤].

قال مقاتل:" يعنى : وارتفع {عما يشركون} به غيره- عز وجل-"[٥].

قال ابن كثير:" أي : من الأصنام والأنداد ، التي لا تخلق ولا تختار شيئًا"[٦].

قال الزجاج:" معنى «سبحان الله»: تنزيه له من السوء. كذا هو في اللغة – وكذا جاء عن النبي - ﷺ"[٧].

قال السمعاني:" نزه نفسه عما ينسبه إليه المشركون"[٨].

عن أرطاة، قال: "ذكرت لأبي عون الحمصي، شيئا من قول أهل القدر، فقال: أما يقرءون كتاب الله تبارك وتعالى: {وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون}"[٩].

القرآن

{وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩)} [القصص : ٦٩]

التفسير:

وربك يعلم ما تُخفي صدور خلقه وما يظهرونه.

قال الطبري: يقول: " وربك يا محمد يعلم ما تخفي صدور خلقه وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم، وإنما يعني بذلك أن اختيار من يختار منهم للإيمان به على علم منه بسرائر أمورهم وبواديها، وأنه يختار للخير أهله، فيوفقهم له، ويولي الشر أهله، ويخليهم وإياه"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : يعلم ما تكن الضمائر ، وما تنطوي عليه السرائر ، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق ، { سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ } [الرعد : ١٠]"[١١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٩/ ٦٠٨ وما بعدها.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٤) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان :٣٥٣/٣-٣٥٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٦.

(٧) معاني القرآن: ١٥٢/٤.

(٨) تفسير السمعاني: ١٥٣/٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٥٤):ص٣٠٠٢/٩.

(١٠) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١١-٦١٢.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٦.

قال الزمخشري:" ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه. وقولهم: هلا اختير عليه غيره في النبوة"(١).

عن ابن عباس، "{ يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون}، يقول: يعلم ما عملوا بالليل والنهار"(٢).

قال سليمان الداري: "يعلم ما في القلوب، ولا يكون في القلوب إلا ما ألقى فيها"(٣).

القرآن

{وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآَخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)} [القصص : ٧٠]

التفسير:

وهو الله الذي لا معبود بحق سواه، له الثناء الجميل والشكر في الدنيا والآخرة، وله الحكم بين خلقه، وإليه تُرَدُّون بعد مماتكم للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [القصص : ٧٠]، أي:" وهو الله الذي لا معبود بحق سواه"(٤).

قال الطبري:يقول:" وربك يا محمد، المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا معبود تجوز عبادته غيره"(٥).

قال ابن كثير:" أي : هو المنفرد بالإلهية ، فلا معبود سواه ، كما لا رب يخلق ويختار سواه "(٦).

قال الزمخشري:" {وهو الله}: وهو المستأثر بالإلهية المختص بها، و{لا إله إلا هو} تقرير لذلك، كقولك: الكعبة القبلة، لا قبلة إلا هي"(٧).

قوله تعالى:{لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآَخِرَةِ} [القصص : ٧٠]، أي:" له الثناء الجميل والشكر في الدنيا والآخرة"(٨).

قال الطبري:" يعني: في الدنيا {والآخرة}"(٩).

قال ابن كثير:" أي : في جميع ما يفعله هو المحمود عليه ، لعدله وحكمته"(١٠).

عن كعب قال: "الحمد لله، ثناء الله"(١١).

عن الضحاك، قال: "الحمد رداء الرحمن"(١٢).

قال الزمخشري:" فإن قلت: الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة؟

---

(١) الكشاف: ٣/ ٤٢٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٥٥):ص٣٠٠٢/٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٥٦):ص٣٠٠٢/٩.

(٤) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٥) تفسير الطبري: ٦١٢/١٩.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٦.

(٧) الكشاف: ٣/ ٤٢٨.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٩) تفسير الطبري: ٦١٢/١٩.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٦.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٠٥٧):ص٣٠٠٢/٩.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٠٥٨):ص٣٠٠٢/٩.

قلت: هو قولهم: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} [فاطر : ٣٤]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ} [الزمر : ٧٤]، {وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزمر : ٧٥]، والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة. وفي الحديث: «يلهمون التسبيح والتقديس»[(١)]"[(٢)].

قوله تعالى:{وَلَهُ الْحُكْمُ} [القصص : ٧٠]، أي:" وله الحكم بين خلقه"[(٣)].

قال الطبري:" يقول: وله القضاء بين خلقه"[(٤)].

قال ابن كثير:" أي : الذي لا معقب له ، لقهره وغلبته وحكمته ورحمته"[(٥)].

قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص : ٧٠]، أي:" وإليه تُرَدُّون بعد مماتكم للحساب والجزاء"[(٦)].

قال الطبري:" يقول: وإليه تردون من بعد مماتكم، فيقضي بينكم بالحق"[(٧)].

قال ابن كثير:" أي : جميعكم يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله ، من خير وشر ، ولا يخفى عليه منهم خافية في سائر الأعمال "[(٨)].

قال أبو العالية:" ترجعون إليه بعد الحياة"[(٩)].

فوائد الآيات:[٦٨-٧٠]:

١- تقرير مبدأ "ليس من حق العبد أن يختار إلا ما اختاره الله له".

٢- تعين طلب الاختيار في الأمر كله من الله تعالى بقول العبد "اللهم خر لي واختر لي".

٣- تأكيد سنة الاستخارة وهي إذا همّ العبد بالأمر يصلي ركعتين في وقت لا تكره فيه صلاة النافلة، ثم يدعو بدعاء الاستخارة كما ورد في الصحيح ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله - ﷺ - يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: " إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، لم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبه أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله- فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به، قال: ويسمي حاجته "»[(١٠)].

---

(١) الحديث:« يلهمون التسبيح والتحميد، كما تلهمون النفس». اخرجه مسلم(٢٨٣٥):ص٤/٢١٨٠.

(٢) الكشاف: ٣/ ٤٢٨.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٤) تفسير الطبري: ٦١٢/١٩.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٣.

(٧) تفسير الطبري: ٦١٢/١٩.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٦.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٠٦٠):ص٣٠٠٣/٩.

(١٠) أخرجه البخاري رقم (١١٦٢) في التهجد: باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، من طريق قتيبة بن سعيد.

وهو من طرق عن عبد الرحمن بن أبي الموال به عند أحمد ٣/ ٣٤٤، والبخاري في " صحيحه " (٦٣٨٢) و (٧٣٩٠)، وفي " الأدب المفرد " (٢٩٣)، وأبي داود (١٥٣٨)، والترمذي (٤٨٠)، والنسائي ٦/ ٨٠، وابن ماجة (١٣٨٣)، والبيهقي في " السنن " ٣/ ٥٢، وفي " الأسماء والصفات " ص ١٢٤ – ١٢٥، وانظر "

٤- تقرير التوحيد وإبطال التنديد.
٥- وجوب حمد الله وشكره على كل حال وذلك لتجدد النعمة في كل آن.

القرآن
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١)} [القصص : ٧١]
التفسير:
قل -أيها الرسول-: أخبروني -أيها الناس- إن جعل الله عليكم الليل دائمًا إلى يوم القيامة، مَن إله غير الله يأتيكم بضياء تستضيئون به؟ أفلا تسمعون سماع فهم وقَبول؟
قوله تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القصص : ٧١]، أي:" قل -أيها الرسول-: أخبروني -أيها الناس- إن جعل الله عليكم الليل دائمًا إلى يوم القيامة"[١].
قال الطبري: يقول:" قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: أيها القوم أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل دائما لا نهار إلى يوم القيامة يعقبه"[٢].
قال الفراء: {إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا}، أي:" دائما لانهار معه"[٣].
قال أبو عبيدة: معناه: "دائما لا نهار فيه، وكل شىء لا ينقطع من عيش أو رخاء أو غم وبلاء دائم فهو سرمد"[٤].
قال الزجاج:" السرمد: في اللغة الدائم"[٥].
قال الزمخشري:" السرمد: الدائم المتصل، من السرد وهو المتابعة. ومنه قولهم في الأشهر الحرم: ثلاثة سرد، وواحد فرد"[٦].
عن مجاهد قوله: "{سرمدا}: دائما لا ينقطع"[٧].
عن ابن عباس، قوله: "{إن جعل الله عليكم الليل سرمدا}، يقول: دائما"[٨].
قوله تعالى:{مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ} [القصص : ٧١]، أي:" مَن إله غير الله يأتيكم بضياء تستضيئون به؟"[٩].
قال الطبري: " يقول: من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء يأتيكم بضياء النهار، فتستضيئون به"[١٠].

صحيح ابن حبان " (٨٨٨).
(١) التفسير الميسر: ٣٩٤.
(٢) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٢.
(٣) معاني القرآن: ٢/٣٠٩.
(٤) مجاز القرآن: ٢/ ١٠٩.
(٥) معاني القرآن: ٤/١٥٢.
(٦) الكشاف: ٣/٤٢٨.
(٧) اخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٢.
(٨) اخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٢.
(٩) التفسير الميسر: ٣٩٤.
(١٠) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٢.

قال الزجاج:" أي: بنهار تبصرون فيه وتتصرفون في معايشكم، وتصلح فيه ثماركم ومنابتكم لأن الله - عز وجل - جعل الصلاح للخلق بالليل مع النهار، فلو كان واحد منهما دون الآخر لهلك الخلق"(١).

قال ابن كثير:" يقول تعالى ممتنًا على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار ، اللذين لا قِوَامَ لهم بدونهما. وبين أنه لو جعلَ الليلَ دائمًا عليهم سرمدًا إلى يوم القيامة ، لأضرّ ذلك بهم ، ولسئمته النفوس وانحصرت منه ، ولهذا قال تعالى : { مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ } أي : تبصرون به وتستأنسون بسببه"(٢).

قوله تعالى:{أَفَلَا تَسْمَعُونَ} [القصص : ٧١]، أي:" أفلا تسمعون سماع فهم وقَبول"(٣).

قال مقاتل:" يعني: أفهلا تسمعون المواعظ"(٤).

قال الطبري: " يقول: أفلا ترعون ذلك سمعكم وتفكرون فيه فتتعظون، وتعلمون أن ربكم هو الذي يأتي بالليل ويذهب بالنهار إذا شاء، وإذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل، فينعم باختلافهما كذلك عليكم"(٥).

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢)} [القصص : ٧٢]

التفسير:

قل لهم: أخبروني إن جعل الله عليكم النهار دائمًا إلى يوم القيامة، مَن إله غير الله يأتيكم بليل تستقرون وتهدؤون فيه؟ أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار؟

قوله تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القصص : ٧٢]، أي:" قل لهم: أخبروني إن جعل الله عليكم النهار دائمًا إلى يوم القيامة"(٦).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {قل} يا محمد لمشركي قومك {أرأيتم} أيها القوم {إن جعل الله عليكم النهار سرمدا} دائما لا ليل معه أبدا {إلى يوم القيامة}"(٧).

قوله تعالى:{مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ} [القصص : ٧٢]، أي:" مَن إله غير الله يأتيكم بليل تستقرون وتهدؤون فيه؟"(٨).

قال الطبري: يقول:" من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء {يأتيكم بليل تسكنون فيه} فتستقرون وتهدءون فيه"(٩).

قال ابن كثير:" ثم أخبر أنه لو جعل النهار سرمدًا دائمًا مستمرًّا إلى يوم القيامة ، لأضرَّ ذلك بهم ، ولتعبت الأبدان وكلَّت من كثرة الحركات والأشغال ؛ ولهذا قال : { مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ } أي : تستريحون من حركاتكم وأشغالكم"(١٠).

---

(١) معاني القرآن: ١٥٢/٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان : ٣٥٤.

(٥) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٢.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٧) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٣.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٩) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٦.

عن السدي: "{تسكنون}، تقرون فيها"[١].

قوله تعالى:{أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [القصص : ٧٢]، أي:" أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار؟"[٢].

قال الطبري: " يقول: أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار عليكم؛ رحمة من الله لكم، وحجة منه عليكم، فتعلموا بذلك أن العبادة لا تصلح إلا لمن أنعم عليكم بذلك دون غيره، ولمن له القدرة التي خالف بها بين ذلك"[٣].

قال الصابوني:" أي: أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ والضلال؟"[٤].

قال الزمخشري:" قرن بالضياء :{أفلا تسمعون}، لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده، وقرن بالليل: {أفلا تبصرون}، لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره. وأنت من السكون ونحوه"[٥].

قال الفخر الرازي:" وإنما قال: {أفلا تسمعون}/ {أفلا تبصرون}، لأن الغرض من ذلك الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر فلما لم ينتفعوا نزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر"[٦].

القرآن

{وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)} [القصص : ٧٣]

التفسير:

ومن رحمته بكم -أيها الناس- أن جعل لكم الليل والنهار فخالف بينهما، فجعل هذا الليل ظلامًا؛ لتستقروا فيه وترتاح أبدانكم، وجعل لكم النهار ضياءً؛ لتطلبوا فيه معايشكم، ولتشكروا له على إنعامه عليكم بذلك.

قوله تعالى:{وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [القصص : ٧٣]، أي:" ومن رحمته بكم -أيها الناس- أن جعل لكم الليل والنهار فخالف بينهما"[٧].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: {ومن رحمته} بكم أيها الناس {جعل لكم الليل والنهار} فخالف بينهما"[٨].

قال ابن كثير:" {وَمِنْ رَحْمَتِهِ } أي : بكم { جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ } أي : خلق هذا وهذا"[٩].

قال أبو حيان:" {من} هنا للسبب، أي: وبسبب رحمته إياكم، جعل لكم الليل والنهار"[١٠].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٠٦٥):ص٣٠٠٣/٩.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٣) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٣.

(٤) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٠٩.

(٥) الكشاف: ٤٢٩/٣.

(٦) مفاتيح الغيب: ١٢/٢٥.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٨) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٦.

(١٠) البحر المحيط: ٣٢١/٨.

قوله تعالى:{لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [القصص : ٧٣]، أي:" فجعل هذا الليل ظلامًا؛ لتستقروا فيه وترتاح أبدانكم، وجعل لكم النهار ضياءً؛ لتطلبوا فيه معايشكم"(١).

قال الطبري: " فجعل هذا الليل ظلاما {لتسكنوا فيه} وتهدءوا وتستقروا لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرف الذي تتصرفون نهارا لمعايشكم"(٢).

قال ابن كثير:" { لِتَسْكُنُوا فِيهِ } أي : في الليل ، { وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ } أي : في النهار بالأسفار والترحال ، والحركات والأشغال ، وهذا من باب اللف والنشر "(٣).

قال الزجاج:" أعلمهم أن الليل والنهار رحمة، المعنى: جعل لكم الزمان ليلا ونهارا، لتسكنوا بالليل وتبتغوا من فضل الله بالنهار. وجائز أن تسكنوا فيهما، وأن تبتغوا من فضل الله فيهما، فيكون المعنى: جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله"(٤).

عن السدي: "{ولتبتغوا من فضله}، يعني: التجارة"(٥).

قوله تعالى:{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [القصص : ٧٣]، أي:" ولتشكروا له على إنعامه عليكم بذلك"(٦).

قال الطبري: يقول:" ولتشكروه على إنعامه عليكم بذلك، فعل ذلك بكم لتفردوه بالشكر، وتخلصوا له الحمد، لأنه لم يشركه في إنعامه عليكم بذلك شريك، فلذلك ينبغي أن لا يكون له شريك في الحمد عليه"(٧).

قال ابن كثير:" أي : تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار ، ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار ، أو بالنهار استدركه بالليل ، كما قال تعالى : { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا } [الفرقان : ٦٢]. والآيات في هذا كثيرة"(٨).

قال سفيان بن عيينة: "على كل مسلم أن يشكر الله، لأن الله قال: {ولعلكم تشكرون}"(٩).

قال الفخر الرازي:" نبه على أن الوجه في كون الليل والنهار نعمتان يتعاقبان على الزمان، لأن المرء في الدنيا وفي حال التكليف مدفوع إلى أن يتعب لتحصيل ما يحتاج إليه، ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار، ولأجله يحصل الاجتماع فيمكن المعاملات ومعلوم أن ذلك لا يتم لولا الراحة والسكون بالليل فلا بد منهما والحالة هذه، فأما في الجنة فلا نصب ولا تعب فلا حاجة بهم إلى الليل فلذلك يدوم لهم الضياء واللذات، فبين تعالى أنه لا قادر على ذلك إلا الله تعالى"(١٠).

القرآن

{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤)} [القصص : ٧٤]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٢) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٦.

(٤) معاني القرآن: ١٥٢/٤.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٠٦٦):ص٣٠٠٣/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٧) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٦.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٠٦٧):ص٣٠٠٤/٩.

(١٠) مفاتيح الغيب: ١٢/٢٥.

ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي؟

قال الطبري: يقول:" ويوم ينادي ربك يا محمد هؤلاء المشركين فيقول لهم: {أين شركائي الذين كنتم تزعمون} أيها القوم في الدنيا أنهم شركائي"[١].

قال ابن كثير:" وهذا أيضا نداء ثان على سبيل التقريع والتوبيخ لِمَنْ عبد مع الله إلهًا آخر ، يناديهم الرب - تبارك وتعالى - على رؤوس الأشهاد فيقول : { أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } أي : في الدار الدنيا"[٢].

القرآن

{وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)} [القصص : ٧٥]

التفسير:

ونزعنا من كل أمة من الأمم المكذبة شهيدا -وهو نبيُّهم-، يشهد على ما جرى في الدنيا من شركهم وتكذيبهم لرسلهم، فقلنا لتلك الأمم التي كذبت رسلها وما جاءت به من عند الله: هاتوا حجتكم على ما أشركتم مع الله، فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم، وأن الحق لله، وذهب عنهم ما كانوا يفترون على ربهم، فلم ينفعهم ذلك، بل ضرَّهم وأوردهم نار جهنم.

قوله تعالى:{وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا} [القصص : ٧٥]، أي:" ونزعنا من كل أمة من الأمم المكذبة شهيدا -وهو نبيُّهم-، يشهد على ما جرى في الدنيا من شركهم وتكذيبهم لرسلهم"[٣].

قال الطبري: يقول:" وأحضرنا من كل جماعة شهيدها وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة"[٤].

قال أبو عبيدة: معناه: " وأحضرنا من كل أمة، لها موضعان أحدهما: من كل أمة نبيّ، والآخر: من كل قرن وجماعة"[٥].

قال الزجاج:" أي: نزعنا من كل أمة نبيا، أي: اخترنا منها نبيا، وكل نبي شاهد على أمته"[٦].

عن مجاهد؛ قوله: "{ونزعنا من كل أمة شهيدا}، قال: رسولا"[٧].

قال قتادة:" وشهيدها: نبيها، يشهد عليها أنه قد بلغ رسالة ربه"[٨].

قوله تعالى:{فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} [القصص : ٧٥]، أي:" فقلنا لتلك الأمم التي كذبت رسلها وما جاءت به من عند الله: هاتوا حجتكم على ما أشركتم مع الله"[٩].

قال ابن كثير:" أي : على صحة ما ادعيتموه من أن لله شركاء "[١٠].

---

(١) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٤) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٤.

(٥) مجاز القرآن: ٢/ ١١٠.

(٦) معاني القرآن: ١٥٣/٤.

(٧) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٤.

(٨) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٤.

(٩) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٦.

قال الزجاج:" أي: هاتوا فيما اعتقدتم برهانا، أي: بيانا أنكم كنتم على حق"(١).

قال الطبري: " يقول: فقلنا لأمة كل نبي منهم التي ردت نصيحته، وكذبت بما جاءها به من عند ربهم، إذ شهد نبيها عليها بإبلاغه إياها رسالة الله: {هاتوا برهانكم} يقول: فقال لهم: هاتوا حجتكم على إشراككم بالله ما كنتم تشركون مع إعذار الله إليكم بالرسل وإقامته عليكم بالحجج"(٢).

عن مجاهد، قوله: "{فقلنا هاتوا برهانكم}، قال: حجتكم لما كنتم تعبدون وتقولون"(٣).

عن قتادة: "{فقلنا هاتوا برهانكم}، أي: بينتكم"(٤).

قوله تعالى:{فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ} [القصص : ٧٥]، أي:" فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم، وأن الحق لله"(٥).

قال الزجاج:" أي: فعلموا أن الحق توحيد الله وما جاء به أنبياؤه"(٦).

قال الطبري:" يقول: فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم، وأن الحق لله، والصدق خبره، فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم"(٧).

قال ابن كثير:" أي : لا إله غيره ، أي : فلم ينطقوا ولم يحيروا جوابا "(٨).

قوله تعالى:{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [القصص : ٧٥]، أي:" وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يتخرصونه في الدنيا من الشركاء والأنداد"(٩).

قال الزجاج:" أي: لم ينتفعوا بكل ما عبدوه من دون الله، بل ضرهم أعظم الضرر"(١٠).

قال الطبري:" يقول: واضمحل فذهب الذي كانوا يشركون بالله في الدنيا، وما كانوا يتخرصون، ويكذبون علي بهم، فلم ينفعهم هنالك بل ضرهم وأصلاهم نار جهنم"(١١).

قال ابن كثير:" أي : ذهبوا فلم ينفعوهم"(١٢).

قال وهب بن منبه:" يقول: قال الله عز وجل: يا معشر الجن والإنس، اسمعوا مني اليوم وأنصتوا إلي، فوعزتي لا يجوز اليوم ظالم بظلم، ولا متقول علي، ولا مبتدع في عظمتي فهاتوا برهانكم أيها المتقولون علي المبتدعون في عظمتي والمستخفون بحق جلالي ما الذي غركم، عني؟ وأنا الذي لا شيء مثلي لو تجليت والأرض والجبال لزلزلن من هيبتي، ولو لحظت البحار ليبست مياهها وبدت قعورها من خشيتي، ولو أن جميع الخلائق سمعوا كلمة من كلامي لصعقوا من خوفي، فهاتوا برهانكم أيها الجهلة بأن لهذا الخلق بديعا غيري وبأن لي شريكا كما زعمتم في ملكي، أو ثانيا وليا معي وبأي شيء عبدتموها دوني ولأي شيء نفيتموها، عن

---

(١) معاني القرآن: ١٥٣/٤.

(٢) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٤.

(٣) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٤.

(٤) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٤.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٦) معاني القرآن: ١٥٣/٤.

(٧) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٦.

(٩) صفوة التفاسير: ٤٠٩/٢.

(١٠) معاني القرآن: ١٥٣/٤.

(١١) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٥.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٦.

عبادتي وملكي وربوبيتي، فالويل الطويل يومئذ لمن أباد كذبه صدقه في، والويل الطويل يومئذ لمن أزهق الضلالة حقي، والويل الطويل يومئذ لمن دحضت حجته قدامي"(١).

فوائد الآيات:[٧١-٧٥]:

١- إشارة علمية إلى أن السماع يكون مع السكون وقلة الضجيج، وأن الإبصار يكون مع الضوء، ولا يتم مع الظلام بحال من الأحوال.

٢- البرهنة القوية على وجوب توحيد الله إذ لا رب يدبر الكون سواه.

٣- كون النهار والليل ظرفان للسكون وطلب العيش هما من رحمة الله تعالى أمر يقتضي شكر الله تعالى بحمده والاعتراف بنعمته وطاعته بصرف النعمة فيما يرضيه ولا يسخطه.

٤- بيان أهوال القيامة، بذكر بعض المواقف الصعبة فيها.

٥- إذا كان يوم القيامة بطل كل كذب وقول ولم يبق إلا قول الحق والصدق.

القرآن

{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)} [القصص : ٧٦]

التفسير:

إن قارون كان من قوم موسى -عليه الصلاة والسلام- فتجاوز حدَّه في الكِبْر والتجبر عليهم، وآتينا قارون من كنوز الأموال شيئًا عظيمًا، حتى إنَّ مفاتحه لَيثقل حملها على العدد الكثير من الأقوياء، إذ قال له قومه: لا تبطر فرحًا بما أنت فيه من المال، إن الله لا يحب مِن خلقه البَطِرين الذين لا يشكرون لله تعالى ما أعطاهم.

قوله تعالى:{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى} [القصص : ٧٦]، أي:" إن قارون كان من قوم موسى -عليه الصلاة والسلام- "(٢).

قال مقاتل:" يعني: من بني إسرائيل وكان ابن عمه، قارون بن أصهر بن قوهث بن لاوى ابن يعقوب، وموسى بن عمران بن قوهث، {فبغى عليهم}، يقول: بغى قارون على بني إسرائيل من أجل كنزه ماله"(٣).

قال الطبري:" {إن قارون} وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب {كان من قوم موسى} يقول: كان من عشيرة موسى بن عمران النبي ﷺ، وهو ابن عمه لأبيه وأمه، وذلك أن قارون هو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى: هو موسى بن عمران بن قاهث"(٤).

قال الزجاج:" قارون اسم أعجمي لا ينصرف، ولو كان فاعولا من العربية، من قرنت الشيء - لا يصرف. فلذلك لم ينون. وجاء في التفسير أن قارون كان ابن عم موسى، وكان من العلماء بالتوراة"(٥).

عن إبراهيم، قوله: "{إن قارون كان من قوم موسى}، قال: كان ابن عم موسى"(٦).

قال مالك بن دينار: "بلغني أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون"(٧).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٧٢):ص٩/٣٠٠٤-٣٠٠٥.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٣٥٥.

(٤) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٥.

(٥) معاني القرآن: ٤/١٥٣-١٥٤.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٦.

(٧) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٦.

قال قتادة:" كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخي أبيه، وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق، كما نافق السامري، فأهلكه البغي"[1].

قوله تعالى:{فَبَغَى عَلَيْهِمْ} [القصص : ٧٦]، أي:" فتجبر وتكبر على قومه، واستعلى عليهم بسبب ما منحه الله من الكنوز والأموال"[2].

قال الطبري:" يقول: فتجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم"[3].

قال قتادة:" إنما بغى عليهم بكثرة ماله"[4].

وعن قتادة:"{فبغى عليهم}، قال: فعلا عليهم"[5].

وروي عن شهر بن حوشب: "{إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم}، قال: زاد عليهم في الثياب شبرا"[6].

وعن الضحاك،قوله: "{فبغى عليهم}، قال: الكفر بالله"[7].

وقال ابن عباس:" كان موسى يقول لبني إسرائيل إن الله عز وجل يأمركم بكذا وكذا حتى دخل عليكم في أموالكم وإن موسى يزعم أن ربه أمره فيمن زنى أن يرجمه فتعالوا نجعل لبغي من بني إسرائيل شيئا، فإذا قال موسى: إن ربه أمر فيمن زنى أن يرجم فنقول: إن موسى قد فعل ذلك بها، قال: فاجتمعوا وجاءوا بالبغي فحبسوها وقال موسى: إن الله يأمركم بكذا وكذا فيمن سرق أن تقطع يده، قالوا: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قالوا ما على الزاني إذا زنى؟ قال: الرجم، قالوا: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قالوا: فإنك قد زنيت قال: أنا؟ وجزع من ذلك قال: فأرسلوا إلى المرأة فلما أن جاءت عظم عليها موسى بالله وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت، فقالت: أما إذا حلفتني فإني أشهد أنك بريء وأنك رسول الله، وقالت: أرسلوا إلي فأعطوني حكمي على أن أرميك بنفسي، قال: فخر موسى لله ساجدا يبكي، فأوحى الله إليه ما يبكيك؟ قد أمرت الأرض أن تطيعك فأمرها بما شئت"[8].

قال الزجاج:" فبغى على موسى وقصد إلى الإفساد عليه وتكذيبه. وكان من طلبه للإفساد عليه أن بغيا كانت مشهورة في بني إسرائيل. فوجه إليها قارون - وكان أيسر أهل زمانه - يأمرها أن تصير إليه، وهو في ملأ من أصحابه لتتكذب على موسى وتقول: إنه طلبني للفساد والريبة، وضمن لها قارون إن فعلت ذلك أن يخلطها بنسائه، وأن يعطيها على ذلك عطاء كبيرا، فجاءت المرأة - وقارون جالس مع أصحابه - ورزقها الله التوبة فقالت في نفسها مالي مقام توبة مثل هذا، فأقبلت على أهل المجلس وقارون حاضر، فقالت لهم إن قارون هذا وجه إلي يأمرني ويسألني أن أتكذب على موسى، وأن أقول إنه أرادني للفساد وإن قارون كاذب في ذلك فلما سمع قارون كلامها تحير وأبلس واتصل الخبر بموسى - عليه السلام - فجعل الله أمر قارون إلى موسى وأمر الأرض أن تطيعه فيه، فورد موسى على قارون فاحس قارون بالبلاء، فقال يا موسى ارحمني، فقال: يا أرض خذيه فخسف به وبداره إلى ركبتيه، فقال: يا موسى ارحمني، فقال: يا أرض خذيه فخسف به إلى سرته، ثم قال: يا أرض خذيه فخسف به إلى عنقه واسترحم موسى فقال يا أرض خذيه فخسف به حتى ساخت الأرض به وبداره، قال الله عز وجل:

---

(١) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٦.

(٢) صفوة التفاسير: ٤٠٩/٢.

(٣) تفسير الطبري: ١٩/ ٦١٦.

(٤) اخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٨٠):ص٣٠٠٦/٩.

(٦) اخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٦.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٧٧):ص٣٠٠٦/٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٧٦):ص٣٠٠٥/٩-٣٠٠٦.

{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ} [القصص : ٨١]"(١).

قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ} [القصص : ٧٦]، أي:" وآتينا قارون من كنوز الأموال شيئًا عظيمًا، حتى إنَّ مفاتحه لَيثقل حملها على العدد الكثير من الأقوياء"(٢).

قال خيثمة: "كانت مفاتح قارون تحمل على ستين بغلا كل مفتاح منها باب كنز معلوم مثل الأصبع من جلود"(٣).

قال مجاهد:" كانت المفاتح من جلود الإبل"(٤).

قال مجاهد:" مفاتح من جلود كمفاتح العيدان"(٥).

وروي عن أبي صالح، قوله: "{ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة}، قال: كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا"(٦).

وعن الضحاك: "{ما إن مفاتحه}، قال: أوعيته، {لتنوء بالعصبة}، قال: لتثقل بالعصبة"(٧).

عن حصين بن عبد الرحمن قال:" سألت أبا رزين، عن قوله: {ما إن مفاتحه}، قال: خزائنه"(٨). وروي عن السدي مثله(٩).

عن أبي رزين، قوله: "{ما إن مفاتحه}، قال: إن كان مفتاح واحد لكافي أهل الكوفة، إنما يعني كنوزه"(١٠).

عن ابن عباس، قوله: "{لتنوء بالعصبة}، يقول: تثقل"(١١). وروي، عن أبي صالح-والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم مثل ذلك(١٢).

عن الربيع بن أنس، قوله: "{لتنوأ بالعصبة}، قال: لتمر بالعصبة"(١٣).

عن أبي صالح، قوله: "{لتنوء بالعصبة}، قال: أربعون رجلا"(١٤).

وقال ابن عباس:" أربعون رجلا"(١٥).

قال قتادة:" ذكر لنا أن العصبة ما بين العشرة إلى الأربعين"(١).

---

(١) معاني القرآن: ١٥٤/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٣) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٧.

(٤) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٧.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٧.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٧.

(٧) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٧، ٦١٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٨٦):ص٣٠٠٧/٩.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/ ٣٠٠٧. بدون سند.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٨٨):ص٣٠٠٧/٩.

(١١) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٨.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/ ٣٠٠٨. بدون سند.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٩٠):ص٣٠٠٨/٩.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٨.

(١٥) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٨.

قال الضحاك:" يزعمون أن العصبة أربعون رجلا ينقلون مفاتحه من كثرة عددها"[٢].

قال مقاتل:" العصبة: من عشرة نفر إلى أربعين، فإذا كانوا أربعين فهم «أولو قوة»، يقول: لتعجز العصبة أولى القوة عن حمل الخزائن"[٣].

وعن خيثمة:" ستون، وقال: كانت مفاتحه تحمل على ستين بغلا"[٤].

وقال مجاهد:" العصبة: ما بين العشرة إلى الخمسة عشر"[٥]. وفي رواية:" العصبة: خمسة عشر رجلا"[٦].

وقال ابن عباس:" ما بين الثلاثة إلى العشرة"[٧].

وعن ابن عباس-في رواية-: "{لتنوء بالعصبة}، قال: العصبة: ثلاثة"[٨].

عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: "قلت: كم العصبة؟ قال: ست أو سبع"[٩].

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ} [القصص : ٧٦]، أي:" إذ قال له قومه: لا تبطر فرحًا بما أنت فيه من المال"[١٠].

قال قتادة:" أي: لا تمرح"[١١].

وفي رواية عن قتادة:" أي: لا تمدح"[١٢].

قال مقاتل:" يقول: لا تمرح ولا تبطر ولا تفخر بما أوتيت من الأموال"[١٣].

قال الطبري:" يقول: إذ قال قومه: لا تبغ ولا تبطر فرحا"[١٤].

عن السدي: "{إذ قال له قومه لا تفرح}، قال: هؤلاء المؤمنون منهم قالوا: يا قارون بما أوتيت فتبطر "[١٥].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص : ٧٦]، أي:" إن الله لا يحب مِن خلقه البَطِرين الذين لا يشكرون لله تعالى ما أعطاهم"[١٦].

قال قتادة:" أي: إن الله لا يحب المرحين"[١٧].

قال السدي:" إن الله لا يحب الفرح بطرا"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٨.

(٢) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٣٥٥.

(٤) اخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٨.

(٥) اخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٩.

(٦) اخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٩.

(٧) اخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٩.

(٨) اخرجه الطبري: ١٩/ ٦١٨.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٩٧):ص٩/٣٠٠٩.

(١٠) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(١١) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٣.

(١٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٠١):ص٩/٣٠٠٩.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٣٥٥.

(١٤) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٢.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٠٠):ص٩/٣٠٠٩.

(١٦) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٣.

قال مقاتل:" يعنى: المرحين البطرين"[2].
قال الطبري: يقول: "إن الله لا يحب من خلقه الأشرين البطرين"[3].
عن ابن عباس، قوله: "{إن الله لا يحب الفرحين}، يقول: المرحين"[4].
وقال مجاهد:" المتبذخين الأشرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم"[5].
وقال مجاهد:" هو فرح البغي"[6].
قال سهل بن عبدالله:" من فرح بغير مفروح استجلب حزنا لا انقطاع له، وليس للمؤمن راحة دون لقاء الحق جل وعز"[7].
وحكي عن الأعمش، قال: "كنا نشهد جنازة فلا ندري من نعزي من حزن القوم"[8].

القرآن

{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)} [القصص : ٧٧]

التفسير:

والتمس فيما آتاك الله من الأموال ثواب الدار الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا، ولا تترك حظك من الدنيا، بأن تتمتع فيها بالحلال دون إسراف، وأحسن إلى الناس بالصدقة، كما أحسن الله إليك بهذه الأموال الكثيرة، ولا تلتمس ما حرَّم الله عليك من البغي على قومك، إن الله لا يحب المفسدين، وسيجازيهم على سوء صنيعهم.

قوله تعالى:{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ} [القصص : ٧٧]، أي:" والتمس فيما آتاك الله من الأموال ثواب الدار الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا"[9].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قوم قارون له: لا تبغ يا قارون على قومك بكثرة مالك، والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا"[10].

قال السدي:" تصدق، وقرب إلى الله تبارك وتعالى، وصل الرحم"[11].

قوله تعالى:{وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص : ٧٧]، أي:" ولا تترك حظك من الدنيا، بأن تتمتع فيها بالحلال دون إسراف"[12].

قال الطبري:" يقول: ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة، فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله"[1].

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٠٥):ص٩/٣٠١٠.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٣٥٥.

(٣) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٣.

(٧) تفسير التستري: ١١٩.

(٨)الحلية: ٥/ ٥٠ وكتاب الزهد لابن أبي عاصم: ٣٦٥، وتفسير التستري: ١١٩.

(٩) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(١٠) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٤.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٠٦):ص٩/٣٠١٠.

(١٢) التفسير الميسر: ٣٩٤.

قال ابن عباس:" يقول: لا تترك أن تعمل لله في الدنيا"[٢].
وقال ابن عباس:" أن تعمل فيها لآخرتك"[٣].
قال ابن جريج:" أن تعمل فيها بطاعتي"[٤].
عن مجاهد :"{ولا تنس نصيبك من الدنيا}، قال:" العمل بطاعة الله: نصيبه من الدنيا، الذي يثاب عليه في الآخرة"[٥].
وقال مجاهد:" تعمل في دنياك لآخرتك"[٦].
قال ابن زيد:" لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك، فإنما تجد في آخرتك ما قدمت في الدنيا، فيما رزقك الله"[٧].
وروي عن الحسن، في قوله: {ولا تنس نصيبك من الدنيا}، قال: "ما أحل الله لك منها، فإن لك فيه غنى وكفاية"[٨].
وعن الحسن: "{ولا تنس نصيبك من الدنيا}: قال: قدم الفضل، وأمسك ما يبلغك"[٩].
وعن قتادة: "{ولا تنس نصيبك من الدنيا}، قال: طلب الحلال"[١٠].
وقال قتادة:" استغن بما أحل الله لك"[١١].
وعن ابن جريج، قال: "الحلال فيها"[١٢].
عن أشهب، قال: "سئل مالك، ما هو؟ قال: أن يعيش ويأكل ويشرب غير مضيق عليه في رأي"[١٣].
عن عون بن عبد الله :"{ولا تنس نصيبك من الدنيا} قال: إن قوما يضعونها على غير موضعها. {ولا تنس نصيبك من الدنيا}: تعمل فيها بطاعة الله"[١٤].
قوله تعالى:{وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [القصص : ٧٧]، أي:" وأحسن إلى الناس بالصدقة، كما أحسن الله إليك بهذه الأموال الكثيرة"[١٥].
قال الطبري:" يقول: وأحسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاكه الله، في وجوهه وسبله، كما أحسن الله إليك، فوسع عليك منه، وبسط لك فيها"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٤.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٠٩):ص٩/٣٠١٠.
(٥) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٥.
(٦) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٥.
(٨) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٥.
(٩) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٥.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٥.
(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١١٣):ص٩/٣٠١١.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٥.
(١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١١٥):ص٩/٣٠١١.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٤.
(١٥) التفسير الميسر: ٣٩٤.
(١٦) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٥.

قال ابن زيد:" أحسن فيما رزقك الله"[1].

قال الحسن:" أمره أن يأخذ من ماله قدر عيشته، وأن يقدم ما سوى ذلك لآخرته"[2].

وقال الحسن:" احبس قوت سنة، وتصدق بما بقي"[3].

قوله تعالى:{وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ} [القصص : ٧٧]، أي:" ولا تلتمس ما حرَّم الله عليك من البغي على قومك"[4].

قال الطبري:" يقول: ولا تلتمس ما حرم الله عليك من البغي على قومك"[5].

قال سعيد بن المسيب: "قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض"[6].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص : ٧٧]، أي:" إن الله لا يحب المفسدين، وسيجازيهم على سوء صنيعهم"[7].

قال الطبري:" يقول: إن الله لا يحب بغاة البغي والمعاصي"[8].

قال ابن عباس:" أي: لا يحب عمله ولا يرضاه"[9].

القرآن

{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)} [القصص : ٧٨]

التفسير:

قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أُعطيتُ هذه الكنوز بما عندي من العلم والقدرة، أو لم يعلم قارون أن الله قد أهلك مِن قبله من الأمم مَن هو أشد منه بطشًا، وأكثر جمعًا للأموال؟ ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون؛ لعلم الله تعالى بها، إنما يُسْألون سؤال توبيخ وتقرير، ويعاقبهم الله على ما علمه منهم.

قوله تعالى:{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} [القصص : ٧٨]، أي:" قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أُعطيتُ هذه الكنوز بما عندي من العلم والقدرة"[10].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي، علمه الله مني، فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم، لعلمه بفضلي عليكم"[11].

قال ابن كثير:" أي : أنا لا أفتقر إلى ما تقولون ، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه ، ولمحبته لي فتقديره : إنما أعطيته لعلم الله فيّ أني أهل له ، وهذا كقوله تعالى : { فَإِذَا (١) مَسَّ الإنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ } [

---

(١) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٥.

(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١١٦):ص٩/٣٠١١.

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١١٧):ص٩/٣٠١١.

(٤) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٥) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٥.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٢٠):ص٩/٣٠١٢.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٨) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٥.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٢٢):ص٩/٣٠١٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(١١) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٦.

الزمر : ٤٩] أي : على علم من الله بي ، وكقوله تعالى : { وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي } [فصلت : ٥٠] أي : هذا أستحقه.

وقد رُوي عن بعضهم أنه أراد : { إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي } أي : إنه كان يعاني علم الكيمياء : وهذا القول ضعيف ؛ لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل ؛ لأن قلب الأعيان لا يقدر أحد عليها إلا الله عز وجل ، قال الله : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ } [الحج : ٧٣] ، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «يقول الله تعالى : ومَنْ أظلم مِمَّنْ ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة»[١]. وهذا ورد في المصورين الذين يشبهون بخلق الله في مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل ، فكيف بِمَنْ يدعي أنه يحيل ماهية هذه الذات إلى ماهية ذات أخرى ، هذا زور ومحال ، وجهل وضلال. وإنما يقدرون على الصبغ في الصورة الظاهرة ، وهو كذب وزغل وتمويه ، وترويج أنه صحيح في نفس الأمر ، وليس كذلك قطعًا لا محالة ، ولم يثبت بطريق شرعي أنه صح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التي يتعاناها هؤلاء الجهلة الفسقة الأفاكون فأما ما يجريه الله تعالى من خَرْق العوائد على يدي بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان ذهبًا أو فضة أو نحو ذلك ، فهذا أمر لا ينكره مسلم ، ولا يرده مؤمن ، ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات وإنما هذا عن مشيئة رب الأرض والسموات ، واختياره وفعله ، كما روي عن حَيْوة بن شُرَيح المصري ، رحمه الله ، أنه سأله سائل ، فلم يكن عنده ما يعطيه ، ورأى ضرورته ، فأخذ حصاة من الأرض فأجالها في كفه ، ثم ألقاها إلى ذلك السائل فإذا هي ذهب أحمر. والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدًّا يطول ذكرها.

وقال بعضهم : إن قارون كان يعلم الاسم الأعظم ، فدعا الله به ، فتموّل بسببه. والصحيح المعنى الأول"[٢].

عن قتادة: "{قال إنما أوتيته على علم عندي}، قال: على خبر عندي"[٣].

قال السدي:" علم الله أني أهل لذلك"[٤].

قال ابن زيد:" لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا"[٥].

قال ابن كثير:" قد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.. وهكذا يقول مَنْ قل علمه إذا رأى مَنْ وسع الله عليه يقول : لولا أنه يستحق ذلك لما أعطي"[٦].

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا} [القصص : ٧٨]، أي:" أو لم يعلم قارون أن الله قد أهلك مِن قبله من الأمم مَن هو أشد منه بطشًا، وأكثر جمعًا للأموال؟"[٧].

قال ابن كثير:" أي : قد كان من هو أكثر منه مالا وما كان ذلك عن محبة منا له ، وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم "[٨].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: أو لم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه، فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتي من الكنوز، أن الله قد أهلك من قبله من

---

(١)صحيح البخاري برقم (٥٩٥٣) وصحيح مسلم برقم (٢١١١).

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٢٥٤-٢٥٥.

(٣) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٢٥):ص٩/٣٠١٢.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٦.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٢٥٥.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/٢٥٥.

الأمم من هو أشد منه بطشا، وأكثر جمعا للأموال ؛ ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده، ولرضاه عنه، لم يكن يهلك من اهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالا لأن من كان الله عنه راضيا، فمحال أن يهلكه الله، وهو عنه راض، وإنما يهلك من كان عليه ساخطا"(١).

قوله تعالى:{وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} [القصص : ٧٨]، أي:" ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون؛ لعلم الله تعالى بها، إنما يُسْألون سؤال توبيخ وتقرير، ويعاقبهم الله على ما علمه منهم"(٢).

قال ابن كثير:" أي : لكثرة ذنوبهم"(٣).

قال قتادة:" المشركون لا يسألون عن ذنوبهم، يعذبون ولا يحاسبون"(٤).

قال قتادة:" يدخلون النار بغير حساب"(٥).

عن الربيع بن أنس، قوله: "{ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون}، قال: لا يسألون عن إحصائها، يقول: هاتوا فيبنوها لنا، ولكن أعطوها في كتب فلم يشكوا الظلم يومئذ، ولكن شكوا الإحصاء"(٦).

وعن مجاهد:"{ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون}، كقوله: {يعرف المجرمون بسيماهم} زرقا سود الوجوه، والملائكة لا تسأل عنهم قد عرفتهم"(٧).

وعن محمد بن كعب: "{ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون}، قال: عن ذنوب الذين مضوا فيم أهلكوا؟"(٨).

وفي رواية:" {ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون}: الذين كانوا قبلهم عما أهلكوا وعن منزلهم فيعتبروا، ولكنهم يكونون على ما كانوا عليه من العبرة"(٩).

فوائد الآيات:[٧٦-٧٨]:

١- المال والمنصب العالي عرضة لإفساد المرء إلا من رحم الله عز وجل وقليل ما هم.

٢- حرمة الفرح بالمال والإمارة إذا كان الفرح فرح بطر وفخر واعتزاز وكبر وخيلاء.

٣- من فضل الله على الأمة أن يوجد فيها عالمون ينصحون ويرشدون ويوجهون.

٤- من الحزم للمرء أن يطلب من المال والجاه والمنصب أعلى الدرجات في الجنة.

٥- حلّية الأكل من الطيب والشرب من الطيب واللبس والركوب والسكن من غير إسراف ولا خيلاء ولا كبر.

القرآن

{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)} [القصص : ٧٩]

---

(١) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٦.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٢٥٥.

(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٦):ص٩/٣٠١٣.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٧.

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٧):ص٩/٣٠١٣.

(٧) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٧.

(٨) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٢٧.

(٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٢٨):ص٩/٣٠١٣.

التفسير:
فخرج قارون على قومه في زينته، مريدًا بذلك إظهار عظمته وكثرة أمواله، وحين رآه الذين يريدون زينة الحياة الدنيا قالوا: يا ليت لنا مثل ما أُعطي قارون من المال والزينة والجاه، إن قارون لذو نصيب عظيم من الدنيا.

قوله تعالى:{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ} [القصص : ٧٩]، أي:" فخرج قارون على قومه في زينته، مريدًا بذلك إظهار عظمته وكثرة أمواله"(١).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن قارون : إنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة ، وتجمل باهر ، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه"(٢).

عن مجاهد، {فخرج على قومه في زينته}، قال:" على براذين بيض، عليها سروج الأرجوان، عليهم المعصفرات"(٣).

عن عطاء:"{فخرج على قومه في زينته}، قال: في ثوبين أحمرين"(٤).

قال جابر:" في القرمز"(٥).

قال الزبيدي:" كان عليه ثياب حمر وخفان أبيضان"(٦).

وقال الحسن:" في صفر وحمر"(٧).

قال قتادة:" على ألف بغلة شهب عليها مياثر الأرجوان"(٨).

قال قتادة:" ذكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة، عليهم وعلى دوابهم الأرجوان"(٩).

قال ابن جريج:" خرج على بغلة شهباء، عليها الأرجوان ومعه ثلاثمائة جارية على بغال شهب عليهن ثياب الحمر"(١٠).

قال قتادة:" ذكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة عليهم وعلى دوابهم الأرجوان"(١١).

قال السدي:" وكانت زينته أنه خرج في جوار بيض على سروج من ذهب على قطف أرجوان وهن على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحلي ذهب"(١٢).

قال عطاء الخراساني:" خرج عليهم في أربعة آلاف على البغال الشهب في الرحائل البزيون"(١٣).

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٦.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٢٨/١٩، وابن أبي حاتم(١٧١٣١):ص٣٠١٣/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٢):ص٣٠١٣/٩.
(٥) أخرجه الطبري: ١٩/ ٥٢٧-٥٢٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٤٢):ص٣٠١٥/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٣):ص٣٠١٣/٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٥):ص٣٠١٤/٩.
(٩) أخرجه الطبري: ١٩/ ٥٢٨.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٤١):ص٣٠١٤/٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٧):ص٣٠١٤/٩.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٤):ص٣٠١٤/٩.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٦):ص٣٠١٤/٩.

قال ابن زيد:" خرج في سبعين ألفا عليهم المعصفرات، وكان ذلك أول يوم في الأرض رؤيت المعصفرات فيما كان أبي يذكر ذلك لنا"(١).

قال عبدة بن أبي لبابة: "أول من صبغ بالسواد قارون"(٢).

عن الضحاك: "{فخرج على قومه في زينته}، قال: شارته"(٣).

وقال قتادة:" في حشمه"(٤).

قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ} [القصص : ٧٩]، أي:" وحين رآه الذين يريدون زينة الحياة الدنيا قالوا: يا ليت لنا مثل ما أُعطي قارون من المال والزينة والجاه"(٥).

قال ابن كثير:" فلما رآه مَنْ يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زُخرفها وزينتها ، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي ، قالوا : { يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ}"(٦).

عن السدي: "{فخرج على قومه في زينته}، فلما رآه قومه في زينته قالوا: {يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون}"(٧).

عن قتادة قوله: "{الذين يريدون الحياة الدنيا}: أناس من أهل التوحيد قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون"(٨).

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [القصص : ٧٩]، أي:" إن قارون لذو نصيب عظيم من الدنيا"(٩).

قال الطبري:" يقول: إن قارون لذو نصيب من الدنيا"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : ذو حظ وافر من الدنيا"(١١).

عن الضحاك:"{لذو حظ عظيم}، يعني: درجة عظيمة"(١٢).

وقال السدي:" ذو جد"(١٣).

قال الزمخشري:" الحظ: الجد، وهو البخت والدولة، وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت، يقال: فلان ذو حظ، وحظيظ، ومحظوظ، وما الدنيا إلا أحاظ وجدود"(١٤).

القرآن

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٨):ص٣٠١٤/٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٤٣):ص٣٠١٥/٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٩):ص٣٠١٤/٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٤٠):ص٣٠١٤/٩.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٦.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٤٥):ص٣٠١٥/٩.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٤٤):ص٣٠١٥/٩.

(٩) التفسير الميسر: ٣٩٥.

(١٠) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٩.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٦.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٤٦):ص٣٠١٥/٩.

(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٤٧):ص٣٠١٥/٩.

(١٤) الكشاف: ٤٣٢/٣.

{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)} [القصص : ٨٠]

التفسير:

وقال الذين أوتوا العلم بالله وشرعه وعرفوا حقائق الأمور للذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون: ويلكم اتقوا الله وأطيعوه، ثوابُ الله لمن آمن به وبرسله، وعمل الأعمال الصالحة، خيرٌ مما أوتي قارون، ولا يَتَقَبَّل هذه النصيحة ويوفَّق إليها ويعمل بها إلا مَن يجاهد نفسه، ويصبر على طاعة ربه، ويجتنب معاصيه.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [القصص : ٨٠]، أي:" وقال الذين أوتوا العلم بالله وشرعه وعرفوا حقائق الأمور للذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون"[١].

قال الطبري:" وقال الذين أوتوا العلم بالله، حين رأوا قارون خارجا عليهم في زينته، للذين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون:"[٢].

قال ابن كثير:" فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا:"[٣].

عن السدي:"يعني قوله: {وقال الذين أوتوا العلم قال}: الذين يريدون الآخرة، {ويلكم ثواب الله خير لمن آمن}"[٤].

قوله تعالى:{وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [القصص : ٨٠]، أي:" ويلكم اتقوا الله وأطيعوه، ثوابُ الله لمن آمن به وبرسله، وعمل الأعمال الصالحة، خيرٌ مما أوتي قارون"[٥].

قال الطبري:" ويلكم اتقوا الله وأطيعوه، فثواب الله وجزاؤه لمن آمن به وبرسله، وعمل بما جاءت به رسله من صالحات الأعمال في الآخرة، خير مما أوتي قارون من زينته وماله لقارون"[٦].

قال ابن كثير:" أي : جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون. كما في الحديث الصحيح : «يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، واقرؤوا إن شئتم : { فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[٧]»[٨]"[٩].

قال الزمخشري:" «ويلك»: أصله الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى، كما استعمل: لا أبا لك. وأصله الدعاء على الرجل بالإقراف في الحث على الفعل"[١٠].

عن ابن عباس قوله: "{لمن آمن}، يعني: وحد الله"[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٢٥٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٤٨):ص٩/٣٠١٥.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٥.

(٦) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٩.

(٧)[السجدة : ١٧].

(٨)صحيح مسلم برقم (٢٨٢٤).

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/٢٥٥.

(١٠) الكشاف: ٣/٤٣٢.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٤٩):ص٩/٣٠١٦.

قوله تعالى:{وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} [القصص : ٨٠]، أي:" ولا يَتَقَبَّل هذه النصيحة ويوفَّق إليها ويعمل بها إلا مَن يجاهد نفسه، ويصبر على طاعة ربه، ويجتنب معاصيه"[١].

قال الطبري:" يقول: ولا يوفق لقيل هذه الكلمة- وهي قوله: {ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا}- [إلا] الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا، وآثروا ما عند الله من جزيل ثوابه على صالحات الأعمال على لذات الدنيا وشهواتها، فجدوا في طاعة الله، ورفضوا الحياة الدنيا"[٢].

وروي عن السدي:"{ولا يلقاها إلا الصابرون}، يعني: الجنة"[٣].

قال ابن كثير:" قال السدي : وما يلقى الجنة إلا الصابرون ، كأنه جعل ذلك من تمام كلام {الذين أوتوا العلم} "[٤].

قال الزمخشري:"الراجع في «ولا يلقاها» للكلمة التي تكلم بها العلماء، أو للثواب، لأنه في معنى المثوبة أو الجنة، أو للسيرة والطريقة، وهي الإيمان والعمل الصالح الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير"[٥].

القرآن

{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١)} [القصص : ٨١]

التفسير:

فخسفنا بقارون وبداره الأرض، فما كان له من جند ينصرونه من دون الله، وما كان ممتنعًا من الله إذا أحلَّ به نقمته.

قوله تعالى:{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} [القصص : ٨١]، أي:" فخسفنا بقارون وبداره الأرض"[٦].

قال الطبري:يقول:" فخسفنا بقارون وأهل داره. وقيل: وبداره، لأنه ذكر أن موسى إذ أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه، وأخذ من كان معه من جلسائه في داره، وكانوا جماعة جلوسا معه، وهم على مثل الذي هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى"[٧].

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى اختيال قارون في زينته ، وفخره على قومه وبغيه عليهم ، عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض، كما ثبت في الصحيح - عند البخاري من حديث الزهري ، عن سالم - أن أباه حدثه : أن رسول الله ﷺ قال : «بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»[٨]"[٩].

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله -ﷺ- : "بينا رجل فيمَنْ كان قبلكم ، خرج في بُرْدَيْن أخضرين يختال فيهما ، أمر الله الأرض فأخذته ، فإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة"[١٠].

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٥٠):ص٣٠١٦/٩.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٦.

(٥) الكشاف: ٤٣٢/٣-٤٣٣.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٥.

(٧) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٢٩.

(٨)صحيح البخاري برقم (٥٧٩٠).

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٦.

(١٠)المسند (٤٠/٣). قال ابن كثير:٢٥٦/٦:" تفرد به أحمد، وإسناده حسن".

قال ابن عباس:" قيل للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى أعقابهم، قال: قيل لها: خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، فقيل لها: خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فقيل لها: خذيهم، فخسف بهم"(١).

وعن ابن عباس:" إن قارون كان من قوم موسى وكان ابن عمه وكان تتبع العلم حتى جمع علما فلم يزل في أمره ذلك حتى بغى على موسى وحسده، فقال له موسى: إن الله أمرني أن آخذ الزكاة من كل أربعين درهما درهما فأبى، فقال: من كل مائة درهم درهم فأبى، فقال: لا يطيق هذا حتى الألف، فقال: في كل ألف دينار أو درهم، قال: إن موسى يريد أن يأكل أموالكم، فكيف نصنع؟ قالوا: أمرنا بأمرك تبع، فأرسلوا إلى امرأة من بغايا بني إسرائيل فقالوا لها: نعطيك حكمك على أن تشهدي على موسى أنه فجر بك قالت: نعم، قال: فجاء قارون إلى موسى قال: اجمع بني إسرائيل فأخبرهم بما أمرك ربك، قال: نعم، فجمعهم فقالوا: ما أمرك؟ قال: أمرني أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تصلوا الرحم، وكذا وكذا، وأمرني في الزاني إذا زنى وقد أحصن أن يرجم فقالوا: وإن كنت أنت؟ قال: نعم. وفي السارق إذا سرق أن يقطع، فقالوا: وإن كنت أنت؟ قال: نعم قالوا فإنك قد زنيت، قال: إذا فأرسلوا إلى المرأة، فجاءت فقالوا ما تشهدين على موسى؟ فقال لها موسى: أنشدك بالله إلا ما صدقت فقالت: أما إذا أنشدتني بالله فإنهم دعوني وجعلوا لي جعلا على أن أقذفك بنفسي وأنا أشهد أنك برئ وأنك رسول الله، قال: فخر موسى ساجدا يبكي فأوحى الله إليه ما يبكيك؟ قد سلطناك على الأرض فمرها فتطيعك، قال: فرفع رأسه فقال: خذيهم فأخذتهم وأشار إلى وركيه، فقالوا: يا موسى، فقال: خذيهم وأشار إلى صدره، فقالوا: يا موسى. فقال:
خذيهم قال: فغرقوا فيها فقال الله: فخسفنا به وبداره الأرض إلى آخر الآية، فأصاب بني إسرائيل بلاء وجوع شديد فأتوا موسى فقالوا: ادع لنا، فدعى الله، فقال الله: أتدعوني لقوم قد أظلم ما بيني وبينهم من الذنوب، فقال: أما إنهم قد دعوك حين هلكوا ولو إياي دعوا لأجبتهم"(٢).

قال سعيد بن جبير:" أوحى الله إلى موسى ما يبكيك؟ قد أمرت الأرض أن تطيعك فأمرها بما شئت، قال: فقال: خذيهم فأخذتهم، إلى ما شاء الله فنادوا: يا موسى.. يا موسى.. قال: خذيهم، فأخذتهم فخسف بهم الأرض، قال: فأصاب بني إسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد فأتوا موسى ﷺ، فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك، فدعا لهم فأوحى الله إليه يا موسى، أتكلمني في قوم قد أظلم ما بيني وبينهم من خطاياهم، وقد دعوك فلم تجبهم، أما لو إياي دعوا لأجبتهم"(٣).

عن يزيد الرقاشي:" أن موسى لما دعا على قارون فابتلعته الأرض إلى عنقه أخذ نعليه فخفق بهما وجهه، وقارون يقول: يا موسى، ارحمني، فقال الله: يا موسى، ما أشد قلبك دعاك عبدي واسترحمك فلم ترحمه، وعزتي لو دعاني لأجبته"(٤).

عن عبد الله بن عوف القاري -عامل عمر بن عبد العزيز على ديوان فلسطين-:" أنه بلغه أن الله تبارك وتعالى أمر الأرض أن تطيع موسى في قارون، فلما لقيه قال للأرض: اطبقي فأخذته إلى الركبتين، ثم قال: اطبقي فأخذته إلى الحقوين وهو يستغيث يا موسى، ثم قال: اطبقي فوارته في جوفها، فأوحى الله إليه يا موسى ما أشد قلبك أو ما أغلظ قلبك أما وعزتي وجلالي لو بي استغاث لأغثته قال: رب غضبا لك فعلت"(٥).

عطاء كان خلقا من موسى أن يخرج بني إسرائيل في يوم يعظهم فيه فإذا علم بذلك قارون، خرج في أربعة آلاف عليهم ثياب الأرجوان على أربعة آلاف بغلة شهباء حتى يمر بجنبتي موسى فيلفت الناس وجوههم إليه فأرسل إليه موسى عليه السلام: ما يحملك على ما

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٥١):ص٩/٣٠١٦.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٥٦):ص٩/٣٠١٨.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٥٢):ص٩/٣٠١٦.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٥٣):ص٩/٣٠١٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٣):ص٩/٣٠٢٠.

تصنع فأرسل إليه والله إن النسب لواحد ولئن كنت فضلت علي بالنبوة لقد فضلت عليك بالدنيا، ولئن شئت لنخرجن فتدعو على وأدعوا عليك، فخرج موسى وخرج قارون، في قومه. فقال له موسى: أتدعو أم أدعو فقال قارون: بل أدعو فدعا فلم يجب، وكان لذلك أهلا قال: فقال موسى: أدعو قال: نعم، قال: اللهم مر الأرض فلتطعني، فأمرت بطاعته قال: فقال موسى عليه السلام، خذيهم فأخذتهم بأقدامهم فقال: يا موسى. يا موسى. قال: خذ بهم فأخذتهم إلى ركبهم، ثم إلى حجرهم، ثم إلى مناكبهم، ثم قال: أقبلي بكنوزهم وأموالهم قال: فأقبلت بها حتى نظروا إليها، ثم أشار موسى بيده، قال: اذهبوا بني لاوي، فاستوت بهم الأرض"(١).

قال السدي:" فبغى على موسى فانطلق إلى زانية يقال لها: شيرتا فقال لها: هل لك أن أعطيك ألفي درهم على أن تجيئي إلى الملأ من بني إسرائيل إذا قعد موسى فتقولين: إن موسى يراودني، عن نفسي قالت: نعم، فأعطاها الألفي وختمها بخاتمه، فلما أخذتها قالت: بئست المرأة أنا إن كنت أزني وأكذب على نبي الله وأفتري عليه، فلما أصبحوا غدا قارون فجلس مجلسه واجتمعت إليه بنو إسرائيل وحضرت شيرتا فقال قارون: يا موسى، ما أنزل الله في الزاني: قال: الرجم، قال: انظر ما تقول قال: الرجم قال: تنظر ما تقول؟ قال: الرجم. قال: عومي يا شيرتا فأخبري بني إسرائيل بما أراد منك موسى، فقالت: إن قارون أعطاني ألفي درهم أن آتي الملأ من بني إسرائيل إذا جلس موسى فأقول: إن موسى راودني، عن نفسي، ومعاذ الله من ذلك وهذا ماله بخاتمه فغضب موسى فقام فصلى ركعتين، ودعا ربه أن يخسف ويسلط عليه الأرض فأمر الله الأرض أن تطيعه قال للأرض خذيه فغيبت رجليه وقام هارون فأخذ برأسه فقال يا موسى: أنشدك الرحم، فجعل قارون يقول: يا موسى أنشدك الرحم وموسى يقول للأرض: خذيه حتى غيبته فذهبت به وخسف بداره الأرض، فأوحى الله إلى موسى: استغاث بك وأنشدك الرحم وأبيت أن تغيثه، لو إياي دعا أو استغاث لأغثته"(٢).

عن علي بن زيد قال: "سمعت عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي، وهو مستند إلى المقصورة فذكر قارون وما أوتي الكنوز فقال: إنما أوتيته على علم، عندي قال: بلغنا أنه أوتي الكنوز والمال حتى جعل باب داره من ذهب وجعل داره كلها من صفائح الذهب وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون يطعمهم الطعام ويتحدثون، عنده، وكان مؤذيا لموسى فلم تدعه القسوة والبلاء حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مذكورة بالجمال كانت تذكر برنية، فقال لها: هل لك أن أمولك وأن أعطيك وأن أخلطك بنسائي؟ على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل، عندي، فتقولين: يا قارون: ألا تنهى موسى، عني، فقالت: بلى، قال: فلما جاء أصحابه واجتمعوا، عنده دعا بها، فقامت على رؤوسهم فقلب الله قلبها ورزقها التوبة، فقالت: ما أجد اليوم توبة أفضل من أن أكذب عدو الله وأبرئ رسول الله ﷺ، فقالت إن قارون بعث إلي فقال: هل لك أن أمولك وأعطيك وأخلطك بنسائي؟ على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل، عندي، وتقولين: يا قارون، ألا تنهى موسى، عني؟ فإني لم أجد اليوم توبة أفضل من أكذب عدو الله وأبرئ رسول الله.

فنكس قارون رأسه وعرف أنه قد هلك، وفشى الحديث في الناس حتى بلغ موسى ﷺ، وكان موسى شديد الغضب، فلما بلغه ذلك توضأ ثم صلى وسجد يبكي، وقال: يا رب، عدوك قارون كان لي مؤذيا فذكر أشياء ثم لم يتناهى حتى أراد فضيحتي، يا رب سلطني عليه، فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت تطيعك، قال: فجاء موسى إلى قارون، فلما رآه قارون عرف الغضب في وجهه فقال: يا موسى.. ارحمني. فقال موسى: يا أرض، خذيهم فاضطرت داره وخسف به وبأصحابه إلى ركبهم وساخت داره على قدر ذلك، قال: وجعل يقول: يا موسى ارحمني، ويقول موسى: يا أرض خذيهم. فاضطربت داره وخسف به وبأصحابه الأرض إلى سررهم وساخت داره على قدر ذلك وجعل يقول: يا موسى ارحمني فقال موسى: يا أرض خذيهم قال:

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٥٤):ص٩/٣٠١٧-٣٠١٨.

(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٥٤):ص٩/٣٠١٧.

فاضطربت داره وخسف به وبأصحابه إلى حلوقهم وساخت داره على قدر ذلك وقال: يا موسى ارحمني فقال: يا أرض خذيهم فقال: فخسف به وبأصحابه وبداره فلما خسف به قيل له: يا موسى ما أفظك أما وعزتي لو إياي دعا لرحمته"[١].

وقال أبو عمران الجوني: "فقيل لموسى: لا أعيد الأرض بعدك لأحد أبدا"[٢].

قال قتادة: "إن الله أمر الأرض أن تطيعه ساعة"[٣].

عن ابن عباس قوله: "{فخسفنا به وبداره الأرض}، قال: أرض السفلى السابعة"[٤].

قال قتادة:" ذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامة، وأنه يتجلجل فيها ولا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة"[٥].

قال سمرة بن جندب: "يخسف بقارون وقومه في كل يوم قدر قامة، فلا يبلغ الأرض السفلى إلى يوم القيامة"[٦].

قوله تعالى:{فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [القصص : ٨١]، أي:" فما كان له من جند ينصرونه من دون الله"[٧].

قال قتادة:" أي: جند ينصرونه من دون الله"[٨].

قال ابن كثير:" أي : ما أغنى عنه مالُه ، وما جَمَعه ، ولا خدمه و لا حشمه. ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله به، ولا كان هو في نفسه منتصرًا لنفسه ، فلا ناصر له لا من نفسه ، ولا من غيره"[٩].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ} [القصص : ٨١]، أي:" وما كان ممتنعًا من الله إذا أحلَّ به نقمته"[١٠].

قال الزمخشري:أي :" من المنتقمين من موسى عليه السلام، أو من الممتنعين من عذاب الله. يقال: نصره من عدوه فانتصر، أى: منعه منه فامتنع"[١١].

قال قتادة:" ما كانت، عنده منعة يمتنع بها من الله تبارك وتعالى"[١٢].

القرآن

{وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)} [القصص : ٨٢]

التفسير:

---

(١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٥٧):ص٣٠١٩/٩.

(٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٥٨):ص٣٢٠/٩.

(٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٢):ص٣٢٠/٩.

(٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٥٨):ص٣٢٠/٩.

(٥) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٠):ص٣٢٠/٩.

(٦) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦١):ص٣٢٠/٩.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٥.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٤):ص٣٠٢٠/٩.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٥٧/٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٣٩٥.

(١١) الكشاف: ٣/ ٤٣٣.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٤):ص٣٠٢٠/٩.

وصار الذين تمنوا حاله بالأمس يقولون متوجعين ومعتبرين وخائفين من وقوع العذاب بهم: إن الله يوسّع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيّق على مَن يشاء منهم، لولا أن الله منَّ علينا فلم يعاقبنا على ما قلنا لَخسف بنا كما فعل بقارون، ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة؟

قوله تعالى:{وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ} [القصص : ٨٢]، أي:" وصار الذين تمنوا حاله بالأمس يقولون متوجعين ومعتبرين وخائفين من وقوع العذاب بهم: إن الله يوسّع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيّق على مَن يشاء منهم"[١].

قال الطبري:" وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأمس، يقولون لما عاينوا ما أحل الله به من نقمته: ألم تريا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، فيوسع عليه، لا لفضل منزلته عنده، ولا لكرامته عليه، كما كان بسط من ذلك لقارون، لا لفضله ولا لكرامته عليه، ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك، ويقتر عليه، لا لهوانه، ولا لسخطه عمله"[٢].

قال ابن كثير:" أي : الذين لما رأوه في زينته قالوا { يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } ، فلما خسف به أصبحوا يقولون : { وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ}، أي : ليس المال بدالّ على رضا الله عن صاحبه وعن عباده؛ فإن الله يعطي ويمنع ، ويضيق ويوسع ، ويخفض ويرفع ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة. وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود : «إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم أرزاقكم وإن الله يعطي المال من يحب ، ومن لا يحب ، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب»[٣]"[٤].

وقد اختلف أهل العلم في معنى قوله تعالى: {وَيْكَأَنَّ}[القصص : ٨٢]، على وجوه:
أحدها: أن معناها : «ويلك اعلم أن»، ولكن خُفّفت فقيل : «ويك»، ودلَّ فتح «أن» على حذف «اعلم». حكاه الطبري[٥]، والزجاج وضعفاه[٦].

قال الزجاج:" وقال بعض النحويين - وهذا غلط عظيم - إن معناها: «ويلك اعلم أنه لا يفلح الكافرون»، فحذف اللام فبقيت ويك وحذف أعلم أنه لا يفلح الكافرون، وهذا خطأ من غير جهة، لو كان كما قال لكانت أن مكسورة كما تقول: ويلك إنه قد كان كذا وكذا، ومن جهة أخرى أن يقال لمن خاطب القوم بهذا فقالوا: ويلك " إنه لا يفلح الكافرون "، ومن جهة أخرى أنه حذف اللام من ويل"[٧].

قال ابن كثير:" وهذا القول ضعَّفه ابن جرير[٨]، والظاهر أنه قوي ، ولا يشكل على ذلك ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة "ويكأن". والكتابة أمر وضعي اصطلاحي ، والمرجع إلى

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٥.
(٢) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٣٦.
(٣)المسند (٣٨٧/١).
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٥٧/٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩/ ٦٣٦.
(٦) انظر: معاني القرآن: ١٥٦/٤-١٥٧.
(٧) معاني القرآن: ١٥٦/٤-١٥٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩/ ٦٣٦.

اللفظ العربي ، والله أعلم[١].

الثاني: معناها : «ويكأن»، أي : ألم تر أن. قاله قتادة[٢].

الثالث: «أو لا يعلم أن الله ؟». رواه معمر عن قتادة[٣].

الرابع : معناها: ألم تر. قاله قتادة[٤]، والكسائي[٥]، والفراء[٦]، وأبو عبيدة[٧].

عن قتادة: "{ويكأنه}، قال: ألم تر أنه"[٨].

وفي رواية:" أو لا يرى أنه لا يفلح الكافرون"[٩].

قال الفراء:" قوله: {ويكأن الله} في كلام العرب تقرير. كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله. وأنشدني[١٠]:

ويكأن من يكن له نشب يح ... بب ومن يفتقر يعش عيش ضر

قال الفراء: وأخبرني شيخ من أهل البصرة قال: سمعت أعرابية تقول لزوجها: أين ابنك ويلك؟ فقال: ويكأنه وراء البيت. معناه: أما ترينه وراء البيت"[١١].

الخامس : «وَلِكِنَّ اللَّهَ» بلغة حمير ، قاله الضحاك[١٢]، وبه قال مقاتل[١٣].

السادس: معناها: «أن الله». وهذا قول يحيى بن سلام[١٤].

السابع: معناها «وي كأن»، ففصلها وجعل حرف «وي» للتعجب أو للتنبيه ، و«كأن» بمعنى «أظن وأحسب». وهذا مذهب خليل[١٥]، وسيبويه[١٦]، وحكاه الفراء[١٧]، والطبري[١٨]، واختاره الزجاج[١٩].

قال الفراء:" فهذا وجه مستقيم. ولم تكتبها العرب منفصلة، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة. وقد يجوز أن تكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليست منه كما اجتمعت العرب على

---

(١)تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٥٨ .

(٢)انظر: تفسير الطبري: ١٩/ ٦٣٤، وتفسير ابن ابي حاتم(١٧١٧٣):ص٣٠٢٢/٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧١):ص٣٠٢٢/٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩/ ٦٣٤، وتفسير ابن ابي حاتم(١٧١٧٢):ص٣٠٢٢/٩.

(٥) نقلا عن تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ٢٨١.

(٦) انظر: معاني القرآن: ٢/ ٣١٢.

(٧) انظر: مجاز القرآن: ١١٢/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٣٤.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٢):ص٣٠٢٢/٩.

(١٠)في اللسان (وى) أنه لزيد بن عمرو بن نفيل. ويقال لنبيه بن الحجاج. والنشب: المال والعقار.

(١١) معاني القرآن: ٢/ ٣١٢.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٧٠/٤.

(١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٧/٣.

(١٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٦١١/٢.

(١٥) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٥٧/٤.

(١٦) انظر: الكشاف: ٣/ ٤٣٤.

(١٧) انظر: معاني القرآن: ٢/ ٣١٢-٣١٣.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩/ ٦٣٦.

(١٩) انظر: معاني القرآن: ١٥٧/٤.

كتاب «يا بن أم» «يا بنؤم»[(1)]، قال: وكذا رأيتها في مصحف عبد الله. وهي في مصاحفنا أيضا"[(2)].

قال الزجاج:" والقول الصحيح في هذا ما ذكره سيبويه عن الخليل ويونس، قال سألت عنها الخليل فزعم أنها «وي» مفصولة من «كأن». وأن القوم تنبهوا فقالوا: وي، متندمين على ما سلف منهم، وكل من تندم أو ندم فإظهار تندمه وندامته أن يقول: «وي»، كما تعاتب الرجل على ما سلف منه فقول: وي، كأنك قصدت مكروهي، فحقيقة الوقف عليها: وي، وهو أجود في الكلام، ومعناه: التنبيه والتندم. قال الشاعر[(3)]:

سَألَتَاني الطَّلاق أنْ رَأتَاني... قَلّ مَالي ، وقَدْ جِئْتُمَاني بِنُكر

وَيْكأنْ مَنْ يكُن له نَشَب يُحْ... بَبْ ومن يَفْتقر يَعش عَيشَ ضُرّ

فهذا تفسير الخليل، وهو مشاكل لما جاء في التفسير، لأن قول المفسرين هو تنبيه"[(4)].

قال الزمخشري:" «وى» مفصولة عن «كأن» ، وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم. ومعناه: أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا ويكأنه لا يفلح الكافرون أى: ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح، وهو مذهب الخليل وسيبويه"[(5)].

قال الطبري : "وأولى الأقوال في ذلك بالصحة: القول الذي ذكرنا عن قتادة، من أن معناه: «ألم تر»،«ألم تعلم»"[(6)].

عن حصين ابن أبي الجميل:" قال رجل للحسن: يا أبا سعيد إني أرى الدار فأتمنى أن تكون لي، والجارية فأتمناها، فقال له الحسن: فلا تفعل، فإن الله تبارك وتعالى يقول: {يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر}"[(7)].

قال الحارث بن السائب: "سمعت الحسن يقول: إن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، قال: يخير له"[(8)].

وقال الحسن:" ينظر له فإن كان الغنى خيرا له أغناه، وإن كان الفقر خيرا له أفقره"[(9)].

وعن ابن زيد، قوله:"{يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر}، قال: يقدر: يقل، وكذلك كل شيء في القرآن «يقدر» كذلك"[(1)].

---

(1)فى الآية ٩٤ سورة طه.

(2) معاني القرآن: ٢/ ٣١٢-٣١٣.

(3)البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل (خزانة الأدب الكبرى للبغدادي ٣: ٩٥-٩٧) وقبلهما بيت ثالث وهو: تلك عرساي تنطقان على عمـــ ... ـــد إلى اليوم قول زور وهتر

الشاعر ينكر حال زوجيه معه بعد أن كبر وافتقر. وفي البيت الثاني: "أن رأتا مالي قليلا ... " إلخ والعرس: الزوجة. والهتر بفتح الهاء: مصدر هتر يهتره هترا من باب نصر: إذا مزق عرضه. وبكسر الهاء: الكذب، والداهية، والأمر العجب. والسقط من الكلام، والخطأ فيه. وبالضم: ذهاب العقل من كبر، أو مرض، أو حزن. والنكر: الأمر القبيح المنكر. والنشب: المال الأصيل، من الناطق والصامت.

(4) معاني القرآن: ١٥٧/٤.

(5) الكشاف: ٣/ ٤٣٤.

(6) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٣٤.

(7) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٦٧):ص٣٠٢١/٩.

(8) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٦٨):ص٣٠٢١/٩.

(9) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٦٩):ص٣٠٢١/٩.

قوله تعالى:{لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا} [القصص : ٨٢]، أي:" لولا أن الله منَّ علينا فلم يعاقبنا على ما قلنا لَخسف بنا كما فعل بقارون"(٢).

قال الطبري:" يقول: لولا أن تفضل علينا، فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس {لخسف بنا}"(٣).

قال ابن كثير:" أي : لولا لُطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا ، كما خسف به ، لأنا وَددْنا أن نكون مثله"(٤).

قوله تعالى:{وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [القصص : ٨٢]، أي:" ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة؟"(٥).

قال ابن كثير:" يعنون : أنه كان كافرًا ، ولا يفلح الكافر عند الله ، لا في الدنيا ولا في الآخرة"(٦).

فوائد الآيات:[٧٩-٨٢]:

١- بيان أن الفتنة أسرع إلى قلوب الماديين أبناء الدنيا والعياذ بالله تعالى.

٢-النهي عن الفخر والخيلاء والاستطالة، فالفخر: التمدح بالخصال، والخيلاء: الكبر، والاستطالة على الخلق والتعدي والترفع عليهم واحتقارهم والوقيعة بينهم.

روي عن نوفل بن مساحق قال : "رأيت شابًّا في مسجد نجران ، فجعلت أنظر إليه وأتعجب من طوله وتمامه وجماله ، فقال : ما لك تنظر إلي ؟ فقلت : أعجب من جمالك وكمالك. فقال : إن الله ليعجب مني. قال : فما زال ينقص وينقص حتى صار بطول الشبر ، فأخذه بعض قرابته في كمه وذهب"(٧).

٢- بيان موقف أهل العلم الديني وأنهم رشَّد، أي حكماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

٣- بيان أن البغي يؤخذ به البغاة في الدنيا ويعذبون به في الآخرة.

٤- بيان أن وجود الإيمان خير من عدمه وإن قل وأن ذا الإيمان أقر على التوبة ممن لا إيمان له.

القرآن

{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)} [القصص : ٨٣]

التفسير:

تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرًا عن الحق في الأرض ولا فسادًا فيها. والعاقبة المحمودة -وهي الجنة- لمن اتقى عذاب الله وعمل الطاعات، وترك المحرمات.

قوله تعالى:{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا} [القصص : ٨٣]، أي:" تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرًا عن الحق في الأرض ولا فسادًا فيها"(٨).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٠):ص٩/٣٠٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٥.

(٣) تفسير الطبري: ٦٣٦/٩.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٥٧-٢٥٨.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٥.

(٦)تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٥٨ .

(٧) ذكره ابن المنذر، كما في تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٥.

قال الطبري: يقول: " تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض وتجبرا عنه ولا ظلم الناس بغير حق، وعملا بمعاصي الله فيها"(١).
قال الزمخشري:" {تلك}، تعظيم لها وتفخيم لشأنها، يعنى: تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها، لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد، ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما، كما قال: {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} [هود : ١١٣]، فعلق الوعيد بالركون"(٢).
قال ابن عاشور:" معنى :{لا يريدون} كناية عن: لا يفعلون، لأن من لا يريد الفعل لا يفعله إلا مكرها، والعلو: التكبر عن الحق وعلى الخلق، والطغيان في الأعمال، والفساد: ضد الصلاح، وهو كل فعل مذموم في الشريعة أو لدى أهل العقول الراجحة"(٣).
قال عكرمة:" نجعل الدار الآخرة للذين لا يريدون علوا في الأرض، عند سلاطينها وملوكها"(٤).
عن عكرمة قوله: "{الدار الآخرة}، يقول: الجنة"(٥).
عن أبي مالك قوله: "{تلك}، يعني: الجنة"(٦).
عن ابن جبير:"{للذين لا يريدون علوا في الأرض}، قال: بغيا"(٧).
قال مسلم البطين : "العلو: التكبر بغير حق"(٨).
عن الحسن، {لا يريدون علوا في الأرض}، قال: الشرف والعز، عند ذوي سلطانهم"(٩).
سلطانهم"(٩).
قال معاوية بن الأسود:" لم ينازعوا أهلها في عزها التجبر والتكبر ولم يجزعوا من ذلها"(١٠).
قال علي بن أبي طالب: "إن الرجل ليحب أن يكون شسع نعله أفضل من شسع صاحبه فيدخل في هذه الآية: {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين}"(١١).
وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال. "ذهبت الأمانى هاهنا"(١٢).
قال ابن عاشور-شارحا قول الفضيل-:" أي: أماني الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان شيء وأن المؤمنين كلهم ناجون من العقاب، وهذا قول المرجئة، قال قائلهم(١٣):
كن مسلما ومن الذنوب فلا تخف ... حاشا المهيمن أن يري تنكيدا
لو شاء أن يصليك نار جهنم ... ما كان ألهم قلبك التوحيدا"(١).

---

(١) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٣٧.
(٢) الكشاف: ٣/ ٤٣٥.
(٣) التحرير والتنوير: ١٩٠/٢٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٦):ص٣٠٢٢/٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٥):ص٣٠٢٢/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٤):ص٣٠٢٢/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٧):ص٣٠٢٢/٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٨):ص٣٠٢٢/٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٩):ص٣٠٢٣/٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨٠):ص٣٠٢٣/٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨١):ص٣٠٢٣/٩.
(١٢) انظر: الكشاف: ٤٣٥/٣.
(١٣) انظر: التحرير والتنوير: ١٩٠/٢٠.

عن الضحاك: "{لا يريدون علوا في الأرض}، يقول: ظلماء"[2].
وقال مسلم البطين: "الاعتداء في الأرض بغير الحق"[3]، {ولا فسادا}، قال: الفساد الآخذ بغير حق"[4].
عن عكرمة:"{ولا فسادا}، لا يعملون بمعاصي الله"[5].
قوله تعالى:{وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص : ٨٣]، أي:" والعاقبة المحمودة -وهي الجنة- لمن اتقى عذاب الله وعمل الطاعات، وترك المحرمات"[6].
قال الطبري:يقول:" والجنة للمتقين، وهم الذين اتقوا معاصي الله، وأدوا فرائضه"[7].
قال عكرمة:" العاقبة: الجنة"[8].
قال قتادة:" أي: الجنة للمتقين"[9].
قال محمد بن إسحاق: "{للمتقين}، أي: لمن أطاعني وأطاع رسولي"[10].

القرآن
{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤)} [القصص : ٨٤]
التفسير:
من جاء يوم القيامة بإخلاص التوحيد لله وبالأعمال الصالحة وَفْق ما شرع الله، فله أجر عظيم خير من ذلك، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم، ومن جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجْزى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون.
قوله تعالى:{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا} [القصص : ٨٤]، أي:" من جاء يوم القيامة بإخلاص التوحيد لله وبالأعمال الصالحة وَفْق ما شرع الله، فله أجر عظيم خير من ذلك، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم"[11].
قال الطبري: يقول: " من جاء الله يوم القيامة بإخلاص التوحيد، فله خير، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم"[12].
عن سعيد بن جبير قوله: "{فله خير منها}، يقول: ثوابه من تلك الحسنة"[13].
عن ابن عباس، قوله: "{فله خير منها}، قال: خير ثواب"[1]. وفي رواية:" له منها خير"[2]. وروي عن الحسن، ومجاهد، وقتادة، نحو ذلك[3].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٩٠/٢٠.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨٢):ص٣٠٢٣/٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨٢):ص٣٠٢٣/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨٤):ص٣٠٢٣/٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨٥):ص٣٠٢٣/٩.
(٦) التفسير الميسر: ٣٩٥.
(٧) تفسير الطبري: ٦٣٨/١٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨٦):ص٣٠٢٣/٩.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٣٨/١٩، وانظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٠٢٣/٩. بدون سند.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨٧):ص٣٠٢٣/٩.
(١١) التفسير الميسر: ٣٩٥.
(١٢) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٣٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٩٣):ص٣٠٢٤/٩.

قال قتادة:" أي: له منها حظ خير، والحسنة: الإخلاص"[٤].

عن أبي ذر قال: "قلت: يا رسول الله، «لا إله إلا الله» من الحسنات؟ قال: «هي من أحسن الحسنات»"[٥].

عن عبد الله، قوله: "{من جاء بالحسنة}، قال: لا إله إلا الله"[٦]. وروي عن ابن عباس وأبي هريرة وعلي بن الحسين وسعيد بن جبير والحسن وعطاء ومجاهد وأبي صالح ذكوان وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والنخعي، والضحاك والزهري وقتادة، وزيد بن أسلم نحو ذلك[٧].

وقال ابن عبد الله الجدلي: "دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا أبا عبد الله، ألا أحدثك بالحسنة التي من جاء بها أدخله الله الجنة وفعل به وفعل به، قلت: بلى، يا أمير المؤمنين، قال: الحسنة حبنا"[٨].

قوله تعالى:{وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [القصص : ٨٤]، أي:" ومن جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجْزى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون"[٩].

قال الطبري: يقول: " ومن جاء بالسيئة، وهى الشرك بالله، فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة إلا جزاء ما كانوا يعملون"[١٠].

قال الزمخشري:" {إلا ما كانوا يعملون}: إلا مثل ما كانوا يعملون، وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزى السيئة إلا بمثلها، ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة، وهو معنى قوله فله خير منها"[١١].

قال قتادة:" السيئة: الشرك"[١٢].

قال السدي:" من جاء بالسيئة فجزاؤها سيئة مثلها من جميع الذنوب وذلك عند الحساب إذا حوسب ألقي بدل كل حسنة عشر سيئات، فإن بقيت حسنة واحدة أضعفت له وأدخل بها الجنة وإن كانت سيئاته عند المقاصة إذا ألقيت عشرا بحسنة أكثر من حسناته فزادت سيئة واحدة كان جزاؤه النار إلا أن يعفو الله عنه"[١٣].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٩١):ص٩/٣٠٢٤.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٩٢):ص٩/٣٠٢٤.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/٣٠٢٤. بدون سند.

(٤) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٣٨.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨٨):ص٩/٣٠٢٤.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨٩):ص٩/٣٠٢٤.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩/٣٠٢٤. بدون سند.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٩٠):ص٩/٣٠٢٤.

(٩) التفسير الميسر: ٣٩٥.

(١٠) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٣٨.

(١١)الكشاف: ٣/ ٤٣٦ .

(١٢) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٣٨.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٩٦):ص٩/٣٠٢٥.

عن ابن عباس، قوله: "{ومن جاء بالسيئة}، قال: الشرك"[١]. وروي عن ابن مسعود وأبي هريرة وأنس بن مالك وأبي وائل وعطاء والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة والنخعي وأبي صالح والزهري وزيد بن أسلم ومحمد بن كعب والسدي وقتادة والضحاك مثل ذلك[٢].

وروي عن محمد بن عتبة الكندي قال: "دخلت على علي ابن أبي طالب فقال: يا أبا عبد الله، ألا أحدثك بالسيئة التي من جاء بها أكبه الله على وجهه في النار، ولم يقبل منه معها عمل قلت: بلى، يا أمير المؤمنين قال: السيئة: بغضنا"[٣].

فوائد الآيتين:[٨٣-٨٤]:

١- حرمة التكبر والاستطالة على الناس، والعمل بالمعاصي، وأنه الفساد في الأرض.

٢- بيان فضل الله ورحمته وعدله بين عباده بمضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات.

٣- العاقبة الحسنى وهي الجنة لأهل الإيمان والتقوى.

القرآن

{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨٥)} [القصص : ٨٥]

التفسير:

إن الذي أنزل عليك -أيها الرسول- القرآن، وفرض عليك تبليغه والتمسُّك به، لمرجعك إلى الموضع الذي خرجت منه، وهو «مكة» ، قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: ربي أعلم مَن جاء بالهدى، ومن هو في ذهابٍ واضحٍ عن الحق.

سبب النزول:

قال الضحاك:" لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه القرآن: {لرادك إلى معاد}، إلى مكة"[٤].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]، أي:" إن الذي أنزل عليك -أيها الرسول- القرآن، وفرض عليك تبليغه والتمسُّك به، لمرجعك إلى الموضع الذي خرجت منه، وهو «مكة»"[٥].

قال الطبري: يقول:" إن الذي أنزل عليك يا محمد القرآن لرادك إلى عادتك من الموت، أو إلى عادتك حيث ولدت"[٦].

قال الزجاج:" معنى :«فرض عليك القرآن»: أنزله عليك وألزمك، وفرض عليك العمل بما يوجبه القرآن، لرادك إلى مكانك بمكة، وقيل إلى معاد إلى مكانك في الجنة، وأكثر التفسير لباعثك، وعلى هذا كلام الناس: اذكر المعاد. أي: اذكر مبعثك في الآخرة"[٧].

قال الزمخشري:" {فرض عليك القرآن}، أي: أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه، يعنى: أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف، و{لرادك} بعد الموت {إلى معاد}، أى: معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك: وقيل: المراد به مكة: ووجهه أن يراد رده إليها يوم الفتح: ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معادا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٩٤):ص٩/٣٠٢٤.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩/٣٠٢٤-٣٠٢٥. بدون سند.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٩٥):ص٩/٣٠٢٥.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٠٥):ص٩/٣٠٢٦.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٦) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٠-٦٤١.

(٧) معاني القرآن: ٤/١٥٧-١٥٨.

له شأن، ومرجعا له اعتداد، لغلبة رسول الله ﷺ عليها، وقهره لأهلها، ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه. والسورة مكية، فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها: أنه يهاجر به منها، ويعيده إليها ظاهرا ظافرا"[1].

عن مجاهد، قوله: "{إن الذي فرض عليك القرآن}: أعطاكه"[2].

وقال مجاهد:" الذي أعطاك القرآن"[3].

قال ابن عباس: لرادك إلى الجنة ثم سائلك عن القرآن"[4]. وقال السدي: "قال أبو سعيد الخدري مثلها"[5].

عن ابن عباس:"{لرادك إلى معاد}، قال: الموت"[6]. وروي عن أبي سعيد الخدري وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد مثل ذلك[7].

وعن ابن عباس، قوله: "{لرادك إلى معاد}، قال: إلى يوم القيامة"[8].

قال مجاهد:" لرادك إلى معاد يحييك يوم القيامة"[9].

قال قتادة:" كان الحسن يقول: إي والله إن له لميعادا يبعثه الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة"[10].

وعن ابن عباس، قوله:"{إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}، قال: إلى معدنك من الجنة"[11]. وروي عن أبي سعيد الخدري وأبى مالك ومجاهد- في إحدى الروايات- نحو ذلك[12].

وعن مجاهد، قوله: "{لرادك إلى معاد}، قال: إلى مولدك بمكة"[13]. وروي عن ابن عباس ويحيى بن الجزار، وسعيد بن جبير وعطية، والضحاك نحو ذلك[14].

عن الضحاك:"{لرادك إلى معاد}، إلى مكة"[15].

وعن حريز، عن نعيم القارئ سمعه يقول: "{إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}، قال: رادك إلى بيت المقدس"[16].

وعن قتادة في قوله: "{لرادك إلى معاد}، قال: هذه مما كان ابن عباس يكتمها"[1].

---

(١)الكشاف: ٣/ ٤٣٦ .

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٩٧):ص٩/٣٠٢٥.

(٣) أخرجه الطبري: ١٩/ ٦٣٨.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٩٨):ص٩/٣٠٢٥.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم: ٩/٣٠٢٥.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٩٩):ص٩/٣٠٢٥.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/٣٠٢٥. بدون سند.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٠٠):ص٩/٣٠٢٦.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٠١):ص٩/٣٠٢٦.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٠٢):ص٩/٣٠٢٦.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٠٣):ص٩/٣٠٢٦.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/ ٣٠٢٦. بدون سند

(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٠٣):ص٩/٣٠٢٦.

(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/ ٣٠٢٦. بدون سند

(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٠٥):ص٩/٣٠٢٦.

(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٠٦):ص٩/٣٠٢٦.

قوله تعالى:{قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [القصص : ٨٥]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: ربي أعلم مَن جاء بالهدى، ومن هو في ذهابٍ واضحٍ عن الحق"(٢).

قال الطبري:" قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ربي أعلم من جاء بالهدى الذي من سلكه نجا، ومن هو في جور عن قصد السبيل منا ومنكم. وقوله: {مبين}؛ يعني: أنه يبين للمفكر الفهم إذا تأمله وتدبره، أنه ضلال وجور عن الهدى"(٣).

قال القرطبي:" أي: قل لكفار مكة إذا قالوا إنك لفي ضلال مبين: {ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين}، أنا أم أنتم"(٤).

قال ابن عباس: "نزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ، فقال له: يا محمد قل"(٥).

عن سعيد بن جبير في قول الله: "{المبين}: البين"(٦).

القرآن

{وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦)} [القصص : ٨٦]

التفسير:

وما كنت -أيها الرسول- تؤمِّل نزول القرآن عليك، لكن الله سبحانه وتعالى رحمك فأنزله عليك، فاشكر لله تعالى على نِعَمه، ولا تكوننَّ عونًا لأهل الشرك والضلال.

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} [القصص : ٨٦]، أي:" وما كنت -أيها الرسول- تؤمِّل نزول القرآن عليك، لكن الله سبحانه وتعالى رحمك فأنزله عليك"(٧).

قال الطبري:" يقول: فاحمد ربك على ما أنعم به عليك من رحمته إياك، بإنزاله عليك هذا الكتاب، وقيل: إن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وإن معنى اللام: إن الذي فرض عليك القرآن، فأنزله عليك، وما كنت ترجو أن ينزل عليك، فتكون نبيا قبل ذلك، لرادك إلى معاد"(٨).

عن الحسن في قول الله: الكتاب قال: القرآن"(٩). وروي عن ابن عباس مثل ذلك(١٠).

قوله تعالى:{فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ} [القصص : ٨٦]، أي:" فاشكر لله تعالى على نِعَمه، ولا تكوننَّ عونًا لأهل الشرك والضلال"(١١).

قال الطبري:" ولا تكونن عونا لمن كفر بربك على كفره به"(١٢).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٠٧):ص٩/٣٠٢٧.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٣) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٢.

(٤) تفسير القرطبي: ٣٢١/١٣.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٠٨):ص٩/٣٠٢٧.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٠٩):ص٩/٣٠٢٧.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٨) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٢.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢١٠):ص٩/٣٠٢٧.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٠٢٧/٩. بدون سند.

(١١) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(١٢) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٢.

قال الزجاج:" أي: معينا للكافرين"[١].
قال الواحدي:" معينا لهم على دينهم"[٢].
قال القرطبي:" أي: عونا لهم ومساعدا"[٣].
قال مقاتل:" وذلك حين دعي إلى دين آبائه فأوحى الله- عز وجل- إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- في ذلك فقال: {فلا تكونن ظهيرا}، يعني: معينا للكافرين على دينهم"[٤].
قال الزمخشري:" والنهى عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج ، وهيهات أن ترتع همة رسول الله ﷺ حول ذلك الحمى، ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهييج والإلهاب"[٥].

القرآن
{وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧)} [القصص : ٨٧]
التفسير:
ولا يصرفَنَّك هؤلاء المشركون عن تبليغ آيات ربك وحججه، بعد أن أنزلها إليك، وبلِّغ رسالة ربك، ولا تكونن من المشركين في شيء.
قوله تعالى:{وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ} [القصص : ٨٧]، أي:" ولا يصرفَنَّك هؤلاء المشركون عن تبليغ آيات ربك وحججه، بعد أن أنزلها إليك"[٦].
قال مقاتل:" {ولا يصدنك} كفار مكة عن إيمان بالقرآن {بعد إذ أنزلت إليك}"[٧].
قال الطبري: يقول:" ولا يصرفنك عن تبليغ آيات الله وحججه بعد أن أنزلها إليك ربك يا محمد هؤلاء المشركون بقولهم: {لولا أوتي مثل ما أوتي موسى}"[٨].
قال القرطبي:" يعني: أقوالهم وكذبهم وأذاهم، ولا تلتفت نحوهم وامض لأمرك وشأنك"[٩].
عن سعيد بن جبير، قوله: "{آيات الله}، يعني: القرآن"[١٠].
وقرا يعقوب«يصدنك»، مجزوم النون. وقرى، وقرئ: «يصدنك»، من: أصدّه، بمعنى: صدّه، وهي في لغة كلب[١١].
قوله تعالى:{وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ} [القصص : ٨٧]، أي:" وبلِّغ رسالة ربك"[١٢].
قال مقاتل:" {وادع} الناس إلى معرفة ربك- عز وجل- وهو التوحيد"[١].

---

(١) معاني القرآن: ١٥٨/٤.
(٢) التفسير الوسيط: ٤١١/٣.
(٣) تفسير القرطبي: ٣٢١/١٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان :٣/ ٣٥٩.
(٥) الكشاف: ٣/ ١٦٩، ٤٣٧.
(٦) التفسير الميسر: ٣٩٦.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان :٣/ ٣٥٩.
(٨) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٣.
(٩) تفسير القرطبي: ٣٢٢/١٣.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢١١):ص٣٠٢٧/٩.
(١١) انظر: الكشاف: ٤٣٧/٣، وتفسير القرطبي :١٣/ ٣٢٢.
(١٢) التفسير الميسر: ٣٩٦.

قال الطبري: يقول:" وادع إلى ربك وبلغ رسالته إلى من أرسلك إليه بها"(٢).
قال القرطبي:" أي: إلى التوحيد. وهذا يتضمن المهادنة والموادعة. وهذا كله منسوخ بآية السيف. وسبب هذه الآية ما كانت قريش تدعو رسول الله ﷺ إلى تعظيم أوثانهم، وعند ذلك ألقى الشيطان في أمنيته أمر الغرانيق على ما تقدم. والله أعلم"(٣).
قوله تعالى:{وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [القصص : ٨٧]، أي:" ولا تكونن من المشركين في شيء"(٤).
قال الطبري:" يقول: ولا تتركن الدعاء إلى ربك، وتبليغ المشركين رسالته، فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصيته ربه، وخلافه أمره"(٥).
قال مقاتل:" ثم أو عز إلى النبي- ﷺ- وحذره، فقال- سبحانه-: {ولا تكونن من المشركين}، وذلك حين دعي إلى دين آبائه فحذره الله- عز وجل- أن يتبع دينهم"(٦).

القرآن
{وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)} [القصص : ٨٨]
التفسير:
ولا تعبد مع الله معبودًا آخر؛ فلا معبود بحق إلا الله، كل شيء هالك وفانٍ إلا وجهه، له الحكم، وإليه ترجعون من بعد موتكم للحساب والجزاء. وفي هذه الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق بكماله وعظمة جلاله.
قوله تعالى:{وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [القصص : ٨٨]، أي:" ولا تعبد مع الله معبودًا آخر"(٧).
قال مقاتل:" يقول ولا تعبد مع الله تعالى إلها آخر فإنه واحد ليس معه شريك"(٨).
قال الطبري: يقول: " ولا تعبد يا محمد مع معبودك الذي له عبادة كل شيء معبودا آخر سواه"(٩).
قال القرطبي:" أي: لا تعبد معه غيره"(١٠).
قال أبو مجلز: "كنت، عند عبد الله بن عمر فسأله رجل عن الشرك، فقال: أن تجعل مع الله إلها آخر"(١١).
قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [القصص : ٨٨]، أي:" فلا معبود بحق إلا الله"(١٢).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان :٣/ ٣٥٩.
(٢) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٣.
(٣) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٢٢.
(٤) التفسير الميسر: ٣٩٦.
(٥) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٣.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان : ٣/ ٣٦٠.
(٧) التفسير الميسر: ٣٩٦.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان : ٣/ ٣٦٠.
(٩) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٣.
(١٠) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٢٢.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢١٢):ص٩/ ٣٠٢٧.
(١٢) التفسير الميسر: ٣٩٦.

قال الطبري: يقول: " يقول: لا معبود تصلح له العبادة إلا الله"[١].
قال القرطبي:" فإنه لا إله إلا هو. نفي لكل معبود وإثبات لعبادته"[٢].
عن ابن عباس:"{لا إله إلا هو}، قال: توحيد"[٣].
قوله تعالى:{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص : ٨٨]، أي:" كل شيء هالك وفانٍ إلا وجهه"[٤].
قال مقاتل:" يقول- سبحانه- كل شيء من الحيوان ميت ثم استثنى نفسه- ﷻ- بأنه- تعالى- حي دائم لا يموت فقال- ﷻ-: {إلا وجهه}، يعني: إلا هو"[٥].
قال الطبري: يقول: " الذي كل شيء هالك إلا وجهه"[٦].
قال الزجاج:" معنى {إلا وجهه}: إلا إياه"[٧].
قال الفراء:" إلا هو، وقال الشاعر[٨]:
أستغفر الله ذنبا لست محصيه ... رب العباد إليه الوجه والعمل
أي: إليه أوجه عملي"[٩].
قال الزمخشري:" الوجه: يعبر به عن الذات"[١٠].
قال ابن كثير:" قوله : { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ } : إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم ، الذي تموت الخلائق ولا يموت ، كما قال تعالى : { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإكْرَامِ } [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] ، فعبر بالوجه عن الذات ، وهكذا قوله ها هنا : { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ } أي : إلا إياه.
وقد ثبت في الصحيح ، من طريق أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : «قال رسول الله ﷺ : "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :
ألا كلُّ شَيْء مَا خَلا اللهَ بَاطِلُ»[١١]"[١٢].
عن مجاهد، قوله:"{كل شيء هالك إلا وجهه}، قال: إلا ما أريد به وجهه"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٣.

(٢) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٢٢.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢١٣):ص٩/ ٣٠٢٧.

(٤) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان :٣/ ٣٦٠.

(٦) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٣.

(٧) معاني القرآن: ١٥٨/٤.

(٨) البيت بلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥٢٤، والأشباه والنظائر ٤/ ١٦، وأوضح المسالك ٢/ ٢٨٣، وتخليص الشواهد ص ٤٠٥، وخزانة الأدب ٣/ ١١١، ٩/ ١٢٤، والدرر ٥/ ١٨٦، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٢٠، وشرح التصريح ١/ ٣٩٤، وشرح شذور الذهب ص ٤٧٩، وشرح المفصل ٧/ ٦٣، ٨/ ٥١، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٨١، والكتاب ١/ ٣٧، ولسان العرب (غفر) ، والمقاصد النحوية ٣/ ٢٢٦، والمقتضب ٢/ ٣٢١، وهمع الهوامع ٢/ ٨٢، وأمالي المرتضى ٣/ ٤٧، وتفسير الطبري ١/ ٥٦، ٢/ ٨٢، وتفسير البحر المحيط ١/ ٣٦١.

(٩) معاني القرآن: ٢/ ٣١٤.

(١٠) الكشاف: ٤٣٧/٣.

(١١)صحيح البخاري برقم (٣٨٤١) وصحيح مسلم برقم (٢٢٥٦).

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٦١/٦.

عن سفيان:"{شئ هالك إلا وجهه}، قال: ما أريد به وجهه"[2].

قال يحيى:" هو كقوله: {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} [الرحمن: ٢٧]"[3].

وقال الكلبي:" كل عمل لغيره فهو هالك، إلا ما كان له"[4].

قال ابن كثير:" وهذا القول لا ينافي القول الأول ، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه الله عز وجل من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة. والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وهالكة وزائلة إلا ذاته تعالى ، فإنه الأول الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء"[5].

قال سفيان الثوري:" كل شيء هالك إلا ما ابتغي به وجهه من الأعمال الصالحة"[6].

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في تفسير هذه الآية من قول الله: "{كل شيء هالك إلا وجهه}، يعني: الحيوان خاصة من أهل السموات والملائكة ومن في الأرض وجميع الحيوان، ثم تهلك السماء والأرض بعد ذلك لا تهلك الجنة والنار وما فيها ولا العرش ولا الكرسي"[7].

عن عيسى المديني، قال: "سمعت علي بن الحسين. سأل كعب الأحبار، عن قوله: {فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ الل} [الزمر : ٦٨]، من الذين استثنى؟ قال: هم ثلاثة عشر، جبريل وميكائيل، وإسرافيل، وحملة العرش الثمانية، وملك الموت، ورب العزة، فيأمر ملك الموت فيقبض فلانا وفلانا وحملة العرش حتى لا يبقى غيره، فيقول رب العزة، مت يا ملك الموت فيموت، فذلك قوله: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن : ٢٦-٢٧]، وذلك قوله: {كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون}"[8].

قال أبو الوليد: "كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه ، يأتي الخربة فيقف على بابها ، فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ }"[9].

قوله تعالى:{لَهُ الْحُكْمُ} [القصص : ٨٨]، أي:" له القضاء النافذ في الخلق"[10].

قال مقاتل:" يعني: القضاء"[11].

قال الطبري:" يقول: له الحكم بين خلقه دون غيره، ليس لأحد غيره معه فيهم حكم"[12].

قال ابن كثير:" أي : الملك والتصرف ، ولا معقب لحكمه "[13].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢١٤):ص٣٠٢٨/٩.

(٢) تفسير سفيان الثوري(٧٥٦: ٤: ٢):ص٢٣٤. المعنى:" كل شيء هالك إلا ما أريد به وجهه". انظر: الهداية إلى بلوغ النهعايى: ٥٥٨٨/٨.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٦١٤/٢.

(٤) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ١٧/ ٤٧٩، و "تنوير المقباس" ٣٣١.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٦٢/٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢١٥):ص٣٠٢٨/٩.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢١٧):ص٣٠٢٨/٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢١٦):ص٣٠٢٨/٩.

(٩)أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب «التفكر والاعتبار»: نقلا عن تفسير ابن كثير: ٢٦٢/٦.

(١٠) صفوة التفاسير: ٤١٢/٢.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان :٣/ ٣٦٠.

(١٢) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٣.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٢/٦.

قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص : ٨٨]، أي:" وإليه ترجعون من بعد موتكم للحساب والجزاء"[١].

قال مقاتل:" أحياء في الآخرة فيجزيكم- عز وجل- بأعمالكم"[٢].

قال الطبري:" يقول: وإليه تردون من بعد مماتكم، فيقضي بينكم بالعدل، فيجازي مؤمنيكم جزاءهم، وكفاركم ما وعدهم"[٣].

قال ابن كثير:" أي : يوم معادكم ، فيجزيكم بأعمالكم ، إن كان خيرا فخير ، وإن شرا فشر "[٤].

قال أبو العالية:" يرجعون إليه بعد الحياة"[٥].

فوائد الآيات:[٨٥-٨٨]:

١- معجزة القرآن في وقوع الغيب بعد الإخبار به وذلك حيث عاد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة بعد الخروج منها.

٢- مشروعية الملاينة في الجدال والمناظرة أثناء الدعوة باستعمال أسلوب التشكيك.

٣- حرمة معاونة الكفار ومناصرتهم لا سيما ضد المؤمنين.

٤- وجوب الثبات والصبر على الدعوة حتى نجاحها ببلوغها الناس واستجابتهم لها.

٥- تقرير التوحيد والبعث والنبوة المحمدية.

٦- فناء كل شيء إلا الله تعالى إلا ما ورد الدليل بعدم فنائه وعُدَّ منه ثمانية نظّمها بعضهم بقوله[٦]:

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي نار وجنة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

فالثمانية هذه مستثناة بمعنى أنها لا يأتي عليها العدم[٧].

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان :٣/ ٣٦٠.

(٣) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢١٨):ص٩/٣٠٢٨.

(٦) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم: ١ / ٦٩.

(٧) قال الشيخ ناصر بن عبدالكريم العقل:

" ذكر أهل العلم بعض هذه الأشياء، وبعضها ثبتت في النصوص وبعضها ليس هناك دليل قاطع على بقائها وعدم فنائها، وقال بعضهم: إنها تفنى بصورة أخرى، يعني: تتحول من حال إلى حال.

أما العرش والكرسي فلا شك أنه لا يشملهما العدم، وكذلك النار والجنة، وعجب الذنب كذلك ورد أنه أيضاً لا ينعدم، بمعنى: أنه يبقى عظماً، لكن لا يعني ذلك عدم الموت، فهذه مسألة خلافية، فالعظم الذي يكون في عجز الإنسان ويبقى فبقاؤه لا يعني عدم الموت؛ لأن الموت محكوم به على الإنسان نفسه، والإنسان قد تأكله الأرض كله وقد تبقى أجزاء منه، وقد وجد من بعض أجسام الأنبياء والشهداء من لم تمسه الأرض إلى الآن.

فعلى هذا يبقى جسمه، لكن الفناء الذي هو الموت حصل، وكون بعض العظام تبقى لا يعني عدم الحكم بالموت، والتحول من خلق إلى خلق قد يسمى فناء وقد يسمى موتاً أيضاً، فالإنسان قد يأكله سبع، وقد يسقط في الماء وتأكله الحيتان، وقد يحترق، ومع ذلك تبقى ذرات جسمه على شكل رماد أو فضلات أو نحو ذلك.

«آخر تفسير سورة (القصص)، والحمد لله وحده»

وكذلك اللوح والقلم والأرواح، أما الأرواح فالخلاف فيها راجع إلى طبيعة هذه الأرواح، هل هذه الأرواح أجسام؟ هل هي أعيان، أو هي أمور معنوية أو نحو ذلك؟ فالخلاف مبني على حقيقة هذه الأرواح وكيفيتها، والله أعلم.

وقد ذكر كثير من أهل العلم ما ذكره ابن القيم من أن هذه الثمانية الأشياء لا تفنى.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية العرش والكرسي والنار والجنة وبين أنها لا تفنى، وأن هذا قول جمهور السلف، وأنها مستثناة.

أما البقية فليس عندي فيها جزم، والله أعلم".

[شرح الطحاوية لناصر العقل: **الدرس(١١/٨٩)، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية]**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة «العنكبوت»

سورة «العنكبوت»: هي السورة «التاسعة والعشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة الخامسة والثمانون في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة «الروم»[(١)]، وقبل سورة الإسراء، في أواخر سنة إحدى قبل الهجرة، وعدد آياتها تسع وستون، بالاتفاق، وكلماتها تسعمائة وثمانون، وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمس وتسعون، المختلف فيها ثلاث: {الم (١)} [العنكبوت : ١]، {وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} [العنكبوت : ٢٩]، {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين} [العنكبوت : ٦٥]، وفواصل آياتها «نمر»، على الراء آية واحدة {قَدِيرٌ} [العنكبوت : ٢٠][(٢)].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة العنكبوت»:**

سميت «سورة العنكبوت»؛ لورود اسم «العنكبوت» فيها، حيث ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً للآلهة المزعومة بالعنكبوب والأصنام المنحوتة، قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: ٤٦] [(٣)].

عن عكرمة:" جاء جبريل إلى النبي ﷺ فحنى ظهر الأسود بن عبد يغوث حتى احقوقف صدره، فقال: النبي ﷺ خالي خالي فقال جبريل: دعه عنك فقد كفيته فهو من المستهزئين، قال: وكانوا يقولون سورة البقرة وسورة العنكبوت يستهزئون بها"[(٤)].

ولا يعرف لهذه السورة اسم غير هذا الاسم، وذكر البعض باسم: {الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ (٢)} [العنكبوت : ١ - ٢]، دون ذكر أن مطلع السورة هو اسم تسمى به[(٥)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة جميعها. وهذا قول ابن عباس[(٦)]، وابن الزبير[(٧)]، والحسن[(٨)]، وعطاء[(٩)]، وعطاء[(٩)]، وقتادة[(١٠)]، وجابر بن زيد[(١١)]، ومقاتل[(١٢)].

الثاني: أنها مدنية كلها، وهذا أحد قولي ابن عباس[(١)]، وقتادة[(٢)].

---

(١) انظر: الكشاف:٤٣٨/٣.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٩.

(٣) انظر المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) الدر المنثور: ٥/ ١٠٤، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥) انظر: جمال القراء: ٣٧/١، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٩.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٤٩/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في في الدلائل.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٤٩/٦، وعزاه إلى مردويه.

(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٩٨/٣.

(٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٩٨/٣.

(١٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٩٨/٣.

(١١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٩٨/٣.

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧١/٣.

الثالث: أنها مكية كلها غير آية منها، وهي قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]، فإنها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة. وهذا قول ابن عباس أيضا[٣].

الرابع: نزلت من أولها إلى رأس العشر بمكة، وباقيها بالمدينة. قاله هبة الله بن سلامة[٤].

الخامس: نزلت من أولها إلى رأس العشر بالمدينة، وباقيها بمكة. وهذا مروي عن ابن عباس[٥]، وقتادة[٦]، والشعبي[٧]، وحكاه ابن الجوزي[٨].

السادس: أنها نزلت بين مكة والمدينة في طريقه حين هاجر- ﷺ-. وهذا مروي عن علي بن ابي طالب[٩]، وحكاه مقاتل[١٠].

قال السمعاني:" وعن علي أنه قال: نزلت بين مكة والمدينة. وهذه رواية غريبة"[١١].

قال الفيروزآبادي: " السورة مكية إجماعا"[١٢].

قال ابن عاشور:" هي مكية كلها في قول الجمهور"[١٣].

- **مناسبة سورة«العنكبوت» مع سورة «القصص»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنه ذكر فى السورة السالفة استعلاء فرعون وجبروته، وجعله أهلها شيعا، وافتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم المشركون، وعذبوهم على الإيمان، دون ما عذب به فرعون بني إسرائيل تسلية لهم بما وقع لمن قبلهم، وحثا لهم على الصبر، كما قال: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم} [العنكبوت : ٣].

٢- ذكر فى السورة السابقة نجاة موسى من فرعون وهربه منه ثم عوده إلى مصر رسولا نبيا، ثم ظفره من بعد بغرق فرعون وقومه ونصره عليهم نصرا مؤزرا، وذكر هنا نجاة نوح عليه السلام وأصحاب السفينة وإغراق من كذبه من قومه.

٣- نعى هناك على عبدة الأصنام والأوثان، وذكر أنه يفضحهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد- وهنا نعى عليهم أيضا وبين أنهم فى ضعفهم كضعف بيت العنكبوت.

٤- هناك قص قصص قارون وفرعون، وهنا ذكرهما أيضا، وبين عاقبة أعمالهما.

٥- ذكر هناك فى الخاتمة الإشارة إلى هجرة النبي ﷺ فى قوله: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص : ٨٥]، وفى خاتمة هذه أشار إلى هجرة المؤمنين بقوله: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ } [العنكبوت : ٥٦][١].

---

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٩٨/٣. دون سند.

(٢) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ١٣/ ٣٢٣.

(٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٧٤/٣.

(٤) انظر: الناس والمنسوخ: ١٤١.

(٥) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ١٣/ ٣٢٣.

(٦) انظر: الطبري: ٢٠/ ١٤.

(٧) انظر: تفسير السمعاني: ١٦٥/٤.

(٨) انظر: زاد المسير: ٣/ ٣٩٨.

(٩) انظر: تفسير السمعاني: ٤/ ١٦٥، وتفسير القرطبي: ١٣/ ٣٢٣، والتحرير والتنوير: ٢٠/ ٢٠٠.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧١/٣.

(١١) تفسير السمعاني: ٤/ ١٦٥.

(١٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٥٩.

(١٣) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٩٩.

- **أغراض السورة ومقاصدها**

مقاصد سورة العنكبوت على الجملة هي: الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والدعاء إلى الله تعالى وحده، من غير تعريج على غيره سبحانه أصلاً؛ لئلا يكون مثل المعرّج، مثل العنكبوت؛ فإن ذلك مَثَلُ كل من عرجَّ عنه سبحانه، وتعوَّض عوضاً منه، فهي سورة ضعف الكافرين، وقوة المؤمنين، وقد ظهر سر تسميتها بالعنكبوت.

والمحور الرئيس الذي تدور حوله السورة هو محور الإيمان وسياق السورة يمضي حول ذلك المحور ليقرر ثلاثة مقاصد:

الأول: حقيقة الإيمان، وسنة الابتلاء والفتنة، ومصير المؤمنين والمنافقين والكافرين، ثم فردية التبعة، فلا يحمل أحد عن أحد شيئاً يوم القيامة.

الثاني: عرض قصص الأنبياء السابقين، وما تصوره من فتن وعقبات في طريق الدعوات والدعاة، والتهوين من شأنها في النهاية حين تقاس إلى قوة الله. وبيان أن الحق الكامن في دعوة الرسل، هو ذاته الحق الكامن في خلق السماوات والأرض. وكله من عند الله.

الثالث: النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم. وبيان وحدة الدين كله، واتحاده مع دين الإسلام آخر الأديان، الذي يجحد به الكافرون، ويجادل فيه المشركون. وختم السورة بالتثبيت والبشرى والطمأنينة للمجاهدين في الله المهديين إلى سبله.

أما مقاصد السورة على وجه التفصيل، فهي تسير وفق التالي:

١- تثبيت المسلمين الذين فتنهم المشركون، وصدوهم عن الإسلام، أو عن الهجرة مع من هاجروا.

٢- من الفتن التي ذُكرت في هذه السورة فتنة طول مكث الأعداء وتسلطهم على المؤمنين؛ فربما ينظر الإنسان إلى طول مكث أعداء الله في الأرض، إلى طول مكثهم يتمتعون بالقوة، إلى طول مكثهم وهم الذين يسيطرون مقاليد الأمور، ويسيرونها وفق الوجهة التي تخدم مصالحهم وأغراضهم، فربما يحمله ذلك على أن تُزين له الدنيا، وأن يصد عن سبيل الله، وقد يفتتن بطول مكث الأعداء، فهذه السورة نبهت المؤمن الصادق إلى أن القصد من الفتن تمييز المؤمن الصادق من غير الصادق، {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} [العنكبوت : ١١]، {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين} [العنكبوت : ٣].

٣- وعد الله بنصر المؤمنين، وخذل أهل الشرك وأنصارهم من أهل الكتاب.

٤- الأمر بمجافاة المشركين ومفاصلتهم، والابتعاد منهم، ولو كانوا أولي قربى.

٥- وجوب صبر المؤمنين على أذى المشركين، وأن لهم في سعة الأرض ما ينجيهم من أذى أهل الشرك.

٦- مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ما عدا الظالمين منهم للمسلمين.

٧- أمر النبي ﷺ بالثبات على إبلاغ القرآن وشرائع الإسلام.

٨- التأسي في ذلك بأحوال الأمم التي جاءتها الرسل، وأن النبي محمداً ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل، بل جاء بمثل ما جاؤوا به.

٩- الاستدلال على أن القرآن الكريم منزل من عند الله؛ بدليل أمية من أنزل عليه صلى الله عليه وسلم. وتذكير المشركين بنعم الله عليهم؛ ليقلعوا عن عبادة ما سواه.

١٠- إلزام المشركين بإثبات وحدانيته بأنهم يعترفون بأنه خالق من في السماوات ومن في الأرض.

١١- الاستدلال على البعث بالنظر في بدء الخلق، وهو أعجب من إعادته.

١٢- إثبات الجزاء على الأعمال، وأن كل نفس توفى بما كسبت، ولا يظلم ربك أحداً.

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ٢٠/ ١٠٩.

١٣- توعد المشركين بالعذاب الذي يأتيهم بغتة، وهم يتهكمون باستعجاله.

١٤- ضرب المثل لاتخاذ المشركين أولياء من دون الله بمثل، وهو بيت العنكبوت؛ ففي هذا المثل إشارة إلى أن من اعتمد على قوة الأصنام وحفظها عن العذاب كالعنكبوت، اعتمدت على قوة بيتها الذي لا يحتمل مس أدنى الحشرات والرياح، وحفظها عن الحر والبرد. وهذا أتم في الدعوة إلى التوحيد الذي هو أعظم مقاصد القرآن(١).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين»(٢).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) موقع: [إسلام ويب].

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦٩/٧، والواحدي في التفسير الوسيط(٧٠٧):ص٤١٢/٣. وقد مرّ الكلام على هذا الحديث وأنه حديث موضوع لا يثبت.

القرآن

{الم (١)} [العنكبوت : ١]

التفسير:

{الم} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

وفي قوله تعالى: {الم (١)} [العنكبوت : ١]، وجوه:

أحدها: معناه: أنا الله أعلم. قاله ابن عباس(١). وروي عن سعيد بن جبير والضحاك نحو ذلك(٢).

الثاني: أنه: اسم من أسماء الله الأعظم. وهذا قول ابن عباس أيضا(٣).

وقال السدي:" أما الم حرف من حروف اسم الله"(٤).

وقال سالم بن عبد الله:"{الم}، و{حم}، و{ن} ونحوها، اسم الله مقطعة"(٥).

عن ابن عباس في قوله: "{الم}، و{حم}، و{ن}، قال: اسم مقطع"(٦).

الثالث: أنه اسم من أسماء القرآن. قاله ابن أبي نجيح(٧). وروي عن قتادة وزيد بن أنس نحو ذلك(٨).

الرابع: أن «الم»: هي فواتح يفتتح الله بها القرآن. قاله مجاهد(٩).

الخامس: أنه قسم. قاله عكرمة(١٠).

السادس: ما قاله ابو العالية، أن :" هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا وأزت فيها الألسن كلها منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو في الآية وبلا به، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم، وقال عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلم وعجب. فقال: وعجب أنهم ينطقون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به، فالألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف: إلا الله، واللام: لطف الله، والميم: مجد الله، فالألف: ستة، واللام: ثلاثون، والميم: أربعون"(١١). وروي، عن الربيع بن أنس نحو ذلك(١٢).

القرآن

{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)} [العنكبوت : ٢]

التفسير:

أظَنَّ الناس إذ قالوا: آمنا، أن الله يتركهم بلا ابتلاء ولا اختبار؟

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١١٩):ص٩/٣٠٢٩.

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/٣٠٢٩. بدون سند.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٠):ص٩/٣٠٢٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢١):ص٩/٣٠٢٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٢):ص٩/٣٠٢٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٣):ص٩/٣٠٢٩.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٥):ص٩/٣٠٣٠.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/٣٠٣٠. بدون سند.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٦):ص٩/٣٠٣٠.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٧):ص٩/٣٠٣٠.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٤):ص٩/٣٠٢٩-٣٠٣٠.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/ ٣٠٣٠. بدون سند.

قال مقاتل:" يقول: أحسبوا أن يتركوا عن التصديق بتوحيد الله- عز وجل- ولا يبتلون في إيمانهم"[١].
وفي سبب نزول الآيات[١، ٣]، ثلاثة وجوه:
أحدها: أنها نزلت من أجل قوم كانوا قد أظهروا الإسلام بمكة، وتخلفوا عن الهجرة. قاله الشعبي[٢].
قال الشعبي:" إنها نزلت، يعني {الم أحسب الناس أن يتركوا}، الآيتين في أناس كانوا بمكة أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب محمد نبي الله ﷺ من المدينة: إنه لا يقبل منكم إقرارا بالإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فاتبعهم المشركون، فردوهم، فنزلت فيهم هذه الآية، فكتبوا إليهم: إنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا، فقالوا: نخرج، فإن اتبعنا أحد قاتلناه، قال: فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ثم، فمنهم من قتل، ومنهم من نجا، فأنزله الله فيهم {ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم}"[٣].
وقال قتادة: نزلت في ناس من أهل مكة خرجوا يريدون النبي ﷺ فعرض لهم المشركون فرجعوا فكتب إليهم إخوانهم بما نزل فيهم من القرآن، فخرجوا فقتل من قتل وخلص من خلص فنزل القرآن: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}"[٤].
الثاني: أنها "نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله". وهذا قول عبد الله بن عبيد بن عمير[٥].
الثالث: -وهوقول مقاتل-: أنها" نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر وهو أول من يدعى إلى الجنة من شهداء أمة محمد- ﷺ- فجزع عليه أبواه. وكان الله- تبارك وتعالى- بين للمسلمين أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله- عز وجل- وقال النبي- ﷺ- يومئذ: سيد الشهداء مهجع[٦]، وكان رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله، فأنزل الله- عز وجل- في أبويه عبد الله وامرأته: {الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا..} [العنكبوت : ١ - ٢]"[٧].
ولا تعارض بين هذه الأسباب فكلها أمثلة لمن حصل لهم البلاء بسبب إيمانهم، وحكمها باقٍ.
قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب وفي هذه الجماعة فهي بمعناها باقية في أمة محمد ﷺ، موجود حكمها بقية الدهر، وذلك أن الفتنة من الله تعالى والاختبار باق في ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو وغير ذلك، وإذا اعتبر أيضا كل موضع ففيه ذلك

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٧٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٩/٢٠، وتفسير ابن ابي حاتم(١٧١٣١):ص٣٠٣١/٩.
(٣) أخرجه الطبري:٩/٢٠، وابن ابي حاتم(١٧١٣١):ص٣٠٣١/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٢):ص٣٠٣١/٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٨-٩، وتفسير ابن ابي حاتم(١٧١٣٦):ص٣٠٣٢/٩.
(٦)قال سعيد بن المسيب: "قتل يوم بدر خمسة رجال من المهاجرين من قريش مهجع مولى عمر يحمل يقول: يقول: أبا مهجع وإلى ربى أرجع، وقتل ذو الشمالين وابن بيضاء وعبيدة بن الحارث وعامر بن أبى وقاص". أخرجه ابن أبى شيبة (٣٦٠/٧، رقم ٣٦٦٩٩).
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٧٢. وذكره عنه الثعلبي:٢٧٠/٧. والواحدي في "أسباب النزول" ٣٤٠. وقال عنه الزيلعي: غريب. "تخريج أحاديث الكشاف" ٣/ ٣٩، وساق ما روي في شأن مهجع -رضي الله عنه-

بالأمراض وأنواع المحن ولكن التي تشبه نازلة المؤمنين مع قريش هي ما ذكرناه من أمر العدو في كل ثغر"(١).

قال ابن كثير:" قوله : { أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ } استفهام إنكار ، ومعناه : أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان ، كما جاء في الحديث الصحيح : "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء»(٢). وهذه الآية كقوله : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } [آل عمران : ١٤٢] ، ومثلها في سورة "براءة" وقال في البقرة : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } [البقرة : ٢١٤]"(٣).

وفي قوله تعالى:{وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)} [العنكبوت : ٢]، وجهان من التفسير:
أحدهما : لا يختبرون بما يعلم به صدق إيمانهم من كذبه. حكاه الزجاج(٤).

وروي عن ابن زيد: "{وهم لا يفتنون}، قال: لا يختبرون"(٥).
الثاني : لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم فيعلم بالصبر على البلاء الصادق الإيمان من غيره. وهذا معنى قول مجاهد(٦). وروي، عن سعيد ابن جبير، وقتادة والربيع بن أنس، ومعاوية بن قرة وخصيف: أنهم قالوا: «يبتلون»(٧).

قال الزجاج:" اللفظ لفظ استخبار والمعنى معنى تقرير وتوبيخ، ومعناه: أحسبوا أن نقنع منهم أن يقولوا «إنا مؤمنون» فقط ولا يمتحنون بما يتبين به حقيقة إيمانهم"(٨).

قال أسباط:" فابتلوا، عند الفرقة حين اقتتل علي، وطلحة، والزبير"(٩).

قال الحسن:" أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا لا إله إلا الله حتى أبتليهم فأعرف الصادق من الكاذب"(١٠).

قال ابن عباس:" كان النبي ﷺ يبعث من بعده أو من شاء الله منهم أنا على منهاج النبي وسبيله، فينزل الله بهم البلاء، فمن ثبت منهم على ما كان عليه فهو الصادق، ومن خالف إلى غير ذلك فهو كاذب"(١١).

قال الربيع بن أنس:" كان أمر النبي ﷺ رجالا وحسبوا أن الأمر يخفوا فلما أوذوا في الله ارتد منهم أقوام، وقال في آية أخرى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا قال: فكان أصحاب النبي ﷺ يقولون: أتتنا يعني

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/ ٣٠٥.

(٢)المسند (١٧٢/١) والترمذي في السنن برقم (٢٣٩٨) من طريق مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وقال الترمذي : "حديث حسن صحيح".

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٦٣.

(٤) معاني القرآن: ١٥٩/٤.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٧):ص٣٠٣٢/٩.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧١٣٤): ص٣٠٣٢/٩.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٠٣٢/٩. بدون سند.

(٨) معاني القرآن: ١٥٩/٤.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٥):ص٣٠٣٢/٩.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٣٣):ص ٩/ ٣٠٣١-٣٠٣٢.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٨):ص٣٠٣٠/٩.

السنن. على ما أوذوا في الله، وصبروا، عند البأساء والضراء وشكروا في السراء وقضى الله عليهم أنه سيبتليهم بالسراء والضراء والخير والشر وإلا من والخوف والطمأنينة والشخوص، واستخرج الله، عند ذلك أخبارهم من الدهر حتى وضعت الحرب أوزارها وجلسوا في المجالس آمنين، ثم قال النبي ﷺ في آخر عمره وخشي عليهم الدنيا وعرف أنهم سيأتون من قبلها أنها تفتح عليهم خزائنها فتقدم إليهم في ذلك أن تغرهم الحياة الدنيا وأخبرهم أن الفتنة واقعة وأنها مصيبة الذين ظلموا منهم خاصة فإذا فعلوا ذلك كانوا في انتقاص وتغيير"[١].

القرآن

{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)} [العنكبوت : ٣]

التفسير:

ولقد فتنَّا الذين من قبلهم من الأمم واختبرناهم، ممن أرسلنا إليهم رسلنا، فليعلمنَّ الله علمًا ظاهرًا للخلق صدق الصادقين في إيمانهم، وكذب الكاذبين؛ ليميز كلَّ فريق من الآخر.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [العنكبوت : ٣]، أي:" ولقد فتنَّا الذين من قبلهم من الأمم واختبرناهم، ممن أرسلنا إليهم رسلنا"[٢].

قال يحيى:" يعني: ابتلينا الذين من قبلهم"[٣].

قال الزجاج:" أي: اختبرنا وابتلينا"[٤].

قال الطبري: يقول:" ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الأمم، ممن أرسلنا إليهم رسلنا، فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد بأعدائهم، وتمكيننا إياهم من أذاهم، كموسى إذا أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتليناهم بفرعون وملئهم، وكعيسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه، فكذلك ابتلينا أتباعك بمخالفيك من أعدائك"[٥].

عن الضحاك: "{ولقد فتنا الذين من قبلهم}، يقول: ابتلينا الذين من قبلهم"[٦]. وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد، وعطاء الخرساني ومعاوية بن مرة وخصيف: مثل ذلك[٧].

وعن سعيد بن جبير، قوله:"{ولقد فتنا الذين من قبلهم}، يقول: ولقد اختبرناهم"[٨].

قوله تعالى:{فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت : ٣]، أي:" فليعلمنَّ الله علمًا ظاهرًا للخلق صدق الصادقين في إيمانهم، وكذب الكاذبين؛ ليميز كلَّ فريق من الآخر"[٩].

قال يحيى:" {فليعلمن الله الذين صدقوا} بما أظهروا من الإيمان، {وليعلمن الكاذبين} الذين أظهروا الإيمان وقلوبهم على الكفر، وهم المنافقون، وهذا علم الفعال"[١٠].

قال الطبري:" {فليعلمن الله الذين صدقوا} منهم في قيلهم آمنا {وليعلمن الكاذبين} منهم في قيلهم ذلك، والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٩):ص٩/٣٠٣٠-٣٠٣١.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦١٦.

(٤) معاني القرآن: ٤/١٦٠.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/٨.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٣٨):ص٩/ ٣٠٣٢.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩/ ٣٠٣٢. بدون سند.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٣٩):ص٩/ ٣٠٣٢.

(٩) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦١٦.

معنى ذلك: وليظهرن الله صدق الصادق منهم في قيله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بعدوه، ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه، على نحو ما قد بيناه فيما مضى قبل"(١).

قال الزجاج:" المعنى: وليعلمن صدق الصادق بوقوع صدقه منه، وكذب الكاذب بوقوع كذبه منه، وهو الذي يجازي عليه، والله قد علم الصادق من الكاذب قبل أن يخلقهما ولكن القصد قصد وقوع العلم بما يجازى عليه"(٢).

قال قتادة:" ليعلم الله الصادق من الكاذب والسامع من العاصي، وقد كان يقال: إن المؤمن ليضرب بالبلاء كما يفتن الذهب بالنار. وقد كان يقال: إن مثل الفتنة كمثل الدرهم الزيف يأخذه الأعمى ويراه البصير"(٣).

قال الحسن:" والله ما قال عبد في هذا الدين من قول إلا وعلى قوله دليل من عمله يصدقه أو يكذبه"(٤).

وروي عن أبي المسرور، عن رجل من بني قيس بن ثعلبة: "أن عليا كان يقرأ :«فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ»، قال: يُعْلِمُهُمُ النَّاسَ"(٥).

القرآن

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)} [العنكبوت : ٤]

التفسير:

بل أظنَّ الذين يعملون المعاصي مِن شرك وغيره أن يعجزونا، فيفوتونا بأنفسهم فلا نقدر عليهم؟ بئس حكمهم الذي يحكمون به.

قوله تعالى:{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا} [العنكبوت : ٤]، أي:" بل أظنَّ الذين يعملون المعاصي مِن شرك وغيره أن يعجزونا، فيفوتونا بأنفسهم فلا نقدر عليهم؟"(٦).

قال الطبري: يقول:" أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم، فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله"(٧).

قال يحيى:" أي: قد حسبوا ذلك وليس كما ظنوا، والسيئات -هاهنا-: الشرك"(٨).

قال الزجاج:" أي: يحسبون أنهم يفوتوننا، أي: ليس يعجزوننا"(٩).

قال ابن كثير:" أي : لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان ، فإن من ورائهم من العقوبة والنكال ما هو أغلظ من هذا وأطم ؛ ولهذا قال : { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا } أي : يفوتونا"(١٠).

عن قتادة، قوله: "{أم حسب الذين يعملون السيئات}، أي: الشرك أن يسبقونا"(١١).

---

(١) تفسير الطبري: ٨/٢٠.

(٢) معاني القرآن: ١٦٠/٤.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٤٨):ص٣٠٣٢/٩.

(٤) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/ ٦١٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٤٠):ص٣٠٣٢/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٧) تفسير الطبري: ١٠/٢٠.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦١٦.

(٩) معاني القرآن: ١٦٠/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٦٤/٦-٢٦٥.

(١١) أخرجه الطبري: ١٠/٢٠.

وعن قتادة، قوله: "{أم حسب الذين يعملون}، قال: اليهود"[1].
عن مجاهد :"{أن يسبقونا}: أن يعجزونا"[2].
قوله تعالى:{سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [العنكبوت : ٤]، أي:" بئس حكمهم الذي يحكمون به"[3].
قال يحيى:" بئس ما {يحكمون}، أن يظنوا أن الله خلقهم ثم لا يبعثهم فيجزيهم"[4].
قال الطبري: يقول:" ساء حكمهم الذي يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيئات يسبقوننا بأنفسهم"[5].
قال ابن كثير:" أي : بئس ما يظنون"[6].

القرآن
{مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥)} [العنكبوت : ٥]
التفسير:
من كان يرجو لقاء الله، ويطمع في ثوابه، فإن أجل الله الذي أجَّله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآتٍ قريبًا، وهو السميع للأقوال، العليم بالأفعال.
قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ} [العنكبوت : ٥]، أي:" من كان يرجو لقاء الله، ويطمع في ثوابه، فإن أجل الله الذي أجَّله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآتٍ قريبًا"[7].
قال الطبري: من كان يرجو الله يوم لقائه، ويطمع في ثوابه، فإن أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريبا"[8].
قال الزجاج:" معناه- والله أعلم-: من كان يرجو ثواب لقاء الله،، فأما من قال: إن معناه: الخوف، فالخوف ضد الرجاء، وليس في الكلام ضد"[9].
قال ابن كثير:" أي : في الدار الآخرة ، وعمل الصالحات رجاء ما عند الله من الثواب الجزيل ، فإن الله سيحقق له رجاءه ويوفيه عمله كاملا موفورا، فإن ذلك كائن لا محالة"[10].
عن سعيد بن جبير، قوله: "{من كان يرجوا لقاء الله}، يقول: من كان يخشى"[11]. وروي عن السدي مثل ذلك[12].
عن سعيد بن جبير، قوله :"{لقاء الله}: البعث في الآخرة"[1]. وفي رواية، قال:" ثواب ربه"[2].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٤٩):ص٩/٣٠٣٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/١٠.
(٣) التفسير الميسر: ٣٩٦.
(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦١٦.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/١٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٤.
(٧) التفسير الميسر: ٣٩٦.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/١٠.
(٩) معاني القرآن: ٤/١٦٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٦٥.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٥٢):ص٩/٣٠٣٣-٣٠٣٤.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/ ٣٠٣٤. بدون سند.

قوله تعالى:{وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت : ٥]، أي:" وهو السميع للأقوال، العليم بالأفعال"[٣].

قال الطبري: "يقول: والله الذي يرجو هذا الراجي بلقائه ثوابه، السميع لقوله: آمنا بالله، العليم بصدق قيله، إنه قد آمن من كذبه فيه"[٤].

قال ابن كثير:أي: " سميع الدعاء ، بصير بكل الكائنات"[٥].

عن محمد بن إسحاق: "{السميع}، أي: سميع لما يقولون، {عليم} بما يخفون"[٦].

القرآن

{وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)} [العنكبوت : ٦]

التفسير:

ومن جاهد في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وجاهد نفسه بحملها على الطاعة، فإنما يجاهد لنفسه؛ لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب على جهاده. إن الله لغني عن أعمال جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر.

قوله تعالى:{وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ} [العنكبوت : ٦]، أي:" ومن جاهد في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وجاهد نفسه بحملها على الطاعة، فإنما يجاهد لنفسه"[٧].

قال الطبري: " يقول: ومن يجاهد عدوه من المشركين فإنما يجاهد لنفسه؛ لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده، والهرب من العقاب"[٨].

قال ابن كثير:هو" كقوله : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ } [فصلت : ٤٦] أي : من عمل صالحا فإنما يعود نفع عمله على نفسه"[٩].

قال الحسن:" إن العبد ليجاهد في الله حق جهاده وما ضرب بسيف"[١٠].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت : ٦]، أي:" إن الله لغني عن أعمال جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر"[١١].

قال الطبري: " فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة، وذلك أن الله غني عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر"[١٢].

قال ابن كثير:" فإن الله غني عن أفعال العباد ، ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل واحد منهم ، ما زاد ذلك في ملكه شيئا"[١٣].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٥٣):ص٩/٣٠٣٤.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٥٤):ص٩/٣٠٣٤.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٤) تفسير الطبري: ١٠/٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٦٥.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٥٥)، (١٧١٥٦):ص٩/٣٠٣٤.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٨) تفسير الطبري: ١٠/٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٦٥.

(١٠) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٥٧):ص٩/ ٣٠٣٤.

(١١) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(١٢) تفسير الطبري: ١٠/٢٠.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٦٥.

عن مقاتل بن حيان، قوله: "{إن الله لغني} في سلطانه عما عندكم"[١].

القرآن

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧)} [العنكبوت : ٧]

التفسير:

والذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا الصالحات لنمحونَّ عنهم خطيئاتهم، ولنثيبنَّهم على أعمالهم الصالحة أحسن ما كانوا يعملون.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [العنكبوت : ٧]، أي:" والذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا الصالحات"[٢].

قال الطبري: يقول:" والذين آمنوا بالله ورسوله، فصح إيمانهم عند ابتلاء الله إياهم وفتنته لهم، ولم يرتدوا عن أديانهم بأذى المشركين إياهم {وعملوا الصالحات}"[٣].

عن زيد بن أسلم: "{والذين آمنوا}، قال: رسول الله ﷺ وأصحابه"[٤].

قوله تعالى:{لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} [العنكبوت : ٧]، أي:" لنمحونَّ عنهم خطيئاتهم"[٥].

قال الطبري: يقول:" {لنكفرن عنهم سيئاتهم} التي سلفت منهم في شركهم"[٦].

قال عباد منصور: "سألت الحسن، عن قوله: {لنكفرن عنهم سيئاتهم}، قال: هم المهاجرون"[٧].

قوله تعالى:{وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} [العنكبوت : ٧]، أي:" ولنثيبنَّهم على أعمالهم الصالحة أحسن ما كانوا يعملون"[٨].

قال الطبري:" يقول: ولنثيبنهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم، أحسن ما كانوا يعملون في حال شركهم مع تكفيرنا سيئات أعمالهم"[٩].

عن ابن عباس في قوله: {لنجزينهم}، قال: "إذا جاءوا إلى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"[١٠].

وعن ابن عباس، قوله: "{ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون}، قال: الجنة"[١١].

فوائد الآيات:[١-٧]

١- بيان سنة أن الإيمان يصدق بالأعمال أو يكذب.

٢- بيان إمكان التكليف بما يشق على النفس فعله أو تركه ولكن ليس بما لا يطاق.

٣- تحذير المغترين من العقوبة وإن تأخرت زمنا ما فإنها واقعة لا محالة.

---

(١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٥٨)، (١٧١٥٩):ص٩/ ٣٠٣٤-٣٠٣٥.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠-١١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٠):ص٩/٣٠٣٥.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦١):ص٩/٣٠٣٥.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٦.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٢):ص٩/٣٠٣٥.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٣):ص٩/٣٠٣٥.

٤- ثمرة الجهاد عائدة على المجاهد نفسه. فلذا لا ينبغي أن يمنها على الله تعالى بأن يقول فعلت وفعلت.
٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الوعد للذين آمنوا وعملوا الصالحات بتكفير السيئات والجزاء الأحسن وهذا يتم يوم البعث.

القرآن

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)} [العنكبوت : ٨]

التفسير:

ووصينا الإنسان بوالديه أن يبرهما، ويحسن إليهما بالقول والعمل، وإن جاهداك -أيها الإنسان- على أن تشرك معي في عبادتي، فلا تمتثل أمرهما. ويلحق بطلب الإشراك بالله، سائر المعاصي، فلا طاعة لمخلوق كائنًا من كان في معصية الله سبحانه، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ. إليَّ مصيركم يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئها، وأجازيكم عليها.

سبب النزول:

عن سماك بن حرب، قال: "سمعت مصعب بن سعد، يحدث، عن أبيه سعد، قال: «أنزلت في أربع آيات» - فذكر قصة - فقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر، قال: «فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها» فنزلت هذه الآية {ووصينا الإنسان بوالديه حسنا} [العنكبوت: ٨] الآية"[١].

قال قتادة:" نزلت في سعد بن أبي وقاص لما هاجر، قالت أمه: والله لا يظلني بيت حتى يرجع، فأنزل الله في ذلك أن يحسن إليهما، ولا يطيعهما في الشرك"[٢].

قال مقاتل:" نزلت في سعد بن أبي وقاص الزهري- رضي الله عنه- وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.. وذلك أنه حين أسلم حلفت أمه لا تأكل طعاما، ولا تشرب شرابا، ولا تدخل كنا حتى يرجع سعد عن الإسلام، فجعل سعد يترضاها فأبت عليه، وكان بها بارا فأتى سعد- رضي الله عنه- النبي- ﷺ- فشكى إليه فنزلت في سعد- رضي الله عنه- هذه الآية"[٣].

قوله تعالى:{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} [العنكبوت : ٨]، أي:" ووصينا الإنسان بوالديه أن يبرهما، ويحسن إليهما بالقول والعمل"[٤].

قال الطبري: يقول:" {ووصينا الإنسان} فيما أنزلنا إلى رسولنا {بوالديه} أن يفعل بهما {حسنا}"[٥].

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرا عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده ، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان ، ولهما عليه غاية الإحسان ، فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق ؛ ولهذا قال تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٨٩):ص٣٤١/٥، وقال:" هذا حديث حسن صحيح".

وأنظر: المسند (١٨١/١) وصحيح مسلم برقم (١٧٤٨) وسنن أبي داود برقم (٢٧٤٠)

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٧٤.

(٤) التفسير الميسر: ٣٩٧.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١.

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤]"[١].

قال الزجاج:" القراءة {حسنا}، وقد رويت :«إحسانا». و{حسنا} أجود لموافقة المصحف، فمن قال حسنا فهو مثل وصينا، إلا أن يفعل بوالديه ما يحسن. ومن قرأ: «إحسانا» فمعناه: ووصينا الإنسان أن يحسن إلى والديه إحسانا، وكأن {حسنا} أعم في البر"[٢].

قوله تعالى:{وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} [العنكبوت : ٨]، أي:" وإن جاهداك -أيها الإنسان- على أن تشرك معي في عبادتي، فلا تمتثل أمرهما"[٣].

قال الطبري: " فقلنا له: إن جاهداك والداك لتشرك بي ما ليس لك به علم أنه ليس لي شريك، فلا تطعهما فتشرك بي ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما، ولكن خالفهما في ذلك"[٤].

قال ابن كثير:" أي : وإن حَرَصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين ، فإياك وإياهما ، لا تطعهما في ذلك "[٥].

قوله تعالى:{إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} [العنكبوت : ٨]، أي:" إليَّ مصيركم يوم القيامة"[٦].

قال الطبري: يقول:" إلي معادكم ومصيركم يوم القيامة"[٧].

قال ابن كثير:" فإن مرجعكم إلي يوم القيامة"[٨].

عن الضحاك، قوله: "{إلي مرجعكم}، قال: البر والفاجر"[٩].

قوله تعالى:{فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت : ٨]، أي:" فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئها، وأجازيكم عليها"[١٠].

قال الطبري:" يقول: فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئاتها، ثم أجازيكم عليها المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله"[١١].

قال ابن كثير:" فأجزيك بإحسانك إليهما ، وصبرك على دينك"[١٢].

قال الربيع بن أنس: "يبعثهم الله من بعد الموت فيبعث أولياءه وأعداءه، فينبئهم بما عملوا لهم"[١٣].

قال مقاتل بن حيان:" ينبئهم يوم القيامة بكل شيء نطقوا به سيئة أو حسنة"[١٤].

القرآن

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٦٤.

(٢) معاني القرآن: ٤/ ١٦١.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٧.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١-١٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٦٥.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٧.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٦٥.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٦):ص٩/ ٣٠٣٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٣٩٧.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٦٥.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٧):ص٩/ ٣٠٣٦.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٨):ص٩/ ٣٠٣٦.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩)} [العنكبوت : ٩]
التفسير:
والذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات من الأعمال، لندخلنهم الجنة في جملة عباد الله الصالحين.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [العنكبوت : ٩]، أي:" والذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات من الأعمال"[١].

قال الطبري: يقول:" {والذين آمنوا} بالله ورسوله {وعملوا الصالحات} من الأعمال، وذلك أن يؤدوا فرائض الله، ويجتنبوا محارمه"[٢].

قوله تعالى:{لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ} [العنكبوت : ٩]، أي:" لندخلنهم الجنة في جملة عباد الله الصالحين"[٣].

قال الطبري: أي:" في مدخل الصالحين، وذلك الجنة"[٤].

قال ابن كثير:أي:" وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك ، وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا ، فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع مَنْ أحب ، أي : حبا دينيا"[٥].

عن ابن زيد، في قوله: "{في الصالحين}، قال: مع الصالحين مع الأنبياء والمؤمنين"[٦].

قال الزمخشري:" {فِي الصَّالِحِينَ}: في جملتهم. و«الصلاح» من أبلغ صفات المؤمنين، وهو متمنى أنبياء الله. قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام :{وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ}، وقال في إبراهيم عليه السلام: {وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}، أو في مدخل الصالحين وهي الجنة، وهذا نحو قوله تعالى:{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}، الآية"[٧].

القرآن
{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)} [العنكبوت : ١٠]
التفسير:
ومن الناس من يقول: آمنا بالله، فإذا آذاه المشركون جزع من عذابهم وأذاهم، كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذيَّة منه، فارتدَّ عن إيمانه، ولئن جاء نصر من ربك -أيها الرسول- لأهل الإيمان به ليقولَنَّ هؤلاء المرتدون عن إيمانهم: إنَّا كنا معكم -أيها المؤمنون- ننصركم على أعدائكم، أو ليس الله بأعلم من كل أحد بما في صدور جميع خلقه؟

في سبب نزول الآية قولان:

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٧.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٧.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٦٥.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧١٦٩):ص٩/٣٠٣٧.

(٧) الكشاف: ٣/ ٤٤٣.

أحدهما: أنها "نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا وأصابهم بلاء من المشركين، رجعوا إلى الكفر مخافة من يؤذيهم، وجعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله". قاله الضحاك[١].

الثاني: أنها نزلت في قوم من أهل الإيمان كانوا بمكة، فخرجوا مهاجرين، فأدركوا وأخذوا فأعطوا المشركين لما نالهم أذاهم ما أرادوا منهم. وهذا قول ابن عباس[٢]، وقتادة[٣]، والسدي[٤].

والسدي[٤].

قال ابن عباس:" كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بإسلامهم، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم وقتل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا، فاستغفروا لهم، فنزلت: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ... } إلى آخر الآية، قال: فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية أن لا عذر لهم، فخرجوا. فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت فيهم هذه الآية {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ... } إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كل خير، ثم نزلت فيهم {ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم} فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجا، فخرجوا، فأدركهم المشركون، فقاتلوهم، حتى نجا من نجا، وقتل من قتل"[٥].

عن قتادة، قوله: "{ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله ... }، إلى قوله: {وليعلمن المنافقين}، قال: هذه الآيات أنزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة، وهذه الآيات العشر مدنية إلى ههنا وسائرها مكي"[٦].

قال السدي:" كان ناس من المؤمنين آمنوا وهاجروا فلحقهم أبو سفيان فرد بعضهم إلى مكة فعذبهم فافتتنوا فأنزل فيهم هذا"[٧].

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} [العنكبوت : ١٠]، أي:" ومن الناس فريقٌ يقولون بألسنتهم آمنا بالله، فإِذا أُوذي أحدهم بسبب إيمانه ارتد عن الدين وجعل ما يصيبه من أذى الناس سبباً صارفاً له عن الإيمان كعذاب الله الشديد الذي يصرف الإنسان عن الكفر"[٨].

قال الطبري: يقول:" ومن الناس من يقول: أقررنا بالله فوحدناه، فإذا آذاه المشركون في إقراره بالله، جعل فتنة الناس إياه في الدنيا، كعذاب الله في الآخرة، فارتد عن إيمانه بالله، راجعا على الكفر به"[٩].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بألسنتهم ، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم ، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا ، اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم ، فارتدوا عن الإسلام"[١٠].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣-١٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٤.

(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٧٢):ص٩/٣٠٣٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٤.

(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٢):ص٩/٣٠٣٧.

(٨) صفوة التفاسير: ٢/ ٤١٧.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٥.

قال الزجاج:" أي: فإذا ناله أذى أو عذاب بسبب إيمانه جزع من ذلك ما يجزع من عذاب الله، وينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذية في الله عز وجل"(١).

قال ابن عباس:" فتنته: أن يرتد عن دين الله إذا أوذي في الله"(٢).

عن عطاء الخرساني: " فيقال: إذا أصابه بلاء في الله عدل عذاب الناس بعذاب الله"(٣).

وقال عطاء:" وعذاب الله لا ينقطع ولا يزول وعذاب الناس ينقطع"(٤).

قال مجاهد:" أناس يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا، فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة"(٥).

قال مجاهد:" عذاب أهل التكذيب بالصيحة والزلزلة وعذاب أهل التوحيد بالسيف"(٦).

قال ابن زيد:" هو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر، وجعل فتنة الناس كعذاب الله"(٧).

قوله تعالى:{وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} [العنكبوت : ١٠]، أي:" ولئن جاء نصر من ربك -أيها الرسول- لأهل الإيمان به ليقولنَّ هؤلاء المرتدون عن إيمانهم: إنَّا كنا معكم -أيها المؤمنون- ننصركم على أعدائكم"(٨).

قال الطبري: " {ولئن جاء نصر من ربك} يا محمد أهل الإيمان به {ليقولن} هؤلاء المرتدون عن إيمانهم، الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله {إنا كنا} أيها المؤمنون {معكم} ننصركم على أعدائكم، كذبا وإفكا"(٩).

قال ابن كثير:" أي : ولئن جاء نصر قريب من ربك - يا محمد - وفتح ومغانم ، ليقولن هؤلاء لكم : إنا كنا معكم ، أي كنا إخوانكم في الدين ، كما قال تعالى : { الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [النساء : ١٤١] ، وقال تعالى : { فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ } [المائدة : ٥٢]"(١٠).

قوله تعالى:{أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت : ١٠]، أي:" أو ليس الله بأعلم من كل أحد بما في صدور جميع خلقه؟"(١١).

قال الطبري: " يقول الله: {أوليس الله بأعلم} أيها القوم من كل أحد {بما في صدور العالمين} جميع خلقه، القائلين آمنا بالله وغيرهم، فإذا أوذي في الله ارتد عن دين الله فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية، ولا يستتر عنه سرا ولا علانية"(١٢).

---

(١) معاني القرآن: ٤/ ١٦١.

(٢) اخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣.

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٣)، (١٧١٧٤):ص٩/٣٠٣٧-٣٠٣٨.

(٤)أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٧):ص٩/٣٠٣٨ .

(٥) اخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣.

(٦)أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٧٨):ص٩/٣٠٣٨ .

(٧) اخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٧.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٥-٢٦٦.

(١١) التفسير الميسر: ٣٩٧.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢-١٣.

قال ابن كثير:" أي : أوليس الله بأعلم بما في قلوبهم ، وما تكنُّه ضمائرهم ، وإن أظهروا لكم الموافقة ؟"[١].

قال الزمخشري: أي:" من العالمين بما في صدورهم، ومن ذلك ما تكنّ صدور هؤلاء من النفاق، وهذا إطلاع منه للمؤمنين على ما أبطنوه، ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين"[٢].

وقرئ: «ليقولنّ»، بفتح اللام[٣].

القرآن

{وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١)} [العنكبوت : ١١]

التفسير:

وليعلمنَّ الله علمًا ظاهرًا للخلق الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، وليعلمنَّ المنافقين؛ ليميز كل فريق من الآخر.

قال يحيى:" وهذا علم الفعال، وهو مثل قوله الأول: {فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} [العنكبوت: ٣]"[٤].

قال الثعلبي:" أي ليميزنهم ويظهر أمرهم بالابتلاء والاختبار والفتن والمحن"[٥].

قال الطبري: يقول:" وليعلمن الله أولياء الله، وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم، وليعلمن المنافقين منكم حتى يميزوا كل فريق منكم من الفريق الآخر، بإظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم إلى الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام، وتثاقل المتثاقل منكم عنها"[٦].

قال ابن كثير:" أي : وليختبرَنّ الله الناس بالضراء والسراء ، ليتميز هؤلاء من هؤلاء ، ومن يطيع الله في الضراء والسراء ، إنما يطيعه في حظ نفسه ، كما قال تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } [محمد : ٣١] ، وقال تعالى بعد وقعة أحد ، التي كان فيها ما كان من الاختبار والامتحان : { مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ } الآية [آل عمران : ١٧٩] ، والله أعلم"[٧].

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢)} [العنكبوت : ١٢]

التفسير:

وقال الذين جحدوا وحدانية الله من قريش، ولم يؤمنوا بوعيد الله ووعده، للذين صدَّقوا الله منهم وعملوا بشرعه: اتركوا دين محمد، واتبعوا ديننا، فإنا نتحمل آثام خطاياكم، وليسوا بحاملين من آثامهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٦.

(٢) الكشاف: ٣/ ٤٤٤.

(٣) انظر: الكشاف: ٣/ ٤٤٤.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦١٩.

(٥) الكشف والبيان: ٧/ ٢٧٢.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٦.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} [العنكبوت : ١٢]، أي:" وقال الذين جحدوا وحدانية الله من قريش، ولم يؤمنوا بوعيد الله ووعده، للذين صدَّقوا الله منهم وعملوا بشرعه: اتركوا دين محمد، واتبعوا ديننا، فإنا نتحمل آثام خطاياكم"(١).

قال الطبري: " وقال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم: كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الأعمال، قالوا فإنكم إن اتبعتم سبيلنا في ذلك، فبعثتم من بعد الممات، وجوزيتم على الأعمال، فإنا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ"(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن كفار قريش : أنهم قالوا لِمَنْ آمن منهم واتبع الهدى : ارجعوا عن دينكم إلى ديننا ، واتبعوا سبيلنا ، { وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ } أي : وآثامكم - إن كانت لكم آثام في ذلك - علينا وفي رقابنا ، كما يقول القائل : «افعل هذا وخطيئتك في رقبتي»"(٣).

قال الزجاج:" المعنى: إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم، وإن كان فيه إثم فنحن نحتمله، ومعنى {سبيلنا} الطريق في ديننا الذي نسلكه"(٤).

عن مجاهد، قوله: "{اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم}، قال: قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم، يقول: قالوا: لا نبعث نحن ولا أنتم، فاتبعونا إن كان عليكم شيء فهو علينا"(٥).

قال الضحاك:" هم القادة من الكفار، قالوا لمن آمن من الأتباع: اتركوا دين محمد واتبعوا ديننا"(٦).

قوله تعالى:{وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [العنكبوت : ١٢]، أي:" وليسوا بحاملين من آثامهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا"(٧).

قال الطبري:" وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا {اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم} يقول جل ثناؤه: وكذبوا في قيلهم ذلك لهم، ما هم بحاملين من آثام خطاياهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم"(٨).

قال ابن كثير:" قال الله تكذيبا لهم : { وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } أي : فيما قالوه : إنهم يحملون عن أولئك خطاياهم ، فإنه لا يحمل أحد وزر أحد ، { وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى } [فاطر : ١٨] ، وقال تعالى : { وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا. يُبَصَّرُونَهُمْ } [المعارج : ١٠ ، ١١]"(٩).

القرآن

{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)} [العنكبوت : ١٣]

التفسير:

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٤-١٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٦.

(٤) معاني القرآن: ٤/ ١٦١-١٦٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٥.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٤.

(٨) .

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٦.

وليحملَنَّ هؤلاء المشركون أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار مَن أضلوا وصدُّوا عن سبيل الله مع أوزارهم، دون أن ينقص من أوزار تابعيهم شيء، وليُسألُنَّ يوم القيامة عما كانوا يختلقونه من الأكاذيب.

قوله تعالى:{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} [العنكبوت : ١٣]، أي:" وليحملَنَّ هؤلاء المشركون أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار مَن أضلوا وصدُّوا عن سبيل الله مع أوزارهم، دون أن ينقص من أوزار تابعيهم شيء"(١).

قال الطبري: يقول:" وليحملن هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم"(٢).

قال ابن كثير:هذا" إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة ، أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم ، وأوزارًا أخَر بسبب مَنْ أضلوا مِنَ الناس ، من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئا ، كما قال تعالى : { لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ } [النحل : ٢٥]"(٣).

عن قتادة :"{وليحملن أثقالهم}، أي: أوزارهم، {وأثقالا مع أثقالهم}، يقول: أوزار من أضلوا"(٤).

وقال قتادة:" من دعا قوما إلى الضلالة فعليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا"(٥).

قال ابن زيد، في قوله: "{وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم}،وقرأ قوله: {ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون}، قال: فهذا قوله: {وأثقالا مع أثقالهم}"(٦).

وفي الصحيح:« من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»(٧).

قوله تعالى:{وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [العنكبوت : ١٣]، أي:" وليُسألُنَّ يوم القيامة عما كانوا يختلقونه من الأكاذيب"(٨).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٦.

(٤) أخرجه الطبري: ١٦/٢٠.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨٩):ص٩/ ٣٠٤٠.

(٦) أخرجه الطبري: ١٦/٢٠.

(٧)حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٣٩٧/٢، رقم ٩١٤٩) ، ومسلم (٢٠٦٠/٤، رقم ٢٦٧٤) ، وأبو داود (٢٠١/٤، رقم ٤٦٠٩) ، والترمذى (٤٣/٥، رقم ٢٦٧٤) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٧٥/١، رقم ٢٠٦) . وأخرجه أيضا: أبو يعلى (٣٧٣/١١، رقم ٦٤٨٩) ، وابن حبان (٣١٨/١، رقم ١١٢) ، والدارمى (١٤١/١، رقم ٥١٣) .

حديث ابن عمر: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (١٦٨/١) ، قال الهيثمى: فيه عبيد الله بن تمام ضعفه البخارى وجماعة.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٤.

قال الطبري: يقول:" وليسألن يوم القيامة عما كانوا يكذبونهم في الدنيا بوعدهم إياهم الأباطيل، وقيلهم لهم: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك"(١).

قال ابن كثير:{ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}، " أي : يكذبون ويختلقون من البهتان"(٢).

قال الزجاج:" فذلك سؤال توبيخ كما قال: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات : ٢٤]، فأما سؤال استعلام فقد أعلم الله - عز وجل - أنه لا يسأل سؤال استعلام في قوله: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٣٩]"(٣).

عن ابن عباس قوله: "{يفترون}، قال: ما كانوا يكذبون في الدنيا"(٤).

عن قتادة قوله: "{عما كانوا يفترون}، قال: أي يشركون"(٥).

عن أبي أمامة ، رضي الله عنه ، قال : إن رسول الله ﷺ بلغ ما أرسل به ، ثم قال : "إياكم والظلم ، فإن الله يعزم يوم القيامة فيقول : وعزتي لا يجوزني اليوم ظلم! ثم ينادي مناد فيقول : أين فلان ابن فلان ؟ فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال ، فيشخص الناس إليها أبصارهم حتى يقوم بين يدي الله الرحمن عز وجل ثم يأمر المنادي فينادي من كانت له تِبَاعة - أو : ظُلامة - عند فلان ابن فلان ، فهلمّ. فيقبلون حتى يجتمعوا قياما بين يدي الرحمن ، فيقول الرحمن : اقضوا عن عبدي. فيقولون : كيف نقضي عنه ؟ فيقول لهم : خذوا لهم من حسناته. فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى له حسنة ، وقد بقي من أصحاب الظلامات ، فيقول : اقضوا عن عبدي. فيقولون : لم يبق له حسنة. فيقول : خذوا من سيئاتهم فاحملوها عليه". ثم نزع النبي ﷺ بهذه الآية الكريمة : { وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ }"(٦).

عن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : "يا معاذ ، إن المؤمن يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه ، حتى عن كُحْل عينيه ، وعن فتات الطينة بإصبعيه، فلا أُلْفَيَنَّكَ تأتي يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك الله منك"(٧).

فوائد الآيات:[٨-١٣]

١- وجوب بر الوالدين في المعروف وعدم طاعتهما فيما هو منكر كالشرك والمعاصي.
٢- بشرى المؤمنين العاملين للصالحات بإدخالهم الجنة مع النبيين والصديقين.
٣- ذم النفاق وكفر المنافقين وإن ادعوا الإيمان فما هم بمؤمنين.
٤- بيان ما كان عليه غلاة الكفر في مكة من العتو والطغيان.
٥- تقرير مبدأ من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها كما في الحديث الصحيح: " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا"(٨).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٦٧.

(٣) معاني القرآن: ٤/ ١٦٢-١٦٣.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٩١):ص٩/٣٠٤٠.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٩٢):ص٩/٣٠٤١.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٨٦):ص٩/ ٣٠٣٩-٣٠٤٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٥٠):ص:٧/٢٢٧٣، و(١٧١٩٠):ص٩/٣٠٤٠، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣١/١٠) من طريق إسحاق بن أبي حسان عن أحمد بن أبي الحواري به.

(٨)حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٣٩٧/٢، رقم ٩١٤٩) ، ومسلم (٢٠٦٠/٤، رقم ٢٦٧٤) ، وأبو داود (٢٠١/٤، رقم ٤٦٠٩) ، والترمذى (٤٣/٥، رقم ٢٦٧٤) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٧٥/١، رقم

وفي الصحيح أيضا: " لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل"(١).

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)} [العنكبوت : ١٤]

التفسير:

ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك، فلم يستجيبوا له، فأهلكهم الله بالطوفان، وهم ظالمون لأنفسهم بكفرهم وطغيانهم.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا} [العنكبوت : ١٤]، أي:" ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك"(٢).

قال الطبري:" وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش، القائلين للذين آمنوا: اتبعوا سبيلنا، ولنحمل خطاياكم، يقول لنبيه محمد ﷺ: لا يحزننك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى، فإني وإن أمليت لهم فأطلت إملاءهم، فإن مصير أمرهم إلى البوار، ومصير أمرك وأمر أصحابك إلى العلو والظفر بهم، والنجاة مما يحل بهم من العقاب، كفعلنا ذلك بنوح، إذ أرسلناه إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى التوحيد، وفراق الآلهة والأوثان، فلم يزدهم ذلك من دعائه إياهم إلى الله من الإقبال إليه، وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عند الله إلا فرارا"(٣).

قال ابن كثير:" هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ، يخبره عن نوح عليه السلام : أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلى الله ليلا ونهارًا ، وسرا ، وجهارًا ، ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فرارا عن الحق ، وإعراضا عنه وتكذيبا له ، وما آمن معه منهم إلا قليل"(٤).

قال ابن عباس:" بعث نوح وهو لأربعين سنة ، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، وعاش بعد الطوفان ستين عاما ، حتى كثر الناس وفشوا"(٥).

---

٢٠٦) . وأخرجه أيضا: أبو يعلى (٣٧٣/١١، رقم ٦٤٨٩) ، وابن حبان (٣١٨/١، رقم ١١٢) ، والدارمى (١٤١/١، رقم ٥١٣) .

حديث ابن عمر: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (١٦٨/١) ، قال الهيثمى: فيه عبيد الله بن تمام ضعفه البخارى وجماعة.

(١)أخرجه أحمد (٣٨٣/١، رقم ٣٦٣٠) ، وابن أبى شيبة (٤٣٥/٥، رقم ٢٧٧٥٩) ، والبخارى (١٢١٣/٣، رقم ٣١٥٧) ، ومسلم (١٣٠٣/٣، رقم ١٦٧٧) ، والترمذى (٤٢/٥، رقم ٢٦٧٣) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٨١/٧، رقم ٣٩٨٥) ، وابن ماجه (٨٧٣/٢، رقم ٢٦١٦) ، وابن أبى عاصم فى الديات (٥/١) . وأخرجه أيضا: أبو يعلى (١١٠/٩، رقم ٥١٧٩) ، وابن حبان (٣٢١/١٣، رقم ٥٩٨٣) ، والبيهقى (١٥/٨، رقم ١٥٦٠٢).

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٧.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٦.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٦-٢٦٨.

(٥) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٦.

وقال قتادة : يقال إن عمره كله كان ألف سنة إلا خمسين عاما ، لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلثمائة سنة، ودعاهم ثلثمائة ولبث بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة"(١).

قال ابن كثير:"وهذا قول غريب ، وظاهر السياق من الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما"(٢).

وقال عون بن أبي شداد: "إن الله أرسل نوحا إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاث مئة سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاث مئة سنة"(٣).

قال ابن كثير:" وهذا أيضا غريب ، رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وقول ابن عباس أقرب ، والله أعلم "(٤).

عن مجاهد قال : "قال لي ابن عمر : كم لبث نوح في قومه ؟ قال : قلت ألف سنة إلا خمسين عاما. قال : فإن الناس لم يزالوا في نقصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلى يومك هذا"(٥).

قوله تعالى:{فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت : ١٤]، أي:" فأهلكهم الله بالطوفان، وهم ظالمون لأنفسهم بكفرهم وطغيانهم"(٦).

قال مقاتل:" يعني: الماء طغى على كل شيء فأغرقوا"(٧).

قال الطبري: يقول:" فأهلكهم الماء الكثير وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم"(٨).

قال يحيى:" الطوفان الماء، فأغرقهم به. {وهم ظالمون}، أي: مشركون، ظالمون لأنفسهم وبظلمهم ضروا أنفسهم"(٩).

قال ابن كثير:" أي : بعد هذه المدة الطويلة ما نجع فيهم البلاغ والإنذار ، فأنت - يا محمد - لا تأسف على مَنْ كفر بك من قومك ، ولا تحزن عليهم ؛ فإن الله يهدي مَنْ يشاء ويضل مَنْ يشاء ، وبيده الأمر وإليه ترجع الأمور ، { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الألِيمَ } [يونس : ٩٦ ، ٩٧] ، واعلم أن الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك ، ويذل عدوّك ، ويكبتهم ويجعلهم أسفل السافلين"(١٠).

قال أبو عبيدة:" الطُّوفانُ»، مجازه: كل ما طام فاش من سيل كان أو من غيره وهو كذلك من الموت إذا كان جارفا فاشيا كثيرا، قال(١١):

أفناهم طوفان موت جارف"(١٢).

قال ابن قتيبة:" {الطوفان} المطر الشديد"(١).

---

(١) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٧.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٦.

(٥) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٧.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧٧/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٧.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٦٢١/٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٦-٢٦٨.

(١١) من مشطور الرجز، انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٠، والنكت والعيون: ٤/ ٢٧٩، وتفسير السمعاني: ١٧٢/٤، وتفسير القرطبي: ٤٣٣/١٣، .

(١٢) مجاز القرآن: ٢/ ١١٤.

قال الزجاج:" الطوفان من كل شيء: ما كان كثيرا مطيفا بالجماعة كلها كالغرق الذي يشتمل على المدن الكبيرة. يقال فيه طوفان. وكذلك القتل الذريع والموت الجارف طوفان"[٢].
عن قتادة، قوله: "{فأخذهم الطوفان}، قال: هو الماء الذي أرسل عليهم"[٣].
قال الضحاك:" الطوفان: الغرق"[٤].

القرآن
{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥)} [العنكبوت : ١٤]
فأنجينا نوحًا ومَن تبعه ممن كان معه في السفينة، وجعلنا ذلك عبرة وعظة للعالمين.
قوله تعالى:{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} [العنكبوت : ١٤]، أي:" فأنجينا نوحًا ومَن تبعه ممن كان معه في السفينة"[٥].
قال الطبري: يقول:" فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته، وهم الذين حملهم في سفينته من ولده وأزواجهم"[٦].
قال ابن كثير:" أي : الذين آمنوا بنوح عليه السلام "[٧].
قال الزجاج:" قد بين في غير هذه الآية من أصحاب السفينة - في قوله: {قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ} [هود : ٤٠]"[٨].
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [العنكبوت : ١٤]، أي:" وجعلنا ذلك عبرة وعظة للعالمين"[٩].
قال مقاتل:" يعني: السفينة {آية للعالمين}، يعني: لمن بعدهم من الناس"[١٠].
قال الطبري: " يقول: وجعلنا السفينة التي أنجيناه وأصحابه فيها عبرة وعظة للعالمين، وحجة عليهم، ولو قيل: وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين. كان وجها من التأويل"[١١].
قال قتادة:" أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي"[١٢].
قال ابن كثير:" أي : وجعلنا تلك السفينة باقية ، إما عينها كما قال قتادة : إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي ، أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق ، كيف نجاهم من الطوفان ، كما قال تعالى : { وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ. وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ. إلا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ } [يس : ٤١ - ٤٤] ، وقال تعالى : { إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ. لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ } [الحاقة : ١١ ، ١٢] ، وقال هاهنا : { فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا

---

(١) غريب القرآن: ٣٣٧.
(٢) معاني القرآن: ٤/ ١٦٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٧.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٧.
(٥) التفسير الميسر: ٣٩٧.
(٦) تفسير الطبري:٢٠/ ١٧.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٦.
(٨) معاني القرآن: ٤/ ١٦٤.
(٩) التفسير الميسر: ٣٩٧.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧٧/٣.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٨.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٨.

آيَةً لِلْعَالَمِينَ } ، وهذا من باب التدريج من الشخص إلى الجنس ، كقوله تعالى : { وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ } [الملك : ٥] أي : وجعلنا نوعها ، فإن التي يرمى بها ليست هي التي زينة للسماء. وقال تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ } [المؤمنون : ١٢ ، ١٣] ، ولهذا نظائر كثيرة"(١).

فوائد الآيتين: [١٤-١٥]:

١- بيان سنة الله تعالى في إرسال الرسل لهداية الخلق.

٢- بيان قلة من استجاب لنوح مع المدة الطويلة فيكون هذا تسلية لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدعاة من بعد.

٣- بيان إهلاك الله تعالى للظالمين وإنجائه المؤمنين وهي عبرة للمعتبرين.

القرآن

{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦)} [العنكبوت: ١٦]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- إبراهيم عليه السلام حين دعا قومه: أن أخلصوا العبادة لله وحده، واتقوا سخطه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ذلكم خير لكم، إن كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم.

قوله تعالى:{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ} [العنكبوت: ١٦]، أي:" واذكر -أيها الرسول- إبراهيم عليه السلام حين دعا قومه: أن أخلصوا العبادة لله وحده، واتقوا سخطه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه"(٢).

قال مقاتل:" يعني: وحدوا الله واخشوه"(٣).

قال ابن كثير:" أي : أخلصوا له العبادة والخوف"(٤).

قال الطبري:"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر أيضا يا محمد إبراهيم خليل الرحمن، إذ قال لقومه: اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الأوثان والأصنام، فإنه لا إله لكم غيره، واتقوا سخطه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه"(٥).

قال السدي:" ولد إبراهيم عليه السلام فكان في كل يوم مر به كأنه جمعة والجمعة كالشهر من سرعة شبابه، وكبر إبراهيم عليه السلام ثم أتى قومه فدعاهم. فقال: يا قوم، إني بريء مما تشركون"(٦).

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [العنكبوت: ١٦]، أي:" ذلكم خير لكم، إن كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم"(٧).

قال مقاتل:" يعني: عبادة الله خير لكم من عبادة الأوثان {إن كنتم تعلمون}، ولكنكم لا تعلمون"(٨).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٦-٢٦٩.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧٧/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٨.

(٦) أخرجه الن ابي حاتم(١٧٢٠٨):ص٣٠٤٣/٩.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٧٧/٣.

قال الطبري: "{ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون}ما هو خير لكم مما هو شر لكم"(١).
قال ابن كثير:" أي : إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة ، واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة "(٢).
عن سعيد بن جبير، قوله:"{خير لكم}، يعني: أفضل لكم"(٣).

القرآن
{إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)} [العنكبوت: ١٧]
التفسير:
ما تعبدون -أيها القوم- مِن دون الله إلا أصنامًا، وتفترون كذبًا بتسميتكم إياها آلهة، إنَّ أوثانكم التي تعبدونها من دون الله لا تقدر أن ترزقكم شيئًا، فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم، وأخلصوا له العبادة والشكر على رزقه إياكم، إلى الله تُردُّون من بعد مماتكم، فيجازيكم على ما عملتم.
قوله تعالى:{إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا} [العنكبوت: ١٧]، أي:" ما تعبدون -أيها القوم- مِن دون الله إلا أصنامًا، وتفترون كذبًا بتسميتكم إياها آلهة"(٤).
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل خليله إبراهيم لقومه: إنما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا، يعني مثلا"(٥).
قال مقاتل:" يعنى: أصناما"(٦).
عن قتادة، قوله: "{إنما تعبدون من دون الله أوثانا}، أصناما"(٧).
قوله تعالى:{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا} [العنكبوت: ١٧]، أي:" وتفترون كذبًا بتسميتكم إياها آلهة"(٨).
قال الطبري:أي:" وتصنعون كذبا وباطلا"(٩).
قال مقاتل:" تعلمونها بأيديكم ثم تزعمون أنها آلهة كذبا وأنتم تنحتونها"(١٠).
قال ابن كثير:" أخبرهم أن الأصنام التي يعبدونها والأوثان ، لا تضر ولا تنفع ، وإنما اختلقتم أنتم لها أسماء ، سميتموها آلهة ، وإنما هي مخلوقة مثلكم "(١١).
عن قتادة :"{وتخلقون إفكا}، أي: تصنعون أصناما"(١٢).
عن ابن زيد، قوله: "{وتخلقون إفكا}، الأوثان التي ينحتونها بأيديهم"(١).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٨.
(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٩.
(٣) أخرجه الن ابي حاتم(١٧٢٠٩):ص٩/٣٠٤٣.
(٤) التفسير الميسر: ٣٩٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٨.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٣٧٧.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٨.
(٨) التفسير الميسر: ٣٩٨.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٩.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٣٧٧.
(١١) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٩.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٩.

عن ابن عباس، قوله: "{وتخلقون إفكا}، قال: تنحتون تصورون إفكا"[2].

قال عطاء:" وتصورون إفكا"[3].

عن ابن عباس، قوله: "{وتخلقون إفكا}، يقول: تصنعون كذبا"[4].

عن ابن عباس:"{ وتخلقون إفكا}، يقول: وتقولون إفكا"[5].

وقال مجاهد:" تقولون كذبا"[6].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا} [العنكبوت: ١٧]، أي:" إنَّ أوثانكم التي تعبدونها من دون الله لا تقدر أن ترزقكم شيئًا"[7].

قال الطبري:يقول:" إن أوثانكم التي تعبدونها، لا تقدر أن ترزقكم شيئا"[8].

عن قتادة قوله: "{إن الذين تعبدون من دون الله}، هذا الوثن وهذا الحجر"[9].

قوله تعالى:{فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ} [العنكبوت: ١٧]، أي:" فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم"[10].

قال ابن كثير: "أي: فاطلبوا { عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ } أي : لا عند غيره ، فإن غيره لا يملك شيئا"[11].

قوله تعالى:{وَاعْبُدُوهُ} [العنكبوت: ١٧]، أي:" وأخلصوا له العبادة"[12].

قال الطبري:" يقول: وذلوا له"[13].

قال ابن كثير: " أي : كلوا من رزقه واعبدوه وحده "[14].

قوله تعالى:{وَاشْكُرُوا لَهُ} [العنكبوت: ١٧]، أي:" وأخلصوا له الشكر على رزقه إياكم"[15].

قال الطبري:أي:" على رزقه إياكم، ونعمه التي أنعمها عليكم"[16].

قال ابن كثير: " واشكروا له على ما أنعم به عليكم "[17].

قال قتادة: "كرامة أكرمكم الله بها، فاشكروا لله نعمه"[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢١٣):ص٣٠٤٤/٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٩.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٠.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢١٦):ص٣٠٤٤/٩.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٦.

(١٢) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٠.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٦.

(١٥) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(١٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٠.

(١٧) تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٦.

قال محمد بن كعب القرظي:" إن كل عمل عمل لله فهو شكر لأنعم الله"(٢).

قوله تعالى:{إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت: ١٧]، أي:" إلى الله تُردُّون من بعد مماتكم، فيجازيكم على ما عملتم"(٣).

قال الطبري:" يقول: إلى الله تردون من بعد مماتكم، فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره وأنتم عباده وخلقه، وفي نعمه تتقلبون، ورزقه تأكلون"(٤).

قال ابن كثير: " أي : يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله "(٥).

القرآن

{وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨)} [العنكبوت: ١٨]

التفسير:

وإن تكذِّبوا -أيها الناس- رسولنا محمدًا ﷺ فيما دعاكم إليه من عبادة الله وحده، فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها فيما دعتهم إليه من الحق، فحل بهم سخط الله، وما على الرَّسول محمد إلا أن يبلغكم عن الله رسالته البلاغ الواضح، وقد فَعَل.

قوله تعالى:{وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ} [العنكبوت: ١٨]، أي:" وإن تكذِّبوا -أيها الناس- رسولنا محمدًا ﷺ فيما دعاكم إليه من عبادة الله وحده، فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها فيما دعتهم إليه من الحق، فحل بهم سخط الله"(٦).

قال الطبري: يقول: " وإن تكذبوا أيها الناس رسولنا محمدا ﷺ فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم، والبراءة من الأوثان، فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها فيما دعتهم إليه الرسل من الحق، فحل بها من الله سخطه، ونزل بها من عاجل عقوبته، فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه"(٧).

قال ابن كثير: " أي : فبلغكم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل "(٨).

عن قتادة قوله: "{إن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم}، قال: يعزي نبيه ﷺ"(٩).

قال ابن كثير: " وهذا من قتادة يقتضي أنه قد انقطع الكلام الأول ، واعترض بهذا إلى قوله : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ }. وهكذا نص على ذلك ابن جرير أيضا(١٠).

والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل ، عليه السلام لقومه يحتج عليهم لإثبات المعاد ، لقوله بعد هذا كله : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ } ، والله أعلم"(١١).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢١٧):ص٩/٣٠٤٤.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢١٨):ص٩/٣٠٤٤.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٩.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٩.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢١٩):ص٩/٣٠٤٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٦/٢٧٠.

قوله تعالى:{وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [العنكبوت: ١٨]، أي:" وما على الرَّسول محمد إلا أن يبلغكم عن الله رسالته البلاغ الواضح"(١).

قال الطبري: "يقول: وما على محمد إلا أن يبلغكم عن الله رسالته، ويؤدي إليكم ما أمره بأدائه إليكم ربه. ويعني بالبلاغ المبين: الذي يبين لمن سمعه ما يراد به، ويفهم به ما يعني به"(٢).

قال ابن كثير: " يعني : إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة ، والله يضل مَنْ يشاء ويهدي مَنْ يشاء ، فاحرصوا لأنفسكم أن تكونوا من السعداء"(٣).

عن سعيد بن جبير:"{المبين}، يعني: البيّن"(٤).

فوائد الآيات:[١٦-١٨]:

١- وجوب عبادة الله وتقواه طلباً للنجاة من الخسران في الدارين.

٢- بطلان عبادة غير الله عن طريق الأدلة العقلية.

٣- ما عبد الناس الأوثان إلا من جهلهم وفقرهم فلذا يجب أن يعلموا أن الله هو ربهم المستحق لعبادتهم وأن الله تعالى هو الذي يسد فقرهم ويرزقهم ومن عداه لا يملك ذلك لهم

٤- وجوب شكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وبطاعته وصرف النعم فيما من أجله أنعم بها على عبده.

٥- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأنيب المشركين من أهل مكة.

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩)} [العنكبوت : ١٩]

التفسير:

أو لم يعلم هؤلاء كيف ينشئ الله الخلق من العدم، ثم يعيده من بعد فنائه، كما بدأه أول مرة خلقًا جديدًا، لا يتعذر عليه ذلك؟ إن ذلك على الله يسير، كما كان يسيرًا عليه إنشاؤه.

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} [العنكبوت : ١٩]، أي:" أو لم يعلم هؤلاء كيف ينشئ الله الخلق من العدم، ثم يعيده من بعد فنائه، كما بدأه أول مرة خلقًا جديدًا، لا يتعذر عليه ذلك؟"(٥).

قال مقاتل:" يقول: أو لم يعلم كفار مكة كيف بدأ الله- عز وجل- خلق الإنسان من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم عظاما، ثم لحما، ولم يكونوا شيئا ثم هلكوا، ثم يعيدهم في الآخرة"(٦).

قال الطبري: يقول:" أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء طفلا صغيرا، ثم غلاما يافعا، ثم رجلا مجتمعا، ثم كهلا، ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه، كما بدأه أول مرة خلقا جديدا، لا يتعذر عليه ذلك"(٧).

قال الصابوني:" الاستفهام لتلوبيخ لمنكري الحشر، أي: أولم ير المكذبون بالدلائل الساطعة كيف خلق تعالى الخلق ابتداءً من العدم، فيستدلون بالخلقة الأولى على الإعادة في الحشر؟"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٢٦٩-٢٧٠.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٢٠):ص٩/٣٠٤٥.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٣٧٨.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/٢٠-٢١.

عن الربيع بن أنس، قوله: "{أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده}، قدروا كيف يبدي الله الخلق، خلق أنفسهم ثم يعيدهم إلى التراب"(٢).

عن قتادة قوله: "{أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق}: بالبعث بعد الموت"(٣).

قال وهب:" خلق الله ابن آدم كما شاء ومما شاء فكان كذلك فتبارك الله أحسن الخالقين، خلق من التراب والماء، فمنه لحمه ودمه وشعره وعظامه وجسده، فهذا بدء الخلق الذي خلق الله منه ابن آدم. ثم جعلت فيه النفس فيها يقوم ويقعد ويسمع ويبصر ويعلم ما تعلم الدواب ويتقي ما تتقي ثم جعلت فيه الروح فبه عرف الحق من الباطل والرشد من الغي، وبه حذر وتقدم واستشار وتعلم ودبر الأمور كلها. فمن التراب يبوسته ومن الماء رطوبته. فهذا بدء الخلق الذي منه خلق الله ابن آدم كما أحب أن يكون"(٤).

إنه قرأ في بعض الكتب: أن الله تبارك وتعالى حين خلق الخلق فنظر إليهم حين مشوا على وجه الأرض وجرت الأنهار، قال: أنا الله الذي خلقتك بقوتي وأتقنتك بحكمتي، حق قضائي ونافذ أمري، وأنا الذي أفنيك كما خلقتك، حتى أبقى كما كنت قبل أن أخلقك وحدي، لأن الملك والخلود لا ينبغي إلا لي. ثم أعيد خلقي بعد فنائهم لجزائي وأجمعهم لقضائي، فيومئذ يخشى خلقي عذابي ووعيدي، ويومئذ تجل القلوب من خوفي وترفل الأقدام من هيبتي، وتخف القلوب من شدة سلطاني، وتبرأ الآلهة ممن عبدها دوني"(٥).

وتقرأ: «تروا»، بالتاء(٦).

قوله تعالى:{إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [العنكبوت : ١٩]، أي:" إن ذلك على الله يسير، كما كان يسيرًا عليه إنشاؤه"(٧).

قال مقاتل:" يقول: إعادتهم في الآخرة على الله- عز وجل- هين"(٨).

قال الطبري:أي:" سهل كما كان يسيرا عليه إبداؤه"(٩).

عن ابن عباس، قوله: "{يسير}، يعني: هينا"(١٠).

القرآن

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)} [العنكبوت : ٢٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمنكري البعث بعد الممات: سيروا في الأرض، فانظروا كيف أنشأ الله الخلق، ولم يتعذر عليه إنشاؤه مبتدَأً؟ فكذلك لا يتعذر عليه إعادة إنشائه النشأة الآخرة. إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء أراده.

---

(١) صفوة التفاسير: ٢/ ٤١٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٢٢):ص٩/٣٠٤٥.

(٣) أخرجه الطبري:٢٠/٢١، وابن ابي حاتم(١٧٢٢٣):ص٩/٣٠٤٥. بلفظ:" بعد الموت البعث".

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٢٨):ص٩/٢٩١١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٢٩):ص٩/٢٩١١-٢٩١٢.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٤/ ١٦٥.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٣٧٨.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/٢١.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٢٤):ص٩/٣٠٤٥.

قوله تعالى:{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} [العنكبوت : ٢٠]، أي:" قل -أيها الرسول- لمنكري البعث بعد الممات: سيروا في أرجاء الأرض، فانظروا كيف أنشأ الله الخلق"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات، الجاحدين الثواب والعقاب: {سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ} الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها؛ وكما أوجدها وأحدثها ابتداء، فلم يتعذر عليه إحداثها مبدئا، فكذلك لا يتعذر عليه إنشاؤها معيدا"[٢].

عن قتادة: "{فانظروا كيف بدأ الخلق}: خلق الله السموات والأرض"[٣].

قوله تعالى:{ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ} [العنكبوت : ٢٠]، أي:" ثم هو تعالى ينشئهم عند البعث نشأةً أخرى"[٤].

قال الطبري: "يقول: ثم الله يبدئ تلك البدأة الآخرة بعد الفناء"[٥].

عن قتادة، قوله: "{الله ينشئ النشأة الآخرة}، قال: البعث بعد الموت"[٦].

قال ابن عباس:" هي الحياة بعد الموت، وهو النشور"[٧].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت : ٢٠]، أي:" إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء أراده"[٨].

قال الطبري: يقول:" إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفنائه كهيئته قبل فنائه، وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شيء أراده"[٩].

القرآن

{يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١)} [العنكبوت : ٢١]

التفسير:

يعذب مَن يشاء مِن خلقه على ما أسلف مِن جرمه في أيام حياته، ويرحم مَن يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحًا، وإليه ترجعون، فيجازيكم بما عملتم.

قوله تعالى:{يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ} [العنكبوت : ٢١]، أي:" يعذب مَن يشاء مِن خلقه على ما أسلف مِن جرمه في أيام حياته، ويرحم مَن يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحًا"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {ثم الله ينشئ النشأة الآخرة} خلقه من بعد فنائهم، فـ {يعذب من يشاء} منهم على ما أسلف من جرمه في أيام حياته، {ويرحم من يشاء} منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحا"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٨.[بتصرف بسيط]

(٢) تفسير الطبري: ٢١/٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٢٧):ص٣٠٤٦/٩.

(٤) صفوة التفاسير: ٢/ ٤١٩.

(٥) تفسير الطبري: ٢١/٢٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٢٨):ص٣٠٤٦/٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٢١/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٩) تفسير الطبري: ٢١/٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٣٩٨.

قال سفيان:" يغفر لمن يشاء العظيم، ويعذب من يشاء على الصغير"[2].

قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} [العنكبوت : ٢١]، أي:" وإليه ترجعون، فيجازيكم بما عملتم"[3].

قال الطبري:" يقول: وإليه ترجعون وتردون"[4].

القرآن

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢)} [العنكبوت : ٢٢]

التفسير:

وما أنتم -أيها الناس- بمعجزي الله في الأرض ولا في السماء إن عصيتموه، وما كان لكم من دون الله مِن وليٍّ يلي أموركم، ولا نصير ينصركم من الله إن أراد بكم سوءًا.

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} [العنكبوت : ٢٢]، أي:" وما أنتم -أيها الناس- بمعجزي الله في الأرض ولا في السماء إن عصيتموه"[5].

قال الأخفش:" أي: لا تعجزوننا هربا في الأرض ولا في السماء"[6].

قال ابن قتيبة:" أراد: ولا من في السماء بمعجز"[7].

قال يحيى:" يعني: ما أنتم بسابقي الله بأعمالكم الخبيثة فتفوتونه هربا"[8].

قال السدي:" يعني: ما أنتم بسابقي الله بأعمالكم الخبيثة، فتفوتوه هربا"[9].

قال ابن زيد:" لا يعجز أهل الأرضين في الأرضين، ولا أهل السماوات في السماوات إن عصوه وقرأ لا يعزب، عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين"[10].

قال الطبري:" ولو قال قائل: معناه: ولا أنتم بمعجزين في الأرض، ولا أنتم لو كنتم في السماء بمعجزين كان مذهبا"[11].

عن ابن الزبير:"{بمعجزين}، يعني: مثبطين"[12].

قال الفراء:" يقول: القائل: وكيف وصفهم أنهم لا يعجزون في الأرض ولا في السماء، وليسوا من أهل السماء؟ فالمعنى- والله أعلم- ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا من في السماء بمعجز. وهو من غامض العربية للضمير الذي لم يظهر في الثاني، ومثله قول حسان[13]:

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢/٢٠.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٢٩):ص٩/٣٠٤٦.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٤) تفسير الطبري: ٢٢/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٦) معاني القرآن: ٤٧٣/٢.

(٧) غريب القرآن: ١٣٨.

(٨)**التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٣٢٤.**

(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٦٢٤/٢.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٣١):ص٩/٣٠٤٦.

(١١) تفسير الطبري: ٢٣/٢٠.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٣٠):ص٩/٣٠٤٦.

(١٣)البيت لحسان في "ديوانه" ص ٨، وينظر: "السيرة النبوية" ٤/ ٤٦، "تذكرة النحاة" ص ٧٠، "الخزانة" ٩/

أَمَنْ يهجُو رسولَ اللهِ منكمْ ... ويمدحُه وينصرُه سواءُ

أراد: ومن ينصره ويمدحه فأضمر «من» وقد يقع في وهم السامع أن المدح والنصر لمن هذه الظاهرة. ومثله في الكلام: أكرم من أتاك وأتى أباك، وأكرم من أتاك ولم يأت زيدا، تريد: ومن لم يأت زيدا"[١].

قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [العنكبوت : ٢٢]، أي:" وما كان لكم من دون الله مِن وليٍّ يلي أموركم، ولا نصير ينصركم من الله إن أراد بكم سوءًا"[٢].

قال الطبري:" يقول: وما كان لكم أيها الناس من دون الله من ولي يلي أموركم، ولا نصير ينصركم منه الله إن أراد بكم سوءا ولا يمنعكم منه إن أحل بكم عقوبته"[٣].

القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)} [العنكبوت : ٢٣]

التفسير:

والذين جحدوا حُجج الله وأنكروا أدلته، ولقاءه يوم القيامة، أولئك ليس لهم مطمع في رحمتي لَمَّا عاينوا ما أُعِدَّ لهم من العذاب، وأولئك لهم عذاب مؤلم موجع.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ} [العنكبوت : ٢٣]، أي:" والذين جحدوا حُجج الله وأنكروا أدلته، ولقاءه يوم القيامة"[٤].

قال الطبري: يقول: " والذين كفروا حجج الله، وأنكروا أدلته، وجحدوا لقاءه والورود عليه، يوم تقوم الساعة"[٥].

قال السدي:" ما آيات الله إلا محمد ﷺ"[٦].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{لقائه}، قال: البعث في الآخرة"[٧].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي} [العنكبوت : ٢٣]، أي:" أولئك ليس لهم مطمع في رحمتي لَمَّا عاينوا ما أُعِدَّ لهم من العذاب"[٨].

قال يحيى:" يعني: من جنتي"[٩].

قال الطبري: يقول: " أولئك يئسوا من رحمتي في الآخرة لما عاينوا ما أعد لهم من العذاب"[١٠].

قال ابن فورك:" أي بعلمهم؛ أنها لا تقع بهم"[١١].

٢٣٢، "إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ٣٥٣، "البحر المحيط" ١/ ٦٤٠.

(١) معاني القرآن: ٢/ ٣١٥.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٣) تفسير الطبري: ٢٣/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٥) تفسير الطبري: ٢٣/٢٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٣٢):ص٩/٣٠٤٦.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٣٣):ص٩/٣٠٤٦.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٩)**التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٣٢٤.**

(١٠) تفسير الطبري: ٢٣/٢٠.

(١١) تفسير ابن فورك:٣٨٦/١.

قوله تعالى:{وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [العنكبوت : ٢٣]، أي:" وأولئك لهم عذاب مؤلم موجع"(١).

قال الطبري: يقول: "وأولئك لهم عذاب موجع"(٢).

قال الزجاج:" روي عن قتادة أنه قال: إن الله ذم قوما هانوا عليه فقال: {أولئك يئسوا من رحمتي}، وقال: {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}. وينبغي للمؤمن ألا ييئس من روح الله، ولا من رحمته، ولا يأمن من عذابه وعقابه، وصفة المؤمن أن يكون راجيا لله، خائفا"(٣).

فوائد الآيات:[١٩-٢٣]:

١- وجوب استعمال العقل للاستدلال على الغائب بالحاضر وعلى المعدوم بالموجود.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء وذكر أدلتها التفصيلية.

٣- تقرير عجز الإنسان التام وأنه لا مهرب له من الله تعالى ربه ومالكه وهي حال تستدعي الفرار إلى الله اليوم بالإيمان والتقوى.

٤- إنذار المكذبين بأنهم إن ماتوا على التكذيب بالبعث لا يدخلون الجنة بحال، وسيعذبون في نار جهنم أشد العذاب.

القرآن

{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤)} [العنكبوت : ٢٤]

التفسير:

فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرِّقوه بالنار، فألقوه فيها، فأنجاه الله منها، وجعلها عليه بردًا وسلامًا، إن في إنجائنا لإبراهيم من النار لأدلة وحججًا لقوم يصدِّقون الله ويعملون بشرعه.

قوله تعالى:{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} [العنكبوت : ٢٤]، أي:" فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرِّقوه بالنار"(٤).

قال الطبري: يقول:" فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم: {اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} إلا أن قال بعضهم لبعض: {اقتلوه أو حرقوه}بالنار، ففعلوا"(٥).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ، ودفعهم الحق بالباطل : أنه ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان ، { إلا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ } ، وذلك لأنهم قام عليهم البرهان ، وتوجهت عليهم الحجة ، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم ، { قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ. فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأسْفَلِينَ } [الصافات : ٩٧ ، ٩٨] ، وذلك أنهم حَشَدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة ، وحَوّطوا حولها ، ثم أضرموا فيها النار ، فارتفع لها لهب إلى عَنَان السماء : ولم توقد نار قط أعظم منها ، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفَّة المنجنيق ، ثم قذفوا به فيها"(٦).

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٨.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/٢٣.

(٣) معاني القرآن: ٤/ ١٦٥.

(٤) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧١.

قوله تعالى:{فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ} [العنكبوت : ٢٤]، أي:" فألقوه في النار، فأنجاه الله منها"(١).
قال الزجاج:" المعنى: فحرقوه فأنجاه الله من النار"(٢).
قال الطبري: " فأرادوا إحراقه بالنار، فأضرموا له النار، فألقوه فيها، فأنجاه الله منها، ولم يسلطها عليه، بل جعلها عليه بردا وسلاما"(٣).
قال ابن كثير:" أي : سَلَّمه الله منها ، بأن جعلها عليه بردا وسلاما، وخرج منها سالما بعد ما مكث فيها أياما. ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إماما. فإنه بذل نفسه للرحمن ، وجسده للنيران ، وسخا بولده للقربان ، وجعل ماله للضيفان ، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان"(٤).
قال قتادة: "فأنجاه الله من النار، قال كعب: ما أحرقت النار منه إلا وثاقه"(٥).
قال السدي:" فرفع رأسه إلى السماء فقال: حسبي الله ونعم الوكيل فقذفوه في النار. فناداها فقال: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم. وكان جبريل عليه السلام هو الذي ناداها. فقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من بردها، ولم يبق يومئذ في الأرض نارا إلا طفيت ظنت أنها هي تعني، فلما طفيت النار نظروا إلى إبراهيم فإذا هو رجل آخر معه، ورأس إبراهيم في حجره يمسح، عن وجهه العرق وذكر أن ذلك الرجل ملك الظل، فأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم وأخرجوا إبراهيم فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه فكلمه"(٦).
قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت : ٢٤]، أي:" إن في إنجائنا لإبراهيم من النار لأدلة وحججًا لقوم يصدِّقون الله ويعملون بشرعه"(٧).
قال الطبري:يقول: "إن في إنجائنا لإبراهيم من النار، وقد ألقي فيها وهي تسعر، وتصييرها عليه بردا وسلاما، لأدلة وحججا لقوم يصدقون بالأدلة والحجج إذا عاينوا ورأوا"(٨).

القرآن
{وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٥)} [العنكبوت : ٢٥]
التفسير:
وقال إبراهيم لقومه: يا قوم إنما عبدتم من دون الله آلهة باطلة، اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا، تتحابون على عبادتها، وتتوادون على خدمتها، ثم يوم القيامة، يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضًا، ومصيركم جميعًا النار، وليس لكم ناصر يمنعكم من دخولها.
قوله تعالى:{وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا} [العنكبوت : ٢٥]، أي:" وقال إبراهيم لقومه: يا قوم إنما عبدتم من دون الله آلهة باطلة"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٩.
(٢) معاني القرآن:٤/ ١٦٦.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧١.[بتصرف بسيط]
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٣٧)، والطبري: ٢٠/ ٢٤.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٣٦):ص٩/ ٣٠٤٨.
(٧) التفسير الميسر: ٣٩٩.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٤.

قوله تعالى:{مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [العنكبوت : ٢٥]، أي:" اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا، تتحابون على عبادتها، وتتوادون على خدمتها"[٢].

قال ابن كثير:" يقول لقومه مقرّعا لهم وموبخا على سوء صنيعهم ، في عبادتهم الأوثان : إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا ، صداقة وألفة منكم ، بعضكم لبعض في الحياة الدنيا. وهذا على قراءة من نصب { مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ } ، على أنه مفعول له ، وأما على قراءة الرفع فمعناه : إنما اتخاذكم هذا يُحَصّل لكم المودة في الدنيا فقط"[٣].

قال قتادة:" إنما اتخذتموها لثوابها في الدنيا"[٤].

قال قتادة:" صارت كل خلة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة إلا خلة المتقين"[٥].

قال ابن عباس:" الدنيا جميعها من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضا منها ستة آلاف وما بقي من ستين، وتبقى الدنيا وليس عليها مؤخر؟ قال أبو طالب: من سنين"[٦].

قوله تعالى:{ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} [العنكبوت : ٢٥]، أي:" ثم يوم القيامة، يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضًا"[٧].

قال الطبري: يقول:" ثم يوم القيامة أيها المتوادون على عبادة الأوثان والأصنام، والمتواصلون على خدماتها عند ورودكم على ربكم، ومعاينتكم ما أعد الله لكم على التواصل، والتواد في الدنيا من أليم العذاب، يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضا"[٨].

قال ابن كثير:" { ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ينعكس هذا الحال ، فتبقى هذه الصداقة والمودة بَغْضَة وشنآنا ، فـ { يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ } أي : تتجاحدون ما كان بينكم ، { وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا } أي : يلعن الأتباع المتبوعين ، والمتبوعون الأتباع ، { كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا } [الأعراف : ٣٨]، وقال تعالى : { الأخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ } [الزخرف : ٦٧]"[٩].

عن أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رضي الله، عنهما قالت: "قال لي النبي صلى الله عليه وسلم أخبرك أن الله تبارك وتعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد فمن يدري أين الطرفان؟ فقالت: الله ورسوله أعلم ثم ينادي مناد من تحت العرش، يا أهل، التوحيد فيشرئبون قال أبو عاصم: يرفعون رؤوسهم- ثم ينادي يا أهل التوحيد، ثم ينادي الثالثة: يا أهل التوحيد، إن الله قد عفا، عنكم قال: فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلامات الدنيا- يعني المظالم- ثم ينادي: يا أهل التوحيد، ليعف بعضكم، عن بعض وعلى الله الثواب"[١٠].

قال أبو هريرة: "ما قدر طول يوم القيامة على المؤمن إلا كقدر ما بين الظهر إلى العصر"[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧١-٢٧٢.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٣٩):ص٩/ ٣٠٤٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٢٥.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٤٠):ص٩/ ٣٠٤٩.

(٧) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٢.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٤٢):ص٩/ ٣٠٤٩.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٤١):ص٩/ ٣٠٤٩.

قوله تعالى:{وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [العنكبوت : ٢٥]، أي:" ومصيركم جميعًا النار، وليس لكم ناصر يمنعكم من دخولها"[١].

قال الطبري: يقول:" ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون، النار، وما لكم أيها القوم المتخذو الآلهة، من دون الله {مودة بينكم} من أنصار ينصرونكم من الله حين يصليكم نار جهنم، فينقذونكم من عذابه"[٢].

قال ابن كثير: أي : ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة إلى النار ، وما لكم من ناصر ينصركم ، ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله. وهذا حال الكافرين ، فأما المؤمنون فبخلاف ذلك"[٣].

قال سعيد بن جبير:" ثم بين مستقرهم فقال: مأواهم جهنم"[٤].

فوائد الآيتين:[٢٤-٢٥]:

١- تقرير أن الظلمة سنتهم أنهم إذا أعيتهم الحجج يلجأون إلى استعمال القوة.

٢- في عدم إحراق النار دليل على أن الله تعالى قادر على إبطال السنن إذا شاء ذلك، ومن هنا تكون الكرامات والمعجزات إذ هي خوارق للعادات.

٣- بيان أن الخرافيين في اجتماعهم على البدع لم يكن ذلك عن علم بنفع البدعة وإنما لعنصر التوادد والتعارف والتلاقي على الأكل والشرب كما قال إبراهيم لقومه {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} .

القرآن

{فَآَمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦)} [العنكبوت : ٢٦]

التفسير:

فصدَّق لوطٌ إبراهيمَ وتبع ملته. وقال إبراهيم: إني تارك دار قومي إلى الأرض المباركة وهي «الشام» ، إن الله هو العزيز الذي لا يُغَالَب، الحكيم في تدبيره.

قوله تعالى:{فَآَمَنَ لَهُ لُوطٌ} [العنكبوت : ٢٦]، أي:" فصدَّق لوطٌ إبراهيمَ وتبع ملته"[٥].

قال قتادة: أي: صدقه لوط"[٦].

قال ابن عباس:" صدق لوط إبراهيم"[٧].

قال الزمخشري:" كان لوط ابن أخت إبراهيم عليهما السلام، وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه"[٨].

قال ابن إسحاق:" ثم إن نمرود كف، عن إبراهيم ومنعه الله منه واستجاب لإبراهيم رال من قومه حيث رأوا ما صنع الله تبارك وتعالى به على خوف من نمرود ملائهم فآمن له لوط وكان ابن أخيه، وآمنت به سارة وكانت بنت عمه"[٩].

قال ابن كثير:" يقال : إنه ابن أخي إبراهيم ، يقولون هو : لوط بن هاران بن آزر ، يعني : ولم يؤمن به من قومه سواه ، وسارة امرأة إبراهيم الخليل. لكن يقال : كيف الجمع بين

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٢.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٤٣):ص٩/ ٣٠٤٩.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٤٤):ص٩/٣٠٥٠.

(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٤٦):ص٩/٣٠٥٠.

(٨) الكشاف: ٣/ ٤٥١.

(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٤٥):ص٩/٣٠٥٠.

هذه الآية ، وبين الحديث الوارد في الصحيح[١] : أن إبراهيم حين مَرّ على ذلك الجبار ، فسأل إبراهيم عن سارة : ما هي منه ؟ فقال : هي أختي ، ثم جاء إليها فقال لها : إني قد قلت له : "إنك : أختي" ، فلا تكذبيني ، فإنه ليس على وجه الأرض أحد مؤمن غيرك وغيري، فأنت أختي في الدين. وكأن المراد من هذا - والله أعلم - أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك ، فإن لوطا عليه السلام ، آمن به من قومه ، وهاجر معه إلى بلاد الشام ، ثم أرسِل في حياة الخليل إلى أهل "سَدوم" وإقليمها"[٢].

قوله تعالى:{وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} [العنكبوت : ٢٦]، أي:" وقال إبراهيم: إني تارك دار قومي إلى الأرض المباركة وهي «الشام»"[٣].

قال الطبري:" يقول: وقال إبراهيم: إني مهاجر دار قومي إلى ربي إلى الشام"[٤].

قال الزمخشري:" {إلى رَبِّي}، إلى حيث أمرني بالهجرة إليه"[٥].

قال مقاتل:" يعني: هجر قومه المشركين من أرض كوثا هو ولوط وسارة أخت لوط- عليهم السلام- إلى الأرض المقدسة {إلى ربي}، يعني: إلى رضا ربي"[٦].

قال الفراء:" هذا من قيل إبراهيم. وكان مهاجره من حران إلى فلسطين"[٧].

قال السمعاني:" أي: متوجه إلى ربي أطلب رضاه. وقد بينا أن هجرته كانت من كوثى إلى الشام، وكوثى قرية من سواد الكوفة. وفي القصة: أنه هاجر بعد أن مضت خمس وسبعون سنة من عمره؛ وهاجر معه لوط وسارة"[٨].

قال أبو عبيدة:" كل من خرج من داره أو قطع شيئا فقد هاجر ومنه: مهاجر والمسلمين"[٩].

قال ابن كثير:" يحتمل عود الضمير في قوله : {وَقَالَ}، على لوط ، لأنه أقرب المذكورين ، ويحتمل عوده إلى إبراهيم"[١٠].

عن الضحاك: "{وقال إني مهاجر إلى ربي}، قال: هو إبراهيم ﷺ"[١١].

قال عبد الرحمن بن حسان الكناني: "هاجر لوط وهو ابن أخي إبراهيم بامرأته إلى إبراهيم بالشام وكان بين امرأته وبين سارة بعض ما يكون بين النساء. فقال له إبراهيم: يا ابن أخي قد جرا بين هاتين، وأنا أتخوف أن يحدث ذلك في قلبي عليك فتحول فتحولا، قال: فنزل بمدائن قوم لوط"[١٢].

قال ابن إسحاق:" ثم خرج إبراهيم عليه السلام مهاجرا إلى ربه وخرج معه لوط فهاجرا وتزوج سارة بنت عمه فخرج بها. يلتمس الفرار بدينه والأمانة على ربه حتى نزل جران فمكث

---

(١)صحيح مسلم برقم (٢٣٧١).

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٢٠ ٢٧٣.

(٣) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٦.

(٥) الكشاف: ٣/ ٤٥١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٧٩-٣٨٠.

(٧) معاني القرآن: ٢/ ٣١٦.

(٨) تفسير السمعاني: ٤/ ١٧٦.

(٩) مجاز القرآن: ٢/ ١١٥.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٣.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٤٧):ص٩/٣٠٥٠.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٥٠):ص٩/٣٠٥١.

بها ما شاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى، وكانت سارة من أحسن الناس فيما يقال، وكان لا تعصي إبراهيم شيئا ولذلك أكرمها الله"[١].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [العنكبوت : ٢٦]، أي:" إن الله هو العزيز الذي لا يُغَالَب، الحكيم في تدبيره"[٢].

قال الزمخشري:" {إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ} الذي يمنعني من أعدائى، {الْحَكِيمُ}، الذي لا يأمرنى إلا بما هو مصلحتي"[٣].

قال الطبري:" يقول: إن ربي هو العزيز الذي لا يذل من نصره، ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء، وإليه هجرته، الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه"[٤].

قال ابن كثير:" ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم ، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك ؛ ولهذا قال:{إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ}، أي : له العزة ولرسوله وللمؤمنين به ، { الْحَكِيمُ } في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية"[٥].

عن أبي العالية قوله: "{العزيز}، يقول: العزيز في نقمته إذا انتقم، {الحكيم} في أمره"[٦]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٧].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{العزيز} في نصرته من كفر به إذا شاء، {الحكيم} في عذره وحجته إلى عباده"[٨].

قال قتادة:" هاجروا جميعا من كوثي وهي من سواء الكوفة إلى الشام. قال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: إنها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها، حتى تلفظهم أرضهم وتقذرهم روح الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا وتأكل ما سقط منهم"[٩].

قال شَهْر بن حَوْشَب: "لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية ، قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البِكَالي ، فجئته ؛ إذ جاء رجل ، فانتبذَ الناس وعليه خَمِيصة ، وإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص. فلما رآه نوف أمسك عن الحديث ، فقال عبد الله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، فينحاز الناس إلى مُهَاجرَ إبراهيم ، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها ، فتلفظهم أرضوهم ، تقْذَرهم نفسُ الرحمن ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير فتبيت معهم إذا باتوا ، وتَقِيل معهم إذا قالوا ، وتأكل منهم من تَخَلَّف". قال : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : "سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تَرَاقِيهم ، كلما خرج منهم قرن قُطع ، كلما خرج منهم قرن قطع" حتى عَدّها زيادة على عشرين مرة "كلما خرج منهم قرن قطع ، حتى يخرج الدجال في بقيتهم"[١٠].

القرآن

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٥١):ص٩/٣٠٥١.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٣) الكشاف: ٣/ ٤٥١.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٦-٢٧.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٣.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٥٢):ص٩/ ٣٠٥١.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٩/ ٣٠٥١. بدون سند.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٥٣):ص٩/ ٣٠٥١.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٤٩):ص٩/٣٠٥٠-٣٠٥١.

(١٠)المسند (١٩٨/٢).

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)} [العنكبوت : ٢٧]

التفسير:

ووهبنا له إسحاق ولدًا، ويعقوب من بعده وَلَدَ وَلَدٍ، وجعلنا في ذريته الأنبياء والكتب، وأعطيناه ثواب بلائه فينا، في الدنيا الذكر الحسن والولد الصالح، وإنه في الآخرة لمن الصالحين.

قوله تعالى:{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} [العنكبوت : ٢٧]، أي:" ووهبنا له إسحاق ولدًا، ويعقوب من بعده وَلَدَ وَلَدٍ"(١).

قال الطبري: يقول:" ورزقناه من لدنا إسحاق ولدا، ويعقوب من بعده ولد ولد"(٢).

قال ابن كثير:هو" كقوله تعالى:{ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا } [مريم : ٤٩] أي : إنه لما فارق قومَه أقرّ الله عينه بوجود ولد صالح نبي [وولد له ولد صالح في حياة جده. وكذلك قال الله : { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً } [الأنبياء : ٧٢]، أي : زيادة ، كما قال : { فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ } أي : ويولَد لهذا الولد ولد في حياتكما ، تقر به أعينكما. وكون يعقوب ولد لإسحاق نص عليه القرآن ، وثبتت به السنة النبوية ، قال الله : { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة : ١٣٣] ، وفي الصحيحين : «إن الكريم ابنَ الكريم ابنِ الكريم ابن الكريم يوسفُ بنَ يعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيم»(٣)"(٤).

عن مجاهد قوله: "{ووهبنا له إسحاق ويعقوب}، قال: أعطينا"(٥).

قال ابن عباس:" هما ولدا إبراهيم"(٦).

قال الزمخشري:" . فإن قلت: ما بال إسماعيل عليه السلام لم يذكر، وذكر إسحاق وعقبه؟

قلت: قد دلّ عليه في قوله وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وكفى الدليل لشهرة أمره وعلوّ قدره"(٧).

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} [العنكبوت : ٢٧]، أي:" وجعلنا في ذريته الأنبياء والكتب"(٨).

قال الصابوني:" أي: خصصناه بهذا الفضل العظيم حيث جعلنا كل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته، وجعلنا اللكتب السماوية نازلةً على الأنبياء من بنيه"(٩).

قال السعدي:" فقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} وإن كان عاما، فلا يناقض كون لوط نبيا رسولا وهو ليس من ذريته، لأن الآية جيء بها لسياق المدح والثناء على

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٧.

(٣)صحيح البخاري برقم (٤٦٨٨) من حديث ابن عمر ، ولم أقف عليه عند مسلم.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٤-٢٧٥.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٥٤):ص٩/ ٣٠٥١.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٥٥):ص٩/ ٣٠٥٢.

(٧) الكشاف: ٣/ ٤٥١.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٩) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٢٠.

الخليل، وقد أخبر أن لوطا اهتدى على يديه، ومن اهتدى على يديه أكمل ممن اهتدى من ذريته بالنسبة إلى فضيلة الهادي، والله أعلم"(١).

قال مقاتل:" {النبوة}، يعني: إسماعيل وإسحاق ويعقوب- عليهم السلام-، و{الكتاب}، يعني: صحف إبراهيم"(٢).

عن ابن عباس قوله: "{الكتاب}، قال: الخط بالقلم"(٣).

مقال الزمخشري:" المراد بالكتاب: جنس الكتاب، حتى دخل تحته ما نزل على ذرّيته من الكتب الأربعة: التي هي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن"(٤).

قال ابن كثير:" هذه خِلْعَة سَنية عظيمة ، مع اتخاذ الله إياه خليلا وجعله للناس إماما ، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام ، إلا وهو من سلالته ، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سُلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم ، فقام في ملئهم مبشرا بالنبي العربي القرشي الهاشمي ، خاتم الرسل على الإطلاق ، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العَرْباء ، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم ، عليهم السلام : ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه ، عليه أفضل الصلاة والسلام من الله تعالى"(٥).

قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا} [العنكبوت : ٢٧]، أي:" وأعطيناه ثواب بلائه فينا، في الدنيا الذكر الحسن والولد الصالح"(٦).

قال الطبري: يقول:" وأعطيناه ثواب بلائه فينا في الدنيا..وقيل: إن الأجر الذي ذكره الله عز وجل أنه آتاه إبراهيم في الدنيا هو الثناء الحسن، والولد الصالح"(٧).

قال الفراء:" الثناء الحسن وأن أهل الأديان كلهم يتولونه. ومن أجره أن جعلت النبوة والكتاب في ذريته"(٨).

قال ابن قتيبة:" بالولد الطيب، وحسن الثناء عليه"(٩).

قال مقاتل:" يعني: أعطيناه جزاءه في الدنيا يعني الثناء الحسن والمقالة الحسنة من أهل الأديان كلها، لمضيه على رضوان الله حين ألقي في النار، وكسرالأصنام، ومضيه على ذبح ابنه، فجميع أهل الأديان يقولون إبراهيم منا لا يتبرأ منه أحد"(١٠).

قال الزمخشري:" أَجْرَهُ: الثناء الحسن، والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوّة، وأن أهل الملل كلهم يتولونه"(١١).

عن زياد بن أبي مريم، قوله: "{آتيناه}، قال: أعطينا"(١٢).

---

(١) تفسير السعدي: ٦٣٠.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٨٠.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٥٦):ص٩/ ٣٠٥٢.

(٤) الكشاف: ٣/ ٤٥١.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٧.

(٨) معاني القرآن: ٢/ ٣١٦.

(٩) غريب القرآن: ٣٣٨.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٨٠.

(١١) الكشاف: ٣/ ٤٥١.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٥٧):ص٩/ ٣٠٥٢.

عن مجاهد :"{وآتيناه أجره في الدنيا}، قال: الثناءة"[1].
عن ابن عباس قوله: "{آتيناه أجره في الدنيا}، يقول: الذكر الحسن"[2].
عن سعيد بن جبير:" أنه كتب إلى عكرمة يسأله، عن قول ابن عباس فيها -يعني قوله: {أجره في الدنيا}- فقال: إن الله تبارك وتعالى إلى رضا لأهل الأديان بدينهم، فليس أهل دين إلا وهم يتولون إبراهيم ويرضون، عنه"[3].
عن قتادة قوله: "{وآتيناه أجره في الدنيا} عافية وعمل صالح وثناء حسن، فلست تلاقي أحدا من الملل إلا يرضا إبراهيم ويقولان وإنه في الآخرة لمن الصالحين"[4].
عن عكرمة، قوله: "{وآتيناه أجره في الدنيا}، قال: لسان صدق الذي جعل له، قال عكرمة: إبراهيم تولاه الأمم كلها اليهود والنصارى والمجوس والناس أجمعون، وشهدوا له بالعدل فذلك اللسان الصدق وهو الأجر الذي آتيناه في الدنيا"[5].
عن الحسن، قوله: "{وآتيناه أجره في الدنيا}، قال: نيته الصالحة التي اكتسب بها الأجر في الآخرة"[6].
قوله تعالى:{وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [العنكبوت : ٢٧]، أي:" وهو في الآخرة في عداد الكاملين في الصلاح"[7].
قال الطبري: يقول:" {وإنه} مع ذلك {في الآخرة لمن الصالحين} فله هناك أيضا جزاء الصالحين، غير منتقص حظه بما أعطى في الدنيا من الأجر على بلائه في الله عما له عنده في الآخرة"[8].
قال ابن زيد:" الصالحين: الأنبياء والمؤمنين"[9].
فوائد الآيتين:[٢٦-٢٧]:
١- بيان حصيلة دعوة إبراهيم كذا سنة وأنها كانت إيمان واحد بها وهو لوط عليه السلام وفي هذا تسلية للرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٢- بيان إكرام الله تعالى لمن يهاجر إليه ويترك أهله وداره.
٣- بيان ما أكرم الله تعالى به إبراهيم من خير الدنيا والآخرة جزاء صبره على دعوة الله تعالى.

القرآن
{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)} [العنكبوت : ٢٩]
التفسير:

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٦٢):ص٩/ ٣٠٥٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٥٨):ص٩/ ٣٠٥٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٥٨):ص٩/ ٣٠٥٢.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٦٠):ص٩/ ٣٠٥٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٦١):ص٩/ ٣٠٥٢-٣٠٥٣.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم("(٦).):ص٩/ ٣٠٥٣.
(٧) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٢٠.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٧.
(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٦٤):ص٩/ ٣٠٥٣.

واذكر -أيها الرسول- لوطًا حين قال لقومه: إنكم لتأتون الفعلة القبيحة، ما تَقَدَّمكم بفعلها أحد من العالمين، أإنكم لتأتون الرجال في أدبارهم، وتقطعون على المسافرين طرقهم بفعلكم الخبيث، وتأتون في مجالسكم الأعمال المنكرة كالسخرية من الناس، وحذف المارة، وإيذائهم بما لا يليق من الأقوال والأفعال؟. فلم يكن جواب قوم لوط له إلا أن قالوا: جئنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فيما تقول، والمنجزين لما تَعِد.

قوله تعالى:{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت : ٢٩]، أي:" واذكر -أيها الرسول- لوطًا حين قال لقومه: إنكم لتأتون الفعلة القبيحة، ما تَقَدَّمكم بفعلها أحد من العالمين"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر لوطا إذ قال لقومه: {إنكم لتأتون} الذكران، {ما سبقكم بها}، يعني: بالفاحشة التي كانوا يأتونها، وهي إتيان الذكران {من أحد من العالمين}"(٢).

قال الزمخشري:" {الْفاحِشَةَ}: الفعلة البالغة في القبح. {وما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ}، جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة، كأن قائلا قال: لم كانت فاحشة؟ فقيل له: لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لإفراط قبحها، حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم. قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط"(٣).

قال عمرو بن دينار:" ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط"(٤).

قوله تعالى:{أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ} [العنكبوت : ٢٩]، أي:" أإنكم لتأتون الرجال في أدبارهم"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لوط لقومه {أئنكم} أيها القوم، {لتأتون الرجال} في أدبارهم"(٦).

وقرئ: «إنكم»، بغير استفهام(٧).

قوله تعالى:{وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} [العنكبوت : ٢٩]، أي:" وتقطعون على المسافرين طرقهم بفعلكم الخبيث"(٨).

قال الطبري:" يقول: وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث، وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مر عليهم من المسافرين، من ورد بلادهم من الغرباء"(٩).

قال ابن كثير:" أي : يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم"(١٠).

قال السمعاني:وقسل: " تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء"(١١).

---

(١) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٨.

(٣) الكشاف: ٣/ ٤٥١.

(٤) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٢٨.

(٥) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٨.

(٧) انظر: الكشاف: ٣/ ٤٥١.

(٨) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٨.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٦.

(١١) تفسير السمعاني: ٤/ ١٧٧.

قال ابن زيد:" السبيل: الطريق. المسافر إذا مر بهم، وهو ابن السبيل قطعوا به، وعملوا به ذلك العمل الخبيث"[(١)].

قوله تعالى:{وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} [العنكبوت : ٢٩]، أي:" وتأتون في مجالسكم الأعمال المنكرة كالسخرية من الناس، وحذف المارة، وإيذائهم بما لا يليق من الأقوال والأفعال؟"[(٢)].

قال ابن كثير:" أي : يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها ، لا ينكر بعضهم على بعض شيئًا من ذلك "[(٣)].

قال الزمخشري:" كل معصية فإظهارها أقبح من سترها، ولذلك جاء: من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له"[(٤)].

قال ابن قتيبة:" «النادي»: المجلس. و«المنكر»: مجمع الفواحش من القول والفعل. وقد اختلف في ذلك المنكر"[(٥)].

قال الواحدي:" النادي والندي والمنتدى: مجلس القوم ومتحدثهم"[(٦)].

وفي قوله تعالى:{وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} [العنكبوت : ٢٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : هو أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم ، قالته عائشة رضي الله عنها[(٧)].

الثاني : أنهم كانوا يحذفون[(٨)] من يمر بهم ويسخرون منه. روته أم هانىء عن النبي -صلى الله عليه وسلم-[(٩)].

وقال عكرمة:" كانوا يؤذون أهل الطريق يحذفون من مر بهم"[(١٠)].

قال السدي:" كان كل من مر بهم حذفوه، فهو المنكر"[(١١)].

الثالث : أنهم كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم ، رواه منصور عن مجاهد[(١٢)].

قال مجاهد:" كان يجامع بعضهم بعضا في المجالس"[(١٣)].

وقال قتادة:" كانوا يأتون الفاحشة في ناديهم"[(١٤)].

قال ابن زيد:" ناديهم: المجالس، و{المنكر}: عملهم الخبيث الذي كانوا يعملونه، كانوا يعترضون بالراكب، فيأخذونه ويركبونه. وقرأ {أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون}، وقرأ {ما سبقكم بها من أحد من العالمين}"[(١)].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٣٩٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٦.

(٤) الكشاف: ٣/ ٤٥٢.

(٥) غريب القرآن: ٣٢٨.

(٦) التفسير الوسيط: ٣/ ٤١٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٩.

(٨) الحذف: هو الرمي بحصاة أو نوى أو نحوهما، تأخذ بين سبابتيك تحذف به أو بمخذفة من خشب.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٩.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٢٩.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٢٩.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٠.

عن مجاهد: "{وتأتون في ناديكم المنكر}، قال: المجالس، و{المنكر}: إتيانهم الرجال"[٢].
عن ابن عباس، قوله: "{وتأتون في ناديكم المنكر}، يقول: في مجالسكم"[٣].
الرابع : هو الصفير ولعب الحمام والجلاهق والسحاق وحل أزرار القيان في المجلس، رواه الحاكم عن مجاهد[٤].
قال الفراء:" المنكر منه الحذف، والصفير، ومضغ العلك، وحل أزرار الأقبية والقمص، والرمي بالبندق[٥]. ويقال: هي ثماني عشرة خصلة من قول الكلبي لا أحفظها. وقال غيره: هي عشر"[٦].
قال ابن كثير:" وكل ذلك كان يصدر عنهم ، وكانوا شرًا من ذلك"[٧].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: وتحذفون في مجالسكم المارة بكم، وتسخرون منهم؛ لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول صلى الله عليه وسلم"[٨].
قوله تعالى:{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [العنكبوت : ٢٩]، أي:" فلم يكن جواب قوم لوط له إلا أن قالوا: جئنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فيما تقول، والمنجزين لما تَعِد"[٩].
قال ابن كثير:" وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم ؛ ولهذا استنصر عليهم نبي الله"[١٠].
عن أبي العالية:" يعني قوله: {إن كنت من الصادقين}، بما تقول أنه كما تقول"[١١].

القرآن
{قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)} [العنكبوت : ٢٩]
التفسير:
قال: رب انصرني على القوم المفسدين بإنزال العذاب عليهم؛ حيث ابتدعوا الفاحشة وأصرُّوا عليها، فاستجاب الله دعاءه.
قال مقاتل:" يقول: رب انصرني بتحقيق قولي في العذاب عليهم"[١٢].
قال البيضاوي:" {قال رب انصرني} بإنزال العذاب، {على القوم المفسدين} بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم، وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب وإشعارا بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣١.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٢٧٥):ص٣٠٥٥/٩.
(٥)البندق كرات من طين يرمى بها.
(٦) معاني القرآن: ٢/ ٣١٦-٣١٧.
(٧) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٦.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣١.
(٩) التفسير الميسر: ٣٩٩.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٦.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٧٦):ص٣٠٥٥/٩.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٨١.

قال القرطبي:" ثم استنصر لوط عليه السلام ربه فبعث عليهم ملائكة لعذابهم"(٢).
قال السعدي:" فأيس منهم نبيهم، وعلم استحقاقهم العذاب، وجزع من شدة تكذيبهم له، فدعا عليهم و {قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} فاستجاب الله دعاءه، فأرسل الملائكة لإهلاكهم"(٣).
قال الزمخشري:" كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم"(٤).
قال أبو العالية:" كان فسادهم ذلك في معصية الله، لأنه من عصا الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض"(٥).
فوائد الآيتين:[٢٨-٣٠]:
١- تقرير النبوة المحمدية بذكر قصص لا يتم إلا عن طريق الوحي.
٢- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل ما يعاني من المشركين من كفر وعناد ومطالبة بالعذاب.
٣- قبح الفاحشة وحرمتها وأسوأها فاحشة اللواط.
٤- وجوب إقامة الحد على اللوطيّ الفاعل والمفعول لأن الله تعالى سماها فاحشة وسمى الزنا فاحشة ووضع حداً للزنى فاللوطية تقاس عليه، وقد صرحت السنة بذلك فلا حاجة إلى القياس.
٥- التحذير من العبث والباطل قولا أو عملاً وخاصة في الأندية والمجتمعات.

القرآن

{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١)} [العنكبوت : ٣١]

التفسير:
ولما جاءت الملائكة إبراهيم بالخبر السارِّ من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق ولده يعقوب، قالت الملائكة لإبراهيم: إنا مهلكو أهل قرية قوم لوط، وهي «سدوم» ؛ إنَّ أهلها كانوا ظالمي أنفسهم بمعصيتهم لله.
قوله تعالى:{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى} [العنكبوت : ٣١]، أي:" ولما جاءت الملائكة إبراهيم بالخبر السارِّ من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق ولده يعقوب"(٦).
وعن قتادة قوله: "{بالبشرى}، قال: حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط"(٧).
قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} [العنكبوت : ٣١]، أي:" قالت الملائكة لإبراهيم: إنا مهلكو أهل قرية قوم لوط، وهي «سدوم»"(٨).
قال الطبري:" يقول: قالت رسل الله لإبراهيم: إنا مهلكو أهل هذه القرية، قرية سدوم، وهي قرية قوم لوط"(٩).

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٩٣.
(٢) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٤٣.
(٣) تفسير السعدي: ٦٣٠.
(٤) الكشاف: ٣/ ٤٥٢.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٧٧):ص٩/٣٠٥٥.
(٦) التفسير الميسر: ٤٠٠.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٧٨):ص٩/ ٣٠٥٥.
(٨) التفسير الميسر: ٤٠٠.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣١.

قال ابن عباس:" فجادل إبراهيم الملائكة في قوم لوط أن يتركوا، قال: فقال أرأيتم إن كان فيها عشرة أبيات من المسلمين أتتركونهم؟ فقالت الملائكة: ليس فيها عشرة أبيات، ولا خمسة، ولا أربعة، ولا ثلاثة، ولا اثنان، قال: فحزن على لوط وأهل بيته، فقال: {إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين} فذلك قوله: {يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب}، فقالت الملائكة: {ياإبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود} فبعث الله إليهم جبرائيل ﷺ، فانتسف المدينة وما فيها بأحد جناحيه، فجعل عاليها سافلها، وتتبعهم بالحجارة بكل أرض"(١).

قوله تعالى:{إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ} [العنكبوت : ٣١]، أي:" إنَّ أهلها كانوا ظالمي أنفسهم بمعصيتهم لله"(٢).

قال الطبري: " يقول: إن أهلها كانوا ظالمي أنفسهم؛ بمعصيتهم الله، وتكذيبهم رسول الله ﷺ"(٣).

قال يحيى:" يعني: مشركين"(٤).

عن ابن عباس:{ظالمين}، قال: كافرين"(٥).

قال قتادة:" قرية لوط، حين رفعها جبريل كان فيها أربعمائة ألف"(٦).

القرآن

{قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢)} [العنكبوت : ٣٢]

قال إبراهيم للملائكة: إنَّ فيها لوطًا وليس من الظالمين، فقالت الملائكة له: نحن أعلم بمن فيها، لننجِّينَّه وأهله من الهلاك الذي سينزل بأهل قريته إلا امرأته كانت من الباقين الهالكين.

قوله تعالى:{قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا} [العنكبوت : ٣٢]، أي:" قال إبراهيم للملائكة: إنَّ فيها لوطًا وليس من الظالمين"(٧).

قال الطبري:" قال إبراهيم للرسل من الملائكة إذ قالوا له: {إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين} فلم يستثنوا منهم أحدا، إذ وصفوهم بالظلم: {إن فيها لوطا}، وليس من الظالمين، بل هو من رسل الله، وأهل الإيمان به، والطاعة له"(٨).

قوله تعالى:{قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [العنكبوت : ٣٢]، أي:" فقالت الملائكة له: نحن أعلم بمن فيها، لننجِّينَّه وأهله من الهلاك الذي سينزل بأهل قريته إلا امرأته كانت من الباقين الهالكين"(٩).

قال الطبري:" فقالت الرسل له: {نحن أعلم بمن فيها} من الظالمين الكافرين بالله منك، وإن لوطا ليس منهم، بل هو كما قلت من أولياء الله، {لننجينه وأهله} من الهلاك الذي هو نازل

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣١-٣٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣١.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦٢٨.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم:٩/ ٣٠٥٦.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٨٠):ص٩/ ٣٠٥٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٠٠.

بأهل قريته {إلا امرأته كانت من الغابرين} الذين أبقتهم الدهور والأيام، وتطاولت أعمارهم وحياتهم، وإنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها"[١].

قال ابن كثير:" {إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ }، أي : من الهالكين ؛ لأنها كانت تمالئهم على كفرهم وبغيهم ودبرهم"[٢].

قال ابن عباس:" فحزن إبراهيم ﷺ على لوط وأهل بيته فقال: {إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها}"[٣].

قال معمر:" تلا قتادة: {إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها}، قال: لا تجد المؤمن إلا يحوط المؤمن حيثما كان"[٤].

القرآن

{وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣)} [العنكبوت : ٣٣]

التفسير:

ولما جاءت الملائكة لوطًا ساءه ذلك؛ لأنه ظنهم ضيوفًا من البشر، وحزن بسبب وجودهم؛ لعلمه خبث فعل قومه، وقالوا له: لا تَخَفْ علينا لن يصل إلينا قومك، ولا تحزن مما أخبرناك مِن أنا مهلكوهم، إنَّا منجُّوك من العذاب النازل بقومك ومنجُّو أهلك معك إلا أمرأتك، فإنها هالكة فيمن يهلك مِن قومها.

قوله تعالى:{وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ} [العنكبوت : ٣٣]، أي:" ولما جاءت الملائكة لوطًا ساءه ذلك؛ لأنه ظنهم ضيوفًا من البشر"[٥].

قال الطبري:" يقول: ساءته الملائكة بمجيئهم إليه، وذلك أنهم تضيفوه، فساءوه بذلك"[٦].
بذلك"[٦].

قال حيى:" سيء بقومه الظن بما كانوا يأتون الرجال في أدبارهم تخوفا على أضيافه، وهو يظن أنهم آدميون"[٧].

عن ابن عباس قوله: "{سيء بهم}، يقول: ساء ظنا بقومه"[٨].

قال كعب: "ساءه مكانهم لما رأى منهم من الجمال"[٩].

عن عبد الرحمن بن بشر الأنصاري: "أن رسول الله ﷺ قال: إن الناس كانوا قد أنذروا قوم لوط، فجاءتهم الملائكة عشية فمروا بناديهم، فقال قوم لوط بعضهم لبعض، لا تنفروهم ولم يروا قوما قط أحسن من الملائكة فلما دخلوا على لوط صار قوم لوط نحو السقاطين فخرج إليهم لوط ف راودوه، عن ضيفه فلم يزل بهم حتى عرض عليهم بناته فأتوا فدخلوا بيته، فقالت الملائكة: {إنا رسل ربك لن يصلوا إلينا}. قال: رسل ربي؟ قالوا: نعم. قال لوط: فالآن إذا"[١٠].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/٦.

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٨١):ص٣٠٥٦/٩.

(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٨٢):ص٣٠٥٦/٩.

(٥) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٢.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦٢٨.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٨٧):ص٣٠٥٧/٩.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٨٨):ص٣٠٥٧/٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٨٥):ص٣٠٥٧/٩.

قال السدي:" خرجت الملائكة من، عند إبراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا لقوا بنت لوط تستقي من الماء لأهلها وكان له بنتان اسم الكبرى ربثا والصغرى زغرثا، فقال لها: يا جارية، هل من ماء؟ فقالت: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم، فرقت عليهم من قومهم فأتت أباها فقالت: يا أبتاه، نادوني فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحوهم.. كان قومه نهوه أن يضيف رجلا، وقالوا خل، عنا فنضف الرجال فجاءت بهم فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم قط قال: ف {جاءه قومه يهرعون إليه} ... قالوا: أولم ننهك أن تضيف العالمين"[1].

قوله تعالى:{وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} [العنكبوت : ٣٣]، أي:" وحزن بسبب وجودهم؛ لعلمه خبث فعل قومه"[2].

قال يحيى:" ضاق بأضيافه الذرع لما يتخوف عليهم منهم"[3].

قال كعب: " يقول: ضاق ذرعا بأضيافه"[4].

قال قتادة:" يقول: وضاق ذرعه بضيافتهم لما علم من خبث فعل قومه"[5].

وقال قتادة:" مخافة عليهم مما يعلم من شر قومه"[6].

قال ابن كثير:" أي : اهتمَّ بأمرهم ، إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه ، وإن لم يضفهم خشي عليهم منهم ، ولم يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة "[7].

قال النحاس:" يقال: ضقت به ذرعا، أي: لم أطقه. مشتق من :«الذراع»، لأن القوة فيه"[8].

قوله تعالى:{وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ} [العنكبوت : ٣٣]، أي:" وقالوا له: لا تَخَفْ علينا لن يصل إلينا قومك، ولا تحزن مما أخبرناك مِن أنا مهلكوهم"[9].

قال الطبري: " قالت الرسل للوط: لا تخف علينا أن يصل إلينا قومك، ولا تحزن مما أخبرناك من أنا مهلكوهم"[10].

قوله تعالى:{إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [العنكبوت : ٣٣]، أي:" إنَّا منجُّوك من العذاب النازل بقومك ومنجُّو أهلك معك إلا امرأتك، فإنها هالكة فيمن يهلك مِن قومها"[11].

عن قتادة: "{من الغابرين}، قال: الباقين في عذاب الله"[12].

قال ابن كثير:" وذلك أن جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الأرض ، ثم رفعها إلى عَنَان السماء ، ثم قلبها عليهم. وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٨٦):ص٩/٣٠٥٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦٢٨.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٨٨):ص٩/٣٠٥٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٢.

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٨٩):ص٩/٣٠٥٨.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٢٧٧.

(٨) معاني القرآن: ٥/ ٢٢٥.

(٩) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٢-٣٣.

(١١) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٨٤):ص٩/٣٠٥٦.

ربك وما هي من الظالمين ببعيد ، وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة ، وجعلهم عبرة إلى يوم التناد، وهم من أشد الناس عذابا يوم المعاد"[1].

القرآن

{إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤)} [العنكبوت : ٣٤]

التفسير:

إنا منزلون على أهل هذه القرية عذابًا من السماء؛ بسبب معصيتهم لله وارتكابهم الفاحشة.

قوله تعالى:{إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ} [العنكبوت : ٣٤]، أي:" إنا منزلون على أهل هذه القرية عذابًا من السماء"[2].

عن قتادة:" إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا}، أي: عذابا"[3].

قال ابن عباس:" كل شيء في كتاب الله من «الرجز»، يعني به: العذاب"[4].

قال الزمخشري:" الرجز والرجس: العذاب، من قولهم: ارتجز وارتجس إذا اضطرب، لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب"[5].

وقرئ:«مُنْزِلُونَ»، مخففا ومشدّدا[6].

قوله تعالى:{بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [العنكبوت : ٣٤]، أي:" بسبب معصيتهم لله وارتكابهم الفاحشة"[7].

قال الطبري:" يقول: بما كانوا يأتون من معصية الله، ويركبون من الفاحشة"[8].

عن قتادة في قوله: "{بما كانوا يفسقون}: بما كانوا يعصون"[9].

القرآن

{وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)} [العنكبوت : ٣٥]

التفسير:

ولقد أبقينا مِن ديار قوم لوط آثارًا بينة لقوم يعقلون العبر، فينتفعون بها.

قال الطبري:" ولقد أبقينا من فعلتنا التي فعلنا بهم آية، يقول: عبرة بينة وعظة واعظة، {لقوم يعقلون} عن الله حججه، ويتفكرون في مواعظه، وتلك الآية البينة هي عندي عفو آثارهم، ودروس معالمهم"[10].

عن قتادة :"{ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون}، قال: هي الحجارة التي أمطرت عليهم"[1].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/٢٧٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٣.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٩١):ص٩/٣٠٥٨.

(٥) الكشاف: ٣/ ٤٥٣.

(٦) انظر: الكشاف: ٣/ ٤٥٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٣.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٩٢):ص٩/٣٠٥٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٣.

عن مجاهد، قوله: "{منها آية بينة}، قال: عبرة"[2].
قال الزمخشري: {آيَةً بَيِّنَةً}" هي آثار منازلهم الخربة. وقيل: بقية الحجارة. وقيل: الماء الأسود على وجه الأرض. وقيل: الخبر عما صنع بهم"[3].
عن ابن زيد:" {يعقلون}، قال: يتفكرون"[4].
قال السمعاني:" {لقوم يعقلون} أي: يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول"[5].
قال القشيري:" فمن أراد الاعتبار فله في قصتها عبرة"[6].
فوائد الآيات:[٣١-٣٥]:
١- حلم إبراهيم ورحمته تجليا في دفاعه عن لوط وأهله.
٢- تقرير مبدأ: من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه، حيث العلاقة الزوجية بين لوط وامرأته العجوز لم تنفعها وهلكت لأنها كانت مع الظالمين بقلبها وسلوكها.
٣- مشروعية الضيافة وتأكدها في الإسلام لحديث الصحيح : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه قالوا وما كرامة الضيف قال ثلاثة أيام فما جلس بعد ذلك فهو له صدقة"[7].
٤- التنديد بالفسق عن طاعة الله وهو سبب هلاك الأمم والشعوب.
٥- فضيلة العقل إذا استعمله صاحبه في التعرف إلى الحق والباطل والخير والشر.
القرآن
{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦)} [العنكبوت : ٣٦]
التفسير:
وأرسلنا إلى «مدين» أخاهم شعيبًا، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، وأخلصوا له العبادة، ما لكم من إله غيره، وارجوا بعبادتكم جزاء اليوم الآخر، ولا تكثروا في الأرض الفساد والمعاصي، ولا تقيموا عليها، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا.
قوله تعالى:{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [العنكبوت : ٣٦]، أي:" وأرسلنا إلى «مدين» أخاهم شعيبًا"[8].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأرسلت إلى مدين أخاهم شعيبا"[9].
قال مقاتل:" شعيب بن نويب بن مدين ابن إبراهيم خليل الرحمن- ﷺ- لصلبه"[10].
قوله تعالى:{فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ} [العنكبوت : ٣٦]، أي:" فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، وأخلصوا له العبادة"[11].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٣.
(٣) الكشاف: ٣/ ٤٥٣.
(٤)أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٩٥):ص٣٠٥٨/٩ .
(٥) تفسير السمعاني: ٤/ ١٧٩.
(٦) لطائف الإشارات: ٣/ ٩٧.
(٧)أخرجه أحمد (٧٦/٣، رقم ١١٧٤٤) قال الهيثمى (١٧٦/٨) : أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح.
(٨) التفسيرالميسر: ٤٠٠.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨٢/٣.
(١١) التفسيرالميسر: ٤٠٠.

قال الطبري:" فقال لهم: {ياقوم اعبدوا الله} وحده، وذلوا له بالطاعة، واخضعوا له بالعبادة"(١).

قال ابن كثير:" فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له"(٢).

قوله تعالى:{وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ} [العنكبوت : ٣٦]، أي:" وارجوا بعبادتكم جزاء اليوم الآخر"(٣).

قال الطبري:" يقول: وارجوا بعبادتكم إياي جزاء اليوم الآخر، وذلك يوم القيامة"(٤).

قال مقاتل:" يعني: واخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال "(٥).

قال أبو عبيدة: معناه:" وأخشو اليوم الآخر، قال أبو ذؤيب(٦):

إذا لسعته الدّبر لم يرج لسعها ... وحالفها فى بيت نوب عوامل

أي: لم يخف"(٧).

قال ابن كثير: وأمرهم "أن يخافوا بأس الله ونقمته وسطوته يوم القيامة"(٨).

قوله تعالى:{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [العنكبوت : ٣٦]، أي:" ولا تكثروا في الأرض الفساد والمعاصي، ولا تقيموا عليها، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا"(٩).

قال الطبري:" يقول: ولا تكثروا في الأرض معصية الله، ولا تقيموا عليها، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا"(١٠).

قال مقاتل:" يعني: ولا تسعوا {في الأرض مفسدين}، يعنى: بالمعاصي فى نقصان الكيل والميزان وهو الفساد في الأرض"(١١).

قال ابن كثير:" ثم نهاهم عن العيث في الأرض بالفساد ، وهو السعي فيها والبغي على أهلها ، وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ، ويقطعون الطريق على الناس ، هذا مع كفرهم بالله ورسوله "(١٢).

القرآن

{فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧)} [العنكبوت : ٣٧]

التفسير:

فكذَّب أهل «مدين» شعيبًا فيما جاءهم به عن الله من الرسالة، فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في دارهم صَرْعى هالكين.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٧.

(٣) التفسيرالميسر: ٤٠٠.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٨٢.

(٦)البيت في (ديوان الهذليين) ١/ ١٤٣.و(أساس البلاغة) باب: (نوب) : ٢/ ٢٧٩. و (مفردات الراغب) صفحة ١٨٩. وروايته في هذه المصادر:" إذا لسعته النّحل".

(٧) .

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٧.

(٩) التفسيرالميسر: ٤٠٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٨٢.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٧.

قوله تعالى:{فَكَذَّبُوهُ} [العنكبوت : ٣٧]، اي:" فكذَّب أهل «مدين» شعيبًا فيما جاءهم به عن الله من الرسالة"[١].

قال مقاتل:" فكذبوه بالعذاب حين أوعدهم أنه نازل بهم في الدنيا"[٢].

قال الطبري: يقول:" فكذب أهل مدين شعيبا فيما أتاهم به عن الله من الرسالة"[٣].

قوله تعالى:{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} [العنكبوت : ٣٧]، اي:" فأخذتهم الزلزلة الشديدة"[٤].

قال الطبري: يقول: " فأخذتهم رجفة العذاب"[٥].

قال ابن كثير:" فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم ، وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها. وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها ، إنه كان عذاب يوم عظيم"[٦].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [العنكبوت : ٣٧]، اي:" فأصبحوا في دارهم صَرْعى هالكين"[٧].

قال الطبري: أي: " جثوما، بعضهم على بعض موتى"[٨].

قال أبو عبيدة:" جاثِمِينَ»: بعضهم على بعض، وجاثمين لركبهم وعلى ركبهم"[٩].

قال مقاتل:" يعني: في محلتهم وعسكرهم أمواتا خامدين مثل النار إذا أطفئت، بينما هي تقد إذا هي طفئت، فشبه أرواحهم في أجسادهم وهم أحياء مثل النار إذا تقد ثم شبه هلاكهم بالنار إذا طفئت، بينما هم أحياء إذ صاح بهم جبريل - عليه السلام- فصعقوا أمواتا أجمعين"[١٠].

عن قتادة :"{فأصبحوا في دارهم جاثمين}، أي: ميتين"[١١].

فوائد الآيتين:[٣٦-٣٧]:

١- تقرير التوحيد والنبوة والبعث الآخر.
٢- حرمة الفساد في الأرض وذلك بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب.
٣- بيان نقمة الله تعالى على المكذبين والظالمين والفاسقين.

القرآن

{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)} [العنكبوت : ٣٨]

التفسير:

وأهلكنا عادًا وثمود، وقد تبين لكم من مساكنهم خَرابُها وخلاؤها منهم، وحلول نقمتنا بهم جميعًا، وحسَّن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة، فصدَّهم عن سبيل الله وعن طريق الإيمان به وبرسله،

---

(١) التفسيرالميسر: ٤٠٠.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٨٢.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤.
(٤) التفسيرالميسر: ٤٠٠.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٧-٢٧٨.
(٧) التفسيرالميسر: ٤٠٠.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤.
(٩) مجاز القرآن: ٢/ ١١٦.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٣٨٢-٣٨٣.
(١١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٤.

وكانوا مستبصرين في كفرهم وضلالهم، معجبين به، يحسبون أنهم على هدى وصواب، بينما هم في الضلال غارقون.

قوله تعالى:{وَعَادًا وَثَمُودَ} [العنكبوت : ٣٨]، أي:" وأهلكنا عادًا وثمود"(١).

قال الزجاج:" المعنى: وأهلكنا عادا وثمودا، لأن قبل هذا قارون وأصحابه، فأخذتهم الرجفة"(٢).

قال السمعاني:" أي: وأهلكنا عادا وثمود"(٣).

قال الزمخشري:" {وَعاداً} منصوب بإضمار «أهلكنا» لأن قوله: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} يدل عليه، لأنه في معنى الإهلاك"(٤).

وقال الطبري: يقول:" واذكروا أيها القوم عادا وثمود"(٥).

قوله تعالى:{وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ} [العنكبوت : ٣٨]، أي:" وقد تبين لكم من مساكنهم خَرابُها وخلاؤها منهم، وحلول نقمتنا بهم جميعًا"(٦).

قال الزمخشري:" يعنى: ما وصفه من إهلاكهم مِنْ جهة مسكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها، وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها"(٧).

قال السمعاني:" أي: المنازل التي سكنوها"(٨).

قال الطبري: أي:" خرابها وخلاؤها منهم بوقائعنا بهم، وحلول سطوتنا بجميعهم"(٩).

قوله تعالى:{وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} [العنكبوت : ٣٨]، أي:" وحسَّن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة"(١٠).

قال الطبري: " يقول: وحسن لهم الشيطان كفرهم بالله، وتكذيبهم رسله"(١١).

قوله تعالى:{فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} [العنكبوت : ٣٨]، أي:" فصدَّهم عن سبيل الله وعن طريق الإيمان به وبرسله"(١٢).

قال الطبري: " يقول: فردهم بتزيينه لهم، ما زين لهم من الكفر عن سبيل الله، التي هي الإيمان به ورسله، وما جاءوهم به من عند ربهم"(١٣).

قوله تعالى:{وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} [العنكبوت : ٣٨]، أي:" وكانوا مستبصرين في كفرهم وضلالهم، معجبين به، يحسبون أنهم على هدى وصواب، بينما هم في الضلال غارقون"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(٢) معاني القرآن: ٤/ ١٦٨.

(٣) تفسير السمعاني: ٤/ ١٨٠.

(٤) الكشاف: ٣/ ٤٥٤.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(٧) الكشاف: ٣/ ٤٥٤.

(٨) تفسير السمعاني: ٤/ ١٨٠.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٠٠.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤-٣٥.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٠٠.

قال الطبري:" يقول: وكانوا مستبصرين في ضلالتهم، معجبين بها، يحسبون أنهم على هدى وصواب، وهم على الضلال"[١].
قال الزجاج:" أتوا ما أتوه وقد بين لهم أن عاقبته عذابهم"[٢].
قال السمعاني:" أي: ارتكبوا ما ارتكبوا وقد علموا أن عاقبة أمرهم بوار"[٣].
قال الزمخشري:أي:" عقلاء متمكنين من النظر والافتكار، ولكنهم لم يفعلوا. أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن الله تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل عليهم السلام، ولكنهم لجوا حتى هلكوا"[٤].
قال ابن عباس:" يقول: كانوا مستبصرين في دينهم"[٥].
عن الضحاك:"{وكانوا مستبصرين}، يقول: في دينهم"[٦].
عن مجاهد :"{وكانوا مستبصرين}، في الضلالة"[٧].
قال قتادة:" في ضلالتهم معجبين بها"[٨].

القرآن
{وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩)} [العنكبوت : ٣٩]
التفسير:
وأهلكنا قارون وفرعون وهامان، ولقد جاءهم جميعًا موسى بالأدلة الواضحة، فتعاظموا في الأرض، واستكبروا فيها، ولم يكونوا ليفوتوننا، بل كنا مقتدرين عليهم.
قوله تعالى:{وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ} [العنكبوت : ٣٩]، أي:" وأهلكنا قارون وفرعون وهامان"[٩].
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد، قارون وفرعون وهامان"[١٠].
قال قتادة:" وكان قارون ابن عم موسى أخي أبيه وكان قطع البحر مع بني إسرائيل وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه الله ببغية وانما بغا عليهم لكثرة ماله وولده قال الله: أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون"[١١].
قوله تعالى:{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ} [العنكبوت : ٣٩]، أي:" ولقد جاءهم جميعًا موسى بالأدلة الواضحة"[١٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٥.
(٢) معاني القرآن: ٤/ ١٦٩.
(٣) تفسير السمعاني: ٤/ ١٨٠.
(٤) الكشاف: ٣/ ٤٥٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٠.
(٩) التفسير الميسر: ٤٠١.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٥.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٠٨):ص٩/٣٠٦٠-٣٠٦١.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٠١.

قال الطبري: يقول:"ولقد جاء جميعهم موسى بالبينات، يعني بالواضحات من الآيات"(١).

عن ابن عباس قوله: {آيات بينات}، قال: يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والدم والضفادع والدم آيات مفصلات"(٢).

عن ابن عباس قوله: "{آيات بينات}، قال: هي متتابعات"(٣).

قوله تعالى:{فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ} [العنكبوت : ٣٩]، أي:" فتعاظموا في الأرض واستكبروا فيها"(٤).

قال الطبري: أي:" عن التصديق من الآيات، وعن اتباع موسى صلوات الله عليه"(٥).

قال ابن عباس:" لما قال فرعون: «ما علمت لكم من إله غيري»، قال جبريل عليه السلام: يا رب، طغا عبدك فائذن لي في هلكة فرعون. قال: يا جبريل، هو عبدي، ولن يسبقني له أجل قد أجلته يحيى فذلك الأجل. فلما قال: «أنا ربكم الأعلى»، قال: يا جبريل، سبقت دعوتك في عبدي وقد جاء أوان هلكة فرعون"(٦).

قوله تعالى:{وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} [العنكبوت : ٣٩]، أي:" ولم يكونوا ليفوتوننا، بل كنا مقتدرين عليهم"(٧).

قال الطبري:يقول: "وما كانوا سابقينا بأنفسهم، فيفوتوننا، بل كنا مقتدرين عليهم"(٨).

قال الزمخشري: " {سابِقِينَ}: فائتين، أدركهم أمر الله فلم يفوتوه"(٩).

القرآن

{فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)} [العنكبوت : ٤٠]

التفسير:

فأخذنا كلا من هؤلاء المذكورين بعذابنا بسبب ذنبه: فمنهم الذين أرسلنا عليهم ريحاً شديدة ترميهم بحجارة من طين متتابع، وهم قوم لوط، ومنهم مَن أخذته الصيحة، وهم قوم صالح وقوم شعيب، ومنهم مَن خسفنا به الأرض كقارون، ومنهم مَن أغرقنا، وهم قومُ نوح وفرعونُ وقومُه، ولم يكن الله ليهلك هؤلاء بذنوب غيرهم، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، ولكنهم كانوا أنفسهم يظلمون بتنعمهم في نِعَم ربهم وعبادتهم غيره.

قوله تعالى:{فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ} [العنكبوت : ٤٠]، أي:" فأخذنا كلا من هؤلاء المذكورين بعذابنا بسبب ذنبه"(١٠).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٥.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣١٠):ص٩/٣٠٦١.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣١١):ص٩/٣٠٦١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٥.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣١٢):ص٩/٣٠٦١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٥.

(٩) الكشاف: ٣/ ٤٥٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٠١.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فأخذنا جميع هذه الأمم التي ذكرناها لك يا محمد بعذابنا"[1].

قوله تعالى:{فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا} [العنكبوت : ٤٠]، أي:" فمنهم الذين أرسلنا عليهم ريحاً شديدة ترميهم بحجارة من طين متتابع، وهم قوم لوط"[2].

قال الطبري: " وهم قوم لوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود، والعرب تسمي الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد حاصبا، ومنه قول الأخطل[3]:

ولقد علمت إذا العشار تروحت ... هدج الرئال يكبهن شمالا

ترمي العضاه بحاصب من ثلجها ... حتى يبيت على العضاه جفالا "[4].

عن ابن عباس: "{فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا}: قوم لوط"[5].

عن الضحاك:"{فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا}، قال: حجارة"[6].

قال الزمخشري: " الحاصب: لقوم لوط، وهي ريح عاصف فيها حصباء. وقيل: ملك كان يرميهم"[7].

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ} [العنكبوت : ٤٠]، أي:" ومنهم مَن أخذته الصيحة، وهم قوم صالح وقوم شعيب"[8].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ} [العنكبوت : ٤٠]، على أقوال:

أحدها: أنهم ثمود قوم صالح. قاله ابن عباس[9].

الثاني: أنهم قوم شعيب. قاله قتادة[10].

الثالث: أنهم قوم صالح، وقوم شعيب، وقوم هود، وقوم إبراهيم. قاله مقاتل[11].

قال الطبري:" لم يخصص الخبر بذلك عن بعض من أخذته الصيحة من الأمم دون بعض، وكلا الأمتين أعني ثمود ومدين قد أخذتهم الصيحة"[12].

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ} [العنكبوت : ٤٠]، أي:" ومنهم مَن خسفنا به الأرض كقارون"[13].

قال الطبري:" يعني بذلك: قارون"[14].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٥.

(٢) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٣)ديوانه: ١/ ١٠٨.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠ /٣٦.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣١٣):ص٩/ ٣٠٦١.

(٧) الكشاف: ٣/ ٤٥٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٦.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٦.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٨٤.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٧.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٠١.

(١٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٧.

عن ابن عباس: "{ومنهم من خسفنا به الأرض}: قارون"[1].

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا} [العنكبوت : ٤٠]، أي:" ومنهم مَن أغرقنا، وهم قومُ نوح وفرعونُ وقومُه"[2].

قال الطبري:" يعني: قوم نوح وفرعون وقومه"[3].

وفي قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا} [العنكبوت : ٤٠]، قولان:

أحدهما: أنهم قوم نوح-عليه السلام-. قاله ابن عباس[4].

الثاني: أنهم قوم فرعون. وهذا قول قتادة[5].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك، أن يقال: عني به قوم نوح وفرعون وقومه؛ لأن الله لم يخصص بذلك إحدى الأمتين دون الأخرى، وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما، فهما معنيتان به"[6].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت : ٤٠]، أي:" ولم يكن الله ليهلك هؤلاء بذنوب غيرهم، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، ولكنهم كانوا أنفسهم يظلمون بتنعمهم في نِعَم ربهم وعبادتهم غيره"[7].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم الذين أهلكهم، بذنوب غيرهم، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، بل إنما أهلكهم بذنوبهم، وكفرهم بربهم، وجحودهم نعمه عليهم، مع تتابع إحسانه عليهم، وكثرة أياديه عندهم، بتصرفهم في نعم ربهم، وتقلبهم في آلائه وعبادتهم غيره، ومعصيتهم من أنعم عليهم "[8].

عن ابن عباس، قوله: "{وما ظلمناهم}، نحن أغنى من أن نظلمهم"[9].

عن ابن عباس: "{يظلمون}، قال: يضرون"[10].

قال ابن زيد:" ثم اعتذر إلى خلقه فقال: {وما ظلمناهم} مما ذكرنا لك من عذاب ممن عذبنا من الأمم، {ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}، ظلموا أنفسهم"[11].

فوائد الآيات:[٣٨-٤٠]:

١- بيان أن الشيطان هو سبب هلاك الأقوام وذلك بتزيينه لهم الشر والقبيح كالشرك والباطل والشر والفساد.

٢- بيان أن الاستكبار كالظلم عاقبتهما الهلاك والخسران.

٣- بيان أن الله تعالى ما أهلك أمة حتى يبين لها ما يجب أن تتقيه من أسباب الهلاك والدمار فإذا أبت إلا ذاك أوردها الله موارده.

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٧.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٧.

(٧) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٧-٣٨.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٣١٧):ص٣٠٦٢/٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٣١٩):ص٣٠٦٢/٩.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٣١٨):ص٣٠٦٢/٩.

{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)} [العنكبوت : ٤١]

التفسير:

مثل الذين جعلوا الأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها، كمثل العنكبوت التي عملت بيتًا لنفسها ليحفظها، فلم يُغن عنها شيئًا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يُغْن عنهم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئًا، وإن أضعف البيوت لَبيت العنكبوت، لو كانوا يعلمون ذلك ما اتخذوهم أولياء، فهم لا ينفعونهم ولا يضرونهم.

قوله تعالى:{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا} [العنكبوت : ٤١]، أي:" مثل الذين جعلوا الأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها، كمثل العنكبوت التي عملت بيتًا لنفسها ليحفظها، فلم يُغن عنها شيئًا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يُغْن عنهم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئًا"(١).

قال الطبري: يقول:" مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، {كمثل العنكبوت} في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، {اتخذت بيتا} لنفسها، كيما يكنها، فلم يغن عنها شيئا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحل بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئا، ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم"(٢).

قال ابن قتيبة:" أي: شبه الذين كفروا شبه العنكبوت، والمثل: بمعنى الشّبه، يقال: هذا مثل الشيء ومثله، كما يقال: شبه الشيء وشبهه"(٣).

قال الزجاج:" المعنى: أن أولياءهم لا ينقصونهم، ولا يرزقونهم ولا يدفعون عنهم ضررا، كما أن بيت العنكبوت غير موق للعنكبوت"(٤).

قال ابن كثير:" هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ، يرجون نصرهم ورزقهم ، ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمَنْ يتمسك ببيت العنكبوت ، فإنه لا يجدي عنه شيئا ، فلو عَلموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء ، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله ، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، لقوتها وثباتها"(٥).

قال السعدي:" هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتَّقَوِّي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثل العنكبوت، اتخذت بيتا يقيها من الحر والبرد والآفات"(٦).

قال ابن عباس:" ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره، إن مثله كمثل بيت العنكبوت"(٧).

قال قتادة:" هذا مثل ضربه الله للمشرك مثل إلهه الذي يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٢٦٩.[بتصرف]

(٤) معاني القرآن: ٤/ ١٦٩.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٩.

(٦) تفسير السعدي: ٦٣١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨.

قال ابن زيد:" هذا مثل ضربه الله، لا يغني أولياؤهم عنهم شيئا، كما لا يغني العنكبوت بيتها هذا"[2].

قوله تعالى:{وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ} [العنكبوت : ٤١]، أي:" وإن أضعف البيوت لَبيت العنكبوت"[3].

قال الطبري:" يقول: إن أضعف البيوت {لبيت العنكبوت}"[4].

قال السعدي:" فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفا، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفا إلى ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم. فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل"[5].

قوله تعالى:{لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت : ٤١]، أي:" لو كانوا يعلمون ذلك ما اتخذوهم أولياء، فهم لا ينفعونهم ولا يضرونهم"[6].

قال الطبري: يقول: " لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله في قلة غنائهم عنهم، كغناء بيت العنكبوت عنها، لكنهم يجهلون ذلك، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم إلى الله زلفى"[7].

قال السعدي:" فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم، حالهم وحال من اتخذوهم، لم يتخذوهم، ولتبرأوا منهم، ولتولوا الرب القادر الرحيم، الذي إذا تولاه عبده وتوكل عليه، كفاه مئونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته، في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله"[8].

قال الزمخشري:" معناه: لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن. ووجه آخر: وهو أنه إذا صحّ تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت، وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون. أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز، فكأنه قال: وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون"[9].

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢)} [العنكبوت : ٤٢]

التفسير:

إن الله يعلم ما يشركون به من الأنداد، وأنها ليست بشيء في الحقيقة، بل هي مجرد أسماء سَمَّوها، لا تنفع ولا تضر. وهو العزيز في انتقامه ممن كفر به، الحكيم في تدبيره وصنعه.

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨.

(٣) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨-٣٩.

(٥) تفسير السعدي: ٦٣١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨-٣٩.

(٨) تفسير السعدي: ٦٣١.

(٩) الكشاف: ٣/٤٥٥.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} [العنكبوت : ٤٢]، أي:" إن الله يعلم ما يشركون به من الأنداد، وأنها ليست بشيء في الحقيقة، بل هي مجرد أسماء سَمَّوها، لا تنفع ولا تضر"[١].

قال الطبري: " {إن الله يعلم} أيها القوم، حال ما تعبدون {من دونه من شيء}، وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضركم، إن أراد الله بكم سوءا، ولا يغني عنكم شيئا، وإن مثله في قلة غنائه عنكم، مثل بيت العنكبوت في غنائه عنها"[٢].

قال السعدي:" أي: إنه تعالى يعلم -وهو عالم الغيب والشهادة- أنهم ما يدعون من دون الله شيئا موجودا، ولا إلها له حقيقة، كقوله تعالى: {إِنْ هِيَ إلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} وقوله: {وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وإن هم إلا يخرصون}"[٣].

قال ابن كثير:" تعالى متوعدا لِمَنْ عبد غيره وأشرك به : إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال ، ويعلم ما يشركون به من الأنداد ، وسيجزيهم وصفهم "[٤].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [العنكبوت : ٤٢]، أي:" وهو العزيز في انتقامه ممن كفر به، الحكيم في تدبيره وصنعه"[٥].

قال الطبري: " يقول: والله العزيز في انتقامه ممن كفر به، وأشرك في عبادته معه غيره فاتقوا أيها المشركون به، عقابه بالإيمان به قبل نزوله بكم، كما نزل بالأمم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة عليكم، فإنه إن نزل بكم عقابه لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء، كما لم يغن عنهم من قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه، الحكيم في تدبيره خلقه فمهلك من استوجب الهلاك في الحال التي هلاكه صلاح، والمؤخر من أخر هلاكه من كفرة خلقه به إلى الحين الذي في هلاكه الصلاح"[٦].

قال السعدي: {الْعَزِيزُ}: "الذي له القوة جميعا، التي قهر بها جميع المخلوقات، {الْحَكِيمُ} الذي يضع الأشياء مواضعها، الذي أحسن كل شيء خلقه، وأتقن ما أمره"[٧].

قال الزمخشري: قوله" {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}: فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء، لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلا، وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء، الحكيم الذي لا يفعل شيئا إلا بحكمة وتدبير"[٨].

القرآن

{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)} [العنكبوت : ٤٣]

التفسير:

وهذه الأمثال نضربها للناس؛ لينتفعوا بها ويتعلموا منها، وما يعقلها إلا العالمون بالله وآياته وشرعه.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩.

(٣) تفسير السعدي: ٦٣١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٩.

(٥) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩.

(٧) تفسير السعدي: ٦٣١.

(٨) الكشاف: ٣/٤٥٥.

قوله تعالى:{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ} [العنكبوت : ٤٣]، أي:" وهذه الأمثال نضربها للناس؛ لينتفعوا بها ويتعلموا منها"[١].

قال الطبري: يقول:" وهذه الأمثال، وهي الأشباه والنظائر، نمثلها ونشبهها ونحتج بها للناس"[٢].

قال القرطبي:" أي: هذا المثل وغيره مما ذكر في «البقرة» و«الحج» وغيرهما، {نضربها}: نبينها {للناس}"[٣].

قال السعدي: " أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس"[٤].

قوله تعالى:{وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت : ٤٣]، أي:" وما يعقلها إلا العالمون بالله وآياته وشرعه"[٥].

قال الطبري: يقول:" وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلا {إلا العالمون} بالله وآياته"[٦].

قال الواحدي:أي:" وما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله"[٧].

قال القرطبي:" أي: ما يفهمها {إلا} العالمون بالله"[٨].

قال ابن كثير:" أي : وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه "[٩].

قال السعدي: " {و} لكن {مَا يَعْقِلُهَا} بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب {إِلا الْعَالِمُونَ} أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم، وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثٌّ على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين، والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها، وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى. ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها"[١٠].

قال الزمخشري: " كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون: إنّ ربّ محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، فلذلك قال :{وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ}، أي: لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم، لأنّ الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩-٤٠.

(٣) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٤٦.[بتصرف بسيط]

(٤) تفسير السعدي: ٦٣١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠.

(٧) التفسير الوسيط:٣/٤٢٠.

(٨) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٤٦.[بتصرف بسيط]

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٩.

(١٠) تفسير السعدي: ٦٣١.

في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصوّرها للأفهام، كما صوّر هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد"(١).

وروي عن جابر، أن النبي، ﷺ: " تلا هذه الآية {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون} قال: العالم: الذي عقل عن الله، فعمل بطاعته، واجتنب سخطه"(٢).

قال عمرو بن العاص -رضي الله عنه-:" عَقَلْتُ عن رسول الله ﷺ ألف مثل"(٣).

قال ابن كثير:" وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص - رضي الله عنه - حيث يقول الله تعالى:{ وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ }"(٤).

عن عمرو بن مرة قال : " ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني لأني سمعت الله يقول: { وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ}"(٥).

القرآن

{خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٤)} [العنكبوت : ٤٤]

التفسير:

خلق الله السموات والأرض بالعدل والقسط، إن في خلقه ذلك لدلالة عظيمة على قدرته، وتفرده بالإلهية، وخَصَّ المؤمنين؛ لأنهم الذين ينتفعون بذلك.

قوله تعالى:{خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} [العنكبوت : ٤٤]، أي:" خلق الله السموات والأرض بالعدل والقسط"(٦).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: خلق الله يا محمد، السموات والأرض وحده منفردا بخلقها، لا يشركه في خلقها شريك"(٧).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبراعن قدرته العظيمة : أنه خلق السموات والأرض بالحق ، يعني : لا على وجه العبث واللعب ، { لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى } [طه : ١٥]، {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } [النجم : ٣١]"(٨).

قال السعدي:" أي: هو تعالى المنفرد بخلق السماوات، على علوها وارتفاعها وسعتها وحسنها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب والملائكة، والأرض وما فيها من الجبال والبحار والبراري والقفار والأشجار ونحوها، وكل ذلك خلقه بالحق، أي: لم يخلقها عبثا ولا سدى، ولا

---

(١) الكشاف: ٣/٤٥٥.

(٢)أخرجه داود بن المحبر في كتاب "العقل"، ومن طريقه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (بغية الباحث برقم برقم ١٠٣٠) من حديث جابر، والثعلبي والبغوي في التفسير، والواحدي من طريق الحارث، وأورده ابن الجوزي في "الموضوعات" وابن عراق في "تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة". وذكره الحافظ ابن حجر في "المطالب العالية" (٣ / ٢١٥) في أحاديث من كتاب العقل لداود بن المحبر وقال: أودعها الحارث ابن أبي أسامة في مسنده، وهي موضوعة كلها، لا يثبت منها شيء. انظر: الكافي الشاف ص (١٢٧) ، المطالب العالية: ٣ / ٢١٣ و٢١٤ و٢١٦، الفتح السماوي للمناوي: ٢ / ٨٩٦-٨٩٧، تنزيه الشريعة لابن عراق: ١ / ٢١٤.

(٣)المسند (٢٠٣/٤) وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٤/٨) "إسناده حسن".

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧٩-٢٨٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٣٢٧):ص٣٠٦٤/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٠.

لغير فائدة، وإنما خلقها، ليقوم أمره وشرعه، ولتتم نعمته على عباده، وليروا من حكمته وقهره وتدبيره، ما يدلهم على أنه وحده معبودهم ومحبوبهم وإلههم"(١).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} [العنكبوت : ٤٤]، أي:" إن في خلقه ذلك لدلالة عظيمة على قدرته، وتفرده بالإلهية"(٢).

قال الطبري: " يقول: إن في خلقه ذلك لحجة لمن صدق بالحجج إذا عاينها، والآيات إذا رآها"(٣).

قال ابن كثير:" أي : لدلالة واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والإلهية"(٤).
والإلهية"(٤).

قال السعدي:"{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} على كثير من المطالب الإيمانية، إذا تدبرها المؤمن رأى ذلك فيها عيانا"(٥).

القرآن

{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)} [العنكبوت : ٤٥]

التفسير:

اتل ما أُنزل إليك من هذا القرآن، واعمل به، وأدِّ الصلاة بحدودها، إن المحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات؛ وذلك لأن المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها، يستنير قلبه، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر، ولَذكر الله في الصلاة وغيرها أعظم وأكبر وأفضل من كل شيء. والله يعلم ما تصنعون مِن خيرٍ وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه.

قوله تعالى:{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ} [العنكبوت : ٤٥]، أي:" اتل يا محمد ما أُنزل إليك من هذا القرآن"(٦).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ اقرأ ما أنزل إليك من هذا القرآن"(٧).

قال ابن كثير:" أمر رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن ، وهو قراءته وإبلاغه للناس"(٨).

قال السعدي:" يأمر تعالى بتلاوة وحيه وتنزيله، وهو هذا الكتاب العظيم، ومعنى تلاوته اتباعه، بامتثال ما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصار تلاوة لفظه جزء المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، علم أن إقامة الدين كله، داخلة في تلاوة الكتاب"(٩).

قوله تعالى:{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} [العنكبوت : ٤٥]، أي:" وأدِّ الصلاة بحدودها"(١٠).

قال الطبري: " يعني: وأد الصلاة التي فرضها الله عليك بحدودها"(١).

---

(١) تفسير السعدي: ٦٣١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٠.

(٥) تفسير السعدي: ٦٣١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٠١.[بتصرف]

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٠.[بتصرف بسيط]

(٩) تفسير السعدي: ٦٣٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٠١.

قال السعدي:" قوله: {وَأَقِمِ الصَّلاةَ} من باب عطف الخاص على العام، لفضل الصلاة وشرفها، وآثارها الجميلة"(٢).

قوله تعالى:{إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت : ٤٥]، أي:" إن المحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات"(٣).

قال ابن كثير:" يعني : أن الصلاة تشتمل على شيئين : على ترك الفواحش والمنكرات ، أي : إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك"(٤).

قال السعدي:" الفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس. والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر، ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها. وثَمَّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان والبدن. فإن الله تعالى، إنما خلق الخلق لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها"(٥).

عن ابن عباس قوله: "{إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}، يقول: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله"(٦).

عن ابن عباس: {تنهى عن الفحشاء والمنكر}، يقول: الزنا والمنكر الشرك"(٧). وروي عن عكرمة والحسن مثل ذلك(٨).

وقال ابن عباس:" من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا"(٩).

قال ابن مسعود:" من لم تأمره صلاته بالمعروف، وتنهه عن المنكر، لم يزدد بها من الله إلا بعدا"(١٠).

عن سمرة بن عطية، قال: "قيل لابن مسعود: إن فلانا كثير الصلاة، قال: فإنها لا تنفع إلا من أطاعها"(١١).

عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: "من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠.

(٢) تفسير السعدي: ٦٣٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٠.

(٥) تفسير السعدي: ٦٣٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٣٤٧):ص٢٠٦٧/٩.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٢٠٦٧/٩. بدون سند.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١.

عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: "«لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر»، قال: قال سفيان: {قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك} قال: فقال سفيان: إي والله، تأمره وتنهاه"[١].

قال الحسن:" الصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر، قال: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلا بعدا"[٢].

عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق ؟ فقال : "إنه سينهاه ما يقول"[٣].

قال الطبري:" فإن قال قائل: وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر إن لم يكن معنيا بها ما يتلى فيها؟ قيل: تنهى من كان فيها، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش، لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر، ولذلك قال ابن مسعود: من لم يطع صلاته لم يزدد من الله إلا بعدا. وذلك أن طاعته لها إقامته إياها بحدودها، وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر"[٤].

قال ابن عون:" إذا كنت في صلاة، فأنت في معروف، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر، والفحشاء: هو الزنا والمنكر: معاصي الله، ومن أتى فاحشة أو عصى الله في صلاته بما يفسد صلاته، فلا شك أنه لا صلاة له"[٥].

وقال أبو العالية:" إن الصلاة فيها ثلاث خلال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة الإخلاص والخشية وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه، عن المنكر، وذكر الله القرآن يأمره وينهاه"[٦].

وروي عن ابن عمر :"{إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}، قال: القرآن الذي يقرأ في المساجد"[٧].

قوله تعالى:{وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت : ٤٥]، أي:" ولَذكر الله في الصلاة وغيرها أعظم وأكبر وأفضل من كل شيء"[٨].

قال ابن كثير:" وتشتمل الصلاة أيضا على ذكر الله تعالى ، وهو المطلوب الأكبر ؛ ولهذا قال تعالى : { وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } أي : أعظم من الأول"[٩].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت : ٤٥]، على وجوه:
أحدها: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم. قاله ابن عباس[١٠]، ومجاهد[١١]، وعكرمة[١٢]، وعطية[١]، وسلمان[٢]، وأبو قرة[٣]، وشعبة[٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١.

(٢) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١-٤٢.

(٣)المسند (٤٤٧/٢) ورواه البزار في مسنده برقم (٧٢٠) "كشف الأستار". من طريق الأعمش به ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٨/٢) "رجاله رجال الصحيح".

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٢.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٣٤٤):ص٩/ ٣٠٦٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣.

قال مجاهد:" ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه في الصلاة أو غيرها"(٥).

عن عبد الله بن ربيعة، قال: "قال لي ابن عباس: هل تدري ما قوله: {ولذكر الله أكبر} قال: قلت: نعم، قال: فما هو؟ قال: قلت: التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة، وقراءة القرآن ونحو ذلك، قال: لقد قلت قولا عجبا وما هو كذلك، ولكنه إنما يقول: ذكر الله إياكم عندما أمر به أو نهى عنه، إذا ذكرتموه {أكبر} من ذكركم إياه"(٦).

عن محمد بن أبي موسى، قال: "كنت قاعدا عند ابن عباس، فجاءه رجل، فسأل ابن عباس عن ذكر الله أكبر، فقال ابن عباس: الصلاة والصوم، قال: ذاك ذكر الله، قال رجل: إني تركت رجلا في رحلي يقول غير هذا، قال: {ولذكر الله أكبر} قال: ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد إياه، فقال ابن عباس: صدق والله صاحبك"(٧).

الثاني: معناه: ولذكركم الله أفضل من كل شيء. وهذا قول أم الدرداء، وقتادة(٨)، وسلمان(٩).

قال قتادة: لا شيء أكبر من ذكر الله، قال: أكبر الأشياء كلها، وقرأ (أقم الصلاة لذكري) قال: لذكر الله وإنه لم يصفه عند القتال إلا أنه أكبر"(١٠).

عن سلمان أنه سئل: "أي العمل أفضل؟ قال: أما تقرأ القرآن: {ولذكر الله أكبر}: لا شيء أفضل من ذكر الله"(١١).

عن أم الدرداء، أنها قالت: "{ولذكر الله أكبر} فإن صليت فهو من ذكر الله، وإن صمت فهو من ذكر الله، وكل خير تعمله فهو من ذكر الله، وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله، وأفضل ذلك تسبيح الله"(١٢).

الثالث: أنه محتمل للوجهين جميعا، يعنون القول الأول والثاني. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا(١٣).

عن ابن عباس في قوله: "{ولذكر الله أكبر}، قال: لها وجهان: ذكر الله أكبر مما سواه، وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه"(١٤).

الرابع: معناه: لذكر الله العبد في الصلاة، أكبر من الصلاة. وهذا قول أبي مالك(١٥).

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠ /٤٥.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤-٤٥.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥.

الخامس: معناه: وللصلاة التي أتيت أنت بها، وذكرك الله فيها، أكبر مما نهتك الصلاة من الفحشاء والمنكر. وهذا قول ابن عون[(١)].

قال ابن جرير الطبري:" وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل، قول من قال: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه"[(٢)].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت : ٤٥]، أي:" والله يعلم ما تصنعون مِن خيرٍ وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه"[(٣)].

قال ابن كثير:" أي : يعلم جميع أقوالكم وأعمالكم "[(٤)].

قال الطبري:" يقول: والله يعلم ما تصنعون أيها الناس في صلاتكم، من إقامة حدودها، وترك ذلك وغيره من أموركم، وهو مجازيكم على ذلك، يقول: فاتقوا أن تضيعوا شيئا من حدودها، والله أعلم"[(٥)].

فوائد الآيات:[٤١-٤٥]:

١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني للأفهام.

٢- تقرير التوحيد وإبطال التنديد.

٣- فضل العلماء على غيرهم، العلماء بالله، بصفاته وأسمائه وآياته، وشرائعه، وأسرارها.

٤- وجوب تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، وذكر الله، إذ هي غذاء الروح وزاد العروج إلى الملكوت الأعلى.

٥- بيان فائدة إقام الصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى بالقلب واللسان.

القرآن

{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)} [العنكبوت : ٤٦]

التفسير:

ولا تجادلوا -أيها المؤمنون- اليهودَ والنصارى إلا بالأسلوب الحسن، والقول الجميل، والدعوة إلى الحق بأيسر طريق موصل لذلك، إلا الذين حادوا عن وجه الحق وعاندوا وكابروا وأعلنوا الحرب عليكم فجالدوهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، وقولوا: آمنا بالقرآن الذي أُنزل إلينا، وآمنا بالتوراة والإنجيل اللذَيْن أُنزلا إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له في ألوهيته، ولا في ربوبيته، ولا في أسمائه وصفاته، ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا به، ونهانا عنه.

قوله تعالى:{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت : ٤٦]، أي:" ولا تجادلوا -أيها المؤمنون- اليهودَ والنصارى إلا بالأسلوب الحسن، والقول الجميل، والدعوة إلى الحق بأيسر طريق موصل لذلك"[(٦)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {ولا تجادلوا} أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه"[(٧)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥-٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٠١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦.

قال سفيان بن حسين:" التي هي أحسن: {قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد} إلى آخر الآية، هذه مجادلتهم بالتي هي أحسن"[١].

قال مجاهد:" إن قالوا شرا فقولوا خيرا"[٢].

وفي حكم قوله تعالى:{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت : ٤٦]، قولان:

القول الأول: أنها نسخت بقوله: {قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} إلى قوله: {وَهُمْ صاغِرُونَ} [التوبة: ٢٩]. قاله قتادة[٣]، وابن السائب[٤].

قال الزجاج:" كان الصغار خارجا من التي هي أحسن، فالأشبه أن تكون منسوخة"[٥].

قال قتادة:" نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا مجادلة أشد من السيف"[٦].

القول الثاني: أنها ثابتة الحكم. وهو مذهب جماعة منهم ابن زيد[٧].

قال ابن زيد:" ليست بمنسوخة، لا ينبغي أن يجادل من آمن منهم، لعلهم أن يحدثوا شيئا في كتاب الله لا تعلمه أنت، قال: لا تجادلوا، لا ينبغي أن تجادل منهم"[٨].

عن مجاهد قوله: "{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن،} قال: لا تقاتلوا إلا من قاتلكم ولم يعطي الجزية"[٩].

قال ابن عباس:" يقول: من أدى منهم الجزية فلا تقولوا لهم إلا حسنا"[١٠].

وقال مجاهد:" كان ناس من الأنصار يسترضعون لأولادهم في اليهود، فكانوا يجادلونهم ويذكرون لهم الإسلام فأنزل الله: {لا إكراه في الدين}"[١١].

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} [العنكبوت : ٤٦]، أي:" إلا الذين حادوا عن وجه الحق وعاندوا وكابروا وأعلنوا الحرب عليكم فجالدوهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون"[١٢].

قال الطبري:أي: " إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية، ونصبوا دونها الحرب"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : حادوا عن وجه الحق ، وعَمُوا عن واضح المحجة ، وعاندوا وكابروا ، فحينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلاد ، ويقاتلون بما يردعهم ويمنعهم ، قال الله تعالى:{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٥٩):ص٩/٣٠٦٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٦٠):ص٩/٣٠٦٩.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٣٥٥):ص٩/٣٠٦٨.

(٤) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٨٠.

(٥) معاني القرآن: ٤/ ١٧٠.

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٥٥):ص٩/٣٠٦٨.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٣٥٦):ص٩/٣٠٦٨.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٥٦):ص٩/٣٠٦٨.

(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٥٧):ص٩/٣٠٦٩.

(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٥٨):ص٩/٣٠٦٩.

(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٥٤):ص٩/٣٠٦٨.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨.

بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [الحديد : ٢٥]"(١).

قال مجاهد:" {الذين ظلموا}: من قاتلك ولم يعطك الجزية"(٢).

قال مجاهد:" {الذين ظلموا منهم}: أهل الحرب من لا عهد له فتجادلوهم بالسيف"(٣).

عن مجاهد قوله: "{إلا الذين ظلموا}، فانتصروا منهم"(٤).

وقال مجاهد: "{إلا الذين ظلموا منهم} قالوا: مع الله إله، وولدا وشريكا ويد الله مغلولة وإن الله فقيرا محمد ﷺ: هم أهل الكتاب"(٥).

وقال ابن زيد:" ولا ينبغي أن تجادل إلا الذين ظلموا: المقيم منهم على دينه. فقال: هو الذي يجادل ويقال له بالسيف. قال: وهؤلاء يهود. قال: ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد، إنما كانوا يهودا، هم الذي كلموا وحالفوا رسول الله ﷺ، وغدرت النضير يوم أحد، وغدرت قريظة يوم الأحزاب"(٦).

قوله تعالى:{وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} [العنكبوت : ٤٦]، أي:" وقولوا: آمنا بالقرآن الذي أُنزل إلينا، وآمنا بالتوراة والإنجيل اللذَيْن أُنزلا إليكم"(٧).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن: إذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم، وأخبروكم عنها بما يمكن ويجوز أن يكونوا فيه صادقين، وأن يكونوا فيه كاذبين، ولم تعلموا أمرهم وحالهم في ذلك، فقولوا لهم: {آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم} مما في التوراة والإنجيل"(٨).

قال ابن كثير:" يعني : إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه ، فهذا لا نُقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقا ، ولا على تصديقه ، فلعله أن يكون باطلا ولكن نؤمن به إيمانا مجملا معلقا على شرط وهو أن يكون منزلا لا مبدلا ولا مؤولا "(٩).

قوله تعالى:{وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت : ٤٦]، أي:" وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له في ألوهيته، ولا في ربوبيته، ولا في أسمائه وصفاته، ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا به، ونهانا عنه"(١٠).

قال الطبري: " يقول: ومعبودنا ومعبودكم واحد، ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا"(١١).

عن زهير بن محمد :"يعني قوله: {مسلمون}، يقول: مخلصون"(١٢).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٦.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٦١):ص٣٠٦٩/٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٦٢):ص٣٠٦٩/٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٦٣):ص٣٠٦٩/٩-٣٠٧٠.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٦٣):ص٣٠٦٩/٩-٣٠٧٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧.

(٧) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٦-٢٨٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٦٦):ص٣٠٧٠/٩.

عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، {وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون}"(١).

قال عطاء بن دينار: "كان ناس من يهود يحدثون ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم، قولوا: {آمنا به كل من عند ربنا}»"(٢).

قال عبدالله:" لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتالية المال"(٣).

قال ابن عباس:" كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتابكم الذي أنزل على رسوله ﷺ أحدث تقرؤونه محضا لم يُشَب ، وقد حدَثَكم أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب الله ، وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ، ليشتروا به ثمنا قليلا ؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم"(٤).

حُمَيد بن عبد الرحمن : "أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة - وذكرَ كعبَ الأحبار - فقال : إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب"(٥).

قال ابن كثير:" معناه أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد ؛ لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن ، وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة ؛ لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة ، ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة ، لا يعلمها إلا الله ومن منحه الله علما بذلك ، كل بحسبه ، ولله الحمد والمنة"(٦).

القرآن

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧)} [العنكبوت : ٤٧]

التفسير:

وكما أنزلنا -أيها الرسول- الكتب على مَن قبلك من الرسل، أنزلنا إليك هذا الكتاب المصدق للكتب السابقة، فالذين آتيناهم الكتاب من بني إسرائيل فعرفوه حق معرفته يؤمنون بالقرآن، ومِن هؤلاء العرب من قريش وغيرهم مَن يؤمن به، ولا ينكر القرآن أو يتشكك في دلائله وبراهينه البينة إلا الكافرون الذين دَأْبُهم الجحود والعناد.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ} [العنكبوت : ٤٧]، أي:" وكما أنزلنا -أيها الرسول- الكتب على مَن قبلك من الرسل، أنزلنا إليك هذا الكتاب المصدق للكتب السابقة"(٧).

قال الزجاج:" أي: ما كنت قرأت الكتب ولا كنت كاتبا، وكذلك صفة النبي - ﷺ - عندهم في التوراة والإنجيل"(١).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٦٤):ص٩/٣٠٧٠.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٦٥):ص٩/٣٠٧٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٠.

(٤)صحيح البخاري برقم (٧٣٦٣).

(٥)صحيح البخاري برقم (٧٣٦١).

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٠٢.

قال السمعاني:" أي: كما بعثناك بالحق أنزلنا إليك الكتاب"[٢].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكر: كما أنزلنا الكتب على من قبلك يا محمد من الرسل {كذلك أنزلنا إليك} هذا {الكتاب}"[٣].
قال ابن كثير:" وهذا الذي قاله [ابن جرير] حسن ومناسبة وارتباط جيد "[٤].
عن الحسن قال: "{الكتاب}: القرآن"[٥].
قوله تعالى:{فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [العنكبوت : ٤٧]، أي:" فالذين آتيناهم الكتاب من بني إسرائيل فعرفوه حق معرفته يؤمنون بالقرآن"[٦].
قال الطبري:أي:" من قبلك من بني إسرائيل"[٧].
قال ابن كثير:" أي : الذين أخذوه فتلَوْه حق تلاوته من أحبارهم العلماء الأذكياء ، كعبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، وأشباههما "[٨].
عن قتادة، قوله: "{آتيناهم الكتاب}، اليهود والنصارى"[٩].
قوله تعالى:{وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ} [العنكبوت : ٤٧]، أي:" ومِن هؤلاء العرب من قريش وغيرهم مَن يؤمن به"[١٠].
قال الطبري:" يقول: ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانيك اليوم، من يؤمن به، كعبد الله بن سلام، ومن آمن برسوله من بني إسرائيل"[١١].
قال ابن كثير:" يعني: العرب من قريش وغيرهم "[١٢].
قوله تعالى:{وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ} [العنكبوت : ٤٧]، أي:" ولا ينكر القرآن أو يتشكك في دلائله وبراهينه البينة إلا الكافرون الذين دَأْبُهم الجحود والعناد"[١٣].
قال الطبري: يقول: " وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلا الذي يجحد نعمنا عليه، وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عنادا لنا"[١٤].
قال ابن كثير:" أي : ما يكذب بها ويجحد حقها إلا مَنْ يستر الحق بالباطل ، ويغطي ضوء الشمس بالوصائل ، وهيهات"[١٥].
قال قتادة:" وإنما يكون الجحود بعد المعرفة"[١].

---

(١) معاني القرآن: ٤/ ١٧١.
(٢) تفسير السمعاني: ٤/ ١٨٥.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٥.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٦٧):ص٩/٣٠٧٠.
(٦) التفسير الميسر: ٤٠٢.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٥.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٦٨):ص٩/٣٠٧٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٢.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٥.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٠٢.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٥.

القرآن

{وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨)} [العنكبوت : ٤٨]

التفسير:

ومن معجزاتك البينة -أيها الرسول- أنك لم تقرأ كتابًا ولم تكتب حروفًا بيمينك قبل نزول القرآن عليك، وهم يعرفون ذلك، ولو كنت قارئًا أو كاتبًا من قبل أن يوحى إليك لشك في ذلك المبطلون، وقالوا: تعلَّمه من الكتب السابقة أو استنسخه منها.

سبب النزول:

قال قتادة:" كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدا لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتابا، فنزلت هذه الآية"[٢].

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ} [العنكبوت : ٤٨]، أي:" ومن معجزاتك البينة -أيها الرسول- أنك لم تقرأ كتابًا ولم تكتب حروفًا بيمينك قبل نزول القرآن عليك، وهم يعرفون ذلك"[٣].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: {وما كنت} يا محمد تقرأ من قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك، ولم تكن تكتب بيمينك، ولكنك كنت أميا"[٤].

قال ابن كثير:" أي : قد لبثت في قومك - يا محمد - ومن قبل أن تأتي بهذا القرآن عُمرا لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة ، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب. وهكذا صفته في الكتب المتقدمة ، كما قال تعالى : { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ } الآية [الأعراف : ١٥٧]. وهكذا كان ، صلوات الله وسلامه عليه دائما أبدا إلى يوم القيامة، لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرا ولا حرفا بيده ، بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم. ومن زعم من متأخري الفقهاء ، كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه عليه السلام ، كتب يوم الحديبية : "هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله" فإنما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري : "ثم أخذ فكتب" : وهذه محمولة على الرواية الأخرى : "ثم أمر فكتب". ولهذا اشتد النكير بين فقهاء المغرب والمشرق على من قال بقول الباجي ، وتبرؤوا منه ، وأنشدوا في ذلك أقوالا وخطبوا به في محافلهم : وإنما أراد الرجل - أعني الباجي ، فيما يظهر عنه - أنه كتب ذلك على وجه المعجزة ، لا أنه كان يحسن الكتابة ، كما قال ، عليه الصلاة والسلام إخبارا عن الدجال : «مكتوب بين عينيه كافر» وفي رواية : «ك ف ر ، يقرؤها كل مؤمن»[٥] ، وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت ، عليه السلام حتى تعلم الكتابة ، فضعيف لا أصل له ؛ قال الله تعالى : { وَمَا كُنْتَ تَتْلُو } أي : تقرأ { مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ } لتأكيد النفي ، { وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ } تأكيد أيضا ، وخرج مخرج الغالب ، كقوله تعالى : { وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ } [الأنعام : ٣٨]"[٦].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٦٩):ص٩/٣٠٧٠-٣٠٧١.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٧٠):ص٩/٣٠٧١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠.

(٥)رواه البخاري في صحيحه برقم (٧١٣١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٥-٢٨٦.

قال قتادة:" كان نبي الله ﷺ لا يقرأ كتابا قبله ولا يخطه بيمينه قال: وكان أميا، والأمي، الذي لا يكتب"[١].

قال ابن عباس:" كان النبي ﷺ أميا لا يقرأ ولا يكتب"[٢].

وروي عن إبراهيم قال: "الأمي: يقرأ ولا يكتب"[٣].

قوله تعالى:{إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} [العنكبوت : ٤٨]، أي:" ولو كنت قارئًا أو كاتبًا من قبل أن يوحى إليك لشك في ذلك المبطلون، وقالوا: تعلَّمه من الكتب السابقة أو استنسخه منها"[٤].

قال الطبري:"يقول: ولو كنت من قبل أن يوحى إليك تقرأ الكتاب، أو تخطه بيمينك، إذن لشك -بسبب ذلك في أمرك، وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم- المبطلون القائلون إنه سجع وكهانة، وإنه أساطير الأولين"[٥].

قال السمعاني:" أي: إذا لشك الكافرون لو قرأت وكتبت، أما أهل الشرك وكانوا يزعمون أنه قرأ من كتب الأولين وانتسخ منها، وأما أهل الكتاب فقد كان من نعته في كتبهم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلو قرأ وكتب وقع لهم الشك"[٦].

قال ابن كثير:" أي : لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول : إنما تعلم هذا من كُتب قبله مأثورة عن الأنبياء ، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة : { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا } [الفرقان : ٥] ، قال الله تعالى : { قُلْ أَنزلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } [الفرقان : ٦]"[٧].

قال قتادة:" إذن لقالوا: إنما هذا شيء تعلمه محمد ﷺ وكتبه"[٨].

عن مجاهد قوله: "{إذا لارتاب المبطلون}: قريش"[٩].

وري عبد الله بن عتبة، قال: "ما مات رسول الله - ﷺ - حتى كتب وقرأ"[١٠].

القرآن

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٧١):ص٣٠٧١/٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٧٢):ص٣٠٧١/٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٧٣):ص٣٠٧١/٩.

(٤) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠.

(٦) تفسير السمعاني: ٤/ ١٨٥-١٨٦.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٧٤):ص٩/ ٣٠٧١.

(١٠)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤/ ١٠٣)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٩ - ١٩٠)، جميعهم من طريق أبي عقيل يحيى بن المتوكل، ثنا مجالد بن سعيد، حدثني عون بن عبد الله، عن أبيه، به.

قال البيهقي: "هذا حديث منقطع، وفي رواته جماعة من الضعفاء والمجهولين". اهـ

وضعفه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٢٨)، وفي "الفصول في اختصار سيرة الرسول" (١/ ٢٦٥)، وحكم عليه بالوضع: الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٥١٨).

{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩)} [العنكبوت : ٤٩]

التفسير:

بل القرآن آيات بينات واضحة في الدلالة على الحق يحفظه العلماء، وما يكذِّب بآياتنا ويردها إلا الظالمون المعاندون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه.

قوله تعالى:{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت : ٤٩]، أي:" بل القرآن آيات بينات واضحة في الدلالة على الحق يحفظه العلماء"[١].

قال الطبري: المعنى:" بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا، ولا تخطه بيمينك، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب"[٢].

قال الصابوني:" {بَلْ} للإضراب، أي: ليس الأمر كما حسب الظالمون والمبطلون بل هو آيات واضحاتُ الإعجاز، ساطعات الدلالة على أنها من عند الله، محفوظة في صدور العلماء"[٣].

قال ابن كثير:" القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق ، أمرًا ونهيًا وخبرًا ، يحفظه العلماء ، يَسَّره الله عليهم حفظًا وتلاوةً وتفسيرًا ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } [القمر : ١٧] ، وقال رسول الله ﷺ : "ما مِنْ نبي إلا وقد أعطي ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا»[٤].

وفي حديث عياض بن حمار، في صحيح مسلم : «يقول الله تعالى : إني مبتليك ومبتل بك ، ومنزل عليك كتابًا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائما ويقظان»[٥]. أي : لو غسل الماء المحلَّ المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل ، كما جاء في الحديث الآخر : «لو كان القرآن في إهاب ، ما أحرقته النار»[٦]، لأنه محفوظ في الصدور ، ميسر على الألسنة ، مهيمن على القلوب ، معجز لفظًا ومعنى ؛ ولهذا جاء في الكتب المتقدمة ، في صفة هذه الأمة : "أناجيلهم في صدورهم»"[٧].

عن قتادة، قوله: "{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ}، قال: النبي ﷺ آية بينة"[٨].

عن قتادة :"{بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم}، من أهل الكتاب، صدقوا بمحمد ونعته ونبوته"[٩].

قال ابن عباس:" كان الله تعالى أنزل في شأن محمد ﷺ في التوراة والإنجيل لأهل العلم، وعلمه لهم، وجعله لهم آية، فقال لهم: إن آية نبوته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابا، ولا يخطه بيمينه، وهي الآيات البينات"[١٠].

قال الضحاك:" كان نبي الله لا يكتب ولا يقرأ، وكذلك جعل الله نعته في التوراة والإنجيل، أنه نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب، وهي الآية البينة في صدور الذين أوتوا العلم"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢.

(٣) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٢٧.

(٤)رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٢٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥)صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥).

(٦)رواه أحمد في مسنده (١٥١/٤) من حديث عقبة بن عامر.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٦.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٧٥):ص٩/ ٣٠٧١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١.

قال ابن جريج:" أنزل الله شأن محمد في التوراة والإنجيل لأهل العلم، بل هو آية بينة في صدور الذين أوتوا العلم، يقول: النبي ﷺ"[2].

وقال: الحسن: "القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، يعني المؤمنين"[3].

قوله تعالى:{وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت : ٤٩]، أي:" وما يكذِّب بآياتنا ويردها إلا الظالمون المعاندون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه"[4].

قال الطبري: يقول:" ما يجحد نبوة محمد ﷺ وأدلته، وينكر العلم الذي يعلم من كتب الله، التي أنزلها على أنبيائه، ببعث محمد ﷺ ونبوته ومبعثه إلا الظالمون، يعني: الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عز وجل"[5].

قال ابن كثير:" أي : ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها إلا الظالمون ، أي : المعتدون المكابرون ، الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه ، كما قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ } [يونس : ٩٦ ، ٩٧]"[6].

فوائد الآيات:[٤٦-٤٩]:

١- مشروعية مجادلة أهل الكتاب من أهل الذِّمّة بالتي هي أحسن.

٢- حرمة سؤال أهل الكتاب لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني"[7].

منع تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم إذا أخبروا بشيء ووجوب قول: {آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} .

٣- إخبار القرآن بالغيب قبل وقوعه فيقع كما أخبر فيكون ذلك آية على أنه من وحي الله تعالى.

٤- تقرير صفة الأمية في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما هي في الكتب السابقة.

القرآن

{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)} [العنكبوت : ٥٠]

التفسير:

وقال المشركون: هلا أُنزل على محمد دلائل وحجج من ربه نشاهدها كناقة صالح، وعصا موسى! قل لهم: إن أمر هذه الآيات لله، إن شاء أنزلها، وإن شاء منعها، وإنما أنا لكم نذير أحذركم شدة بأسه وعقابه، مبيّن طريق الحق من الباطل.

قوله تعالى:{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ} [العنكبوت : ٥٠]، أي:" وقال المشركون: هلا أُنزل على محمد دلائل وحجج من ربه نشاهدها كناقة صالح، وعصا موسى!"[8].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١-٥١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٠، وابن ابي حاتم(١٧٣٧٥):ص٩/ ٣٠٧١. [مختصرا].

(٤) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٧.

(٧)أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٢٠٠/١، رقم ١٧٩) ، والديلمى (٦٤/٥، رقم ٧٤٦٩) . وأخرجه أيضا: أحمد (٣٣٨/٣، رقم ١٤٦٧٢) ، وأبو يعلى (١٠٢/٤، رقم ٢١٣٥).

(٨) التفسير الميسر: ٤٠٢.

قال مقاتل:" قال كفار مكة: هلا أنزل على محمد- ﷺ- آيات من ربه إلينا كما كان تجيء إلى قومهم"(١).

قال الطبري: يقول:" وقالت المشركون من قريش: هلا أنزل على محمد آية من ربه، تكون حجة لله علينا، كما جعلت الناقة لصالح، والمائدة آية لعيسى، قل يا محمد: إنما الآيات عند الله، لا يقدر على الإتيان بها غيره"(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات - يعنون - ترشدهم إلى أن محمدا رسول الله كما جاء صالح بناقته"(٣).

قال القرطبي:" هذا قول المشركين لرسول الله ﷺ، ومعناه هلا أنزل عليه آية كآيات الأنبياء. قيل: كما جاء صالح بالناقة، وموسى بالعصا، وعيسى بإحياء الموتى"(٤).

قال السمعاني:" يعني: مثل ما أنزل على عيسى من المائدة، وأعطي صالح من الناقة، وموسى من اليد والعصا"(٥).

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} [العنكبوت : ٥٠]، أي:" قل لهم: إن أمر هذه الآيات لله، إن شاء أنزلها، وإن شاء منعها"(٦).

قال الطبري: " وإنما أنا نذير لكم، أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله. وما جاءكم به من عند ربكم {مبين} يقول: قد أبان لكم إنذاره"(٧).

قال ابن كثير:" قال الله تعالى : { قُلْ } يا محمد : { إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ } أي : إنما أمر ذلك إلى الله ، فإنه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم ؛ لأن ذلك سهل عليه ، يسير لديه ، ولكنه يعلم منكم أنما قصدكم التعنت والامتحان ، فلا يجيبكم إلى ذلك ، كما قال تعالى : { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا } [الإسراء : ٥٩]"(٨).

قوله تعالى:{وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [العنكبوت : ٥٠]، أي:" وإنما أنا لكم نذير أحذركم شدة بأسه وعقابه، مبيّن طريق الحق من الباطل"(٩).

قال ابن كثير:" أي : إنما بعثت نذيرًا لكم بَيِّنَ النذارة فَعَلَيَّ أن أبلغكم رسالة الله و { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } [الكهف : ١٧] ، وقال تعالى : { لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } [البقرة : ٢٧٢]"(١٠).

قال السمعاني:" اعلم أن الله تعالى قد أعطى رسوله محمدا المعجزات الكثيرة، ولكنه لم يعطه على ما اقترحوا، وقد كانوا يطلبون أن تكون الآيات على وفق إقتراحاتهم"(١١).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٨٧/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٧.

(٤) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٥٥.

(٥) تفسير السمعاني: ٤/ ١٨٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٧.

(٩) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٧.

(١١) تفسير السمعاني: ٤/ ١٨٦.

قال ابن الجوزي:" قوله تعالى: {وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [العنكبوت: ٥٠]، زعم بعضهم أنه منسوخ بآية السيف، وهذا لو كان في قوله وما أنا إلا نذير احتمل، فأما هاهنا فلا، لأن هذه الآية أثبتت أنه نذير، ويؤيد إحكامها أنها خبر"(١).

قال ابن عباس:" أتا رسول الله ﷺ (الصفا) فصعد عليه ثم نادا أيا صباحا، فاجتمع الناس إليه يين رجل يجيء إليه بين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب يا بني فهر، يا بني، يا بني، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني، قالوا: نعم. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"(٢).

القرآن

{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)} [العنكبوت : ٥١]

التفسير:

أو لم يكف هؤلاء المشركين في علمهم بصدقك -أيها الرسول- أنَّا أنزلنا عليك القرآن يتلى عليهم؟ إن في هذا القرآن لَرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة.

سبب النزول:

عن يحيى بن جعدة:" أن ناسا من المسلمين أتوا نبي الله ﷺ بكتب، قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما أن نظر فيها ألقاها، ثم قال: «كفى بها حماقة قوم -أو ضلالة قوم- أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، إلى ما جاء به غير نبيهم، إلى قوم غيرهم»، فنزلت: {أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون}"(٣).

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ} [العنكبوت : ٥١]، أي:" أو لم يكف هؤلاء المشركين في علمهم بصدقك -أيها الرسول- أنَّا أنزلنا عليك القرآن يتلى عليهم؟"(٤).

قال الطبري: يقول:" أولم يكف هؤلاء المشركين يا محمد، القائلين: لولا أنزل على محمد ﷺ آية من ربه، من الآيات والحجج {أنا أنزلنا عليك} هذا {الكتاب يتلى عليهم} يقول: يقرأ عليهم"(٥).

قال القرطبي:" هذا جواب لقولهم: {لولا أنزل عليه آيات من ربه}، أي: أو لم يكف المشركين من الآيات هذا الكتاب المعجز الذي قد تحديتهم بأن يأتوا بمثله، أو بسورة منه فعجزوا، ولوا أتيتهم بآيات موسى وعيسى لقالوا: سحر ونحن لا نعرف السحر، والكلام مقدور، لهم ومع ذلك عجزوا عن المعارضة"(٦).

قال ابن كثير:" قال تعالى مبينا كثرة جهلهم ، وسخافة عقلهم ، حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد فيما جاءهم به - وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، الذي هو أعظم من كل معجزة ، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته ، بل عن معارضة عشر سور من مثله ، بل عن معارضة سورة منه - فقال تعالى : { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ } أي : أولم يكفهم آية أنا أنزلنا

---

(١) نواسخ القرآن: ١٨١.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٧٩):ص٩/ ٣٠٧٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣.

(٤) نواسخ القرآن: ١٨١.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣.

(٦) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٥٥.

عليك هذا الكتاب العظيم ، الذي فيه خبر ما قبلهم ، ونبأ ما بعدهم ، وحكم ما بينهم ، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ، ولم تخالط أحدا من أهل الكتاب ، فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى ، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه ، وبالحق الواضح البين الجلي ، كما قال تعالى : { أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ } [الشعراء : ١٩٧] ، وقال تعالى : { وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأولَى } [طه : ١٣٣]"(١).

قال السمعاني:" قوله تعالى: {أو لم يكفهم} الكفاية: بلوغ غاية تنافي الحاجة. وقوله: {إنا أنزلنا عليك الكتاب} أي: القرآن. وقوله: {يتلى عليهم} أي: يقرأ عليهم"(٢).

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة"(٣).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت : ٥١]، أي:" إن في هذا القرآن لَرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة"(٤).

قال الطبري: "يقول: إن في هذا الكتاب الذي أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة"(٥).

قال القرطبي:" أي: في القرآن {لرحمة} في الدنيا والآخرة. وقيل: رحمة في الدنيا باستنقاذهم من الضلالة. {وذكرى } في الدنيا بإرشادهم به إلى الحق {لقوم يؤمنون}"(٦).

قال السمعاني:" أي: لنعمة لمن آمن به، وموعظة وتذكيرا، ووجه الإعجاز في القرآن هو من حيث النظم والمعنى والإخبار عن الغيوب وغيره"(٧).

قال ابن كثير:" أي : إن في هذا القرآن : { لَرَحْمَةً } أي : بيانًا للحق ، وإزاحة للباطل و { ذِكْرَى } بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين ، { لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }"(٨).

عن عبد الله بن أبي مليكة:" أن ابن عامر أهدى إلى عائشة فظنت أنه عبد الله بن عمرو، فقالت: لا حاجة لي بهدية من تبع الكتب، وقالت: {أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم}"(٩).

القرآن

{قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)} [العنكبوت : ٥٢]

التفسير:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) تفسير السمعاني: ٤/ ١٨٧.

(٣)المسند (٢/٣٤١) وصحيح البخاري برقم (٤٩٨١) وصحيح مسلم برقم (١٥٢).

(٤) نواسخ القرآن: ١٨١.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣.

(٦) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٥٥.

(٧) تفسير السمعاني: ٤/ ١٨٧.[بتصرف]

(٨) تفسير ابن طثير: ٦/ ٢٨٨.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٨١):ص٩/٣٠٧٣.

قل: كفى بالله بيني وبينكم شاهدًا على صدقي أني رسوله، وعلى تكذيبكم لي وردكم الحق الذي جئتُ به من عند الله، يعلم ما في السموات والأرض، فلا يخفى عليه شيء فيهما. والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله -مع هذه الدلائل الواضحة- أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا} [العنكبوت : ٥٢]، أي:" قل: كفى بالله بيني وبينكم شاهدًا على صدقي أني رسوله، وعلى تكذيبكم لي وردكم الحق الذي جئتُ به من عند الله"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، للقائلين لك: لولا أنزل عليك آية من ربك، الجاحدين بآياتنا من قومك: كفى الله يا هؤلاء بيني وبينكم، شاهدا لي وعلي؛ لأنه يعلم المحق منا من المبطل"(٢).

قال القرطبي:" أي: قل للمكذبين لك كفى بالله شهيدا يشهد لي بالصدق فيما أدعيه من أني رسوله، وأن هذا القرآن كتابه"(٣).

قال ابن كثير:" أي : هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب ، ويعلم ما أقول لكم من إخباري عنه ، بأنه أرسلني ، فلو كنت كاذبا عليه لانتقم مني ، كما قال تعالى : { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقَاوِيلِ. لأخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ } [الحاقة : ٤٤ - ٤٧] ، وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به ، ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات ، والدلائل القاطعات"(٤).

قال القشيري:" أنا على حق والله- سبحانه- يعلمه، وأنتم لستم على حق والله يعلمه"(٥).

قال قتادة:" قد كان من أهل الكتاب قوم يشهدون بالحق ويعرفونه"(٦).

قوله تعالى:{يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [العنكبوت : ٥٢]، أي:" يعلم ما في السموات والأرض، فلا يخفى عليه شيء فيهما"(٧).

قال الطبري:" ويعلم ما في السموات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، وهو المجازي كل فريق منا بما هو أهله، المحق على ثباته على الحق، والمبطل على باطله بما هو أهله"(٨).

قال القرطبي:" أي: لا يخفى عليه شي. وهذا احتجاج عليهم في صحة شهادته عليهم، لأنهم قد أقروا بعلمه فلزمهم أن يقروا بشهادته"(٩).

قال ابن كثير:" لا تخفى عليه خافية "(١٠).

قال ابن عباس:" خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب، فقال القلم: وما أكتب قال: علمي في خلقي إلى يوم

---

(١) نواسخ القرآن: ١٨١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣-٥٤.

(٣) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٥٥.

(٤) تفسير ابن طثير: ٦/ ٢٨٨.

(٥) لطائف الإشارات: ٣/ ١٠١.

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٨٢):ص٩/٣٠٧٣.

(٧) نواسخ القرآن: ١٨١.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤.

(٩) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٥٥-٣٥٦.

(١٠) تفسير ابن طثير: ٦/ ٢٨٨.

تقوم الساعة، فجر القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة، فذلك قوله تبارك وتعالى للنبي ﷺ: {يعلم ما في السماوات والأرض}"[١].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [العنكبوت : ٥٢]، أي:" والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله -مع هذه الدلائل الواضحة- أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة"[٢].

قال الطبري:" يقول: صدقوا بالشرك، فأقروا به وجحدوا الله {أولئك} هم المغبونون في صفقتهم"[٣].

قال القرطبي: أي:" أنفسهم وأعمالهم في الآخرة"[٤].

قال ابن كثير:" أي : يوم معادهم سيجزيهم على ما فعلوا ، ويقابلهم على ما صنعوا ، من تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل ، كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم ، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل ، سيجازيهم على ذلك ، إنه حكيم عليم"[٥].

عن قتادة :"{والذين آمنوا بالباطل}: الشرك"[٦].

عن سعيد بن جبير، قوله:"{بالله}، يعني: بتوحيد الله"[٧].

عن مقاتل بن حيان: "{أولئك هم الخاسرون}، في الآخرة هم في النار"[٨].

فوائد الآيات:[٥٠-٥٢]:

١- تقرير النبوة المحمدية بالأدلة القاطعة التي لا تُرد، وهي أربع كما ذكر آنفا.

٢- بيان أكبر معجزة لإثبات النبوة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي نزول القرآن الكريم عليه وفي ذلك قال عليه الصلاة والسلام:" ما من الأنبياء من نبى إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"[٩].

٣- القرآن الكريم رحمة وذكرى أي عبرة للمؤمنين به وبمن نزل عليه.

٤- تقرير خسران المشركين في الدارين لاستبدالهم الباطل بالحق والعياذ بالله تعالى.

القرآن

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣)} [العنكبوت : ٥٣]

التفسير:

ويستعجلك -أيها الرسول- هؤلاء المشركون من قومك بالعذاب استهزاء، ولولا أن الله جعل لعذابهم في الدنيا وقتًا لا يتقدم ولا يتأخر، لجاءهم العذاب حين طلبوه، وليأتينهم فجأة، وهم لا يشعرون به ولا يُحِسُّون.

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٨٣):ص٣٠٧٣/٩.

(٢) نواسخ القرآن: ١٨١.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤.[بتصرف بسيط]

(٤) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٥٦.

(٥) تفسير ابن طثير: ٦/ ٢٨٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٣٨٥):ص٩/ ٣٠٧٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٣٨٧):ص٩/ ٣٠٧٤.

(٩)أخرجه أحمد (٣٤١/٢، رقم ٨٤٧٢) ، والبخارى (١٩٠٥/٤، رقم ٤٦٩٦) ، ومسلم (١٣٤/١، رقم ١٥٢).

قال مقاتل: " نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: { ... فَأَمْطِرْ عَلَيْنا} في الدنيا {حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ}(١)، يقول ذلك استهزاء وتكذيبا فنزلت فيه {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ}"(٢).

قوله تعالى:{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} [العنكبوت : ٥٣]، أي:" ويستعجلك -أيها الرسول- هؤلاء المشركون من قومك بالعذاب استهزاء"(٣).

قال مقاتل: أي:"استهزاء وتكذيبا به"(٤).

قال القرطبي:" لما أنذرهم بالعذاب قالوا لفرط الإنكار: عجل لنا هذا العذاب"(٥).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يا محمد هؤلاء القائلون من قومك: لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب ويقولون: {اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء}"(٦).

عن قتادة، قوله: "{ويستعجلونك بالعذاب}، قال: قال ناس من جهلة هذه الأمة {اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم}، الآية"(٧).

قوله تعالى:{وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ} [العنكبوت : ٥٣]، أي:" ولولا أن الله جعل لعذابهم في الدنيا وقتًا لا يتقدم ولا يتأخر، لجاءهم العذاب حين طلبوه"(٨).

قال الطبري: يقول:" ولولا أجل سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه، لجاءهم العذاب عاجلا"(٩).

قال ابن كثير: " أي : لولا ما حَتَّم الله من تأخير العذاب إلى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبا سريعا كما استعجلوه"(١٠).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{أجل مسمى}، قال: يوم القيامة"(١١). وروي عن عطية والضحاك وعكرمة والسدي وعطاء الخراساني والربيع بن أنس نحو ذلك(١٢).

عن قتادة، قوله: "{أجل مسمي}، يقول: أجل حياتك إلى يوم تموت وأجل موتك إلى يوم تبعث، فأنت بين أجلين من الله عز وجل"(١٣).

قوله تعالى:{وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [العنكبوت : ٥٣]، أي:" وليأتينهم فجأة، وهم لا يشعرون به ولا يُحِسُّون"(١).

---

(١) [سورة الأنفال: ٣٢] وتمامها: {وَإِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ}.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٨٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٨٧.

(٥) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٥٦.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٩.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٨٩):ص٣٠٧٤/٩.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٠٧٤/٩. بدون سند.

(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٩٠):ص٣٠٧٤/٩.

قال مقاتل:" يعني: فجأة ، {وهم} لا يعلمون به حتى ينزل بهم العذاب"[٢].
قال الطبري: "يقول: وليأتينهم العذاب فجأة، وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه"[٣].
عن مجاهد، قوله: "{بغتة}، فجأة"[٤].
عن مجاهد: "{وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون}، قال: قريش"[٥].

القرآن
{يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤)} [العنكبوت : ٥٤]
التفسير:
يستعجلونك بالعذاب في الدنيا، وهو آتيهم لا محالة إمَّا في الدنيا وإما في الآخرة، وإن عذاب جهنم في الآخرة لمحيط بهم، لا مفرَّ لهم منه.
قوله تعالى:{يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} [العنكبوت : ٥٤]، أي:" يستعجلونك بالعذاب في الدنيا، وهو آتيهم لا محالة إمَّا في الدنيا وإما في الآخرة"[٦].
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون بمجيء العذاب ونزوله بهم"[٧].
قوله تعالى:{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [العنكبوت : ٥٤]، أي:" وإن عذاب جهنم في الآخرة لمحيط بهم، لا مفرَّ لهم منه"[٨].
قال الطبري: " والنار بهم محيطة، لم يبق إلا أن يدخلوها. وقيل: إن ذلك هو البحر"[٩].
قال ابن كثير: أي: "وهو واقع بهم لا محالة "[١٠].
عن سماك، قال: "سمعت عكرمة يقول في هذه الآية :{وإن جهنم لمحيطة بالكافرين}، قال: البحر"[١١].
قال ابن عباس:" وجهنم: هو هذا البحر الأخضر، تنتشر الكواكب فيه ويكون الشمس فيه والقمر، ثم يستوقد فيكون هو جهنم"[١٢].
عن صفوان بن يعلى ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ قال : «البحر هو جهنم». قالوا : ليعلى ، فقال : ألا ترون أن الله يقول : { نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا } [الكهف : ٢٩] ، قال : لا والذي نفس

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٣.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٨٧.[بترتيب بسيط في العبارات]
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٩١):ص٣٠٧٤/٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٣٩٢):ص٣٠٧٤/٩.
(٦) التفسير الميسر: ٤٠٣.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤.
(٨) التفسير الميسر: ٤٠٣.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٩.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٥/٢٠.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٣٩٤):ص٣٠٥٧/٩.

يعلى بيده لا أدخلها أبدا حتى أعرض على الله ، ولا يصيبني منها قطرة حتى أعرض على الله عز وجل"[١].

قال ابن كثير: " هذا تفسير غريب ، وحديث غريب جدا ، والله أعلم"[٢].

القرآن

{يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)} [العنكبوت : ٥٥]

التفسير:

يوم القيامة يغشى الكافرين عذاب جهنم من فوق رؤوسهم، ومِن تحت أقدامهم، فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم، ويقول الله لهم حينئذ: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا: من الإشراك بالله، وارتكاب الجرائم والآثام.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [العنكبوت : ٥٥]، أي:" يوم القيامة يغشى الكافرين عذاب جهنم من فوق رؤوسهم، ومِن تحت أقدامهم، فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم"[٣].

قال الطبري: يقول:" يوم يغشى الكافرين العذاب، من فوقهم في جهنم، ومن تحت أرجلهم"[٤].

قال ابن كثير:" فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم ، وهذا أبلغ في العذاب الحسي "[٥].

عن قتادة :"{يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم}، أي: في النار"[٦].

وعن أبي العالية، قوله: "{يوم يغشاهم العذاب من فوقهم}، قال: الرجم. {ومن تحت أرجلهم}، قال: الخسف"[٧].

قوله تعالى:{وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت : ٥٥]، أي:" ويقول الله لهم حينئذ: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا: من الإشراك بالله، وارتكاب الجرائم والآثام"[٨].

قال الطبري: " ويقول الله لهم: ذوقوا ما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله، وما يسخطه فيها"[٩].

قال ابن كثير:" تهديد وتقريع وتوبيخ ، وهذا عذاب معنوي على النفوس ، كقوله : { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } [القمر : ٤٨ ، ٤٩] ، وقال { يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا. هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ. أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ. اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الطور : ١٣ - ١٦]"[١٠].

فوائد الآيات:[٥٣-٥٥]:

---

(١)المسند (٢٣٣/٤) وقال الهيثمي في المجمع (٣٨٦/١٠) "رجاله ثقات".

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٩.

(٣) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٤) تفسير الطبري: ٥٥/٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٥/٢٠.

(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٣٩٥):ص٣٠٧٥/٩.

(٨) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٩) تفسير الطبري: ٥٥/٢٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٩.

١- مشروعية التعجب إذا وجدت أسبابه الحاملة عليه.
٢- بيان مدى حمق وجهل وسفه الكافرين والمشركين بخاصة.
٣- بيان أن تأخير العذاب لم تكن عن عجز وإنما هو لنظام دقيق إذ كل له أجل محدد لا يتقدم ولا يتأخر.

القرآن
{يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦)} [العنكبوت : ٥٦]
التفسير:
يا عبادي الذين آمنوا إن كنتم في ضيق من إظهار الإيمان وعبادة الله وحده، فهاجِروا إلى أرض الله الواسعة، وأخلصوا العبادة لي وحدي.
قوله تعالى:{يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ} [العنكبوت : ٥٦]، أي:" يا عبادي الذين آمنوا إن كنتم في ضيق من إظهار الإيمان وعبادة الله وحده، فهاجِروا إلى أرض الله الواسعة"[١].
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا عبادي الذين وحدوني، وآمنوا بي، وبرسولي محمد ﷺ {إن أرضي واسعة}"[٢].
قال ابن كثير:" هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين ، إلى أرض الله الواسعة ، حيث يمكن إقامة الدين ، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ؛ ولهذا قال : { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ }.
عن أبي يحيى مولى الزبير بن العوام قال : "قال رسول الله ﷺ : "البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله ، فحيثما أصبتَ خيرًا فأقم"[٣].
ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها ، خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ، ليأمنوا ، على دينهم هناك ، فوجدوا هناك خير المنزلين ، أصحمة النجاشي ملك الحبشة ، رحمه الله ، آواهم وأيدهم بنصره ، وجعلهم شُيُوما ببلاده. ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه الباقون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة"[٤].
وفي قوله تعالى: {يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ} [العنكبوت : ٥٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : أي: جانبوا أهل المعاصي بالخروج من أرضهم ، قاله ابن جبير[٥]، وعطاء[٦].
قال سعيد بن جبير:" إذا عمل فيها بالمعاصي، فاخرج منها"[٧].
وقال سعيد بن جبير:" هو الرجل يكون بين ظهراني قوم يعملون بالمعاصي"[٨].
قال عطاء:" إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا، فإن أرضي واسعة"[٩].
وقال ابن زيد:" يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٣.
(٢) تفسير الطبري: ٥٥/٢٠.
(٣)المسند (١٦٦/١) وقال الهيثمي في المجمع (٧٢/٤) "فيه جماعة لم أعرفهم".
(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥-٥٦.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٦
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٥.
(٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٢٦٣):ص١١/٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٦.

قال السدي:" يعني: أرض المدينة"[٢].
قال الفراء:" يعني: المدينة، أي: فلا تجاوروا أهل الكفر"[٣].
قال سهل بن عبدالله:" يعني إذا عمل بالمعاصي والبدع في أرض فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين. وقد قال النبي ﷺ: «الفار بدينه عند فساد الأمة له أجر سبعين شهيدا في سبيل الله عز وجل» ، والله سبحانه وتعالى أعلم"[٤].
الثاني : اطلبوا أولياء الله إذا ظهروا بالخروج إليهم ، قاله أبو العالية[٥].
الثالث : فهاجروا وجاهدوا أعداء الله بالقتال لهم ، قاله مجاهد[٦].
الرابع : إن رحمتي واسعة لكم ، قاله مطرف بن عبد الله[٧].
الخامس : إن رزقي واسع لكم ، وهو مروي عن مطرف أيضاً[٨].
قال الطبري:" معنى ذلك: إن أرضي واسعة، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي؛ لدلالة قوله: {فإياي فاعبدون} على ذلك، وأن ذلك هو أظهر معنييه، وذلك أن الأرض إذا وصفها بسعة، فالغالب من وصفه إياها بذلك لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب"[٩].
قال الزجاج:" قيل: إنهم أمروا بالهجرة من الموضع الذي لا تمكنهم فيه عبادة الله - عز وجل - وأداء فرائضه، وأصل هذا فيمن كان يمكنه ممن آمن وكان لا يمكنه إظهار إيمانه، وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه بغير ذلك أن يهاجر وينتقل إلى حيث يتهيأ له أن يعبد الله حق عبادته"[١٠].
قوله تعالى:{فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} [العنكبوت : ٥٦]، أي:" وأخلصوا العبادة لي وحدي"[١١].
قال الطبري:" يقول: فأخلصوا لي عبادتكم وطاعتكم، ولا تطيعوا في معصيتي أحدا من خلقي"[١٢].
قال بلال بن سعد:" يرهبهم"[١٣].
وقال مقاتل:" يعني: فوحدوني بالمدينة علانية"[١٤].

القرآن
{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧)} [العنكبوت : ٥٧]

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٦.
(٢) نقلا عن تفسير يحيى بن سلام :٢/ ٦٣٧.
(٣) معاني القرآن: ٢/ ٣١٨.
(٤) تفسير التستري: ١٢٠.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٣٩٩):ص٩/٣٠٧٦.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٦، و تفسير ابن ابي حاتم(١٧٤٠١):ص٩/٣٠٧٦.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٤٠٠):ص٩/٣٠٧٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٦.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٦.
(١٠) معاني القرآن: ٤/ ١٧٢.
(١١) التفسير الميسر: ٤٠٣.
(١٢) .تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٧
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٠٤):ص٩:/ ٣٠٧٦.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٨٨.

التفسير:
كل نفس حية ذائقة الموت، ثم إلينا ترجعون للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [العنكبوت : ٥٧]، أي:" كل نفس حية ذائقة الموت"[١].

قال الطبري: يقول: "كل نفس حية ذائقة الموت"[٢].

قال البيضاوي: أي:" تناله لا محالة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : أينما كنتم يدرككم الموت ، فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله ، فهو خير لكم ، فإن الموت لا بد منه ، ولا محيد عنه"[٤].

قال القرطبي:" ذكره ها هنا[٥] تحقيرا لأمر الدنيا ومخاوفها. كأن بعض المؤمنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه من مكة أنه يموت أو يجوع أو نحو هذا، فحقر الله شأن الدنيا. أي أنتم لا محالة ميتون ومحشورون إلينا، فالبدار إلى طاعة الله والهجرة إليه وإلى ما يمتثل"[٦].

عن جعفر بن محمد بن علي بن أخسف، عن أبيه :"أن علي بن أبي طالب رضي الله، عنه قال لما توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية فجاهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، كل نفس ذائقة الموت، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل ما فات فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله. قال جعفر بن محمد أخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال: تدرون من هذا؟ هذا الخضر ﷺ "[٧].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [العنكبوت : ٥٧]، أي:" ، ثم إلينا ترجعون للحساب والجزاء"[٨].

قال الطبري: يقول: " ثم إلينا بعد الموت تردون"[٩].

قال البيضاوي: أي: "للجزاء، ومن هذا عاقبته ينبغي أن يجتهد في الاستعداد له"[١٠].

قال ابن كثير:" ثم إلى الله المرجع والمآب، فَمَنْ كان مطيعا له جازاه أفضل الجزاء ، ووافاه أتمَّ الثواب "[١١].

وقرأ أبو بكر:«يرجعون»، بالياء[١٢].

القرآن

---

(١) .تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٧

(٢) .تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٧

(٣) تفسير البيضاوي: ١٩٨/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩١.

(٥) أي:{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}".

(٦) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٥٨.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٠٥):ص٩/ ٣٠٧٦-٣٠٧٧.

(٨) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٩) .تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٧

(١٠) تفسير البيضاوي: ١٩٨/٤.

(١١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩١-٢٩٢.

(١٢) انظر: تفسير البيضاوي: ١٩٨/٤.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨)} [العنكبوت : ٥٨]

التفسير:

والذين صدَّقوا بالله ورسوله وعملوا ما أُمروا به من الصالحات لننزلنَّهم من الجنة غرفًا عالية تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها أبدًا، نِعْمَ جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف في جنات النعيم.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا} [العنكبوت : ٥٨]، أي:" والذين صدَّقوا بالله ورسوله وعملوا ما أُمروا به من الصالحات لننزلنَّهم من الجنة غرفًا عالية"[١].

قال الطبري: يقول: {وَالَّذِينَ}" صدقوا الله ورسوله فيما جاء به من عند الله، وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه، وانتهوا عما نهاهم عنه، لننزلنهم من الجنة علالي"[٢].

قال ابن كثير:" أي : لنسكننهم منازل عاليةً في الجنة"[٣].

عن أبان بن تغلب قال: "كان الربيع بن خيثم يقول: هذا الحرف في النحل: {الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} [النحل : ٤١] ، ونقرأ في العنكبوت: {لنبوئنهم من الجنة غرفا}: الثواب في الآخرة والتبوء في الدنيا"[٤].

عن أبي مالك الأشعري :" أن رسول الله ﷺ حدثه أن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها إله لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام، وتابع الصلاة والصيام وقام بالليل والناس نيام"[٥].

وقرئ: «لنثوينهم»، بالثاء[٦].

قال ابن قتيبة:" من قرأ: «لنثوينهم»، فهو من «ثويت بالمكان»، أي: أقمت به"[٧].

قال الزجاج:" يقال: ثوى الرجل، إذا أقام بالمكان. وأثويته: أنزلته منزلا يقيم فيه"[٨].

قوله تعالى:{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [العنكبوت : ٥٨]، أي:" تجري من تحت أشجارها وقصورها أنهار الجنة"[٩].

قال الطبري: " يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار"[١٠].

قال ابن كثير:" تجري من تحتها الأنهار ، على اختلاف أصنافها ، من ماء وخمر ، وعسل ولبن ، يصرفونها ويجرونها حيث شاؤوا"[١١].

قال سعيد بن جبير:" تحت الشجر في البساتين"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٢) .تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٧

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٢.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٠٧):ص٩/ ٣٠٧٧.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٠٨):ص٩/ ٣٠٧٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٧.

(٧) غريب القرآن: ٢٨٨.

(٨) معاني القرآن: ٤/ ١٧٣.

(٩) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٢٩.

(١٠) .تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٧

(١١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٢.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٠٩):ص٩/ ٣٠٧٧.

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [العنكبوت : ٥٨]، أي:" ماكثين فيها أبدًا"[١].
قال الطبري: " يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية"[٢].
قال ابن كثير:" أي : ماكثين فيها أبدا لا يبغون عنها حولا"[٣].
قوله تعالى:{نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [العنكبوت : ٥٨]، أي:" نِعْمَ جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف في جنات النعيم"[٤].
قال الطبري: " يقول: نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف التي يثويهموها الله في جناته، تجرى من تحتها الأنهار"[٥].
قال ابن كثير:" نعمت هذه الغرفُ أجرًا على أعمال المؤمنين"[٦].
قال مقاتل بن حيان:" يقول: أجر العاملين بطاعة الله الجنة"[٧].
قال محمد بن إسحاق:" هي ثواب المطيعين"[٨].

القرآن
{الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)} [العنكبوت : ٥٩]
التفسير:
إن تلك الجنات المذكورة للمؤمنين الذين صبروا على عبادة الله، وتمسكوا بدينهم، وعلى الله يعتمدون في أرزاقهم وجهاد أعدائهم.
قوله تعالى:{الَّذِينَ صَبَرُوا} [العنكبوت : ٥٩]، أي:" إن تلك الجنات المذكورة للمؤمنين الذين صبروا على عبادة الله، وتمسكوا بدينهم"[٩].
قال الطبري: " الذين صبروا على أذى المشركين في الدنيا، وما كانوا يلقون منهم، وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه، وجهاد أعدائه"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : على دينهم ، وهاجروا إلى الله ، ونابذوا الأعداء ، وفارقوا الأهل والأقرباء ، ابتغاء وجه الله ، ورجاء ما عنده وتصديق موعوده"[١١].
عن سعيد بن جبير:"{الذين صبروا}، يعني: على أمر الله"[١٢].
قال السعدي:أي:"على عبادة الله"[١٣].
قوله تعالى:{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [العنكبوت : ٥٩]، أي:" وعلى الله يعتمدون في أرزاقهم وجهاد أعدائهم"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٣.
(٢) .تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٧
(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٢.
(٤) التفسير الميسر: ٤٠٣.
(٥) .تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٧-٥٨.
(٦) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٢.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤١٠):ص٩/ ٣٠٧٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤١١):ص٩/ ٣٠٧٨.
(٩) التفسير الميسر: ٤٠٣.
(١٠) .تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٧-٥٨.
(١١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٢.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤١٢):ص٩/ ٣٠٧٨.
(١٣) تفسير السعدي: ٦٣٤.

قال الطبري: أي:" في أرزاقهم وجهاد أعدائهم، فلا ينكلون عنهم، ثقة منهم بأن الله معلي كلمته، وموهن كيد الكافرين، وأن ما قسم لهم من الرزق فلن يفوتهم"[٢].

قال ابن كثير: أي : " في أحوالهم كلها ، في دينهم ودنياهم"[٣].

قال السعدي:" فصبرهم على عبادة الله، يقتضي بذل الجهد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان، الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك، وتوكلهم، يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به، أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال ويكملها، ونص على التوكل، وإن كان داخلا في الصبر، لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به، ولا يتم إلا به"[٤].

عن ابن عباس، قوله: "{وعلى ربهم يتوكلون}، قال: لا يرجون غيره"[٥].

القرآن

{وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)} [العنكبوت : ٦٠]

التفسير:

وكم من دابة لا تدَّخر غذاءها لغد، كما يفعل ابن آدم، فالله سبحانه وتعالى يرزقها كما يرزقكم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأفعالكم وخطرات قلوبكم.

قوله تعالى:{وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} [العنكبوت : ٦٠]، أي:" وكم من دابة لا تدَّخر غذاءها لغد، كما يفعل ابن آدم"[٦].

قال ابن قتيبة:" أي: كم من دابة لا تحمل رزقها: لا ترفع شيئا لغد، الله يرزقها. قال ابن عيينة: «ليس شيء يخبأ، إلا الإنسان والنملة والفأرة»"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، من أصحاب محمد ﷺ: هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه، ولا تخافوا عيلة ولا إقتارا، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب {لا تحمل رزقها} ، يعني: غذاءها لا تحمله، فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك"[٨].

قال الزجاج:" كل حيوان على الأرض مما يعقل، وما لا يعقل فهو دابة، وإنما هو من دبت على الأرض فهي دابة، والمعنى نفس دابة. ومعنى {وكأين}: وكم من دابة.

وقوله: {لا تحمل رزقها}، أي: لا تدخر رزقها، إنما تصبح فيرزقها الله، وعلى هذا أكثر الحيوان والدبيب، وليس في الحيوان الذي هو دبيب ما يدخر فيما تبين غير النمل، فإن ادخاره بين"[٩].

قال البيضاوي: {وكأين من دابة لا تحمل رزقها}، لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره، وإنما تصبح ولا معيشة عندها"[١٠].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٢) .تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٧-٥٨.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٢.

(٤) تفسير السعدي: ٦٣٤.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤١٣):ص٩/ ٣٠٧٨.

(٦) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٧) غريب القرآن: ٢٨٨.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٨.

(٩) معاني القرآن: ٤/ ١٧٣.

(١٠) تفسير البيضاوي: ١٩٨/٤.

قال ابن كثير: " أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة ، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا ، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب ، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار ؛ ولهذا قال : { وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا } أي : لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تؤخرشيئًا لغد"(١).

قال السعدي:" أي: الباري تبارك وتعالى، قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، قويهم وعاجزهم، فكم {مِنْ دَابَّةٍ} في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة العقل. {لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} ولا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها من الرزق، ولا يزال الله يسخر لها الرزق، في كل وقت بوقته"(٢).

قال أبو عبيدة:" الدابة: أن كل شيء يحتاج إلى الأكل والشرب فهو دابة من إنس أو غيرهم"(٣).

عن مجاهد قوله: "{وكأين من دابة لا تحمل}، قال: الطير والبهائم لا تحمل الرزق"(٤).

عن ابن المعتمر:"{وكأين من دابة لا تحمل رزقها}، قال: لا شيء لغد"(٥).

عن علي بن الأقمر :"{وكأين من دابة لا تحمل رزقها}، قال: لا تدخر شيئا لغد"(٦).

عن أبي مجلز في هذه الآية :"{وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم}، قال: منالدواب ما لا يستطيع أن يدخر لغد، يوفق لرزقه كل يوم حتى يموت"(٧).

قوله تعالى:{اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} [العنكبوت : ٦٠]، أي:" فالله سبحانه وتعالى يرزقها كما يرزقكم"(٨).

قال الطبري:أي:" يوما بيوم"(٩).

قال البيضاوي: " ثم إن الدابة مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله، لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة، فإنهم لما أمروا بالهجرة قال بعضهم: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة؟ فنزلت"(١٠).

قال السعدي: أي: " فكلكم عيال الله، القائم برزقكم، كما قام بخلقكم وتدبيركم"(١١).

قال ابن كثير: " أي : الله يقيض لها رزقها على ضعفها، وييسره عليها ، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه ، حتى الذر في قرار الأرض ، والطير في الهواء والحيتان في الماء ، قال الله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأرْضِ إلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [هود : ٦]"(١٢).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٢.

(٢) تفسير السعدي: ٦٣٥.

(٣) مجاز القرآن: ٢/ ١١٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٨، وابن ابي حاتم(١٧٤١٥):ص٩/ ٣٠٧٩. [باختلاف يسير في الألفاظ].

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤١٦):ص٩/ ٣٠٧٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٨.

(٨) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٨.

(١٠) تفسير البيضاوي: ١٩٨/٤.

(١١) تفسير السعدي: ٦٣٥.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٢.

قال ابن كثير:" وقد ذكروا أن الغراب إذا فَقسَ عن فراخه البَيض ، خرجوا وهم بيضٌ فإذا رآهم أبواهم كذلك ، نفرا عنهم أياما حتى يسود الريش ، فيظل الفرخ فاتحًا فاه يتفقد أبويه ، فيقيض الله له طيرًا صغارًا كالبَرغَش فيغشاه فيتقوت منه تلك الأيام حتى يسود ريشه ، والأبوان يتفقدانه كل وقت ، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه ، فإذا رأوه قد اسودّ ريشه عطفا عليه بالحضانة والرزق ، ولهذا قال الشاعر :
يا رازق النعَّاب في عُشه... وجَابر العَظْم الكَسِير المهيض"[١].

عن ابن عمر قال : "خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة ، فجعل يلتقط من التمر ويأكل ، فقال لي : «يا بن عمر ، ما لك لا تأكل ؟» قال : قلت : لا أشتهيه يا رسول الله ، قال : «لكني أشتهيه ، وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا بن عمر إذا بَقِيتَ في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين؟». قال : فوالله ما برحنا ولا رِمْنا حتى نزلت:{وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } فقال رسول الله ﷺ : «إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ، ولا باتباع الشهوات ، فَمَنْ كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله ، ألا وإني لا أكنز دينارًا ولا درهمًا ، ولا أخبئ رزقا لغد»"[٢].

قوله تعالى:{وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت : ٦٠]، أي:" وهو السميع لأقوالكم، العليم بأفعالكم وخطرات قلوبكم"[٣].

قال الطبري:" {وهو السميع} لأقوالكم: نخشى بفراقنا أوطاننا العيلة {العليم} ما في أنفسكم، وما إليه صائر أمركم، وأمر عدوكم، من إذلال الله إياهم، ونصرتكم عليهم، وغير ذلك من أموركم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه"[٤].

قال البيضاوي: " {وهو السميع} لقولكم هذا[٥]. {العليم} بضميركم"[٦].

قال ابن كثير:" أي : السميع لأقوال عباده ، العليم بحركاتهم وسكناتهم"[٧].

قال السعدي: " فلا يخفى عليه خافية، ولا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه، كما قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هود : ٦]"[٨].

فوائد الآيات:[٥٦-٦٠]:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٣.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٤١٤):ص٩/٣٠٧٨-٣٠٧٩، ورواه البغوي في تفسيره (٦/٢٥٣) من طريق إسماعيل بن زرارة عن الجراح بن المنهال به – وقال الشوكاني في فتح القدير (٤/٢١٣) : "وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة ، وفي إسناده أبو العطوف الجزري وهو ضعيف". أ هـ مستفادا من حاشية تفسير البغوي.

قال ابن كثير:" وهذا حديث غريب ، وأبو العطوف الجزري ضعيف".

(٣) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٨.

(٥) أي:" كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة؟".

(٦) تفسير البيضاوي: ٤/١٩٨.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٤.

(٨) تفسير السعدي: ٦٣٥.

١- لا عذر لأحد في ترك عبادة الله وتوحيده فيها لأنه إن منع منها في بلد وجب عليه أن يهاجر إلى بلد آخر.
٢- لا معنى للخوف من الموت إذا وجب العمل كالهجرة والجهاد لأن الموت حق ولا بد منه.
٣- بيان جزاء أهل الصبر والتوكل من أهل الإيمان والهجرة والتقوى.
٤- لا يمنعن المؤمن من الهجرة خوفه من الجوع في دار هجرته إذ تكفل الله برزقه

القرآن

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١)} [العنكبوت : ٦١]

التفسير:

ولئن سألت -أيها الرسول- المشركين: من الذي خلق السموات والأرض على هذا النظام البديع، وذلَّل الشمس والقمر؟ ليقولُنَّ: خلقهن الله وحده، فكيف يصرفون عن الإيمان بالله خالق كل شيء ومدبره، ويعبدون معه غيره؟ فاعجب من إفكهم وكذبهم!!

قوله تعالى:{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} [العنكبوت : ٦١]، أي:" ولئن سألت -أيها الرسول- المشركين: من الذي خلق السموات والأرض على هذا النظام البديع، وذلَّل الشمس والقمر؟"(١).

قال الطبري: يقول:" ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله، من خلق السموات والأرض فسواهن، وسخر الشمس والقمر لعباده، يجريان دائبين لمصالح خلق الله"(٢).

قوله تعالى:{لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [العنكبوت : ٦١]، أي:" ليقولُنَّ: خلقهن الله وحده"(٣).

قال الطبري: " ليقولن: الذي خلق ذلك وفعله الله"(٤).

قال ابن كثير:" فذكر أنه المستبدُّ بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها ، فإذا كان الأمر كذلك فلم يُعبد غيره ؟ ولم يتوكل على غيره ؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته ، وكثيرًا ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية. وقد كان المشركون يعترفون بذلك ، كما كانوا يقولون في تلبيتهم : «لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك»"(٥).

عن ابن عباس قال: "تسألهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض، فيقولون: الله، فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره"(٦).

قال النضر بن عربي: "يقال لهم، من ربكم؟ فيقولون: الله ومن يدبر السموات والأرض؟ فيقولون: الله. ثم هم من بعد ذلك مشركون. يقولون: إن لله ولدا، ويقولون: إن الله ثالث ثلاثة"(٧).
ثلاثة"(٧).

قوله تعالى:{فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت : ٦١]، أي:" فكيف يصرفون عن الإيمان بالله خالق كل شيء ومدبره، ويعبدون معه غيره؟ فاعجب من إفكهم وكذبهم!!"(٨).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٣.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٨.
(٣) التفسير الميسر: ٤٠٣.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٨.
(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٤.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤١٧):ص٩/ ٣٠٧٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤١٨):ص٩/ ٣٠٧٩.
(٨) التفسير الميسر: ٤٠٣.

قال الطبري: يقول:" فأنى يصرفون عمن صنع ذلك، فيعدلون عن إخلاص العبادة له"[1].

عن قتادة قوله: "{فأنى يؤفكون}، قال: من أين"[2]، قوله :"{يؤفكون}، قال: أي: يعدلون"[3].

قال ابن عباس:" كيف يؤفكون يكذبون"[4].

القرآن

{اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢)} [العنكبوت : ٦٢]

التفسير:

الله سبحانه وتعالى يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيق على آخرين منهم؛ لعلمه بما يصلح عباده، إن الله بكل شيء من أحوالكم وأموركم عليم، لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى:{اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} [العنكبوت : ٦٢]، أي:" الله سبحانه وتعالى يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيق على آخرين منهم؛ لعلمه بما يصلح عباده"[5].

قال الطبري: يقول:" الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه، ويضيق فيقتر لمن يشاء منهم، يقول: فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدي، دون كل أحد سواي، أبسط لمن شئت منها، وأقتر على من شئت، فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوكم خوف العيلة"[6].

قال سفيان:" يبسط لهذا مكرا به، ويقدر هذا نظرا له"[7].

عن الحسن:"{..ويقدر}، قال: يخير له"[8].

قال ابن زيد:" {يقدر}: يقل، وكذا لكل شيء في القرآن:«يقدر» كذلك"[9].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [العنكبوت : ٦٢]، أي:" إن الله بكل شيء من أحوالكم وأموركم عليم، لا يخفى عليه شيء"[10].

قال الطبري:" يقول: إن الله عليم بمصالحكم، ومن لا يصلح له إلا البسط في الرزق، ومن لا يصلح له إلا التقتير عليه، وهو عالم بذلك"[11].

القرآن

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤١٩):ص٩/ ٣٠٧٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٢١):ص٩/ ٣٠٧٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٢٠):ص٩/ ٣٠٧٩.

(٥) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٩.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٢٢):ص٩/ ٣٠٨٠.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٢٣):ص٩/ ٣٠٨٠.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٢٤):ص٩/ ٣٠٨٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٩.

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)} [العنكبوت : ٦٣]

التفسير:

ولئن سألت -أيها الرسول- المشركين: مَنِ الذي نزَّل من السحاب ماء فأنبت به الأرض من بعد جفافها؟ ليقولُنَّ لك معترفين: الله وحده هو الذي نزَّل ذلك، قل: الحمد لله الذي أظهر حجتك عليهم، بل أكثرهم لا يعقلون ما ينفعهم ولا ما يضرهم، ولو عَقَلوا ما أشركوا مع الله غيره.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا} [العنكبوت : ٦٣]، أي:" ولئن سألت -أيها الرسول- المشركين: مَنِ الذي نزَّل من السحاب ماء فأنبت به الأرض من بعد جفافها؟"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء، وهو المطر الذي ينزله الله من السحاب، فأحيا بالماء الذي نزل من السماء الأرض، وإحياؤها: إنباته النبات فيها من بعد جدوبها وقحوطها"[٢].

قوله تعالى:{لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [العنكبوت : ٦٣]، أي:" ليقولُنَّ لك معترفين: الله وحده هو الذي نزَّل ذلك"[٣].

قال الطبري:" يقول: ليقولن الذي فعل ذلك الله، الذي له عبادة كل شيء"[٤].

قال السعدي: " هذا استدلال على المشركين المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنت لو سألتهم من خلق السماوات والأرض، ومن نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ {لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} وحده، ولاعْتَرَفُوا بعجز الأوثان ومن عبدوه مع الله على شيء من ذلك، فاعجب لإفكهم وكذبهم، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئا، وسَجِّلْ عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام"[٥].

قوله تعالى:{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} [العنكبوت : ٦٣]، أي:" قل: الحمد لله الذي أظهر حجتك عليهم"[٦].

قال الطبري :" يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم، وما فيه الضر، فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله، ينالون بها عند الله زلفة وقربة، ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون، مستوجبون الخلود في النار"[٧].

قال السعدي: " وقل: الحمد لله، الذي خلق العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على من يشاء، وضيقه على من يشاء، حكمة منه، ولعلمه بما يصلح عباده وما ينبغي لهم"[٨].

قوله تعالى:{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [العنكبوت : ٦٣]، أي:" بل أكثرهم لا يعقلون ما ينفعهم ولا ما يضرهم، ولو عَقَلوا ما أشركوا مع الله غيره"[٩].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٩.

(٣) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٩.

(٥) تفسير السعدي: ٦٣٥.

(٦) التفسير الميسر: ٤٠٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٩.

(٨) تفسير السعدي: ٦٣٥.

(٩) التفسير الميسر: ٤٠٣.

قال الطبري:" يقول: وإذا قالوا ذلك، فقل: الحمد لله"[1].

القرآن

{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)} [العنكبوت : ٦٤]

التفسير:

وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، تلهو بها القلوب وتلعب بها الأبدان؛ بسبب ما فيها من الزينة والشهوات، ثم تزول سريعًا، وإن الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا موت فيها، لو كان الناس يعلمون ذلك لما آثروا دار الفناء على دار البقاء.

قوله تعالى:{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ} [العنكبوت : ٦٤]، أي:" وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، تلهو بها القلوب وتلعب بها الأبدان؛ بسبب ما فيها من الزينة والشهوات، ثم تزول سريعًا"[2].

قال الطبري: يقول:" {وما هذه الحياة الدنيا} التي يتمتع منها هؤلاء المشركون إلا تعليل النفوس بما تلتذ به، ثم هو منقض عن قريب، لا بقاء له ولا دوام، وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها"[3].

قال ابن كثير:" لا دوام لها ، وغاية ما فيها لهو ولعب"[4].

عن ابن عباس، قوله: "{لهو}، يقول: لعبا"[5].

عن مجاهد: "{لهو}، قال: الباطل"[6].

عن مجاهد، قال: "اللهو: هو الطبل"[7].

وقال مجاهد:" كل لعب لهو"[8].

قال ابن عباس:" الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة، فقد مضا منها ستة آلاف ومائتين من سنين وتبقى الدنيا وليس عليها موحد"[9].

قوله تعالى:{وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} [العنكبوت : ٦٤]، أي:" وإن الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا موت فيها"[10].

قال ابن قتيبة:" يعني: الجنة هي دار الحياة، أي لا موت فيها"[11].

قال الزجاج:" معناه: هي دار الحياة الدائمة"[12].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٩.

(٢) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٣) تفسير الطبري: ٦٠/٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٢٧):ص٩/ ٣٠٨١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٢٨):ص٩/ ٣٠٨١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٢٦):ص٩/ ٣٠٨١.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٢٩):ص٩/ ٣٠٨١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٢٥):ص٩/ ٣٠٨٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(١١) غريب القرآن: ٢٨٩.

(١٢) معاني القرآن: ٤/ ١٧٣.

قال الطبري:" يقول: وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها"[١].

قال ابن كثير:" أي : الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء ، بل هي مستمرة أبد الآباد "[٢].

قال السعدي:" وأما الدار الآخرة، فإنها دار {الحيوان} أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجودا فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[٣].

قال أبو عبيدة:" «الحيوان» و«الحياة» واحد، ومنه قولهم: نهر الحيوان أي نهر الحياة"[٤].

عن ابن عمر، قوله: "{الدار الآخرة}، يقول: الجنة"[٥].

عن الضحاك: "{إن الدار الآخرة لهي الحيوان}، قال: الحياة الدائمة"[٦].

عن ابن عباس:" {لهي الحيوان}، يقول: باقية"[٧].

عن مجاهد: "{وإن الدار الآخرة لهي الحيوان}، لا موت فيها"[٨].

وقال قتادة:" حياة لا موت فيها"[٩].

قوله تعالى:{لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت : ٦٤]، أي:" لو كان الناس يعلمون ذلك لما آثروا دار الفناء على دار البقاء"[١٠].

قال الطبري:" يقول: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك، لقصروا عن تكذيبهم بالله، وإشراكهم غيره في عبادته، ولكنهم لا يعلمون ذلك"[١١].

قال ابن كثير:" أي : لآثروا ما يبقى على ما يفنى"[١٢].

قال السعدي:" لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، فدل ذلك على أن الذين يعلمون، لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين"[١٣].

فوائد الآيات:[٦١-٦٤]:

١- التعجب من تناقض المشركين الذين يؤمنون بربوبية الله ويجحدون ألوهيته.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/٦٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٤.

(٣) تفسير السعدي: ٦٣٥.

(٤) مجاز القرآن: ٢/ ١١٧.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٣٠):ص٩/ ٣٠٨١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٣١):ص٩/ ٣٠٨١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٣٢):ص٩/ ٣٠٨١.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٣٣):ص٩/ ٣٠٨١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٣٤):ص٩/ ٣٠٨١-٣٠٨٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/٦٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٤.

(١٣) تفسير السعدي: ٦٣٥.

٢- بيان حقيقة وهي أن الغنى والفقر لا يدلان على رضا الرب ولا على سخطه، وإنما يدلان على علم الله وحكمته وحسن تدبيره.
٣- بيان حقارة الدنيا وتفاهتها وعظمة الآخرة وعلو قيمتها. فلذا أحمق الناس وأشدهم سفاهة من يعمى عن الآخرة ويكفر بها ويبصر الدنيا ويؤمن بها.

القرآن

{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦)} [العنكبوت : ٦٥-٦٦]

التفسير:

فإذا ركب الكفار السفن في البحر، وخافوا الغرق، وحَّدوا الله، وأخلصوا له في الدعاء حال شدتهم، فلما نجَّاهم إلى البر، وزالت عنهم الشدة، عادوا إلى شركهم، إنهم بهذا يتناقضون، يوحِّدون الله ساعة الشدة، ويشركون به ساعة الرخاء. وشِرْكهم بعد نعمتنا عليهم بالنجاة من البحر؛ ليكونَ عاقبته الكفر بما أنعمنا عليهم في أنفسهم وأموالهم، وليكملوا تمتعهم في هذه الدنيا، فسوف يعلمون فساد عملهم، وما أعدَّه الله لهم من عذاب أليم يوم القيامة. وفي ذلك تهديد ووعيد لهم.

قوله تعالى:{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [العنكبوت : ٦٥]، أي:" فإذا ركب الكفار السفن في البحر، وخافوا الغرق، وحَّدوا الله، وأخلصوا له في الدعاء حال شدتهم"(١).

قال الطبري: يقول: " فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه، أخلصوا لله عند الشدة التي نزلت بهم التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودة، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم"(٢).

قال الزجاج:" أي: لم يدعوا أن تنجيهم أصنامهم وما يعبدونه مع الله"(٣).

قال الزمخشري:" معناه: هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين، حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلها آخر. وفي تسميتهم «مخلصين»: ضرب من التهكم"(٤).

قوله تعالى:{فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} [العنكبوت : ٦٥]، أي:" فلما نجَّاهم إلى البر، وزالت عنهم الشدة، عادوا إلى شركهم"(٥).

قال الطبري: " يقول: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلمهم، فصاروا إلى البر، إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا"(٦).

قال الزجاج:" أي: يعبدون مع الله غيره"(٧).

قال الزمخشري:" فلما نجاهم إلى البر وآمنوا عادوا إلى حال الشرك"(٨).

قال قتادة:" والخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٢) تفسير الطبري: ٦٠/٢٠.

(٣) معاني القرآن: ٤/ ١٧٤.

(٤) الكشاف: ٣/ ٤٦٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٦) تفسير الطبري: ٦٠/٢٠.

(٧) معاني القرآن: ٤/ ١٧٤.

(٨) الكشاف: ٣/ ٤٦٤.

قال الفخر الرازي الآية:" إشارة إلى أن المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا، وبيان ذلك هو أنهم إذا انقطع رجاؤهم عن الدنيا رجعوا إلى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا وأخلصوا، فإذا أنجاهم وأرجأهم عادوا إلى ما كانوا عليه من حب الدنيا وأشركوا"(٢).

عن عكرمة بن أبي جهل : "أنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة ذهب فارًّا منها ، فلما ركب في البحر ليذهب إلى الحبشة ، اضطربت بهم السفينة ، فقال أهلها : يا قوم ، أخلصوا لربكم الدعاء ، فإنه لا ينجي هاهنا إلا هو. فقال عكرمة : والله إن كان لا ينجي في البحر غيره ، فإنه لا يُنَجّي غيره في البر أيضا ، اللهم لك عليَّ عهد لئن خرجتُ لأذهبن فلأضعَنّ يدي في يد محمد فلأجدنه رؤوفًا رحيما ، وكان كذلك"(٣).

قوله تعالى:{لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [العنكبوت : ٦٦]، أي:" وشِرْكهم بعد نعمتنا عليهم بالنجاة من البحر؛ ليكونَ عاقبته الكفر بما أنعمنا عليهم في أنفسهم وأموالهم، وليكملوا تمتعهم في هذه الدنيا، فسوف يعلمون فساد عملهم، وما أعدَّه الله لهم من عذاب أليم يوم القيامة"(٤).

قال مقاتل:" يعني: لئلا يكفروا بما أعطيناهم في البحر من العافية حين سلمهم الله- عز وجل- من البلاء وأنجاهم من اليم {وليتمتعوا} إلى منتهى آجالهم، {فسوف يعلمون} هذا وعيد"(٥).

قال الصابوني:" أمرٌ على وجه التهديد، أي: فليكفروا بما أعطيناهم من نعمة الإنجاء من البحر، وليتمتعوا في هذه الحياة الدنيا بباقي أعمارهم، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم"(٦).

قال السعدي:" ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم، بالنجاة من البحر، ليكون عاقبته كفر ما آتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة، وليكملوا تمتعهم في الدنيا، الذي هو كتمتع الأنعام، ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم، {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، شدة الأسف وأليم العقوبة"(٧).

قال ابن كثير:" هذه «اللام» يسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الأصول: «لام العاقبة»؛ لأنهم لا يقصدون ذلك ، ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم ، وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك وتقييضه إياهم لذلك فهي: «لام التعليل»"(٨).

قال الزمخشري:" «اللام» في: {ليكفروا} محتملة أن تكون :«لام كى»، وكذلك في: {وليتمتعوا}، فيمن قرأها بالكسر. والمعنى: أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا- بالعود إلى شركهم- كافرين بنعمة النجاة، قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير، على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة: إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم، ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة، لا إلى التمتع والتلذذ.

وأن تكون :«لام الأمر» وقراءة من قرأ: {وليتمتعوا} بالسكون تشهد له. ونحوه قوله تعالى: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير} [فصلت : ٤٠].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٣٦):ص٩/ ٣٠٨٢.

(٢)مفاتيح الغيب: ٢٥/ ٧٦ .

(٣) رواه ابن إسحاق كما في تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٩٠.

(٦) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٣٠.

(٧) تفسير السعدي: ٦٣٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٥.

فإن قلت: كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شاءوا، وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه؟

قلت: هو مجاز عن الخذلان والتخلية، وأن ذلك الأمر متسخط إلى غاية. ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر، وعندك أن ذلك الأمر خطأ، وأنه يؤدى إلى ضرر عظيم، فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه، فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم، حردت(١) عليه وقلت: أنت وشأنك وافعل ما شئت، فلا تريد بهذا حقيقة الأمر. وكيف والآمر بالشيء مريد له، وأنت شديد الكراهة متحسر، ولكنك كأنك تقول له: فإذ قد أبيت قبول النصيحة، فأنت أهل ليقال لك: افعل ما شئت وتبعث عليه، ليتبين لك- إذا فعلت- صحة رأى الناصح وفساد رأيك"(٢).

عن الحسن: "{فسوف يعلمون}، قال: وعيد"(٣).

عن مجاهد، قوله: "{فسوف يعلمون}، ما كان في الدنيا فسوف[...] (٤)وما كان في الآخرة فسوف يبدوا لكم"(٥).

قرئ « وَلِيَتَمَتَّعُوا» بكسر اللام وتسكينها(٦)، قال الزجاج:"والكسر أجود على معنى: لكي يكفروا وكي يتمتعوا"(٧).

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧)} [العنكبوت : ٦٧]

التفسير:

أو لم يشاهد كفار «مكة» أن الله جعل «مكة» لهم حَرَمًا آمنًا يأمن فيه أهله على أنفسهم وأموالهم، والناسُ مِن حولهم خارج الحرم، يُتَخَطَّفون غير آمنين؟ أفبالشرك يؤمنون، وبنعمة الله التي خصَّهم بها يكفرون، فلا يعبدونه وحده دون سواه؟

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ} [العنكبوت : ٦٧]، أي:" أو لم يشاهد كفار «مكة» أن الله جعل «مكة» لهم حَرَمًا آمنًا يأمن فيه أهله على أنفسهم وأموالهم، والناسُ مِن حولهم خارج الحرم، يُتَخَطَّفون غير آمنين؟"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره، مذكرا هؤلاء المشركين من قريش، القائلين: لولا أنزل عليه آية من ربه، نعمته عليهم التي خصهم بها دون سائر الناس غيرهم، مع كفرهم بنعمته وإشراكهم في عبادته الآلهة والأنداد: أولم ير هؤلاء المشركون من قريش، ما خصصناهم به من نعمتنا عليهم، دون سائر عبادنا، فيشكرونا على ذلك، وينزجروا عن كفرهم بنا، وإشراكهم ما لا ينفعنا، ولا يضرهم في عبادتنا أنا جعلنا بلدهم حرما، حرمنا على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب، آمنا يأمن فيه من سكنه، فأوى إليه من السباء، والخوف، والحرام الذي لا يأمنه غيرهم من الناس، وتسلب الناس من حولهم قتلا وسباء"(٩).

---

(١)أى: غضبت. أفاده الصحاح.

(٢) الكشاف: ٣/ ٤٦٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٣٧):ص٩/ ٣٠٨٢.

(٤) بياض في المطبوع.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٣٨):ص٩/ ٣٠٨٢.

(٦) انظر: معاني القرآن: ٤/ ١٧٤.

(٧) معاني القرآن: ٤/ ١٧٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٢.

قال ابن كثير:" يقول تعالى ممتنا على قريش فيما أحلهم من حرمه ، الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي ، ومن دخله كان آمنا ، فهم في أمن عظيم ، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا ، كما قال تعالى : { لإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } [قريش : ١ - ٤]"[١].

قال الزمخشري:" كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا، ويتغاورون، ويتناهبون، وأهل مكة قارون آمنون فيها، لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب، فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم"[٢].

عن ابن زيد: "{أنا جعلنا حرما آمنا}، قال: يعني: مكة وهو قريش"[٣].

عن الضحاك: "{ويتخطف الناس من حولهم}، يقول: يقتل بعضهم بعضا، ويسبى بعضهم بعض"[٤].

قال قتادة:" قد كان لهم في ذلك آية، أن الناس يغزون ويتخطفون وهم آمنون"[٥].

قوله تعالى:{أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} [العنكبوت : ٦٧]، أي:" أفبالشرك يؤمنون، وبنعمة الله التي خصَّهم بها يكفرون، فلا يعبدونه وحده دون سواه؟"[٦].

قال الطبري:" يقول: أفبالشرك بالله يقرون بألوهة الأوثان بأن يصدقوا، وبنعمة الله التي خصهم بها من أن جعل بلدهم حرما آمنا يكفرون، يعني بقوله: {يكفرون}: يجحدون"[٧].

قال ابن كثير:" أي : أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به ، وعبدوا معه غيره من الأصنام والأنداد ، و{ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ } [إبراهيم : ٢٨] ، وكفروا بنبي الله وعبده ورسوله ، فكان اللائق بهم إخلاص العبادة لله ، وألا يشركوا به ، وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره ، فكذبوه وقاتلوه وأخرجوه من بين ظهرهم ؛ ولهذا سلبهم الله ما كان أنعم به عليهم ، وقتل من قتل منهم ببدر ، وصارت الدولة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ففتح الله على رسوله مكة ، وأرغم آنافهم وأذل رقابهم"[٨].

قال الزمخشري:" وبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه، ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم"[٩].

عن قتادة، قوله: "{أفبالباطل يؤمنون}، أي: بالشرك، {وبنعمة الله يكفرون}: أي يجحدون"[١٠].

عن ابن عباس، قوله: "{بنعمة الله}، يعني: عافية الله"[١١].

قال مجاهد:" النعم: آلاء الله عز وجل"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٥.

(٢) الكشاف: ٣/ ٤٦٤.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٤٠):ص٩/ ٣٠٨٢.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٤١):ص٩/ ٣٠٨٣.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٤٢):ص٩/ ٣٠٨٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٥.

(٩) الكشاف: ٣/ ٤٦٤-٤٦٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٦٢، وابن ابي حاتم(١٧٤٤٣):ص٩/ ٣٠٨٣. [مختصرا]

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٤٤):ص٩/ ٣٠٨٣.

القرآن

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٦٨)} [العنكبوت : ٦٨]

التفسير:

لا أحد أشد ظلمًا ممن كذَب على الله، فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، أو كذَّب بالحق الذي بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ، إن في النار لمسكنًا لمن كفر بالله، وجحد توحيده وكذَّب رسوله محمدًا ﷺ.

سبب النزول:

قال عكرمة:" النضر وهو من بني عبد الدار: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى فأنزل الله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}"(٢).

قوله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ} [العنكبوت : ٦٨]، أي:" لا أحد أشد ظلمًا ممن كذَب على الله، فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، أو كذَّب بالحق الذي بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ"(٣).

قال الطبري: يقول:" ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذبا، فقالوا إذا فعلوا فاحشة: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها، والله لا يأمر بالفحشاء، أو كذب بما بعث الله به رسوله محمدا ﷺ من توحيده، والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحق من عند الله"(٤).

قال ابن كثير:" أي : لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال : إن الله أوحى إليه شيء ، ولم يوح إليه شيء. ومن قال : سأنزل مثل ما أنزل الله. وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه ، فالأول مفتر ، والثاني مكذب "(٥).

قال الزمخشري:" افتراؤهم على الله كذبا: زعمهم أن لله شريكا. وتكذيبهم بما جاءهم من الحق: كفرهم بالرسول والكتاب. وفي قوله :{لما جاءه} تسفيه لهم، يعنى: لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه، ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المثبتون في الأمور: يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر، ويستأنون إلى أن يصح لهم صدقه أو كذبه"(٦).

قوله تعالى:{أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ} [العنكبوت : ٦٨]، أي:" إن في النار لمسكنًا لمن كفر بالله، وجحد توحيده وكذَّب رسوله محمدًا ﷺ"(٧).

قال الطبري: " يقول: أليس في النار مثوى ومسكن لمن كفر بالله، وجحد توحيده وكذب رسوله ﷺ، وهذا تقرير، وليس باستفهام"(٨).

قال الزمخشري:" {أليس} تقرير لثوائهم في جهنم، كقوله(٩):

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٤٥):ص٩/ ٣٠٨٣.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٤٦):ص٩/ ٣٠٨٣.

(٣) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٥-٢٩٦.

(٦) الكشاف: ٣/ ٤٦٤-٤٦٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٢.

(٩)البيت من قصيدة لجرير يمدح عبد الملك بن مروان وعجزه:

وَأَندى العَالمينَ بُطُونَ رَاح

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا

قال بعضهم: ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة مائة من الإبل. وحقيقته: أن الهمزة همزة الإنكار دخلت على النفي، فرجع إلى معنى التقرير، فهما وجهان:

أحدهما: ألا يثوون في جهنم، وألا يستوجبون الثواء فيها، وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله، وكذبوا بالحق هذا التكذيب.

والثاني: ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين، حتى اجترءوا مثل هذه الجرأة؟"[١].

عن حسان بن عطية قال: إن في جهنم سبعون ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف غار، في كل غار سبعون ألف ثعبان، في قم كل ثعبان سبعون ألف عقرب"[٢].

عن الحسين بن يحيى الخشني:" ليس في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا قيد ولا سلسلة إلا واسم[...][٣] عليه مكتوب قال: فحدث أبا سليمان فبكى، ثم قال لي: فكيف به لو قد جمع هذا كله عليه فجعل القيد في رجله، والغل في يديه، والسلسلة في، عنقه ثم أدخل وأدخل الغار"[٤].

القرآن

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)} [العنكبوت : ٦٩]

التفسير:

والمؤمنون الذين جاهدوا أعداء الله، والنفس، والشيطان، وصبروا على الفتن والأذى في سبيل الله، سيهديهم الله سبل الخير، ويثبتهم على الصراط المستقيم، ومَن هذه صفته فهو محسن إلى نفسه وإلى غيره. وإن الله سبحانه وتعالى لمع مَن أحسن مِن خَلْقِه بالنصرة والتأييد والحفظ والهداية.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت : ٦٩]، أي:" والذين جاهدوا النفس والشيطان والهوى ولكفرة أعداء الدين ابتغاء مرضاتنا لنهدينهم طريق السير إلينا"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبا من كفار قريش، المكذبين بالحق لما جاءهم فينا، مبتغين بقتالهم علو كلمتنا، ونصرة ديننا، لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمدا ﷺ"[٦].

قال ابن كثير:" يعني : الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين { لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} ، أي : لنُبَصرنهم سبلنا ، أي : طرقنا في الدنيا والآخرة"[٧].

قال البغوي:أي:" الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا، لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه"[١].

أندى: أكثرهم جوداً، الراح: جمع راحة وهي الكف، ورد البيت في "معاني القرآن" للأخفش ١/ ٢١٩، وفي (الخصائص) ٢/ ٦٤٣، ٣/ ٢٦٩، "المصون في الأدب": ص ٢١، "شرح المفصل" ٨/ ١٢٣، "مغني اللبيب" ١/ ١٧، و"شرح ديوان جرير" ص ٧٤.

(١) الكشاف: ٣/ ٤٦٤-٤٦٥.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٤٧):ص٩/ ٣٠٨٣-٣٠٨٤.

(٣) بياض في المطبوغ.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٤٨):ص٩/ ٣٠٨٤.

(٥) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٣٠.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٦.

قال الزجاج:" أعلم الله أنه يزيد المجاهدين هداية كما أنه يضل الفاسقين، ويزيد الكافرين بكفرهم ضلالة، كذلك يزيد المجاهدين هداية – كذا قال عز وجل: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد : ١٧]. فالمعنى: أنه آتاهم ثواب تقواهم وزادهم هدى على هدايتهم"(٢).

قال الزمخشري:" أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول، ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين فينا في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا، كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} [محمد : ١٧]"(٣).

قال مقاتل:"{والذين جاهدوا فينا}، يعني: عملوا بالخير لله- عز وجل-، {لنهدينهم سبلنا}، يعني: ديننا "(٤).

قال ابن ابي زمنين:" {والذين جاهدوا فينا} يعني: عملوا لنا. {لنهدينهم سبلنا} يعني: سبل الهدى"(٥).

قال ابن فورك:" معنى قوله: {والذين جاهدوا فينا}، أي: في طاعتنا، وعبادتنا.

ومعنى: {لنهدينهم سبلنا}، أي: لنعرفنهم طريق ديننا، وسبيل المعرفة بنا، وسبيل الله دينه، وسبيل الله الطريق المؤدي إلى عبادته، والمعرفة به"(٦).

قال السمعاني:" قوله تعالى: {والذين جاهدوا فينا}، روي عن الحسن أنه قال: «أفضل الجهاد مخالفة الهوى».

ويقال: «الجهاد» -هاهنا- هو: العمل بما علمه.

وعن سفيان الثوري أنه قال لإبراهيم بن أدهم: «ألا تأتينا فتتعلم منا؟ فقال: إني سمعت حديثين فإذا فرغت منهما تعلمت الثالث».

ثم روي بإسناد أن النبي قال:«من زهد في الدنيا نور الله قلبه»(٧).

ويقال: المجاهدة: هو الصبر على الطاعات واجتناب المعاصي، ويقال: قتال الكفار، ويقال: تحقيق الإخلاص في الأعمال، وهو حقيقة قوله تعالى: {فينا}.

وقوله: {لنهدينهم سبلنا}: لنزيدنهم هدى، ويقال: لنرشدهم إلى الطرق المستقيمة، والطرق المستقيمة هي التي توصل إلى رضى الله تعالى.

وعن ابن المبارك أنه قال: «قال لي سفيان بن عيينة: إذا اختلف الناس فعليك بما قاله لأهل الجهاد والثغور، فإن الله تعالى قال:{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}»"(٨).

قال أصبغ: "سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله: "{والذين جاهدوا فينا}، قيل له: قاتلوا فينا؟ قال: نعم"(٩).

قال الربيع:" ليس على الأرض عبد أطاع ربه ودعا إليه ونهى عنه إلا وإنه قد جاهد في الله"(١٠).

---

(١) تفسير البغوي: ٦/ ٢٥٦.

(٢) معاني القرآن: ٤/ ١٧٤.

(٣) الكشاف: ٣/ ٤٦٤-٤٦٥.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٩٠-٣٩١.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ٣/ ٣٥٣.

(٦) تفسير ابن فورك: ١/ ٤١١.

(٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٨) تفسير السمعاني: ٤/ ١٩٤.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٤٩):ص٩/٣٠٨٤.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٥٠):ص٩/٣٠٨٤.

عن عباس الهمداني أبو أحمد - من أهل عكا - في قول الله:"{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } قال : الذين يعملون بما يعلمون ، يهديهم لما لا يعلمون. قال أحمد بن أبي الحواري : فحدثت به أبا سليمان الداراني فأعجبه ، وقال : ليس ينبغي لِمَنْ ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر ، فإذا سمعه في الأثر عمل به ، وحمد الله حين وافق ما في نفسه"(١).

قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت : ٦٩]، أي:" وإن الله سبحانه وتعالى لمع مَن أحسن مِن خَلْقِه بالنصرة والتأييد والحفظ والهداية"(٢).

قال الطبري:" يقول: وإن الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك، مصدقا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له، والنصرة على من جاهد من أعدائه"(٣).

قال الزجاج:" تأويله: إن الله ناصرهم، لأن قوله: {والذين جاهدوا فينا} الله معهم. يدل على نصرهم، والنصرة تكون في علوهم على عدوهم بالغلبة بالحجة والغلبة بالقهر والقدرة"(٤).

والقدرة"(٤).

قال الزمخشري:أي:" لناصرهم ومعينهم"(٥).

قال السعدي:أي:" بالعون والنصر والهداية. دل هذا، على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق"(٦).

قال ابن ابي زمنين:" {المحسنين} يعني: المؤمنين"(٧).

قال ابن عباس:" الإحسان: أداء الفرائض"(٨).

عن الشعبي قال النبي ﷺ: "إنما الإحسان إن تحسن إلى من أساء إليك، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك"(٩).

عن عمر بن الخطاب أنه قال: "بينا أنا، عند رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال: يا رسول الله، ما الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وتحب للناس ما تحب لنفسك. فإذا فعلت ذلك فأنا.. قال: نعم. قال الرجل: صدقت الرجل، فقال النبي ﷺ علي الرجل فعدنا عليه فقال النبي ﷺ: الله أكبر، جبريل أتى يعلمكم دينكم"(١٠).

فوائد الآيات:[٦٥-٦٩]:

١- بيان أن مشركي العرب لم يكونوا ملاحدة لا يؤمنون بالله تعالى وتقرير أنهم كانوا موحدين توحيد الربوبية مشركين في توحيد الألوهية أي العبادة.

٢- إيقاظ ضمائر المشركين بتنبيههم بنعم الله تعالى عليهم لعلهم يشكرون.

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٥١):ص٩/ ٣٠٨٤.

(٢) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٣٠.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٣.

(٤) معاني القرآن: ٤/ ١٧٤.

(٥) الكشاف: ٣/ ٤٦٤-٤٦٥.

(٦) تفسير السعدي: ٦٣٥.

(٧) تفسير ابن أبي زمنين: ٣/ ٣٥٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٥٤):ص٩/٣٠٨٥.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٥٦):ص٩/ ٣٠٨٥.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٥٣):ص٩/٣٠٨٤-٣٠٨٥.

٣- لا ظلم أعظم من ظلم من افترى على الله الكذب، وكذّب بالحق لما جاءه وانتهى إليه وعرفه فانصرف عنه مؤثرا دنياه متبعا لهواه.
٤- بشرى الله لمن جاهد المشركين وجاهد نفسه والهوى والشياطين بالهداية إلى سبيل الفوز والنجاة في الحياة الدنيا والآخرة.
٥- فضل الإحسان وهو إخلاص العبادة لله تعالى وأداؤها متقنة مجوّدة كما شرعها الله تعالى، وبيان هذا الفضل للإحسان بكون الله تعالى مع المحسنين بنصرهم وتأييدهم والإنعام عليهم وإكرامهم في جواره الكريم.

«آخر تفسير سورة (العنكبوت)، والحمد لله وحده»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «الروم»

سورة «الروم»: هي السورة «الثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «الانشقاق»[(١)]. عدد آياتها: خمس وستون عند المكيين، وستون عند الباقين، وكلماتها: ثمانمائة وسبع، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثون[(٢)].

والآيات المختلف فيها أربع: {الم (١)}، [الروم : ١] {غُلِبَتِ الرُّومُ} [الروم : ٢]، {فِي بِضْعِ سِنِينَ } [الروم : ٤]،{يُقْسِمُ الْمُجْرِمُون} [الروم : ٥٥]، فواصل آياتها: «نمر»، على «الراء» آيتان: {قَدِيرٌ}[(٣)] في موضعين[(٤)].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الروم»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الروم»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وسميت سورة الروم لما فيها من ذكر غلبة الروم[(٥)].

قال المهايمي:" سميت بها لاشتمال قصتها على معجزة تفيد للمؤمنين فرحا عظيما، بعد ترح يسير. فتبطل شماتة أعدائهم. وتدل على أن عاقبة الأمر لهم. وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[(٦)].

ولا يعرف لهذه السورة اسم غيره، وورد في «جمال القراء»:" {الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢)} [الروم : ١ - ٢]، وتسمى سورة الروم"[(٧)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها مكية جميعا. قاله ابن عباس[(٨)]، وابن الزبير[(٩)]. وهو قول الجمهور[(١٠)].

قال ابن الجوزي:" هي مكية كلها بإجماعهم"[(١١)].

قال الفيروزآبادي: " السورة مكية إجماعا"[(١٢)].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية. ولا خلاف أحفظه في ذلك"[(١٣)].

قال القرطبي:" سورة الروم مكية كلها من غير خلاف"[(١)].

---

(١) انظر: الكشاف:٣/٤٦٦.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٦٥.

(٣) الآيتان:[الروم : ٥٠، ٥٤].

(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٥)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٦٥.

(٦) تفسير المهايمي:٣/١٣٥.

(٧) جمال القراء للسخاوي: ٩١.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٤٧٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٤٧٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٣/ ٤١٥، والمحرر الوجيز: ٤/ ٣٢٧، وتفسير القرطبي: ١/١٤، وغيرها.

(١١) زاد المسير: ٣/ ٤١٥.

(١٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٦٥.

(١٣) المحرر الوجيز: ٤/ ٣٢٧.

الثاني: أنها مكية إلا آية واحدة، وهي قوله: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} [الروم : ١٧]. وهذا قول الحسن(٢)، وبه قال الزمخشري(٣)، والفخر الرازي(٤)، والبيضاوي(٥)، وابن جزي(٦)، وأبو السعود(٧).

قال شهاب الدين:" الاستثناء مبنيّ على قول الحسن وهو خلاف مذهب الجمهور والتفسير المرضي"(٨).

▪ مناسبة سورة«الروم» مع سورة «العنكبوت»:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إن السورة السابقة بدئت بالجهاد وختمت به، فافتتحت بأن الناس لم يخلقوا فى الأرض ليناموا على مهاد الراحة، بل خلقوا ليجاهدوا حتى يلاقوا ربهم، وأنهم يلاقون شتى المصاعب من الأهل والأمم التي يكونون فيها، وهذه السورة قد بدئت بما يتضمن نصرة المؤمنين ودفع شماتة أعدائهم المشركين، وهم يجاهدون فى الله ولوجهه فكأن هذه متممة لما قبلها من هذه الجهة.

٢- إن ما فى هذه السورة من الحجج على التوحيد والنظر فى الآفاق والأنفس مفصل لما جاء منه مجملا فى السورة السالفة، إذ قال فى السالفة: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت : ٢٠]، وهنا بين ذلك، فقال: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [الروم : ٩]، وقال: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الروم : ١١](٩).

▪ أغراض السورة ومقاصدها

إن المقصد الرئيس لهذه السورة هو الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس، وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الكون ونواميس الوجود، وبيان أن كل حركة، وكل حادث، وكل حالة، وكل نشأة، وكل عاقبة، وكل نصر، وكل هزيمة...كلها مرتبطة برباط وثيق، محكومة بقانون دقيق، وأن مرد الأمر فيها كله لله: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} [الروم : ٤]، وهذه هي الحقيقة الأولى التي يؤكدها القرآن كله، بوصفها الحقيقة الموجهة في هذه العقيدة، الحقيقة التي تنشأ عنها جميع التصورات والمشاعر والقيم والتقديرات، والتي بدونها لا يستقيم تصور ولا تقدير.

وإلى جانب هذا المقصد الرئيس فقد تضمنت السورة جملة من المقاصد، نذكرها على النحو التالي:

---

(١) تفسير القرطبي: ١/١٤.

(٢) ذكره عبدالقاهر الجرجاني في درج الدرر: ٢/ ٤٣٥.

(٣) انظر: الكشاف: ٣/ ٤٦٦.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب: ٢٥/ ٧٩.

(٥) انظر: تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠١.

(٦) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ١٣٠.

(٧) انظر: تفسير أبي السعود: ٧/ ٤٩.

(٨)حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٧/ ١٠٩-١١٠.

(٩) انظر: تفسير المراغي:٢١/٢٦.

١- قمع المشركين من أهل مكة، الذين كانوا يودون انتصار الفرس على الروم؛ وذلك أن الفرس كانوا غير موحدين؛ إذ كانت ديانتهم المجوسية، في حين كان الروم في ذلك الوقت أهل كتاب، وكان دينهم النصرانية، فوجد المشركون من أهل مكة في الحادث فرصة لاستعلاء عقيدة الشرك على عقيدة التوحيد، وفألاً بانتصار ملة الكفر على ملة الإيمان؛ ومن ثم نزلت الآيات الأُوَل من هذه السورة تبشر بغلبة أهل الكتاب من الروم في بضع سنين غلبة يفرح لها المؤمنون، الذين يودون انتصار ملة الإيمان والتوحيد على ملل الشرك والكفر.

٢- تجهيل المشركين بأنهم لا تغوص أفهامهم في الاعتبار بالأحداث، ولا يتفكرون في أسباب نهوض الأمم وانحدارها، ولا يتعظون بهلاك الأمم السالفة المماثلة لهم في الإشراك بالله.

٣- النعي على المشركين إهمالهم النظر في الحياة الآخرة الباقية، وأن علمهم محصور في الحياة الدنيا الزائلة.

٤- الاستدلال على وحدانيته سبحانه بالآيات الكونية، والمخلوقات الربانية، والربط بين سنة الله في نصر المؤمنين بالدين الحق، والحق الكبير الذي قامت عليه السماوات والأرض وما بينهما.

٥- بيان عالمية دعوة الإسلام وارتباطها بأوضاع العالم كله من حولها، واتساع مجالها، فهي ليست مرتبطة بهذه الأرض وحدها، إنما هي مرتبطة كذلك بفطرة هذا الكون ونواميسه الكبرى، وفطرة النفس البشرية وأطوارها، وماضي هذه البشرية ومستقبلها، لا على هذه الأرض وحدها، ولكن أيضاً في عالم الآخرة الوثيق الصلة بها والارتباط.

٦- الحث على التمسك بدين الإسلام؛ باعتباره الدين القويم، الذي لا يقبل سبحانه من عباده ديناً غيره؛ لأنه دين فطر الله الناس عليه، ومن ابتغى غيره ديناً، فقد حاول تبديل ما خلق الله، وأنى له ذلك؛ إذ لا تبديل لخلق الله.

٧- ضرب الله سبحانه في هذه السورة أمثالاً لإحياء مختلف الأموات بعد زوال الحياة عنها، ولإحياء الأمم بعد يأس الناس منها، وأمثالاً لحدوث القوة بعد الضعف، والضعف بعد القوة؛ كل ذلك لبيان قدرته سبحانه، وأنه سبحانه هو القادر على شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

٨- الكشف عما في طبيعة الناس من تقلب لا يصلح أن تقام عليه الحياة، ما لم يرتبطوا بمعيار ثابت لا يدور مع الأهواء، وتصوير حالهم في الرحمة والضر، وعند بسط الرزق وقبضه، إضافة إلى بيان وسائل إنفاق هذا الرزق وتنميته.

٩- الربط بين ظهور الفساد في البر والبحر، وعمل الناس وكسبهم، وتوجههم إلى السير في الأرض، والنظر في عواقب المشركين من قبل.

١٠- إثبات البعث يوم القيامة، وأنه حق لا ريب فيه، ولا ينكره إلا جاحد بيوم الدين، أو جاهل بهذا الدين.

١١- توجيه الرسول ﷺ إلى الصبر على دعوته، وما يلقاه من الناس فيها، والاطمئنان إلى أن وعد الله حق لا بد أنه آتٍ، فلا يقلقه، ولا يستخفه الذين لا يوقنون. وهو توجيه غير مباشر لحَمَلَة هذا الدين في كل زمان ومكان"(١).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر، عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته»(١).

---

(١) موقع: [إسلام ويب].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٧/٢٩١، والواحدي في الوسيط(٧١٧):ص٣/ ٤٢٧، وذكره الطبرسي في تفسير مجمع البيان: ٧/ ٤٢. سبق أن ذكرنا أن هذا حديث موضوع غير ثابت.

القرآن

{الم (١)} [الروم : ١]

التفسير:

(الم) سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

وذكر أهل التفسير في قوله تعالى: {الم (١)} [الروم : ١]، وجوها:

أحدها: معناه: أنا الله أعلم. قاله ابن عباس-في رواية-[١]. وروي عن سعيد بن جبير والضحاك نحو ذلك[٢].

الثاني: أنه: اسم من أسماء الله الأعظم. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[٣].

وقال السدي:" أما {الم}: حرف من حروف اسم الله"[٤].

وقال سالم بن عبد الله:"{الم}، و{حم}، و{ن} ونحوها، اسم الله مقطعة"[٥].

عن ابن عباس في قوله: "{الم}، و{حم}، و{ن}، قال: اسم مقطع"[٦].

الثالث: أنه اسم من أسماء القرآن. قاله ابن أبي نجيح[٧]. وروي عن قتادة وزيد بن أنس نحو ذلك[٨].

الرابع: أن «الم»: هي فواتح يفتتح الله بها القرآن. قاله مجاهد[٩].

الخامس: أنه قسم. قاله عكرمة[١٠].

السادس: أن :" هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا وأزت فيها الألسن كلها منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو في الآية وبلا به، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم، وقال عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلم وعجب. فقال: وعجب أنهم ينطقون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به، فالألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف: إلا الله، واللام: لطف الله، والميم: مجد الله، فالألف: ستة، واللام: ثلاثون، والميم: أربعون". وهذا قول أبي العالية[١١]، وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك[١٢].

قال السمعاني:" الأصح أن معناه –هاهنا- هو القسم"[١٣].

القرآن

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١١٩):ص٩/٣٠٢٩.

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/٣٠٢٩. بدون سند.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٠):ص٩/٣٠٢٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢١):ص٩/٣٠٢٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٢):ص٩/٣٠٢٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٣):ص٩/٣٠٢٩.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٥):ص٩/٣٠٣٠.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/٣٠٣٠. بدون سند.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٦):ص٩/٣٠٣٠.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٧):ص٩/٣٠٣٠.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٤):ص٩/٣٠٢٩-٣٠٣٠.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/ ٣٠٣٠. بدون سند.

(١٣) تفسير السمعاني: ٤/ ١٩٥.

{غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)} [الروم : ١-٥]

التفسير:

غَلَبت فارسُ الرومَ في أدنى أرض «الشام» إلى «فارس» ، وسوف يَغْلِب الرومُ الفرسَ في مدة من الزمن، لا تزيد على عشر سنوات ولا تنقص عن ثلاث. لله سبحانه وتعالى الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم ينتصر الروم على الفرس يفرح المؤمنون بنصر الله للروم على الفرس. والله سبحانه وتعالى ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، وهو العزيز الذي لا يغالَب، الرحيم بمن شاء من خلقه.

سبب نزول الآيات:[١-٥]:

عن عكرِمة: "أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض، قالوا: وأدنى الأرض يومئذ أَذْرعات، بها التقَوا، فهُزمت الروم، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ وأصحابه وهم بمكة، فشقَّ ذلك عليهم، وكان النبيّ ﷺ يكره أن يظهر الأميُّون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، ففرح الكفار بمكة وشمتوا، فلقوا أصحاب النبيّ ﷺ، فقالوا: إنكم أهل الكتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أمِّيُّون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم، فأنزل الله: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ... } الآيات، فخرج أبو بكر الصدّيق إلى الكفَّار، فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا، ولا يقرّنّ الله أعينكم، فوالله ليظهرنّ الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ، فقام إليه أُبيّ بن خلف، فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أنت أكذب يا عدوّ الله، فقال: أناحبك عشر قلائص مني، وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمتُ، وإن ظهرت فارس على الروم غرمتَ إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر إلى النبيّ ﷺ فأخبره، فقال: "مَا هَكَذَا ذَكَرْتُ، إنَّما البِضْعُ ما بينَ الثَّلاثِ إلى التِّسْعِ، فَزَايِدْهُ فِي الخَطَرِ، ومادّه فِي الأَجَلِ". فخرج أبو بكر فلقي أُبَيًّا، فقال: لعلك ندمت، فقال: لا فقال: أزايدك في الخطر، وأمادّك في الأجل، فاجعلها مئة قلوص لمئة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت"(١).

عن يحيى بن يعمر:"أن قيصر بعث رجلا يُدعى قطمة بجيش من الروم، وبعث كسرى شهربراز، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إليكم، فلقيت فارس الروم، فغلبتهم فارس، ففرح بذلك كفار قريش، وكرهه المسلمون، فأنزل الله: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ ...} ثم ذكر مثل حديث عكرِمة، وزاد: فلم يزل شهربراز يطؤهم، ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج، ثم مات كسرى، فبلغهم موته، فانهزم شهربراز وأصحابه، وأوعبت عليهم الروم عند ذلك، فأتبعوهم يقتلونهم قال: وقال عكرِمة في حديثه: لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب، فقال لأصحابه: لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى، فبلغت كسرى، فكتب إلى شهربُراز: إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فرخان. فكتب إليه: أيها الملك، إنك لن تجد مثل فرخان، إن له نكاية وضربا في العدوّ، فلا تفعل. فكتب إليه: إن في رجال فارس خلفا منه، فعجِّل إليّ برأسه، فراجعه، فغضب كسرى، فلم يجبه، وبعث بريدا إلى أهل فارس، إني قد نزعت عنكم شهربراز، واستعملت عليكم فرخان، ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة: إذا ولي فرخان المُلك، وانقاد له أخوه، فأعطه هذه؛ فلما قرأ شهربراز الكتاب قال: سمعا وطاعة، ونزل عن سريره وجلس فرخان، ودفع الصحيفة إليه، قال: ائتوني بشهربراز، فقدّمه ليضرب عنقه، قال: لا تعجل حتى أكتب وصيتي، قال: نعم، فدعا بالسَّفط، فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد، فردَّ الملك، وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم: إن لي إليك حاجة لا يحملها البريد، ولا تبلغها الصحف، فالقني، ولا تلقني إلا

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٦٩-٧٠.

في خمسين روميا، فإني ألقاك في خمسين فارسيا، فأقبل قيصر في خمس مئة ألف رومي، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق، وخاف أن يكون قد مكر به، حتى أتته عيونه أن ليس معه إلا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما، مع كل واحد منهما سكين، فدعيا ترجمانا بينهما، فقال شهربراز: إن الذين خرّبوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا، فأراد أن أقتل أخي، فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعا، فنحن نقاتله معك. فقال: قد أصبتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرّ بين اثنين، فإذا جاوز اثنين فشا. قال: أجل، فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما، فأهلك الله كسرى، وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحُدَيبية، ففرح ومن معه"[1].

عن أبي سعيد، قال: " لما كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين؛ لأنهم أهل كتاب، فأنزل الله: {الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ(٣)} [الروم : ١ - ٣]، قال: كانوا قد غلبوا قبل ذلك، ثم قرأ حتى بلغ: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ(٥)} [الروم : ٤ - ٥]"[2].

قال الثعلبي:" قال المفسرون: كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك والأبطال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ!، فدعاها كسرى فقال: إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك فأشيري علي أيهم أستعمل؟ فقالت: هذا فلان، أروغ من ثعلب، وأحذر من صقر[3]، وهذا فرخان أنفذ من سنان[4]، وهذا شهريراز[5] هو أحلم من كذا، فاستعمل أيهم شئت. قال: فإني استعملت الحليم، فاستعمل شهريراز، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم، وكان قيصر بعث رجلا يدعى يحنس[6] وبعث كسرى شهريراذ فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وأصحابه بمكة فشق عليهم، وكان النبي صلى الله عليه يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح كفار مكة وشمتوا ولقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم. فإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم.

فأنزل الله عز وجل: {الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢)} [الروم : ١ - ٢]... إلى آخر الآيات.

فخرج الصديق رضي الله عنه إلى الكفار فقال: فرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم، فوالله ليظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا، فقام إليه أبي بن خلف الجمحي فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه، والمناحبة: المراهنة على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس غرمت، ففعل ذلك وجعلوا الأجل ثلاث سنين.

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٠-٧١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٣، والواحدي في أسباب النزول: ٣٥٤-٣٥٥، باختلاف يسير في الألفاظ، وأخرجه الترمذي في التفسير (٣١٩٢) وقال: "هذا حديث حسن غريب".

وفي إسناده عطية بن سعد بن جنادة العوفي: وهو ضعيف.

(٣) انظر: كتاب الأمثال: ١٠٧.

(٤)في تفسير القرطبي (١٤/ ٣) : فرخان أحد من سنان وأنفذ من نبل.

(٥)في التفاسير: شهربنان، وفي تفسير الطبري٧٠/٢٠: شهر براز، وفي تفسير مقاتل: ٤٠٣/٣:" «شهر بران»"

(٦)في تفسير الطبري ٧/٢٠: يدعى: قطمة بجيش من الروم.

فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ وأخبره وذلك قبل تحريم القمار، فقال رسول الله ﷺ: ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين ثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل، فخرج أبو بكر فلقي أبيا فقال: لعلك ندمت قال: لا، قال: فتعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه فقال: إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلا، فكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر.

فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه قال: والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا ثم خرج إلى أحد، ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه حين بارزه. وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم.

قال الثعلبي: هذا قول أكثر المفسرين"[1].

قال ابن كثير:" نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم ، واضطر هرقل مَلك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية ، وحاصره فيها مدة طويلة ، ثم عادت الدولة لهرقل"[2].

قوله تعالى:{غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} [الروم : ٢-٣]، أي:" غَلَبت فارسُ الرومَ في أدنى أرض «الشام» إلى «فارس»"[3].

قال ابن عباس:" غلبتهم فارس، ثم غلبت الروم"[4].

عن ابن عباس، قوله:"{فِي أَدْنَى الأرْضِ}، يقول: في طرف الشام"[5].

قال قتادة:" غلبتهم فارس على أدنى الشام"[6].

قال ابن زيد:" أدنى الأرض: الشأم"[7].

قال الزجاج: "قيل في أطراف الشام، وتأويله: أدنى الأرض من أرض العرب"[8].

قال عبد الله خمس قد مضين: "الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم"[9].

وقراءة العامة :{غُلِبَتِ الرُّوم}، بضم الغين، بمعنى: أن فارس غلبت الروم[10].

وروي عن سليط، قال: "سمعت ابن عمر يقرأ :«غَلَبَتِ الرُّومُ»، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، على أي شيء غلبوا؟ قال: على ريف الشام"[11].

قال الفراء:" القراء مجتمعون على{غُلِبَتِ}، إلا ابن عمر فإنه قرأها: «غَلَبَتِ الرُّومُ»، فقيل له: علام غلبوا؟ فقال: على أدنى ريف الشأم. والتفسير يرد قول ابن عمر"[12].

---

(١) الكشف والبيان: ٧/ ٢٩١-٢٩٢. وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٥٤، ذكره مختصرا.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٨.

(٣) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٦٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٢-٧٣.

(٨) معاني القرآن: ٤/ ١٧٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٦٩.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٦.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/٦٦.

(١٢) معاني القرآن: ٢/ ٣١٩.

قوله تعالى:{وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ} [الروم : ٣-٤]، أي:" وسوف يَغْلِب الرومُ الفرسَ في مدة من الزمن، لا تزيد على عشر سنوات ولا تنقص عن ثلاث"(١).

قال الطبري:" يقول: والروم من بعد غلبة فارس إياهم {سَيَغْلِبُونَ} فارس {فِي بِضْعِ سِنِين}"(٢).

قال الزجاج: " هذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله، لأنه أنبأ بما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا الله - عز وجل - وكان المشركون سروا بأن غلبت فارس الروم، وذلك لأنهم قالوا: إنكم أيها المسلمون تزعمون بأنكم تنصرون بأنكم أهل كتاب، فقد غلبت فارس الروم. وفارس ليست أهل كتاب، والروم أهل كتاب، فكذلك سنغلبكم نحن. فأعلم الله - عز وجل - أن الروم سيغلبون في بضع سنين، وسيسرالمسلمون بذلك فراهن المسلمون المشركين وبايعوهم على صحة هذا الخبر.

و«البضع» ما بين الثلاث إلى التسع، فلما مضى بعض البضع طالب المشركون المسلمين وقالوا قد غلبناكم، لأنه قد مضت بضع سنين ولم تغلب الروم فارس، واحتج عليهم المسلمون بأن البضع لم يكمل، وزادوهم وأخروهم إلى تمام البضع، فغلبت الروم فارس وقمر المسلمون وذلك قبل أن يحرم القمار وفرح المسلمون وخزي الكافرون"(٣).

عن عبد الرحمن بن الحارث، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، قال: "قلت له: ما البضع؟ قال: زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع"(٤).

قال أبو عبيدة:" البضع: ما بين ثلاث سنين وخمس سنين"(٥).

قال قتادة:" فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البِضْع سنينَ من قمارهم الأوّل، وكان ذلك مرجعه من الحديبية، ففرح المسلمون بصلحهم الذي كان، وبظهور أهل الكتاب على المجوس، وكان ذلك مما شدّد الله به الإسلام"(٦).

قال الشعبي:" كان النبيّ ﷺ أخبر الناس بمكة أن الروم ستغلب، قال: فنزل القرآن بذلك، قال: وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على فارس؛ لأنهم أهل الكتاب"(٧).

قال عبدالله:" كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم"(٨).

قال ابن قتيبة:" كانت «فارس» غلبت «الروم» على أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم من سلطان فارس، فسرّ بذلك مشركو قريش، وكان المسلمون يحبّون أن تظهر الروم على أهل فارس، لأن الروم أهل كتاب، وأهل فارس مجوس، فساءهم أن غلبوهم على شيء من بلادهم، فأنزل الله تعالى: {وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ}، أي: والروم من بعد أن غلبوا سَيَغْلِبُونَ أهل فارس. وغلبهم يكون للغالبين والمغلوبين جميعا، كما تقول: والشهداء من بعد قتلهم سيرزقون،

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٦.

(٣) معاني القرآن: ٤/ ١٧٥.

(٤) أخجره الطبري: ٢٠/ ٧٤.

(٥) مجاز القرآن: ٢/ ١١٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٢.

أي: من بعد أن قتلوا {فِي بِضْعِ سِنِينَ}، والبضع: ما فوق الثلاث ودون العشر. فغلبت الروم أهل فارس وأخرجوهم من بلادهم يوم الحديبية"(١).

قال ابن كثير:" وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، وهم أبناء عم بني إسرائيل ، ويقال لهم : بنو الأصفر. وكانوا على دين اليونان ، واليونان من سلالة يافث بن نوح ، أبناء عم الترك. وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة ، ويقال لها : المتحيرة ، ويصلون إلى القطب الشمالي ، وهم الذين أسسوا دمشق ، وبنوا معبدها ، وفيه محاريب إلى جهة الشمال ، فكان الروم على دينهم إلى مبعث المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة ، وكان من ملك الشام مع الجزيرة منهم يقال له : قيصر. فكان أول من دخل في دين النصارى من الملوك قسطنطين بن قسطس ، وأمه مريم الهيلانية الشدقانية من أرض حران ، كانت قد تنصرت قبله ، فدعته إلى دينها ، وكان قبل ذلك فيلسوفا ، فتابعها - يقال : تَقِيَّة - واجتمعت به النصارى ، وتناظروا في زمانه مع عبد الله بن أريوس ، واختلفوا اختلافا كثيرًا منتشرا متشتتا لا ينضبط ، إلا أنه اتفق من جماعتهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا ، فوضعوا لقسطنطين العقيدة ، وهي التي يسمونها الأمانة الكبيرة ، وإنما هي الخيانة الحقيرة ، ووضعوا له القوانين - يعنون كتب الأحكام من تحليل وتحريم وغير ذلك مما يحتاجون إليه ، وغَيَّروا دين المسيح ، عليه السلام ، وزادوا فيه ونقصوا منه. وفصلوا إلى المشرق واعتاضوا عن السبت بالأحد ، وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير. واتخذوا أعيادًا أحدثوها كعيد الصليب والقداس والغطاس ، وغير ذلك من البواعيث والشعانين ، وجعلوا له الباب وهو كبيرهم ، ثم البتاركة ، ثم المطارنة ، ثم الأساقفة والقساقسة ، ثم الشمامسة. وابتدعوا الرهبانية. وبنى لهم الملك الكنائس والمعابد ، وأسس المدينة المنسوبة إليه وهي القسطنطينية ، يقال : إنه بنى في أيامه اثني عشر ألف كنيسة ، وبنى بيت لحم بثلاثة محاريب ، وبنت أمه القمامة ، وهؤلاء هم الملكية ، يعنون الذين هم على دين الملك.

ثم حدثت بعدهم اليعقوبية أتباع يعقوب الإسكاف ، ثم النسطورية أصحاب نسطورا ، وهم فرق وطوائف كثيرة ، كما قال رسول الله ﷺ : «إنهم افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة»(٢).

والغرض أنهم استمروا على النصرانية ، كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده ، حتى كان آخرهم هرقل. وكان من عقلاء الرجال ، ومن أحزم الملوك وأدهاهم ، وأبعدهم غورا وأقصاهم رأيا ، فتمَلَّكَ عليهم في رياسَة عظيمة وأبهة كبيرة ، فناوأه كسرى ملك الفرس ، ومَلَكَ البلاد كالعراق وخراسان والرّي ، وجميع بلاد العجم ، وهو سابور ذو الأكتاف. وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر ، وله رياسة العجم وحماقة الفرس ، وكانوا مجوسا يعبدون النار. فتقدم عن عكرمة أنه بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه ، والمشهور أن كسرى غزاه بنفسه في بلاده فقهره وكَسَره وقصره ، حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية. فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه ، وكانت النصارى تعظمه تعظيما زائدا ، ولم يقدر كسرى على فتح البلد ، ولا أمكنه ذلك لحصانتها ؛ لأن نصفها من ناحية البر ونصفها الآخر من ناحية البحر ، فكانت تأتيهم الميرة والمَدَد من هنالك. فلما طال الأمر دبر قيصر مكيدة ، ورأى في نفسه خديعة ، فطلب من كسرى أن يقلع عن بلاده على مال يصالحه عليه ، ويشترط عليه ما شاء. فأجابه إلى ذلك ، وطلب منه أموالا عظيمة لا يقدر عليها أحد من ملوك الدنيا، من ذهب وجواهر وأقمشة وجوار وخدام وأصناف كثيرة. فطاوعه قيصر ، وأوهمه أن عنده جميع ما طلب ، واستقل عقله لما طلب منه

---

(١) تاويل مشكل القرآن: ٢٣٩-٢٤٠.

(٢)سنن أبي داود برقم (٤٥٩٦) وابن ماجه في السنن برقم (٣٩٩٢) وقال البوصيري في الزوائد : "إسناد عوف بن مالك فيه مقال ، وراشد بن سعد قال فيه أبو حاتم : صدوق. وعباد بن يوسف لم يخرج له أحد سوى ابن ماجه ، وليس له عندي سوى هذا الحديث قال ابن عدي : روى أحاديث تفرد بها. وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجال الإسناد ثقات".

ما طلب ، ولو اجتمع هو وإياه لعجزت قدرتهما عن جمع عُشْره ، وسأل كسرى أن يُمكّنه من الخروج إلى بلاد الشام وأقاليم مملكته ، ليسعى في تحصيل ذلك من ذخائره وحواصله ودفائنه ، فأطلق سراحه ، فلما عزم قيصر على الخروج من مدينة قسطنطينية ، جمع أهل ملته وقال : إني خارج في أمر قد أبرمته ، في جند قد عينته من جيشي ، فإن رجعت إليكم قبل الحول فأنا ملككم ، وإن لم أرجع إليكم قبلها فأنتم بالخيار ، إن شئتم استمررتم على بيعتي ، وإن شئتم وليتم عليكم غيري. فأجابوه بأنك ملكنا ما دمت حيا ، ولو غبت عشرة أعوام. فلما خرج من القسطنطينية خرج جريدة في جيش متوسط ، هذا وكسرى مُخَيّم على القسطنطينية ينتظره ليرجع ، فركب قيصر من فوره وسار مسرعا حتى انتهى إلى بلاد فارس ، فعاث في بلادهم قتلا لرجالها ومن بها من المقاتلة ، أولا فأولا ولم يزل يقتل حتى انتهى إلى المدائن ، وهي كرسي مملكة كسرى ، فقتل من بها ، وأخذ جميع حواصله وأمواله ، وأسر نساءه وحريمه ، وحلق رأس ولده ، ورَكّبه على حمار وبعث معه من الأساورة من قومه في غاية الهوان والذلة ، وكتب إلى كسرى يقول : هذا ما طلبت فخُذه. فلما بلغ ذلك كسرى أخذه من الغم ما لا يحصيه إلا الله عز وجل ، واشتد حنقه على البلد ، فاشتد في حصارها بكل ممكن فلم يقدر على ذلك. فلما عجز ركب ليأخذ عليه الطريق من مخاضة جيحون ، التي لا سبيل لقيصر إلى القسطنطينية إلا منها ، فلما علم قيصر بذلك احتال بحيلة عظيمة لم يسبق إليها ، وهو أنه أرصد جنده وحواصله التي معه عند فم المخاضة ، وركب في بعض الجيش ، وأمر بأحمال من التبن والبعر والروث فحملت معه ، وسار إلى قريب من يوم في الماء مصعدا ، ثم أمر بإلقاء تلك الأحمال في النهر ، فلما مرت بكسرى ظن هو وجنده أنهم قد خاضوا من هنالك ، فركبوا في طلبهم فشغرت المخاضة عن الفرس ، وقدم قيصر فأمرهم بالنهوض في الخوض ، فخاضوا وأسرعوا السير ففاتوا كسرى وجنوده ، ودخلوا القسطنطينية. وكان ذلك يوما مشهودًا عند النصارى ، وبقي كسرى وجيوشه حائرين لا يدرون ماذا يصنعون. لم يحصلوا على بلاد قيصر ، وبلادُهم قد خَرّبتها الروم وأخذوا حواصلهم ، وسبوا ذراريهم ونساءهم. فكان هذا من غَلب الروم فارسَ ، وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب الفرس للروم.

وكانت الواقعة الكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أذرعات وبُصرى ، على ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما ، وهي طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز"[١].

قوله تعالى:{لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} [الروم : ٤]، أي:" لله سبحانه وتعالى الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده"[٢].

قال ابن قتيبة:" أي: له الغلبة لمن شاء من قبل ومن بعد"[٣].

قال الطبري:" {مِنْ قَبْلُ} غلبتهم فارس {وَمِنْ بَعْدُ} غلبتهم إياها، يقضي في خلقه ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويظهر من شاء منهم على من أحبّ إظهاره عليه"[٤].

قال ابن كثير:" أي : من قبل ذلك ومن بعده ، فبني على الضم لما قُطع المضاف ، وهو قوله : { قَبْلُ } عن الإضافة ، ونُويت"[٥].

عن ابن جريج:" {لِلهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ} دولة فارس على الروم، {وَمِنْ بَعْدُ} دولة الروم على فارس"[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٠-٣٠٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٣) تاويل مشكل القرآن: ٢٤٠.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٦.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٤.

قوله تعالى:{وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ} [الروم : ٤-٥]، أي:" ويوم ينتصر الروم على الفرس يفرح المؤمنون بنصر الله للروم على الفرس"(١).

قال مجاهد:" وفرحَ المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان"(٢).

قال ابن زيد:" يوم أديلت الروم على فارس"(٣).

قال الطبري:" يقول: ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين، ونُصْرة الروم على فارس"(٤).

قال ابن كثير:" أي : للروم أصحاب قيصر ملك الشام ، على فارس أصحاب كسرى ، وهم المجوس. وقد كانت نصرة الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كبيرة من العلماء، وقال آخرون : بل كان نصرة الروم على فارس عام الحديبية، ووجه بعضهم هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفره الله بكسرى ليمشين من حمص إلى إيليا - وهو بيت المقدس - شكرا لله عز وجل ، ففعل ، فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منه حتى وافاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي بعثه مع دحية بن خليفة ، فأعطاه دحية لعظيم بصرى ، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر. فلما وصل إليه سأل من بالشام من عَرَب الحجاز ، فأحضرَ له أبو سفيان صخر بن حرب الأموي في جماعة من كفار قريش كانوا في غزة ، فجيء بهم إليه ، فجلسوا بين يديه ، فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : أنا. فقال لأصحابه - وأجلسهم خلفه - : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذب فكذّبوه. فقال أبو سفيان: فوالله لولا أن يَأثُرُوا عليّ الكذب لكذبت. فسأله هرقل عن نسبه وصفته ، فكان فيما سأله أن قال : فهل يغدر ؟ قال : قلت : لا ونحن منه في مُدّة لا ندري ما هو صانع فيها - يعني بذلك الهدنة التي كانت قد وقعت بين رسول الله ﷺ وكفار قريش يوم الحديبية على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فاستدلوا بهذا على أن نصر الروم على فارس كان عام الحديبية ؛ لأن قيصر إنما وَفَّى بنذره بعد الحديبية ، والله أعلم.

ولأصحاب القول الأول أن يجيبوا عن هذا بأن بلاده كانت قد خربت وتشعثت ، فما تمكن من وفاء نذره حتى أصلح ما ينبغي إصلاحه وتفقد بلاده ، ثم بعد أربع سنين من نصرته وفَّى بنذره ، والله أعلم.

والأمر في هذا سهل قريب ، إلا أنه لما انتصرت فارس على الروم ساء ذلك المؤمنين ، فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك؛ لأن الروم أهل كتاب في الجملة ، فهم أقرب إلى المؤمنين من المجوس ، كما قال الله تعالى :{ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } [المائدة : ٨٢ ، ٨٣] ، وقال تعالى هاهنا : { وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }"(٥).

قال القشيري:" سر المسلمون بظفر الروم على العجم- وإن كان الكفر يجمعهم- إلا أن الروم اختصوا بالإيمان ببعض الأنبياء، فشكر الله لهم، وأنزل فيهم الآية.. فكيف بمن يكون سروره لدين الله، وحزنه واهتمامه لدين الله؟"(٦).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٦٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٢-٧٣.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٦.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٣-٣٠٤.

(٦) لطائف الإشارات: ٣/ ١٠٧.

قوله تعالى:{يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} [الروم : ٥]، أي:" والله سبحانه وتعالى ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء"(١).

قال الطبري:" {يَنْصُرُ} اللهُ تعالى ذكره {مَنْ يَشاءُ} من خلقه، على من يشاء، وهو نُصرة المؤمنين على المشركين ببدر"(٢).

عن أسيد الكلابي ، قال : "سمعت العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه ، قال : رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم ، كل ذلك في خمس عشرة سنة"(٣).

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الروم : ٥]، أي:" وهو العزيز الذي لا يغالَب، الرحيم بمن شاء من خلقه"(٤).

قال الطبري:" يقول: والله الشديد في انتقامه من أعدائه، لا يمنعه من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينه حائل، {الرَّحِيمُ} بمن تاب من خلقه، وراجع طاعته أن يعذّبه"(٥).

قال ابن كثير:" { وَهُوَ الْعَزِيزُ } أي : في انتصاره وانتقامه من أعدائه ، { الرَّحِيمُ } بعباده المؤمنين"(٦).

القرآن

{وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)} [الروم : ٦-٧]

التفسير:

وعد الله المؤمنين وعدًا جازمًا لا يتخلف، بنصر الروم النصارى على الفرس الوثنيين، ولكن أكثر كفار «مكة» لا يعلمون أن ما وعد الله به حق، وإنما يعلمون ظواهر الدنيا وزخرفها، وهم عن أمور الآخرة وما ينفعهم فيها غافلون، لا يفكرون فيها.

قوله تعالى:{وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ} [الروم : ٦]، أي:" وعد الله المؤمنين وعدًا جازمًا لا يتخلف، بنصر الروم النصارى على الفرس الوثنيين"(٧).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وعد الله جلّ ثناؤه، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم، إن الله يفي بوعده للمؤمنين أن الروم سيغلبون فارس، لا يخلفهم وعده ذلك؛ لأنه ليس في مواعيده خلف"(٨).

قال ابن كثير:" أي : هذا الذي أخبرناك به - يا محمد - من أنا سننصر الروم على فارس ، وعد من الله حق ، وخَبَر صدق لا يخلف ، ولا بد من كونه ووقوعه ؛ لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين المقتتلتين إلى الحق ، ويجعل لها العاقبة"(٩).

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم : ٦]، أي:" ولكن أكثر كفار «مكة» لا يعلمون أن ما وعد الله به حق"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٦.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٦٢):ص٩/٣٠٨٧.

(٤) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٦-٦٧.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٥.

قال الطبري:" يقول: ولكنّ أكثر قريش الذين يكذّبون بأن الله منجز وعده المؤمنين، من أن الروم تغلب فارس، لا يعلمون أن ذلك كذلك، وأنه لا يجوز أن يكون في وعد الله إخلاف"(٢).

قال ابن كثير:" أي : بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل"(٣).

قوله تعالى:{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الروم : ٧]، أي:" وإنما يعلمون ظواهر الدنيا وزخرفها"(٤).

قال الطبري: يقول: " يعلم هؤلاء المكذّبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس، ظاهرا من حياتهم الدنيا، وتدبير معايشهم فيها، وما يصلحهم"(٥).

قال ابن كثير:" أي : أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها ، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها ، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة ، كأن أحدهم مُغَفّل لا ذهن له ولا فكرة "(٦).

قال الزجاج:" هذا في مشركي أهل مكة، المعنى: يعلمون من معايش الحياة الدنيا، لأنهم كانوا يعالجون التجارات، فأعلم الله - عز وجل – لما نفى أنهم لا يعلمون ما الذي يجهلون، ومقدار ما يعلمون"(٧).

عن قَتادة قوله: "{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}: من حرفَتها وتصرّفها وبغيتها"(٨).

قال ابن عباس:" يعني: الكفار، يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال"(٩).

قال ابن عباس:" يعني: معايشهم، متى يحصدون ومتى يغرسون"(١٠).

قال الحسن:" يعلمون متى زرعهم، ومتى حصادهم"(١١).

قال إبراهيم:" معايشهم، وما يصلحهم"(١٢). وروي عن عكرمة مثله(١٣).

قال عكرمة:" هو السراج أو نحوه"(١٤). وفي رواية:" الخرازون والسراجون"(١٥).

وقال الحسن البصري : "[والله](١٦) ليبلغ من حذق أحدهم بأمر دنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن يصلي"(١٧).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٥.

(٧) معاني القرآن: ٤/ ١٧٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٥.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٦.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٦.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٥.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٦.

(١٦) زيادة في تفسير ابن كثير: ٦/٣٠٥.

(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٦٧):ص٩/٣٠٨٨.

وروي عن سعيد في قوله: "{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، قال: تسترق الشياطين السمع، فيسمعون الكلمة التي قد نزلت ينبغي لها أن تكون في الأرض، قال: ويرمون بالشُّهب، فلا ينجو أن يحترق، أو يصيبه شرر منه، قال: فيسقط فلا يعود أبدا، قال: ويرمي بذاك الذي سمع إلى أوليائه من الإنس، قال: فيحملون عليه ألف كذبة، قال: فما رأيت الناس يقولون: يكون كذا وكذا، قال: فيجيء الصحيح منه كما يقولون، الذي سمعوه من السماء، ويعقبه من الكذب الذي يخوضون فيه"[(١)].

قوله تعالى:{وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم : ٧]، أي:" وهم عن أمور الآخرة وما ينفعهم فيها غافلون، لا يفكرون فيها"[(٢)].

قال الطبري: يقول: " وهم عن أمر آخرتهم، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك، غافلون، لا يفكرون فيه"[(٣)].

فوائد الآيات:[١-٧]:

١- تقرير صحة الإسلام وأنه الدين الحق بصدق ما يخبر به كتابه من الغيوب.

٢- بيان أن أهل الكتاب من يهود ونصارى أقرب إلى المسلمين من المشركين والملاحدة من بلاشفة شيوعيين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

٣- بيان أن أكثر الناس لا يعلمون ما يسعدهم في الآخرة ويكملهم من العقائد الصحيحة والشرائع الحكيمة الرحيمة التي لا يكمل الإنسان ولا يسعد إلا عليها، ويعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا كتدبير المعاش من زراعة وصناعة وتجارة، أما عن سر الحياة الدنيا ولماذا كانت فهم لا يعلمون شيئا كما هم عن الحياة الآخرة غافلون بالمرة فلا يبحثون عما يسعد فيها ولا عما يشقي. والعياذ بالله تعالى من الغفلة عن دار البقاء في السعادة أو الشقاء.

القرآن

{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨)} [الروم : ٨]

التفسير:

أو لم يتفكر هؤلاء المكذِّبون برسل الله ولقائه في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئًا. ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا لإقامة العدل والثواب والعقاب، والدلالة على توحيده وقدرته، وأجل مسمى تنتهي إليه وهو يوم القيامة؟ وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم لجاحدون منكرون؛ جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلةً منهم عن الآخرة.

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ} [الروم : ٨]، أي:" أو لم يتفكر هؤلاء المكذِّبون برسل الله ولقائه في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئًا"[(٤)].

قال الطبري:يقول:" أولم يتفكَّر هؤلاء المكذّبون بالبعث يا محمد من قومك في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئا، ثم صرفهم أحوالا وقارات حتى صاروا رجالا فيعلموا أن الذي فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا، ثم يجازي المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته لا يظلم أحدا منهم، فيعاقبه بجرم غيره، ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله، لأنه العدل الذي لا يجور"[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٧٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤٠٤.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٠٥.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٧.

قال الزجاج:" معناه: أولم يتفكروا فيعلموا، لأن في الكلام دليلا عليه"(١).

قال الزمخشري:" {في أنفسهم} يحتمل أن يكون ظرفا، كأنه قيل: أو لم يحدثوا التفكر في أنفسهم، أى: في قلوبهم الفارغة من الفكر، والتفكر لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين، كقولك: اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك، وأن يكون صلة للتفكر، كقولك: تفكر في الأمر وأجال فيه فكره"(٢).

قال الراغب:" الفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ولهذا روي: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله»(٣) إذ كان الله منزها أن يوصف بصورة"(٤).

وقال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة"(٥).

وقيل لأم الدرداء: " ما كان أفضل عبادة أبي الدّرداء؟ قالت: التفكّر والاعتبار"(٦).

وقال كعب: "من أراد أن يبلغ شرف الآخرة فليكثر التفكر يكن عالماً"(٧).

وقال الشيخ أبو سليمان الداراني: "إني لأخرج من منزلي، فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة، أو لي فيه عبرة"(٨).

وقال الفضيل: "قال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك"(٩).

وقال الحسن:" إنّ من أفضل العمل الورع والتّفكّر"(١٠).

وقال سفيان بن عيينة: "الفكرة نور يدخل قلبك"(١١).

وعن عيسى، عليه السلام، أنه قال: "طوبى لمن كان قيله تذكرا، وصمته تفكرا، ونظره عبرا"(١٢).

وقال لقمان الحكيم: "إن طول الوحدة ألهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة"(١٣).

---

(١) معاني القرآن: ٤/ ١٧٨.

(٢) الكشاف: ٣/ ٤٦٨.

(٣)الحديث رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس بلفظ: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله» ورواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٥٩ من قوله عن ابن عباس بلفظ: «تفكروا في كل شيء ولا تتفكروا في الله» .

وجاء أحاديث كثيرة بمعناها قال العجلوني: وأسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكسبه قوة، ومعناه صحيح.

انظر: كشف الخفاء ١/ ٣١١، والنهاية في غريب الحديث ١/ ٦٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٦٤٣.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن سعد.

(٦) الزهد لوكيع بن الجراح : ٤٧٤.

(٧) نقلا عن الهداية إلى بلوغ النهاية: ٢/١٢٠٣.

(٨)رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "التفكر والاعتبار"، نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٤.

(٩)نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٤.

(١٠)كتاب الزهد لابن المبارك: ٩٦.

(١١)نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٤.

(١٢)نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٤.

(١٣)نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٤.

وقال وهب بن منبه: " ما طالت فكرة امرئ قطّ إلّا علم، وما علم امرؤ قطّ إلّا عمل"[١].
عمل"[١].

وقال عمر بن عبد العزيز: "الكلام بذكر الله، عز وجل، حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة"[٢].

وقال بشر بن الحارث الحافي: "لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه"[٣].

قوله تعالى:{مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى} [الروم : ٨]، أي:" ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا لإقامة العدل والثواب والعقاب، والدلالة على توحيده وقدرته، وأجل مسمى تنتهي إليه وهو يوم القيامة"[٤].

قال مقاتل:" يقول- سبحانه- لم يخلقهما عبثا لغير شيء، خلقهما لأمر هو كائن {وأجل مسمى}، يقول: السموات والأرض لهما أجل ينتهيان إليه، يعني: يوم القيامة"[٥].

قال الطبري: يقول:" {مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا} إلا بالعدل، وإقامة الحقّ، وبأجل مؤقت مسمى، إذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله، وبدّل الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهَّار "[٦].

قال يحيى:" أي: لو تفكروا في خلق السموات والأرض لعلموا أن الذي خلقهما يبعث الخلق يوم القيامة، {وأجل مسمى}، يعني: القيامة"[٧].

قال الزمخشري:" أى: ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة، ولا لتبقى خالدة: وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة، وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه، وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب"[٨].

قال ابن كثير:" يعني به : النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي ، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة ، والأجناس المختلفة ، فيعلموا أنها ما خلقت سُدًى ولا باطلا بل بالحق ، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى ، وهو يوم القيامة"[٩].

قال الزجاج:" {بالحق} –ههنا-«إلا للحق»، أي: لإقامة الحق.{وأجل مسمى}، أي: لإقامة الحق وأجل مسمى؛ وهو الوقت الذي توفى فيه كل نفس ما كسبت"[١٠].

قوله تعالى:{وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} [الروم : ٨]، أي:" وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم لجاحدون منكرون؛ جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلةً منهم عن الآخرة"[١١].

قال الطبري:يقول:" وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم جاحدون منكرون؛ جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلة منهم عن الآخرة"[١].

---

(١)الإحياء: ٤/٤٢٤، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٤.

(٢)نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٥، وانظر نحوه في: الإحياء :٤/ ٤٢٥.

(٣)نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٠٥.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤٠٨.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٧.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦٤٦.

(٨) الكشاف: ٣/ ٤٦٩.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٥.

(١٠) معاني القرآن: ٤/ ١٧٨.

(١١) التفسير الميسر: ٤٠٥.

قال مقاتل:" يعني- عز وجل- كفار مكة بالبعث بعد الموت لا يؤمنون أنه كائن"[٢].

قال النحاس:" «اللام» للتوكيد، والتقدير: لكافرون بلقاء ربهم. على التقديم والتأخير"[٣].

قال القرطبي:" أي: لكافرون بالبعث بعد الموت"[٤].

قال السعدي:" فلذلك لم يستعدوا للقائه ولم يصدقوا رسله التي أخبرت به وهذا الكفر عن غير دليل، بل الأدلة القاطعة قد دلت على البعث والجزاء"[٥].

القرآن

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩)} [الروم : ٩]

التفسير:

أو لم يَسِرْ هؤلاء المكذبون بالله الغافلون عن الآخرة في الأرض سَيْرَ تأمل واعتبار، فيشاهدوا كيف كان جزاء الأمم الذين كذَّبوا برسل الله كعاد وثمود؟ وقد كانوا أقوى منهم أجسامًا، وأقدر على التمتع بالحياة حيث حرثوا الأرض وزرعوها، وبنَوْا القصور وسكنوها، فعَمَروا دنياهم أكثر مما عَمَر أهل «مكة» دنياهم، فلم تنفعهم عِمارتهم ولا طول مدتهم، وجاءتهم رسلهم بالحجج الظاهرة والبراهين الساطعة، فكذَّبوهم فأهلكهم الله، ولم يظلمهم الله بذلك الإهلاك، وإنما ظلموا أنفسهم بالشرك والعصيان.

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [الروم : ٩]، أي:" أو لم يَسِرْ هؤلاء المكذبون بالله الغافلون عن الآخرة في الأرض سَيْرَ تأمل واعتبار، فيشاهدوا كيف كان جزاء الأمم الذين كذَّبوا برسل الله"[٦].

قال الطبري:يقول:" أولم يسر هؤلاء المكذّبون بالله، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها تجرا، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة، كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها"[٧].

قال ابن الجوزي:" أي: أو لم يسافروا فينظروا مصارع الأمم قبلهم كيف أهلكوا بتكذيبهم فيعتبروا"[٨].

قال البغوي:" أولم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا"[٩].

قال القرطبي:" {فينظروا} ببصائرهم وقلوبهم"[١٠].

قال ابن كثير:" نبههم على صدق رسله فيما جاءوا به عنه ، بما أيدهم به من المعجزات ، والدلائل الواضحات ، من إهلاك مَنْ كفر بهم ، ونجاة مَنْ صدقهم ، فقال : { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ } أي : بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماعهم أخبار الماضين"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٧.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤٠٨.

(٣) إعراب القرآن: ٣/ ١٨١.

(٤) تفسير القرطبي: ١٤/ ٩.

(٥) تفسير السعدي: ٦٣٧.

(٦) التفسير الميسر: ٤٠٥.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٨.

(٨) زاد المسير: ٣/ ٤١٧.

(٩) تفسير البغوي: ٢٦٢/٦.

(١٠) تفسير القرطبي: ١٤/ ٩.

قوله تعالى:{كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} [الروم : ٩]، أي:" وقد كانوا أقوى منهم أجساداً، وأكثر أموالاً وأولادا"(٢).

قال الطبري:يقول:" فقد كانوا أشدّ منهم قوّة"(٣).

قال البيضاوي:" كانوا أشد منهم قوة كعاد وثمود"(٤).

قال ابن كثير:" أي : كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم - أيها المبعوث إليهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وأكثر أموالا وأولادا ، وما أوتيتم معشار ما أوتوا، ومُكنوا في الدنيا تمكينا لم تبلغوا إليه"(٥).

قوله تعالى:{وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} [الروم : ٩]، أي:" وحرثوا الأرضَ للزراعة، وحفروها لاستخراج المعادن، وعمروها بالأبنية المشيدة، والصناعات الفريدة أكثر مما عمرها هؤلاء"(٦).

قال الطبري: "يقول: واستخرجوا الأرض، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم، فلم يقدروا على الامتناع، مع شدّة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض"(٧).

قال الفراء:" قوله: {وَأَثارُوا الْأَرْضَ}: حرثوها، {وَعَمَرُوها أَكْثَرَ} مما كانوا يعمرون. يقول: كانوا يعمرون أكثر من تعمير أهل مكة فأُهلكوا"(٨).

قال أبو عبيدة:" {وَأَثارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوها}، أي: استخرجوها، ومنه قولهم: أثار ما عندى، أي: استخرجه، وأثار القوم، أي: استخرجهم"(٩).

قال النحاس:" {وأثاروا الأرض}، أي: حرثوها وزرعوها، وليس بمكة حرث ولا زرع"(١٠).

قال الزجاج:" يعني: أن الذين أهلكوا من الأمم الخالية، كانوا أكثر حرثا وعمارة من أهل مكة، لأن أهل مكة لم يكونوا أصحاب حرث"(١١).

قال ابن كثير:" وعمروا فيها أعمارًا طوالا فعمروها أكثر منكم. واستغلوها أكثر من استغلالكم "(١٢).

قال البيضاوي:أي:" وقلبوا وجه الأرض لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروا الأرض أكثر مما عمروها من عمارة أهل مكة إياها فإنهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها، وفيه تهكم بهم من حيث إنهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٥.

(٢) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٣٤-٤٣٥.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٨.

(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٦.

(٦) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٣٥.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٨.

(٨) معاني القرآن: ٢/ ٣٢٢.

(٩) مجاز القرآن: ٢/ ١١٩.

(١٠) معاني القرآن: ٥/ ٢٤٦.

(١١) معاني القرآن: ٤/ ١٧٩.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٦.

وهم أضعف حالا فيها، إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في أقطار الأرض بأنواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤون إلى دار لا نفع لها"[١].

قال الزمخشري:" {أثاروا الأرض}: وحرثوها، قال الله تعالى: {لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ} [البقرة : ٧١]، وقيل لبقر الحرث: المثيرة. وقالوا: سمى ثورا لإثارته الأرض وبقرة، لأنها تبقرها، أى: تشقها. {وعمروها}، يعنى: أولئك المدمرون أكثر مما عمروها من عمارة أهل مكة. وأهل مكة: أهل واد غير ذى زرع، ما لهم إثارة الأرض أصلا، ولا عمارة لها رأسا فما هو إلا تهكم بهم، وبضعف حالهم في دنياهم، لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة[٢]"[٣].

قال ابن الجوزي:" {وأثاروا الأرض}، أي: قلبوها للزراعة، {وعمروها أكثر مما عمروها}، أي: أكثر من عمارة أهل مكة، لطول أعمار أولئك وشدة قوتهم"[٤].

عن مجاهد :"{وَأَثَارُوا الأرْضَ}، قال: حرثوها"[٥].

قال ابن عباس في الآية:" ملكوا الأرض وعمروها"[٦].

وقرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو حيوة: «وآثروا الأرض»، بمد الهمزة وفتح الثاء مرفوعة الراء[٧].

قوله تعالى:{وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} [الروم : ٩]، أي:" وجاءتهم الرسل بالمعجزات الواضحات والآيات البينات فكذبوهم"[٨].

قال السمعاني:" أي: بالدلالات"[٩].

قال مقاتل:" يعني: أخبرتهم بأمر العذاب"[١٠].

قال الواحدي:أي:" بالدلالات والحجج، وأخبروهم بأمر العذاب"[١١].

قال الطبري:"إذ {جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِنَاتِ} من الآيات، فكذّبوهم، فأحلّ الله بهم بأسه"[١٢].

قوله تعالى:{فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ} [الروم : ٩]، أي:" فما كان الله ليهلكهم بغير جُرم"[١٣].

قال السمعاني:" أي: لينقص حقوقهم"[١٤].

قال يحيى:" يعني: كفار الأمم الخالية الذين كذبوا في الدنيا، يقول: لم يظلمهم فيعذبهم على غير ذنب"[١].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠٢.

(٢) الدهقنة: أي: الزراعة.

(٣) الكشاف: ٣/ ٤٦٩.

(٤) زاد المسير: ٣/ ٤١٧.

(٥) أخرجه الطبري:٧٨/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري:٧٨/٢٠.

(٧) انظر: زاد المسير: ٣/ ٤١٧.

(٨) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٣٥.

(٩) تفسير السمعاني: ٤/ ١٩٩.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤٠٨.

(١١) التفسير الوسيط: ٣/ ٤٢٩.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٨.

(١٣) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٣٥.

(١٤) تفسير السمعاني: ٤/ ١٩٩.

قال الطبري:"{فَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ} بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله، وجحودهم آياته"(٢).

قال الزمخشري:" فما كان تدميره إياهم ظلما لهم، لأن حاله منافية للظلم"(٣).

قال البيضاوي:" ليفعل بهم ما تفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير"(٤).

قال ابن كثير:" وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال"(٥).

قوله تعالى:{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [الروم : ٩]، أي:" ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب فاستحقوا الهلاك والدمار"(٦).

قال السمعاني:" أي: ولكنهم نقصوا وبخسوا حقوقهم"(٧).

قال الطبري: أي:" بمعصيتهم ربهم"(٨).

قال الزمخشري:" حيث عملوا ما أوجب تدميرهم"(٩).

قال البيضاوي:" حيث عملوا ما أدى إلى تدميرهم"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : وإنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله ، واستهزؤوا بها ، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم"(١١).

القرآن

{ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)} [الروم : ١٠]

التفسير:

ثم كانت عاقبة أهل السوء من الطغاة والكفرة أسوأ العواقب وأقبحها؛ لتكذيبهم بالله وسخريتهم بآياته التي أنزلها على رسله.

قوله تعالى:{ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى} [الروم : ١٠]، أي:" ثم كانت عاقبة أهل السوء من الطغاة والكفرة أسوأ العواقب وأقبحها"(١٢).

قال الطبري:يقول: " ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها، وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله، وكذّبوا رسلهم، فأساءوا بذلك من فعلهم {السُّوأَى}، يعني: الخُلَّة التي هي أسوأ من فعلهم؛ أما في الدنيا، فالبوار والهلاك، وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها، ولا هم يستعتبون"(١٣).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/ ٦٤٧.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٨.

(٣) الكشاف: ٣/ ٤٦٩.

(٤) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٦.

(٦) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٣٥.

(٧) تفسير السمعاني: ٤/ ١٩٩.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٨.

(٩) الكشاف: ٣/ ٤٦٩.

(١٠) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٠٢.

(١١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٦.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٠٥.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٨-٧٩.

قال ابن قتيبة:"{ السوءى}: وهي: جهنم -و{الحسنى} الجنة؛ في قوله: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى} [يونس : ٢٦]"(١).

قال السمعاني:" {الذين أساءوا} أي: كفروا، وقوله: {السوأى}، هي: جهنم، وقيل: السوأى: قبح العاقبة. ومنه قوله:« سواء ولود خير من حسناء عقيم». يعني: قبيحة ولود خير من حسناء عقيم"(٢).

قال الزمخشري:" {السُّوأَى}: تأنيث: الأسوأ، وهو الأقبح، كما أن «الحسنى» تأنيث: الأحسن. والمعنى: أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار، ثم كانت عاقبتهم سوأى إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر، أى: العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة، وهي جهنم التي أعدت للكافرين"(٣).

عن قَتادة قوله: "{ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى}: الذين أشركوا السوءَى: أي النار"(٤).

قال ابن عباس:" يقول: الذين كفروا جزاؤهم العذاب"(٥).

قال الزجاج:" التفسير، في قوله {أساءوا} –ههنا- أنهم أشركوا، و{السوأى}: النار، وإنما كان {أساءوا} ههنا يدل على الشرك، لقوله: {وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون}، فإساءتهم ههنا كفرهم، وجزاء الكفر النار، ودل أيضا على أن {أساءوا} –ههنا-: الكفر: {أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون}، فالمعنى: ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم"(٦).

قال السعدي:" فهذا عقوبة لسوئهم وذنوبهم، ثم ذلك الاستهزاء والتكذيب يكون سببا لأعظم العقوبات وأعضل المثلات"(٧).

وقرأ الأعمش: «ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء»(٨).

قرأ أهل الحجاز والبصرة: {عاقبة} بالرفع(٩).

قوله تعالى:{أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} [الروم : ١٠]، أي:" لأجل أنهم كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا واستهزءوا بها"(١٠).

قال الطبري:" يقول: كانت لهم السوأى، لأنهم كذّبوا في الدنيا بآيات الله، وكانوا بحجج الله وهم أنبياؤه ورسله يسخرون"(١١).

قال مقاتل:" يعنى: بأن كذبوا بالعذاب بأنه ليس بنازل بهم في الدنيا {وكانوا بها}، يعنى: بالعذاب {يستهزؤن} تكذيبا به أنه لا يكون"(١٢).

---

(١) غريب القرآن: ٣٤٠.

(٢) تفسير السمعاني: ٤/ ١٩٩.

(٣) الكشاف: ٣/ ٤٧٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٧٩.

(٦) معاني القرآن: ٤/ ١٧٩.

(٧) تفسير السعدي: ٦٣٧.

(٨) انظر: تفسير السمعاني: ٤/ ١٩٩.

(٩) انظر: حجة القراءات: ٥٥٦.

(١٠) صفوة التفاسير:٢/ ٤٣٥.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٧٩.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤٠٨.

قال الزجاج:" المعنى: ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم"[1].
قال الفراء:" قوله: {أَنْ كَذَّبُوا} لتكذيبهم، ولأن كذبوا، فإذا ألقيت اللام كَانَ نصبا"[2].
قال ابن قتيبة:"{أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ}، أي: كانت عاقبتهم جهنم بأن كذبوا بآيات الله"[3].
قال الشعراوي:" فالأمر لم يقف عند حَدِّ التكذيب بالآيات، إنما تعدّى التكذيب إلى الاستهزاء، فلسفة الاستهزاء أن الإنسان لم يقدر على نفسه ليحملها على الفضائل، فيغيظه كل صاحب فضيلة، ويؤلمه أنْ يرى مستقيماً ينعم بعزِّ الطاعة، وهو في حمئة المعصية؛ لذلك يسخر منه لعله ينصرف عما هو فيه من الطاعة والاستقامة"[4].
قال القشيري في الآية:" من زرع الشوك لم يحصد الورد، ومن استنبت الحشيش لم يقطف الثمار، ومن سلك طريق الغي لم يحلل بساحة الرشد"[5].
عن محمد بن عبد الله بن بكير، قال: "سمعت ابن عيينة يقول في قوله تعالى: {ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله} [الروم: ١٠] إن لهذه الذنوب عواقب سوء، لا يزال الرجل يذنب فينكت على قلبه حتى يسوء القلب كله، فيصير كافرا"[6].
فوائد الآيات:[٨-١٠]:
١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة العقلية المثبتة لها.
٢- كفر أكثر الناس بالبعث مع كثرة الأدلة وقوتها.
٣- مشروعية السير في الأرض للاعتبار مع اشتراط عدم حصول إثم في ذلك بترك واجب أو بفعل محرم.
٤- بيان جزاء الله العادل في أن عاقبة الإساءة-أي: الشرك والمعاصي- السوأى: أي: أشد العقوبات وأنكاها في الدنيا والآخرة.
٥- كفر الاستهزاء بالشرع وأحكامه والقرآن وآياته.
نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء السابع والعشرون من التفسير، ويليه الجزء الثامن والعشرون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١١) من سورة «الروم».

---

(١) معاني القرآن: ٤/ ١٧٩.
(٢) معاني القرآن: ٢/ ٣٢٢.
(٣) غريب القرآن: ٣٤٠.
(٤) تفسير الشعراوي: ١٨/ ١١٣٢٩-١١٣٣٠.[باختصار]
(٥) لطائف الإشارات: ٣/ ١١٠.
(٦) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط: ٣/ ٤٢٩-٤٣٠.